

فن الرواية التاريخية بين أمين معلوف وعنايت الله التمش

(دراسة مقارنة)

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات



إعداد

راشدة فاطمة

المشرفة

الدكتورة سيدة نسرین طاهر

الأستاذة المساعدة (المتقاعدة) بقسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد باكستان

العام الدراسي، ٢٠١٧ - ٢٠٢٣ م

فن الرواية التاريخية بين أمين معلوف وعنايت الله التمش (دراسة مقارنة)

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات



قسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد - باكستان

العام الدراسي، ٢٠١٧ - ٢٠٢٣ م

© راشدة فاطمة





استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة

قام الموقعون أدناه بدراسة الأطروحة ومداولتها وقد خرجوا بنتائج طيبة حولها ونلتمس من هيئة الدراسات العليا الموافقة على هذه الأطروحة كأطروحة جيدة.

عنوان الأطروحة:

فن الرواية التاريخية بين أمين معلوف وعنايت الله التمش

(دراسة مقارنة)

إعداد: راشدة فاطمة رقم التسجيل: PhD/ARA/F17/003

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الدكتورة سيدة نسرین طاهر

التوقيع

المشرفة

الأستاذ الدكتور جميل أصغر

التوقيع

عميد كلية اللغات

اللواء المتقاعد شاهد محمود كياني

التوقيع

رئيس الجامعة

التاريخ: / /

يمين الباحثة

أعلن أن أطروحتي: "فن الرواية التاريخية بين أمين معلوف وعنايت الله التمش (دراسة مقارنة)" التي أعدتها تحت إشراف الدكتورة سيدة نسرین طاهر، والتي قدمتها إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، لم أتقدم بها إلى أية جهة أخرى لنيل أية شهادة من قبل.



راشدة فاطمة

الباحثة

الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

فهرس المحتويات

أ	استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة
ب	يمين الباحث
ج	فهرس المحتويات
هـ	Abstract
و	الإهداء
ز	كلمة الشكر
١	المقدمة
التمهيد	
١٣	الرواية التاريخية نشأتها وتطورها في اللغة العربية (بدايتها وأعلامها وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدباؤها)
٢٧	الرواية التاريخية نشأتها وتطورها في اللغة الأردنية (بدايتها وأعلامها وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدباؤها)
الباب الأول: عرض روايات أمين معلوف التاريخية	
٣٩	الفصل الأول: أمين معلوف حياته وأعماله وأوصافه الأدبية
٤٩	الفصل الثاني: عرض روايات أمين معلوف التاريخية
الباب الثاني: عرض روايات عنايت الله التمش التاريخية	
٧٧	الفصل الأول: عنايت الله التمش حياته وأعماله وأوصافه الأدبية
٨٥	الفصل الثاني: عرض روايات عنايت الله التمش التاريخية
الباب الثالث: الدراسة الفنية لروايات أمين معلوف التاريخية	
١٣٩	الفصل الأول: الحدث والشخصيات في روايات أمين معلوف التاريخية
٢١٢	الفصل الثاني: السرد والحوار والأسلوب في روايات أمين معلوف التاريخية
الباب الرابع: الدراسة الفنية لروايات عنايت الله التمش التاريخية	
٢٦٥	الفصل الأول: الحدث والشخصيات في روايات عنايت الله التمش التاريخية
٣٥١	الفصل الثاني: السرد والحوار والأسلوب في روايات عنايت الله التمش التاريخية
الخاتمة: أوجه التشابه والخلاف بين الروايات والروائيين	
٤٠٠	أوجه التشابه بين الروايات والروائيين
٤٠٣	أوجه الخلاف بين الروايات والروائيين
٤١٩	خلاصة البحث
٤٢٠	نتائج الأطروحة
٤٢٤	التوصيات والاقتراحات

٤٢٧	الفهارس الفنية
٤٢٧	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٤٣٠	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٤٣١	فهرس الأشعار
٤٣٢	فهرس الأعلام
٤٤٤	فهرس القبائل
٤٤٦	فهرس الأماكن
٤٥٩	فهرس المراجع والمصادر

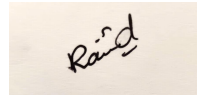
Abstract

Title of the PhD dissertation

Historical Novels in Arabic & Urdu Amin Maloof and Anayat Ullah Altamash (A case study for comparison)

This study examines historical novels of Arabic by Amin Maloof and Urdu novels by Anayat Ullah Altamash. **The objective was** to underline the similarities and differences in the narrative techniques of Maloof and Altamash in their historical novels. **The method used for the research** was analytical, focusing on the contrastive points with special references to events, characters/ personalities, narration dialogue and style of storytelling. **Primary Sources were** consulted for the research. **The research found that** both novelist hold a special place in the world of literature be virtue of being initiators of historical novels in Arabic and Urdu Literature respectively, they are similar in the display of events, language, narration, scene depiction and epistolary techniques while the work shows glaring disparities between them in the dialogue soliloquy, style of storytelling and theme of topics, and they tried to minimize the cultural and political downfalls of the humanity, also the aim of writing historical novels by Maloof was to rouse the humanity, he adopted a sociological concept and established self-awareness of mankind, while the aim of writing historical novels by Altamash was to rouse the Muslims of the world, who had not only been deprived of ruling but had been forced to become slaves from their earlier position of being masters, the cultural identity of Muslims was distorted, and it was an attempt to remind them of their past glory the stories of the golden past were presented. **The study recommends** for Arabic Literature researchers to translate the historical novels about the Subcontinent's history, and work upon the false information presented in some historical novels about Umayyad and Abbasid periods.

Keywords: Historical Novels, Amin Maloof, Anayat Ullah Altamash, Arabic Literature, Urdu Literature.



Rashida Fatima
PhD Scholar
Arabic Department
NUML - Islamabad

الإهداء

نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على توفيقه وسداده لإنجاز هذا العمل،
أهدي جهدي هذا إلى من قال فيهما عز وجل:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ الإسراء ٢٣.

أمي وأبي العزيزين، أمي طيبة القلب صادقة الوفاء بسماحتها وحنانها، التي
ربتني وسهرت وتعبت من أجلي، جعلت اللجنة تحت أقدامها، ولها حق الأمومة أمي
ثم أمي ثم أمي إلى آخر يوم في عمري.

إلى من كان شمعة يحترق، لينير دربي، ليوصلني إلى بر الأمان، أبي الغالي
(تاج رأسي) الذي شجعني دائماً على تحصيل العلم.

وإلى كل أساتذتي الذين منحوني ثروة العلم وبسببهم أصبحت اليوم على
استعداد لكتابة الرسالة.

وإلى زوجي الذي كان إنجاز هذا العمل على حساب راحته، وإلى أجدادنا
في حياتي: إخواني وأخواتي الأعزاء الذي ساعدوني على هذا العمل بكل ما احتجت
إليه، وإلى ابني العزيزين: محمد مصعب، وعبد المعيد، وابنتي العزيزة: مبشرة فاطمة،
حفظهم الله ورعاهم.

إليهم جميعاً أهدى بحثي هذا، جزاهم الله أحسن الجزاء.

كلمة الشكر والعرفان

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين، الحمد لله على توفيقه سبحانه لي لإنجاز هذه الرسالة.

بأسمى آيات الشكر والتقدير أشكر أساتذتي الذين علموني وأرشدوني لكتابة البحث، والشكر الخاص للدكتور عنايت الله الذي ساعدني في البداية باقتراح فكرة الرسالة.

أدعو الله أن يجزيهم أحسن الجزاء.

ثم أشكر مشرفتي الكريمة والشفيقة الدكتورة نسرین طاهر التي أشرفت على رسالتي، وكانت مثلاً للأستاذة الحليمة، أشكرها لأنها علمتني الكثير منذ بداية مرحلة الدكتوراة.

كما أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كل من الأساتذین الفاضلين في لجنة المناقشة، وكيف أنسى أن أشكر للجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد، متمثلة في القائمين عليها وقسم اللغة العربية رئيساً وأساتذة؛ لتوفير الفرصة الثمينة للدراسة وتوفير الوسائل التي ساعدتني على إنجاز العمل على الوجه المنشود. والشكر موصول أيضاً إلى كل من تقدم لي بيد المساعدة. فجزاهم الله خير الجزاء، وخير ما يجزي به عباده المحسنين.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على من أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً، وعلى من اتبع هداه، واستمسك بسنته إلى يوم الدين.

التعريف بالموضوع:

الرواية نوعٌ من أنواع القصة، بل أطولها، مقارنةً بالأنواع الأخرى، مثل: القصة القصيرة والأقصوصة، والرواية عملٌ أدبيٌّ يقوم به فردٌ واحدٌ، ويتناول فيها جانباً من جوانب الحياة.

إن لفن الرواية أهميةً كبيرةً جداً على المستويين العربي والغربي، حين انتقلت من أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر، وقد أُعجب بها أدباؤنا، وأنتجوا الكثير من الروايات، والعلاقة بين الرواية والتاريخ وطيدةٌ وقويةٌ منذ نشأة الرواية واستقلالها فناً أدبياً، لكن هناك اتجاهاتٌ كبيرةً في الأدب العربي والأردني يدعو للعودة إلى التاريخ؛ نتيجةً لاهتزاز الوجدان، والإحساس بأن شخصياته باتت مهتدةً بسبب الحملات الاستعمارية الظالمة.

وأمام هذا العجز عن مواجهة الواقع وتحدياته، لا تملك الأمة سوى أن تتعلق بذكرياتها، أو أن تبحث عن القيم المعتبرة، وتستمدّ أبطالها من التاريخ، لذا اتجه الكتاب والروائيون إلى قراءة التاريخ لاستلهامه في أعمالهم الروائية، فتحوّل هذا التاريخ من أحداث ووقائع جامدةٍ إلى معانٍ وصور حيةٍ نابضةٍ بالحياة، وبالتالي أصبح التاريخ مصدراً من مصادر الأدب، لا سيّما الرواية.

وقد اشتهرت مقولةٌ تفيد بأن: الشعر ديوان العرب، أما في عصرنا الراهن فإن الرواية باتت ديوان العرب، وذلك لكثرة الإنتاج الروائي العربيّ محلياً وعربياً، فهي تعبّر عن آلام الإنسان وأحواله، وعن واقع المجتمعات لدرجةٍ أصبحت تُعرف بديوان العرب.

والرواية ذات بنيةٍ معقّدةٍ، قائمةٍ على عناصرٍ عديدةٍ متكاملةٍ، من الشخصيات والأحداث والسرد والحوار والأسلوب وغير ذلك، ولكل عنصرٍ من تلك العناصر أهميةٌ قصوى، لا يمكن الاستغناء عنها.

وللرواية أنماطٌ عديدةٌ، مثل: الرواية الاجتماعية، والواقعية، والتاريخية، والتعليمية، وغيرها، إلا أنني اخترت في بحثي النمط التاريخي من تلك الأنماط الروائية. واللغة العربية روح الأمة وسر كيائها، وهذه اللغة التي تعبّر عن حضارة هذه الأمة لنشر الدين الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً.

أما اللغة الأردنية فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً باللغة العربية؛ وتأثرت بالعربية، بسبب التفاعل اللغوي والحضاري المستمر بين شعوب الجزيرة العربية، وشعوب شبه القارة الهندية، واشتراكهما في القضايا الداخلية، ونتيجة للعلاقات بين اللغتين وآدابهما القومية، مما جعلهما باباً عظيماً لدراستهما ضمن الأدب المقارن.

اخترت ثمانية أعمال روائية من كلا الأدبين العربي والأردني، وفي اختياري للروائيين اعتمدت على القيمة الأدبية والفنية لأعمالهما الروائية.

معظم النصوص أو الروايات التي اخترتها للدراسة جمعها همّ واحد، هو رؤية الكاتب وإطلالته من خلال هذه الرواية التاريخية على الهموم الأخرى الاجتماعية، والسياسية، والثقافية.

فالروائي أمين معلوف من الأدباء العرب المشهورين من لبنان في عصرنا الحاضر، نال جوائز عالمية عديدة، أبرزها: جائزة غونكور الفرنسية عام ١٩٩٣م عن روايته: "صخرة طانيوس"، وهو روائي ذائع الصيت، راجت وانتشرت رواياته منذ ثمانينات القرن الماضي، وأصبح الآن الروائي الأكثر شهرة بين الروائيين المعاصرين، ورواياته مليئة بالدعوة إلى الإنسانية، وتطالب بالتسامح والحوار مع الآخر.

على الرغم من أن أمين معلوف قدّم أعماله بغير اللغة العربية (باللغة الفرنسية) إلا أنها ذات مرجعية عربية، وذلك من اتجاهين:

الأول: أن أمين معلوف عربي المولد والنشأة في الأصل.

الثاني: أن الثقافة العربية والإسلامية - بمعطياتها التاريخية، وعلاقتها مع الآخر

- تؤدي دوراً مركزياً في العالم الروائي لأمين معلوف.

وقد نجح الدكتور "عفيف دمشقية" والأستاذة "هالة بيضون" في ترجمة روايات

أمين معلوف إلى اللغة العربية بصورتها الحقيقية على نفس المستوى تقريباً.

الشغف بالتاريخ ميزة أساسية في أعمال أمين معلوف الروائية، كما نجد في رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب"، والتخاطب الدائم بين التاريخ والسرد في روايات: "ليون الإفريقي" و"سمرقند" و"حدائق النور" التي تستلهم التاريخ البعيد، أما الروايتان: "صخرة طانيوس" و"موانئ المشرق" فتستعيدان الماضي القريب للبنان. و"التائهون" رواية معاصرة الأجواء والشخوص، و"القرن الأول بعد بياتريس" رواية مكتوبة في الخيال العلمي، على خلفية هموم أُمّية عن إنجاب الذكور.

أما عنايت الله التمش فيعدّ من أشهر كتّاب الرواية التاريخية في الأدب الأردني، وقد ألبس التاريخ الإسلامي ثوباً جميلاً بقلمه الفاخر.

أثناء قراءتي المتوالية في الروايات المختارة اكتشفت أن هناك توافقاً إلى حد كبير بين الأدبين الأدب الروائي العربي والأدب الروائي الأردني، فيبدو للقارئ في مستهلّ النظر كأنّ هذين الأدبين يفوحان عبيراً واحداً، وشذى عرفهما يفوح من نافورة واحدة، نظراً لذلك اخترتُ موضوع بحثي الدراسة المقارنة للرواية التاريخية في الأدبين العربي والأردني.

والأمر الذي يجمع بين الروائيين اللذين أحببت أن أكتب عنهما - وهما أمين معلوف وعنايت الله التمش - أنهما كانا مؤلّعين بالاستطلاع وجمع المواد التاريخية من أيّ مصدرٍ كان، ومؤلفاتهما الأدبية مرصّعة بالبراعة الفنية من خلال نسجٍ مختلفٍ بين مراحل رواياتهما ووقائعها وفصولها المختلفة.

أهمية الموضوع:

"فن الرواية التاريخية بين أمين معلوف وعنايت الله التمش" عبارة عن "دراسة مقارنة" بين الأدبين العربي والأردني، وتكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

- ١- كانت نشأة الاتجاه المقارن في الدراسات الأدبية في فرنسا لإبراز جوانب هامة تفوت الباحث أثناء الدراسة، الدراسة من إطار المنهج المقارن قد تؤدي للقارئ ولا سيّما الباحث إلى التفكير والتريث والتأني في جوانب أخرى، يكاد البحث أن يخلو منها عند ابتعاده عن هذا المنهج الدراسي.

٢- ندرة الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والأردني في فن الرواية، رغم أن الترابط بين الشعبين يشهد تطوراً ملحوظاً منذ القرن الماضي؛ بسبب الأهداف السياسية والاجتماعية المشتركة.

٣- تقديم ملامح الأدب الروائي الأردني الحديث؛ للمساهمة في إثراء المكتبة العربية، ودعم مسار الأدب الأردني على الدرب، وذلك بوسيلة المقارنة بين الرواية التاريخية العربية والأردنية.

٤- أن الأدب العربي والأردني زاخران ومليئان بالوقائع والقصص المؤلمة التي ينظر إليها الباحثون الجدد والقدامى بعينٍ يملؤها التشكيك، ولهذا السبب وددت أن أختار لي موضوعاً في الروايات التاريخية.

وسرّْتُ على المنهج التحليلي المقارن للوصول إلى نتائج جادة المعنى، رصينة المغزى، ومثمرة الفحوى.

هذه الرسالة اختارت مجموعةً من الروايات التاريخية في الأدبين العربي والأردني، ودرستها، وتحليلها، وبيان مضامينها، وتشكيلها الفني.

إنني إذ أقدم هذه الرسالة المتواضعة في مقارنة الأدب الروائي العربي والأدب الروائي الأردني؛ لا أدعي في هذه الرسالة أنها جديدة في نوعها، أو جاءت بتحقيقٍ أوسع، فالفضل كلّ الفضل يعود إلى الله سبحانه وتعالى حيث وفقني سبحانه للمساهمة في الدراسات الأدبية المقارنة بين اللغة العربية واللغة الأردنية.

حدود البحث:

- من ناحية الجنس الأدبي: تختص الأطروحة بدراسة الرواية التاريخية.
- من ناحية الشخصيات الروائية المختارة حُدّدت الأطروحة بكل من الروائي العربي أمين معلوف والروائي الأردني عنایت الله التمش.
- حددت الدراسة باختيار ثماني روايات تاريخية لكلٍ من الروائيين.
- نوع الدراسة: دراسة مقارنة.

أسئلة البحث:

- من الروائي أمين معلوف؟ وما رواياته التاريخية؟

- من الروائي عنایت الله التمش؟ وما رواياته التاريخية؟
- ما ملخص الروايات التاريخية للروائيين أمين معلوف وعنایت الله التمش؟
- ما الجماليات الفنية في الروايات التاريخية للأديبين أمين معلوف وعنایت الله التمش؟

- ما أوجه التشابه بين الروائيين وروايتهم التاريخية؟ وما الفوارق بينهما؟

الأهداف:

تحقق هذه الأطروحة بعض الأهداف البحثية، منها:

- إبراز أهمية مادة التاريخ، وضرورة وضعها في المفردات الدراسية مادةً مستقلةً.
- إبانة الفروق بين كتابات الروائيين والمؤرخين، وبعبارةٍ يسيرة: كيف يتناول الروائي تلك الأحداث التاريخية في نسيج الرواية؟ بينما تكون تلك الأحداث والوقائع في متناول المؤرخ فيتناولها في نسيج آخر يختلف كيانه بأسره عن كيان نسيج الروائي.
- الدراسة المقارنة بين الروائيين العرب والأردنيين؛ لإبراز أوجه التشابه وأوجه الاختلاف في الأدبين، الأردني والعربي، في هذا الفن الثري المزيج بالواقع وبعناصر الأدب الروائي.

أسباب اختيار الموضوع:

تعددت العوامل والأسباب وراء اختيار الباحثة لهذا الموضوع، من أهمها:

أولاً- إن أطروحتي دراسةً مقارنةً بين نوع أدبي ينتمي إلى الأدب الحديث في كلٍ من الأدب العربي، والأدب الأردني.

ثانياً- البنية الفنية للرواية، سواء كانت مكتوبةً باللغة العربية أو باللغة الأردية فإنها تتجانس وتختلف باختلاف الأوضاع التاريخية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وهذا ما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع؛ لنيل درجة "الدكتوراة" في الأدب العربي.

ثالثاً- اخترت "الرواية" من أصناف الأدب الثري موضوعاً للدراسة والبحث؛ لأنها تمثل الحياة اليومية، وترتبط بأوضاع الواقع، حيث تعالج مشاكل الناس التي

يواجهونها ليلاً ونهاراً، وتعالج القضايا التي تحتاج إلى الحل والمعالجة لفك أوصالها بطريقة محكمة.

رابعاً- من جهة أخرى رغبت في أن أجعل الدراسة المقارنة مشوّقة أكثر، وذات أهمية كبرى لاكتشاف التباين الثقافي والاجتماعي والأدبي بين حضارتين مختلفتين بفوارق التاريخ التي ينتمي إليها الأديبان اللذان اخترتهما. خامساً- الهدف من هذا البحث هو الحصول على شهادة الدكتوراه، واخترت للبحث موضوعاً بعنوان: "فن الرواية التاريخية بين أمين معلوف وعنايت الله التمش دراسة مقارنة".

سادساً- رغبت في المساهمة في دعم منهج الدراسات الأدبية المقارنة في المكتبة العربية وهناك تلاؤمٌ إلى حدٍ كبيرٍ بين الأدب التاريخي العربي والأدب التاريخي الأردني، وحاولت في البحث الكشف عن مواطن الالتقاء بين الأدبين، وإثراء المكتبة العربية، ودعم حُطى الأدب الأردني على الطريق، بواسطة المقارنة بين الرواية الأردنية والعربية، فعند قراءة القارئ العربي لهذه الرسالة سيتمكن من معرفة غزارة الأدب الأردني في ميدان الرواية، لا سيما في الرواية التاريخية.

منهج الدراسة:

التزمت في هذه الرسالة بالمنهج التالي:

- ١- التزمت بقراءة النصوص الروائية التاريخية من الداخل، وقد قمت بمحاورة هذه الأعمال الروائية وبنيتها الفنية ضمن مناهج محددة.
- ٢- حاولت في هذه الدراسة الاستعانة بمناهج عديدة، فأخذت منها ما يتناسب وحاجات البحث، وقد لجأت في هذه الدراسة إلى المنهج التاريخي لتحديد النصوص المراد دراستها بطريقة وصفية، واستعنتُ بشكلٍ محدودٍ بالمنهج النفسي الذي يهتمّ بعمليات الشعور والأحلام، وتأثير ذلك في سلوك الإنسان، وخاصة في تقنيات السرد الروائي، وكذلك في دراسة الشخصيات الروائية، ودورها في الرواية من حيث الإيجاب والسلب، ودورها في سير الأحداث، ثم في النهاية مقارنة بين الروايات المختارة والروائيين أمين معلوف وعنايت الله التمش.

٣- رجعتُ إلى المصادر الأصلية لتحقيق النصّ الروائيّ من روايات أمين معلوف وعنايت الله التمش.

٤- سرّثُ في تناول قضايا هذا العصر مسير المقارنة بين الأدبين الروائيين العربي والأردني.

٥- اخترتُ التحليل الفني في عرض القضايا التي طرحها الكاتبان في رواياتهما.

الدراسات السابقة:

عمل بعض الباحثين العرب على إجراء البحوث على روايات أمين معلوف، وكذلك نجد في الأردنية بعض البحوث حول أعمال عنايت الله التمش، إلا أنني لم أجد بحثاً للمقارنة بينهما، أو المقارنة بين أمين معلوف مع أديبٍ وروائيٍّ أردنيّ، وفيما يلي بعض الدراسات السابقة حول روايات أمين معلوف:

أولاً- رسائل الدكتوراه:

- البطل التاريخي في روايات أمين معلوف، رسالة دكتوراه للباحث: تومليلين عبد القادر، إشراف: د. حميد علاوي، قسم اللغة العربية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ٢٠٢٢م.

- دراسة في أعمال أمين معلوف، رسالة دكتوراه للباحث: عبد الكريم نعمراوي، إشراف: د. عبد الواحد شريقي، كلية الآداب والفنون واللغات، قسم الترجمة، جامعة وهران، الجزائر.

- الذات والآخر في الخطاب السردّي دراسة لأزمة الهوية في أعمال أمين معلوف السياسية والروائية كتاب الهويات القاتلة ورواية التائهون أنموذجين، للباحث: حاتم زيدان، إشراف: أ. د. العيد جلولي، قسم اللغة العربية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

ثانياً- رسائل الماجستير:

- الخطاب الروائي عند أمين معلوف، الباحثة: فريال محمد أحمد القضاة، إشراف: د. وليد سيف، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٢م.
- دراسة نقدية ولغوية في مفهوم التهجين في رواية أمين معلوف (التائهون)، للباحث: محمود محمد السباعي، كلية البنات جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.
- مأساة أدريانا لأمين معلوف مقارنة فنية، للباحثة: هاجر رمضاني، إشراف: د. أحمد موساوي، قسم اللغة العربية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٤م.
- ٢٠١٥م.

ثالثاً- البحوث والمقالات:

هناك مجموعة كبيرة من البحوث والمقالات حول روايات أمين معلوف، أذكر بعضها على سبيل المثال:

- تحليل رواية (صخرة طانيوس)، للباحثة: سارة كفاي، مصر.
- رواية (سمرقند) لأمين معلوف بين السرد التاريخي والتخييلي، للكاتب: بالنور سليمة، مجلة دراسات معاصرة، جامعة تسمسليت، الجزائر، ٢٠٢١م.
- وبعض الدراسات باللغة الإنجليزية، منها:

- Cultural identity formation in Maalouf's Ports of Call and Alsanousi's Bamboo stalk, Thesis in Master of Arts, by: Rima Menidjle, Supervisor: Prof. Lamia Khalil Hammad, Yarmouk University, Jordan, ٢٠١٧.

وهذه الدراسة تبحث في تأطير الهوية الثقافية في رواية واحدة لأمين معلوف، وهي "موانئ المشرق"، وكذلك في رواية "ساق البامبو" للروائي الكويتي سعود السنعوسي، فهي دراسة موازنة بين كاتبين عربيين.

أما عن الروائي الأردني عنایت الله التمش، فقد وجدت الدراسات التالية:

- اردو تاریخی ناولوں کا تجزیاتی مطالعہ نسیم حجازی اور عنایت اللہ التمش کے خصوصی حوالے سے، (دراسة تحليلية للروايات التاريخية الأردنية لنسيم حجازي وعنایت الله التمش)،

أطروحة دكتوراه للباحث: ذاكر علي خان كامل داد خان، إشراف: د. محمد ناصر الله أنصاري، جامعة سوامي راما نند تيرته، الهند، ٢٠٢٠ م.

كذلك هذه الدراسة داخل إطار اللغة الأردنية وأدبها الروائي التاريخي لكل من الكاتبين: نسيم حجازي وعنايت الله التمش.

وعلى مستوى المقارنة بين الرواية التاريخية في الأدبين العربي والأردني، فقد وجدت الدراسة التالية:

- الرواية التاريخية عن الأندلس من الخيال والواقع - دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والأردني، للباحثة: غزالة شاهين، إشراف: د. إنعام الحق غازي، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م.

وتعنى هذه الدراسة بالمقارنة بين الرواية التاريخية المتعلقة بالأندلس، في الأدبين العربي والأردني.

تبويب البحث

الخطّة التي اعتمدها في كتابة هذا البحث تشتمل على ما يلي: مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة، على التفصيل التالي:

○ الإهداء.

○ كلمة الشكر.

○ المقدمة.

التمهيد:

○ الرواية التاريخية نشأتها وتطورها في اللغة العربية (بدايتها، وأعلامها، وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدباؤها).

○ الرواية التاريخية نشأتها وتطورها في اللغة الأردنية (بدايتها، وأعلامها، وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدباؤها).

الباب الأول: عرض روايات أميين معلوف التاريخية:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أمين معلوف حياته وأعماله وأوصافه الأدبية.

الفصل الثاني: عرض روايات أمين معلوف التاريخية.

الباب الثاني: عرض روايات عنايت الله التمش التاريخية:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عنايت الله التمش حياته وأعماله وأوصافه الأدبية.

الفصل الثاني: عرض روايات عنايت الله التمش التاريخية.

الباب الثالث: الدراسة الفنية لروايات أمين معلوف التاريخية:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الحدث والشخصيات في روايات أمين معلوف التاريخية.

الفصل الثاني: السرد والحوار والأسلوب في روايات أمين معلوف

التاريخية.

الباب الرابع: الدراسة الفنية لروايات عنايت الله التمش التاريخية:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الحدث والشخصيات في روايات عنايت الله التمش

التاريخية.

الفصل الثاني: السرد والحوار والأسلوب في روايات عنايت الله التمش

التاريخية.

الخاتمة:

تشتمل الخاتمة على:

- أوجه التشابه بين الروايات والروائيين.
- أوجه الاختلاف بين الروايات والروائيين.
- نتائج الأطروحة.

- التوصيات والاقتراحات.
- الفهارس الفنية.

التمهيد

التمهيد يشتمل على قسمين:

- الرواية التاريخية نشأتها وتطورها في اللغة العربية (بدايتها، وأعلامها، وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدباؤها).
- الرواية التاريخية نشأتها وتطورها في اللغة الأردية (بدايتها، وأعلامها، وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدباؤها).

أولاً: الرواية التاريخية نشأتها وتطورها في اللغة العربية (بدايتها، وأعلامها، وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدباؤها).

فن الرواية:

الرواية فنٌ حديثٌ، إذا ما قورنت بالفنون الأدبية الأخرى كالشعر، والمسرحية، ولا شك أن قراءة الرواية تضيف إلى مخيلة القارئ عوالم جديدةً، يستكشف أبعادها، ويتعرف على شخصيات الرواية، ويتعايش مع خبراتهم، ولا يخلو ذلك من المتعة والإثارة.^(١)

الرواية لغة:

استخدمت هذه المادة في الأصل لنقل الماء وأخذ واستقائه، ونقل الخبر واستظهاره، والرواية: الدابة التي تحمل الماء، مثل: البعير أو البغل وغيره إذا استخدم في سقي الماء، وكذلك استخدم هذا اللفظ لغوياً للدلالة على رواية الشعر وتنقله، فكان لفظاحلة الشعراء رواةً يروون شعره وينشدونه للناس في المحافل والمجامع، ويسمى الواحد منهم مبالغةً: راوية.^(٢)

اصطلاحاً:

وضع العلماء تعريفات عديدة للرواية، فالرواية في الصورة العامة في معجم المصطلحات هي: نصٌ ثنائي، بطريقة السرد، يتصف بالواقعية، ويتناول شخصياتٍ مشتركةً في حدثٍ هامٍ، والرواية تقدّم تمثيلاً لوقائع الحياة وتجاربها، ووسيلة لاكتساب المعرفة.^(٣)

(١) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبد القادر أبو شربة وحسين لافي قرق، ص: ١٢، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان، الأردن، ط / ٤، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص: ١٢٩٠، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط / ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، ١٤ / ٣٤٥، دار صادر بيروت لبنان، ط / ٣، ١٤١٤ هـ.

(٣) معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، إنكليزي، فرنسي، د. لطيف زيتوني، ص: ٩٩، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر - لبنان، ط: ١، ٢٠٠٢ م.

الرواية نوعٌ من القصص يتفاوت في الطول، ويكتب بالنثر، وقد استعملت هذه الكلمة للمرة الأولى في إنجلترا^(١) في القرن السادس عشر، حين اشتهرت القصة الإيطالية، بينما يرجع تاريخ الرواية الفنية الحديثة إلى القرن الثامن عشر.^(٢)

ومن أهم عناصر الرواية: الحدث، والوصف، كما تتفاعل الأحداث وتنمو من خلال شخصيات الرواية، التي تتضح معالمها ووظائفها المؤدّة داخل نصّ الرواية، وعلاقات الشخصيات الروائية فيما بينها، وسعيها باتجاه الغاية، ومن ثم يتقرر نجاح هذه الشخصيات في الوصول إلى الغاية، أو الإخفاق في السعي.

ويقول د. محمد عبد المنعم خفاجي: الرواية هي أكبر الأنواع القصصية حجمًا، وترتبط بالفرار من الواقع وتصوير البطولة الخيالية، وفيها تكون أهمية للوقائع، وهي في الحقيقة قصةً طويلةً استكملت عناصرها الفنية، واستمدّت حوادثها من وحي الخيال، وهي أكثر شبهاً بالملاحم، ومن الكتاب من يعدّ الرواية مرادفًا لكلمة القصة؛ للدلالة على كل ما احتوى عنصر الخيال والأحداث والشخصيات.^(٣)

وعرّفها الدكتور السعيد الورقي بأنها تمثّل تشكيلاً للحياة ضمن هيكلٍ عضويٍّ، يتقمّص روح هذه الحياة، ويرتكز هذا التشكيل في الأساس على الحدث الرئيسي للرواية (الحدث النامي) الذي يتخلّق داخل محيطة الروائي، بواسطة شخصياتٍ تتسارع مع سير الأحداث، ضمن المحيط الذي تقع فيه هذه الأحداث، وتصل إلى النهاية، ضمن الصّراع القائم الذي يصوّر حياةً داخليةً في الرواية، تتفاعل فيها الشخصيات.^(٤)

(١) وتسمى بالإنجليزية: England، وهي أكبر دولة ضمن (المملكة المتحدة)، تقع في قارة أوروبا، وعاصمتها لندن. انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٢ / ١٢٠، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط / ٢، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، د. ياسين صلواتي، ص: ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط / ١، ١٨٣٩ - ٢٠٠١ م.

(٣) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، لمحمد عبد المنعم خفاجي، ص: ٤٣٣، دار الجيل، بيروت، ط / ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٤) اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، د. السعيد الورقي، ص: ٥، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨ م.

وأيضاً يقول د. مصري عبد الحميد حنورة بأن الرواية تركز على الحرية الشخصية للروائي في التنقل بين الأماكن والأزمنة الروائية، ضمن تقنيات الاسترجاع والاستباق، إما من الماضي نحو الحاضر، أو من الحاضر نحو الماضي، أو باستشراف المستقبل، كما تجسّد الرواية قدرة الروائي على الغوص في أعماق الشخصيات الروائية لاستكناه مكوّنات النفس البشرية، ودوافعها، وعلاقاتها.^(١)

ويقول بعض الأدباء بأن الرواية نمطٌ من أنماط التعبير الأدبي، يجب أن يحظى بالاهتمام والعناية سواءً من قبل الكتّاب أو القراء، ولا شك أن تتابع صدور الروايات بانتظام أضفى ملامح جديدةً على الكيان العام لهذا الفن، وترسيخ دعائمه في عالم الأدب.^(٢)

نشأة الرواية التاريخية وتطورها

النفس الإنسانية تميل إلى الرواية أكثر؛ لأن الرواية مرتبطة بالحياة والواقع، وتتناول مشاكل الناس، وقضاياهم، في إطارٍ فنيّ.

وقد نشأت الرواية العربية في هذه الحقبة، ثم ازدهرت ووصلت إلى مرحلة النضج، بل تفوقت على الأنواع الأدبية الفنية في الأدب العربي الحديث. ومن صور النمو والارتقاء للرواية الفنية في هذه الحقبة: كثرة الروايات ووفرتها، وتعدّد أنواعها، حتى صارت مثل الشجرة الضخمة التي تتفرع عنها الأغصان والفروع، وتتدلّى منها الأزهار ذات الألوان العديدة.^(٣) وكذلك في الأدب الفرنسي تعدّ الرواية التاريخية فناً روائياً حديثاً ظهر إلى الساحة الأدبية،^(٤) وله قواعده الفنية المستقلة في الأدب

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرحية، د. مصري عبد الحميد حنورة، ص: ١١٥، دار المعارف، مصر، ط/٢، ١٩٩٠م.

(٢) اتجاهات الرواية العربية في مصر، د. شفيق السيد، ص: ٣، دار الفكر العربي - مدينة نصر، القاهرة مصر، ط/٢، ١٩٩٨م.

(٣) الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، د. أحمد هيكمل، ص: ١١، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.

(٤) الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، ص: ٨٨٢، دار إحياء التراث العربي، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.

الفرنسي، وتعمق جذوره الأساسية لتعود إلى الإنجليزي والتر سكوت،^(١) ويعدّ (والتر سكوت) أحد مؤسسي نوع الرواية التاريخية الجديدة، وتبعه في ذلك آخرون.^(٢)

قال جورج لوكاش: في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، زمن انخيار نابليون تقريباً، ظهرت رواية سكوت (ويفرلي) عام ١٨١٣ م.^(٣)

الرواية التاريخية التي يتقيد فيها الكاتب بأحداث التاريخ فمن المغالاة تفسيرها بمقاييس فن شيكسبير، فالرواية التاريخية فنٌ من الفنون الأدبية الحديثة في الأدب العربي، فقد اشتهر مجموعة من الروائيين الذين استعاروا التاريخ العربي والإسلامي حقلاً لأعمالهم الروائية، ومنهم على سبيل المثال: عادل كامل، ونجيب محفوظ، وعبد الحميد جودة السحار، ومحمد فريد أبو حديد، وعلي أحمد باكثير، ومحمد سعيد العريان، وعلي الجارم.^(٤)

وقد دأب الرعيل الأول من الروائيين والكتّاب العرب على تقديم التاريخ للقارئ العربي في قالب قصصي أو روائي، يتضمن حكايات حقيقية تعدّ أفضل النماذج التاريخية، وكانت جالبة ومشوّقة للقراء، ومن هؤلاء الروائيين والكتّاب: سليم البستاني، وجرجي زيدان، وفرح أنطون، ويعقوب صرّوف، وأمين ناصر الدين.^(٥)

فقد نشر سليم البستاني منذ عام ١٨٧٠ م بعض الروايات التاريخية في مجلة الحنان، التي كان والده المعلم بطرس البستاني قد أنشأها، ثم جاء جرجي زيدان فاكتسب مكانة مرموقة بين الأوساط العلمية والأدبية في اتجاه الرواية التاريخية. وبدأ جرجي زيدان كتابة الروايات التاريخية في أواخر القرن التاسع عشر، واستمر في كتابتها

(١) والتر سكوت: روائي وشاعر وكاتب أسكتلندي، ١٧٧١-١٨٣٢ م، ولد في أدنبره، إسكتلندا، من أشهر رواياته: إيفانفو، وقد عرفت بفضلها الرواية التاريخية الحديثة. انظر موقع:

<http://www.walterscott.lib.ed.ac.uk/biography/chronology.html>

تاريخ تصفح الموقع: ١ مايو ٢٠٢٤ م، الساعة ١١:٠٠ مساءً.

(٢) هل لدينا رواية تاريخية، عبد الفتاح الحجمري، مجلة فصول، مصر، العدد/ ١٤، يوليو ١٩٩٧ م، ص: ٦٠-٦٧.

(٣) الرواية التاريخية: جورج لوكاش، ترجمة: د. صالح جواد الكاظم، ص: ١١١-١١٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد،

١٩٨٦ م.

(٤) اتجاهات الرواية العربية في مصر، ص: ٢٨، ٤٨.

(٥) المرجع نفسه، ص: ٣١.

إلى عام ١٩١٤م، وكتب حوالي إحدى وعشرين رواية عن الدولة الأموية والعباسية والأيوبيّة.

ومن معاصريه فرح أنطون الذي كتب "الروايات التاريخية"، وترجم بعض الروايات الفرنسية، مثل: (بول وفرجينى).^(١)
يقول الدكتور طه وادي عن الرواية التاريخية:

"التاريخ علمٌ من العلوم الإنسانية، يؤرخ به البشر لمراحل نشأتهم وتطورهم السياسي والحضاري عبر العصور، والعناية بالتاريخ ظاهرةٌ طبيعيةٌ في مراحل التطور واليقظة".^(٢)

وقد حدّد الأدباء الرواية التاريخية بأنها لا تكتب إلا لهدفين أساسيين:

● أحدهما: الرواية التاريخية التعليمية.

● والنوع الآخر: الرواية التاريخية القومية.

ومن أشهر أنواع الرواية التاريخية التعليمية في الأدب العربي الحديث: روايات جرجي زيدان، وبعض روايات نجيب محفوظ، وجعل جرجي زيدان مادتها الأساسية فن التاريخ هادفاً تذكير الشبان بتاريخ آبائهم وتعليمهم، جاعلاً هدفه الأساسي تعليم التاريخ وصاغها في قالبٍ جذابٍ وعرضٍ حسنٍ، دون إحساسٍ قوميٍّ أو هدفٍ وطنيٍّ.^(٣)

والنوع الآخر هو الرواية التاريخية القومية، التي تهدف إلى بعث الحياة في الماضي التاريخي للأمة وإحيائه، وتمجيد بطولات أبطاله، والغرض الأساسي للروائي في الرواية التاريخية القومية هو إحساس الروائي بوطنيته، وسعيه لخدمة الأهداف القومية، وتحقيقها.^(٤)

(١) القصة والرواية، د. عزيزة مريدن، ص: ٧٦، دار الفكر بدمشق سوريا، ط/ ١، ١٩٨٠م.

(٢) الصراع بين المذهبية الفكرية والفن في الرواية التاريخية رواية هاتف من الأندلس نموذجاً، د. طه وادي، مجلة الفيلصل - الرياض السعودية، ص: ٢٦ - ٢٩، العدد ٢٢٩، رجب ١٤١٦هـ - نوفمبر ديسمبر ١٩٩٥م.

(٣) الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ص: ٢٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٤٩. الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث نصوص تاريخية ونماذج تطبيقية من الرواية المصرية، د. قاسم عبده قاسم، د. أحمد إبراهيم الهواري، ص: ٤٩، دار المعارف القاهرة مصر، ١٩٧٩م.

وهناك روايات تاريخية من نوع آخر، وهي ما يصح أن نسميها روايات تاريخية معاصرة، وهذا اللون من الروايات يصف العادات المعاصرة والمشكلات الراهنة، وهي تكتسب أهميةً وقيمةً تاريخيةً بمرور الزمن، وأمثلة هذه الروايات لا تصف حوادث معينة، وإنما تصف العادات والأفكار والتقاليد السائدة.^(١)

أشهر الروائيين التاريخيين في تاريخ الأدب العربي:

الجيل الأول من كتّاب القصة التاريخية وهو الذي صرف جهده إلى تقديم التاريخ في سياق حكايات تكون أكثر تشويقاً للقارئ وللطالعة، وأهم كتّاب هذه المرحلة: سليم البستاني، وجرجي زيدان، وفرح أنطون، ويعقوب صروف، وأمين ناصر الدين.^(٢)

وفيما يلي تعريفٌ بسيطٌ بأبرز هؤلاء الروائيين:

١- سليم البستاني (١٨٤٨م-١٨٨٤م):

ألّف رواياتٍ، منها: (الإسكندر، وقيس وليلى، والهيام في جنان الشام).^(٣)

٢. جرجي زيدان:

وهو صاحب السبق في الاهتمام - ضمن الفن الروائي - بالتاريخ العربي والتاريخ الإسلامي، الذي استمدّ منهما موضوعات رواياته، لا سيما من عصر الخلافة الأموية، والخلافة العباسية، والدولة الأيوبية، وعدد رواياته: إحدى وعشرون رواية.^(٤) وقد صدرت له تأليفاتٌ ورواياتٌ تاريخيةٌ عديدةٌ أثناء عمله محرراً في مجلة الهلال، توفي جرجي زيدان عام ١٩١٤م، وعمره ثلاث وخمسون سنة.

ألّف جرجي زيدان حوالي إحدى وعشرين رواية تاريخية، وهي:

١. أبو مسلم الخراساني.

(١) الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث نصوص تاريخية ونماذج تطبيقية من الرواية المصرية، ص: ١٨٧.

(٢) اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، ص: ٣١.

(٣) الأعلام قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، ٣/ ١١٤، دار الملايين، بيروت لبنان، ط/ ١٥، ٢٠٠٢م.

والقصة والرواية، د. عزيزة مريدن، ص: ١٣٣.

(٤) أعلام العرب، جرجي زيدان، محمد عبد الغني حسن، ص: ١٠، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر مصر،

١٩٧٠م. وانظر كذلك: جرجي زيدان، لأحمد حسين الطماوي، ص: ٥٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،

ط/ ١٩٩٢م.

٢. أحمد بن طولون.
٣. أرمانوسة المصرية.
٤. أسير المتمهدي.
٥. الأمين والمأمون.
٦. استبداد المماليك.
٧. الانقلاب العثماني.
٨. الحجاج بن يوسف.
٩. شارل وعبد الرحمن.
١٠. شجرة الدر.
١١. صلاح الدين.
١٢. العباسة أخت الرشيد.
١٣. عبد الرحمن الناصر.
١٤. عذراء قريش.
١٥. عروس فرغانة.
١٦. غادة كربلاء.
١٧. فتاة غسان.
١٨. فتاة القيروان.
١٩. فتح الأندلس.
٢٠. المملوك الشارد.
٢١. ١٧ رمضان.

٣- فرم أنطون:

كتب خمساً وعشرين رواية، منها: الدين والعلم والمال، والكوخ الهندي، وأورشليم الجديدة، وكتب الروايات التاريخية وترجم بعض الروايات الفرنسية، مثل: (بول وفرجينى).^(١)

^(١) القصة والرواية، د. عزيزة مريدن، ص: ٧٦.

٤- يعقوب صروف:

ألف يعقوب القصة الأولى بعنوان: (فتاة مصر) ثم (أمير لبنان).^(١)

٥- أمين ناصر الدين:

اشتهر بروايته: غادة بصرى.^(٢)

٦- محمد فريد أبو حديد (١٨٩٣ - ١٩٦٧ م)

له روايات تاريخية، منها: المهلهل سيد ربعة، وزنوبيا ملكة تدمر، وأبو الفوارس عنتر بن شداد.^(٣)

ومن الروائيين الآخرين الذين كتبوا الروايات التاريخية:

- محمد سعيد العريان (١٩٠٥ - ١٩٧٤).
- علي الجارم (١٨٨١ - ١٩٤٩ م).
- نجيب محفوظ (١٩١١ - ٢٠٠٦ م).
- علي أحمد باكثير (١٩١٠ - ١٩٦٩ م).
- عبد الحميد جودة السحار (١٩١٣ - ١٩٧٤ م).

(١) الأعلام قاموس تراجم، ١٣ / ٢٥٣.

(٢) القصة في الأدب العربي الحديث ١٨٧٠ - ١٩١٤ م، د. محمد يوسف نجم، ص: ١٢٤، دار مصر للطباعة

القاهرة مصر، ١٩٥٢ م. ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٣ / ١٤، مكتبة المثنى، بيروت - لبنان. (ب - ت).

(٣) الأعلام قاموس تراجم، ٦ / ٤٢٩، وانظر أيضاً: تجربة محمد فريد أبو حديد في الرواية التاريخية، إعداد قسم

الوثائق والبحوث بالمجلة، مجلة الفيصل - الرياض السعودية، ص: ٥٩ - ٦١، العدد ١٨٣، رمضان ١٤١٢ هـ -

مارس ١٩٩٢ م.

عناصر الرواية

من العناصر الأساسية التي تقوم عليها الرواية، هي:

١. اللغة:

اللغة من العناصر الحيوية في الرواية، وفي بقية الأعمال الإنسانية، ويستحيل تقديم تصور للحياة الأدبية أو الإنسانية بدون اللغة، وهي الوسيلة الوحيدة لأي كاتب؛ كي يوصل بها إلى الآخرين الأفكار التي يتبناها، أو الصراعات التي تحول في ذهنه.^(١)

واللغة بمثابة القلب الذي يفرغ فيه الروائي أفكاره، ويقمص رؤيته في قالبٍ ماديٍّ محسوسٍ، وينقل فكره ونظرته للناس والكون من حوله من خلال اللغة، التي يستنطق بها شخصيات عمله الروائي، وهي ذريعةٌ لاستكشاف الأحداث، واتضح البيئة، وإطلاع القارئ على جوهر التجربة التي يودّ الروائي نقلها إلى القارئ.

واللغة في الرواية ذات طبيعة متميزة، فهي تختلف عن لغة الشعر ولغة المسرحية ولغة الخطابة ولغة التاريخ، والرواية العربية بوجهٍ عامٍّ تكتب باللغة العربية الفصحى، مثل: روايات نجيب محفوظ، ويوسف السباعي وغيرهما.

لغة الرواية تجمع بين الوصف السردى والمونولوج الخارجى (وهو الحوار بين شخصين) والمونولوج الداخلى (وهو حديث النفس).^(٢)

٢. البناء (الحبكة):

تمثل "الحبكة" الركن الفكري المنطقي من أركان الرواية، وتحتوي على لغزٍ، يتضح حله لاحقاً، وينجح القارئ في التنقل بين العوالم الخيالية، غير الواقعية، ولكن بطريقةٍ لا يخالجه فيها الشك، فالروائي المتمكن والمحترف مؤهلٌ لصَبغ هذه العوالم الخيالية بصبغة الحقيقة، وإضفاء التوازن بينها، والخلط بين الظلمة من ناحيةٍ مع الضياء والنور من ناحيةٍ أخرى، وبما أن الروائي هو الصانع الحقيقي لهذه الحبكة

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص: ٥٦٢، ط/ ٢، دار نخضة مصر، ١٩٩٧م.

(٢) الرواية الإسلامية وبنائها الموضوعي والفني، عبد الفتاح محمد عثمان، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، ص: ٦

والمختلق لها؛ فإنه يتعاهد نفسه بالمفاوضة باستمرار، وإذا قلنا بأن الروائي يتاجر عبر جودة حبكة؛ فإنه بلا شك يكدح لجعلها حبكة مؤثرة، ويجعل مخطط روايته نصب عينيه، وكأنه يقف على أرض الأحداث، ويتطلع لمعرفة التقرير المسبق وخاصيته، عبر العناية بالأسباب والمسببات.^(١)

٣. الشخصية:

تعدّ الشخصية محور الرواية، وكأن الرواية تدور حولها، بحيث لو انتزعت منها فانت الرواية وجودها الأساسي، والشخصية تلعب دوراً أساسياً في تجهيز بناء الرواية، ولا يكفي الحدث وحده في تأليف الرواية، بل لا بد من وجود الشخصية التي تدور القصة معها أو حولها. فالشخصية هي: الكائن والمخلوق الإنساني الذي ينشط ضمن تسلسل الأحداث وسياقها. وربما تكون الشخصية حيوانية، فيستخدم الحيوان رمزاً، يرمز به الروائي إلى خلق أو أسلوب إنساني، ويستشف القارئ الحضيف ذلك من وراء ستار الرمزية الكامنة ضمن الشخصية الحيوانية، بالإشارة بالمغزى نحو شخصية إنسانية، والهدف من ذلك الاعتبار والاتعاض، كما في العمل القصصي الشهير: (كليلة ودمنة)،^(٢) والقصص التعليمية الأخرى.^(٣)

تضطلع الشخصية بدور حيوي في هيكل الرواية، فالشخصية مستنقع الأفكار، ومضمار المعاني التي تحول فيها الأحداث، وبدونها لا تبقى للرواية ماهيةً وكياناً مستقلاً وغرضاً فكرياً، بل ستتحول إلى نوع من الدعاية المباشرة، أو الوصف والتقرير، عبر الشعارات الرثانة الجوفاء، المفتقرة إلى المحتوى الإنساني المؤثر في تسلسل الأحداث، كما أن الشخصية تحمل الأفكار، وتتلاقى في طريقها المرسوم لها بأشخاص آخرين، يتبنون الآراء والاتجاهات المتنوعة، ولهم تقاليدهم ضمن مجتمعٍ خاصٍ، وفي فترة زمنية محددة.

(١) أركان الرواية، أ.م. فورستر، ترجمة: موسى عاصي، المراجعة اللغوية: سمر روجي الفيصل، ص: ٧٤، الناشر: جروس برس بيروت، ط/١، ١٩٩٤م.

(٢) مجموعة قصصية على ألسنة الحيوانات، ألفها الحكيم بيدبا، وترجمها من الفهلوية إلى العربية عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ).

(٣) القصة والرواية، د. عزيزة مريدن، ص: ٢٧.

وشخصيات الرواية منها الرئيسية والثانوية، كما أن منها الشخصية الإيجابية، والسلبية، والشخصية المقنّعة وغير المقنّعة. فهناك في الرواية شخصيات تبدو متناقضةً مزدوجةً، ولكن الكاتب يقدمها بطريقةً فنيةً ومنطقيةً.^(١)

٤. الحادثة:

تتضمن الرواية حادثةً كبرى، هي الحادثة الأساسية للرواية، بالإضافة إلى حوادث صغرى، متفرعة عن الحادثة الأساسية، أو مستقلة عنها نوعاً ما، مثلما تدور حول شخصية بطلٍ واحدٍ أو اثنين، ولكن لا يمنع ذلك أن تتناول أيضاً بعض الشخصيات الثانوية الأخرى.^(٢)

يعدّ الحدث أو الحادثة من أهم أبنية الرواية أو القصة، ولا يكتمل وجود الرواية دون ربطها بالحادثة، إنها تبين أفعال الشخصيات وأدوارها في الرواية، وليس هناك معيارٌ أو قانونٌ يضبط أو يشكّل بناء الحادثة، بل يملك الكاتب حريةً تامةً في تكوين صورة الحادثة، ولكن يجب عليه أن يعرضها عرضاً يليق بها، ويقدمها في أسلوبٍ بارعٍ جاذبٍ.

ويقول الدكتور عزّ الدين إسماعيل:

"الحادثة في العمل الروائي مجموعة من الوقائع الجزئية، مرتبطة ومنظمة على نحوٍ خاص، هو ما يمكن أن نسمّيه الإطار، وبعض الناس يسمّونه "الحبكة"، بدلاً من الإطار، ففي كل روايةٍ يجب أن تحدث أشياء في نظامٍ معين، وهذا النظام يميز إطاراً عن الآخر".^(٣)

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص: ٥٦٢.

(٢) قضايا النقد العربي قديمها وحديثها، د. داؤد غطاشة وحسين راضي، ص: ١٢٤، دار الثقافة عمّان الأردن، ٢٠٠٠م.

(٣) الأدب وفنونه دراسة ونقد، د. عز الدين إسماعيل، ص: ١٩٦، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط / ٩، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٥. السرد:

هو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية. فحين نقرأ القصة تتمثل الحادثة منها، ولكن من خلال تلك الألفاظ المنقوشة على الورق، أي من خلال اللغة.^(١)

إن متعة السرد علاقة ذات أطراف متعددة، وأبعاد متعددة، يتفاعل بعضها مع بعضها الآخر، ويقود بعضها إلى بعض، في توالد مستمر.^(٢)

وتكون الرواية مختلفة من حيث القالب، فتأتي بشكل مذكرات أو يوميات، وقد تكون بقالب المقامات، أو الرسائل، أو الشعر. والسرد له طرق مختلفة، منها:
أ. أن يلجأ إلى طريقة السرد بلسان بطل من أبطالها. ويستخدم عندئذ ضمير المتكلم، ويعتمد فيها على تصوير الشخصيات التي يتحدث عنها من خلال وجهة نظر خاصة، فيحللها تحليلًا نفسيًا.

ب. السرد المباشر، وفيها يقصّ الكاتب الأحداث، ويقدم الشخصيات، مستخدمًا ضمير الغائب، وهذه الطريقة أرحب وأوسع.

ت. أن يعتمد القاص في السرد على الوثائق والرسائل، يعالج المشكلة أو الموضوع الذي يدير حوله القصة، وتعني بالوثائق أن يستمد الكاتب قصة من بطون الكتب، ولا سيما التاريخية منها أو الأدبية. ويدخل في هذا كثير من قصص عبد الحميد جودة السحار، وكثير من قصص جرجي زيدان الروائية التاريخية، مثلًا: ١٧ مضان، مقتل علي، الحجاج بن يوسف، شجرة الدر.^(٣)

٦. الزمان والمكان:

الزمان والمكان من أهم العناصر الروائية، وبدونهما لا يمكن تصور اكتمال الرواية، فالأحداث تقع ضمن محيط مكاني، وداخل دائرة زمنية، وتتفاعل هذه الأحداث مع شخصيات الرواية في الفضاء المكاني والزمني، كما أن الزمان له تقنياته

(١) الأدب وفنونه دراسة ونقد، ص: ٢٠٠.

(٢) متعة الرواية، دراسة نقدية متنوعة، د. أحمد زياد محبك، ص: ١٦، دار المعرفة بيروت، ٢٠٠٥ م.

(٣) القصة والرواية، د. عزيزة مريدن: ص: ٤٦.

الروائية الخاصة به، فالروائي السارد يستخدم هذه التقنيات حسب ما يراه مناسباً لجذب القارئ، مثل: الاستباق والاسترجاع.

ويدخل المكان في الرواية فنياً في تطورها وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفي علاقاتهم فيما بينهم.^(١)

٧. الفكرة:

الفكرة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفني للرواية، والموضوع الذي تُبنى عليه الرواية، ولا يكون دائماً إيجابياً في أثره، فمع أنه يجب أن يقرر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حقيقة الحياة والسلوك الإنساني؛ فإنه غير محتاج لأن يحل مشكلة، إذ يكفي الروائي أن يصور مشكلته تصويراً صحيحاً.^(٢)

قد يقع في الحياة من مظاهر الاعتلال والكآبة والسقوط ما لا نظفر به في قصة ما، وهو ما يسميه الناس: الحقيقة الأغرب من الخيال، فالفن لا يعرض علينا كل ما يقع، بل ما يستحق أن يعرض ويصور، فلا يهمل التجارب الإنسانية العظيمة أو يخفي الحقائق الواقعية، ولكنه كذلك لا يفسد عواطفنا بتصوير الآلام الموهنة للقوى الإنسانية ولا الشهوات الدنيئة التي تهوي بالأخلاق والمواهب، الفن الصحيح هو الذي يعرض المثل العليا في صورة الواقع؛ ليحقق غايته النبيلة السامية.^(٣)

٨. الراوي:

وهو الشخص الذي يحيط بكل محتويات الرواية وأحداثها، ويعرف شخصياتها، وملابس أحداثها، وله أنواع عديدة، مثل: الراوي المحايد ويسمى بالخفي كذلك، ويكون مطلعاً على خلجات الأنفس الروائية، ويعرف ويدرك ما يجول بخواطرها، وهناك الراوي الذي يتحدث عن مشاعره الخاصة وأحاسيسه وأفكاره، لكنه يجهل مشاعر الآخرين وأفكارهم ضمن منظومة الشخصيات الروائية.

٩. العقدة وحلها:

(١) متعة الرواية دراسة نقدية متنوعة، ص: ٣٠.

(٢) الأدب وفنونه دراسة ونقد، ص: ١٩٥.

(٣) متعة الرواية دراسة نقدية متنوعة، ص: ٢٨ - ٢٩.

عندما تتشابك الأحداث وتتأزم المواقف في الرواية، وتصل إلى طريق مسدود، هنا يأتي دور العقدة، التي تثير التشويق لدى القارئ، وتدفعه لمعرفة الأحداث التالية، فيقرأ المزيد من الرواية متلهفاً للحل.

١٠. الخيال:

لا شك أن الخيال هو المبتدأ والمنتهى في الرواية، وعليه قوام جمال الرواية ومعيار أصالتها، وقبولها لدى القراء والنقاد، فكلما كان خيال الروائي في روايته واسعاً وخلاباً، ومثيراً للفكر الإنساني، محلقاً به في فضاءات وعوالم جديدة؛ كان ذلك أدعى لاكتساب الرواية للنجاح والشهرة.

ثانياً: الرواية التاريخية نشأتها وتطورها في اللغة الأردنية (بدايتها، وأعلامها، وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدباؤها).

نشأة الرواية وتطورها في الأدب الأردني

استقل الأدب الأردني بهويته الخاصة حينما جاء الاستعمار الإنجليزي إلى هذه المنطقة عام ١٨٠٠م، حيث أنشئت كلية "فورت ولیم" برعاية جون غل كرس، واحتضنت الكلية مجموعة من أدباء اللغة الأردنية البارزين، وكان جوت كرس قد وضع نصب عينيه الاستفادة من هؤلاء الأدباء في ترجمة الكتب الأردنية؛ لكي يطلع عليها الحُكّام الإنجليز ويستفيدوا منها، وكان من أولى التأليفات بهذا الصدد كتاب "باغ وبهار": الحديقة والربيع، الذي تضمن قصة الدراويش الأربعة، وأعقبها قصة الأمير حمزة، و"بستان خيال" وألف ليلة وليلة، وكانت هذه الترجمات أساساً لصرح الأدب الأردني، حيث بدأ الأدباء والكتّاب يؤلفون الكتب الروائية، وأبرزها: (راني کی کہانی): حكاية راني، لمؤلفها: إنشاء الله خان،^(١) و"قصة العجائب" لرجب علي بك،^(٢) والتي حظيت بالقبول والاهتمام من قبل الشعب.

لقد أنتجت الأعمال الأدبية في الرواية قبل سنة ١٨٥٧م، لكنها لم تتوفر فيها عناصر الرواية بمفهومها الأدبي، ومع قيام الثورة الصناعية في شبه القارة الهندية ظهر أثر الأدب الغربي على الأدب الأردني، وعندها ظهرت هذه الفنون في الأدب الأردني تستعرض فيه كل منعطفاتها وأعماقها.^(٣)

(١) إنشاء الله خان: الشهير بابن إنشاء، شاعر مشهور، وكاتب كبير باللغة الأردنية.

(٢) رجب علي بك: ولد سنة ١٨٠٨م، في مقاطعة لدهيانة، وتوفي سنة ١٨٦٩م، وتخرج من كلية دهللي، حصل على لقب أرسطو جاه. انظر: جامع اردوانا كيوبيديا، ص: 1120، ناشر: محمد حميد الله بحث، قومي كونسيل برائي فروغ اردو زبان، نئی دہلی انڈیا، 2003ء.

(٣) اردو میں ادبی نثر کی تاریخ 1857 تا 1914ء = تاريخ الأدب النثري في الأردنية، ڈاکٹر طیبہ خاتون، دہلی انڈیا، ص: 166، ط/ 1989م.

وكان مولوي نذير أحمد^(١) أول من بدأ مسار الرواية الأردنية بشكل هادف ومفيد، يعكس المعالم الطبيعية بوضوح".^(٢)

لقد كان الإصلاح والوعظ والإرشاد من المبادئ الأساسية لمولوي نذير أحمد، ولكن لما كبرت بناته لم تكن هناك أية كتب بالأردنية تساهم في تعليمهن الدروس الأخلاقية والعلوم المنزلية بشكل مشوق؛ لذا قام مولوي نذير أحمد بحبك قصة لتطالعها بناته، وعندما اكتملت جميع فصول القصة قام بجمعها على شكل رواية، سماها: (مرآة العروس).^(٣) وتناول أيضاً في رواياته مشاكل الطبقة المتوسطة وحيثياتها وعقائدها وثقافتها.

وقد شهدت المنطقة حركات سياسية وتطورات اجتماعية وثورية، وكان لهذه التطورات أثر بالغ على الرواية الباكستانية، ومن هذه التطورات: تقسيم البنغال عام ١٩٠٥م، وتشكيل الرابطة الإسلامية عام ١٩١٤م، واندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م، وقيام الثورة الروسية عام ١٩١٩م، ومجزرة حديقة (جليانواله) الدموية، وانعقاد مؤتمر الخلافة، ومقاطعة أمير ويلز لزيارة الهند عام ١٩٢١م، وتشكيل لجنة العلوم عام ١٩٥٧م، وانعقاد أول مؤتمر للطاولة المستديرة في لندن عام ١٩٣٠م، وتشكيل نقابة المؤلفين التقدميين عام ١٩٣٥م، والموافقة على تقسيم الهند في الثالث من يونيو حزيران، وإنشاء دولة باكستان في ١٤ أغسطس عام ١٩٤٧م.

(١) مولوي نذير أحمد (١٨٣٦ - ١٩١٢): تعلم العربية على يد مولوي نصر الله خان، منح لقب (شمس العلماء)، عمل موظفاً بمكتب تحصيل الضرائب عام ١٨٩٧م، انظر: جامع اردو انسائيكلوبيديا، ص: ١٧١٤.

(٢) اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ آغاز سے 1992 تک کا ادبی جائزہ، = التاريخ المختصر للأدب الأردني منذ البداية حتى ١٩٩٢م دراسة أدبية، داکٹر. سلیم اختر، سنگ میل پبلیکیشنز - لاہور پاکستان، ص: 301، ط/ 1993م.

(٣) اردو ناول کی تنقیدی تاریخ = التاريخ النقدي للرواية الأردنية، داکٹر محمد احسن فاروقی، مقدمہ، ادارہ فروغ اردو، لکھنؤ انڈیا، ط/ 2، 1962ء.

ومن أهم الروايات في هذا المسار: "آگ کادریا": نهر النار، لقرة العين حيدر،^(١) و"تلاش بھار": البحث عن الربيع، لجميلة هاشمي، و"بستی": القرية، لانتظار حسين، وهكذا نجد أن كل رواية عكست معالم كل عهدٍ أفقياً وعمودياً. وبعد قيام باكستان اشتهرت الروايات التاريخية للروائي نسيم حجازي^(٢)، وكذلك مصنفات الكاتب رشيد أختر ندوي.^(٣)

لكن لم يوفق أيُّ من الروائيين لتأليف روايةٍ جيدةٍ، تستخدم الحوادث التاريخية الهامة موضوعاتٍ لها، حيث كتب عبد الله حسين^(٤) رواية بعنوان: "اداس نسلیں": الأجيال الحزينة.^(٥)

أقسام الرواية الأردنية:

يمكن أن نقسم الرواية الأردنية قسمين رئيسيين، بناء على التقسيم الجغرافي لشبه القارة الهندية، وهما:

القسم الأول: الروايات الأردنية التي نُشرت وأُلفت قبل عام ١٩٤٧م، أي قبل ظهور دولة باكستان، عقب انقسام الهند، وانفصال الدولتين: الهند وباكستان، فالروايات الأردنية التي ظهرت آنذاك تطرقت إلى موضوعات الفساد الاجتماعي،

(١) قرة العين حيدر (١٩٢٧م)، ابنة الكاتب سيد سجاد حيدر يلدرم، ولدت بمدينة مراد آباد الهند. انظر: جامع اردو انسائيكلوپيڈيا، ص: ١١٣٦.

(٢) اشتهر باسمه الأدبي نسيم حجازي (١٩١٤م)، واسمه الحقيقي محمد شريف، روائي تاريخي معاصر، من آثاره: (آخرى چٹان): المعركة الأخيرة، (معظم علي)، (خاک و خون): التراب والدم، (قافله حجاز): قافلة الحجاز، وغيرها. انظر: جامع اردو انسائيكلوپيڈيا، ص: ٩٤٥.

(٣) رشيد أختر ندوي (١٩١٥ - ١٩٩٢): مفكر وأديب وصحفي وروائي أردني، بدأ حياته الصحفية من جريدة الأمان، من أشهر مؤلفاته: (کانوکی بیج): فراش الأشواك، (کل کارخ): وجهة الغد. انظر: جامع اردو انسائيكلوپيڈيا، ص: ٥١٥.

(٤) عبد الله حسين، اسمه الكامل محمد خان، ولد بمدينة راولپندي عام ١٩٣٤م، روائي معاصر. انظر: جامع اردو انسائيكلوپيڈيا، ص: ١٥٢.

(٥) اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ آغاز سے 1992 تک کا ادبی جائزہ = التاريخ المختصر للأدب الأردني منذ البداية حتى ١٩٩٢م دراسة أدبية، ص: ٣٠١.

والاضطرابات الداخلية والخارجية، والحروب التي شنت بناء على مفاهيم عقدية ودينية، وغيرها، ولا سيما تلك الحروب والمعارك التي دارت رحاها بين المسلمين والهندوس.

القسم الثاني: الروايات الصادرة من الدولة المستجدة (باكستان)، أو شبه القارة الهندية الباكستانية، فهذه الروايات التي صدرت واشتهرت بعد عام ١٩٤٧م في ظل حكم دولة باكستان؛ قد طغت عليها الصبغة الدينية، والاتجاه الدعوي في الغالب.^(١)

وعلى رأي بعض النقاد فإن رواية (فسانه آزاد): قصة آزاد، وهو اسم بطل الرواية، التي نشرت سنة ١٨٧٩م للكاتب الهندي سرشار؛ تعدّ أول رواية بالمفهوم الفني، نشرت في شبه القارة الهندية،^(٢) وقد زواج الروائي فيها بين الحقيقة والخيال في أسلوب شعري، وتتناول الرواية المجتمع المدني الذي عاش فيه الروائي في مدينة لكهنؤ الهندية.^(٣) في حين ذهب بعض النقاد الآخرون إلى القول بأن أول رواية فنية صيغت في الأردية، بعنوان: (ملك العزيز ورجينا)، للروائي عبد الحليم شرر، نشرت سنة ١٨٨٨م، وقد زعم فيها الروائي بأن روايته هذه هي الأولى من نوعها باللغة الأردية.^(٤) لكن ذهب بعض النقاد إلى أن: "قصص نذير أحمد تفتقر إلى المستلزمات الفنية التي تتطلبها الرواية".^(٥)

وقد كتب مولوي نذير أحمد روايات أخرى، مثل: بنات النعش، والتوبة النصوح، وهي مأخوذة من الروايات الإنجليزية،^(٦) وبعضها ألّفها من خياله، مثل: المحصنات، وابن الوقت.

(١) اردو ادب کی مختصر تاریخ = التاريخ المختصر للأدب الأردی، ڈاکٹر انور سدید، ص: 298، عزیز بک ڈپو-لاہور، ط/ 1998ء۔

(٢) رتن نارث سرشار (١٨٤٦ - ١٩٠٣م): كان مدير التحرير لجريدة أوده، عام ١٨٧٨م، من مؤلفاته: (فسانه آزاد): قصة آزاد، (جام سرشار): كأس سرشار، (خدائی فوجدار): الجندي المتطوع، (الف لیلہ): ألف ليلة. انظر: جامع اردو انسائیکلو پیڈیا، ص: ٥٢٠.

(٣) جدید اردو ادب = الأدب الأردی الجديد، خاطر غزنوی، ص: 10، نگ میل پبلیکیشنز-لاہور، ط/ 1985م.

(٤) داستان سے افسانے تک = من القصّة الطويلة إلى الرواية، ڈاکٹر وقار عظیم، ص: 57، طاہر بک ایجنسی، دہلی انڈیا، 1972ء.

(٥) المرجع نفسه، ص: ١٠.

وقد ذكر مؤلف كتاب (من القصة الطويلة إلى الرواية) ثلاثة روائيين، قال عنهم:
 "إن نذير أحمد وسرشار وشرر هم من أسلافنا في فن الرواية التاريخية، حيث إن هؤلاء
 الثلاثة قد سلكوا درباً جديداً في عالم الرواية؛ نظراً لرهافة أحاسيسهم، وعمق إدراكهم،
 وقد أناروا الدرب للسالكين من بعدهم في هذا المجال".^(١)
 وفي رأي ناقد آخر يقول: إن رواية پريم چند تعتبر متقدمة قرناً كاملاً عن روايات
 المؤلفين السابقين من ناحية الارتقاء الفني، اعتمد پريم چند الحياة ومشاكلها موضوعاً
 للرواية.^(٢)

^(٦) يقال بأن خيال رواية "التوبة النصوح" مأخوذ من الرواية الإنجليزية: (The family Instructor) للكاتب دانيال

ديفو، وهو كاتب صحفي إنجليزي. انظر: جديد أردو ادب = الأدب الأردني الجديد، خاطر غزنوي، ص: ٩.

^(١) داستان سے افسانے تک = من القصة الطويلة إلى الرواية، د. وقار عظیم، ص: ٧٧.

^(٢) ترقی پسند ادب = الأدب التقدمي، ڈاکٹر عزیز احمد، ص: 34، چمن بک ڈپو اردو بازار دہلی انڈیا، 1950ء.

الرواية التاريخية في الأدب الأردني

بدأت الرواية التاريخية بعد بداية الرواية عموماً في الأدب الأردني، إذ واكبت ولادة الرواية التاريخية في الأردنية بداية الرواية الأردنية.

فأول رواية فنية ظهرت على السطح في الأدب الأردني كانت (مرآة العروس)، سنة ١٨٤٩م، بينما رواية (فسانه آزاد) ظهرت عام ١٨٧٩م، وكان أول الروائيين الذين ساهموا في ظهور الرواية التاريخية في الأدب الأردني: عبد الحليم شرر، وكان العصر الذي أُلّف فيه شرر رواياته التاريخية هو دور التراجع والسقوط والضعف السياسي للمسلمين، مما تطلّب ذلك العصر أن تبرز فيه مثل هذه الروايات التاريخية التي ترفع من همم المسلمين، وتثير فيهم النخوة والحمية وحماسة الجهاد، وتحيي في قلوبهم الشجاعة والثورة لتحطيم القيود والأغلال التي صُفِّدوا بها، فقام شرر بإثارة مشاعر المسلمين وأهلب حماسهم للقيام بالدور المطلوب منهم، فاعتمد على الرواية التاريخية لهذا الغرض.

عندما كان (الشيخ عبد الحليم شرر) في السباحة إلى إنجلترا والدول الأوروبية وقعت في يده رواية "طلسمان" للكاتب سكات، التي رسم فيها بعضاً من معالم الحياة الإسلامية للعرب، وتبين للشيخ شرر بأن هذا الكتاب قد سخر من الإسلام وتاريخه؛ ولهذا ثارت نخوته الدينية، وعزم على الرد على هذه الرواية، برواية مثلها تحيي التاريخ الإسلامي، وكان هذا هو الباعث المحرك وراء كونه روائياً.^(١)

ويذهب بعض النقاد إلى أن كتّاب الرواية التاريخية الأردنية لم ينصفوا التاريخ، ولم يحققوا المعايير الفنية للرواية، فعبد الحليم شرر ومعاصروه ومقلّده كتبوا العشرات من الروايات التاريخية، التي تعدّ امتزاجاً غريباً للحقائق التاريخية والخيال، فبقي شرر قاصراً عن أداء حق التاريخ، وعاجزاً عن إضفاء الطابع الفني على الرواية، ولذا غرق في سيل الرواية دون أن يحسن العوم.

(١) اردوناول کی تنقیدی تاریخ = التاريخ النقدي للرواية الأردنية، ص: ١٠٠.

إذ صوّروا الشخصيات الروائية بصفات وملامح استثنائية، وبالغوا في إطراء المسلمين ومدحهم بصفات مبالغة، بينما صوّروا غير المسلمين من اليهود والمسيحيين بأبشع الصفات والأخلاق من المكر والشهوانية ونقض العهود وإخلاف الوعود، كما قدموا القصص الخيالية التي كانت أشبه بالأساطير حول وقوع بنات ملوك النصارى في حب أبطال المسلمين، وقيامهنّ بمساعدتهم بشتى السبل، مما حوّلت الرواية إلى أسطورة خرافية.^(١)

ومن هؤلاء الروائيين للرواية التاريخية: عبد الحليم شرر، وحكيم محمد علي طبيب، وحكيم محمد سراج الحق، وموهين لال فهم، وغيرهم. وذهب الكاتب عظيم الشان صديقي إلى أن أول روائي للرواية التاريخية في الأدب الأردني هو: مرزا سرور الملك، وحاول إثبات ذلك بالأدلة، حيث كانت روايته قد نُشرت على أجزاء في إحدى المجلات بحيدر آباد الهند قبل رواية شرر: (ملك العزيز ورجينيا)، سنة ١٨٧٤م، وقد أثبت ذلك مرزا سرور الملك في سيرته الذاتية قائلاً: ذهبتُ إلى حيدر آباد حيث كانت تُطبع هناك إحدى المجلات، وبدأتُ فيها بكتابة حكايةٍ على نمط الرواية، لكن هذه الرواية لم تكتمل، ونُشرت بعض أجزائها في مجلة (مخزن الفوائد) الشهرية، في مايو ويونيو ويوليو عام ١٨٧٤م.^(٢) وكذلك رواية مرزا "نيرنگ زمانه" = نيرون العصر، اتخذت من دهلي موضوعاً لها في القرن الحادي عشر. ولم يرتقِ أحدٌ من كتّاب الرواية التاريخية من معاصري عبد الحليم شرر إلى مكانته ومستواه الروائي، مثل: صادق سردهنوي، لكن رواياته كانت دون روايات شرر ومعاصريه من الناحية والفنية والأدبية.

(١) برصغير ميم اردوناول = الرواية الأردنية في شبه القارة الهندية، دأكر خالد اشرف، ص: 297، اردو مجلس - نئي دہلی، 1994م.

(٢) اردوناول آغاز وارتقاء (1857-1914) = الرواية الأردنية البداية والتطور ١٨٥٧ إلى ١٩١٤م، عظیم الشان صديقي، ص: 355، ایجوکیشنل پبلیشنگ ہاؤس، نئی دہلی - 2008م.

وبعد الشهرة الذائعة والقبول لروايات شرر التاريخية؛ اتجه كثيرٌ من الروائيين إلى التأليف في الرواية التاريخية، وكتبوا الكثير منها، ولكن بعد وفاة شرر لم يكثر التأليف في الرواية التاريخية الأردنية، وكان من هؤلاء الروائيين في الرواية التاريخية الأردنية:

م. أسلم، ورشيد اختر ندوي، ونسيم حجازي، ورئيس أحمد جعفري، وحكيم محمد علي طبيب، وبعد هؤلاء في الجيل الثاني: عنايت الله التمش، وخان آصف، وغيرهما. وكان كلٌّ من: نسيم حجازي، ورئيس أحمد جعفري، وعنايت الله التمش، قد اتخذوا من التاريخ الإسلامي القديم موضوعاً لرواياتهم. وكما يقول الدكتور خالد أشرف:

(في هذه الأوضاع والأحوال الباعثة على اليأس، حاول م. أسلم، ورئيس أحمد جعفري، ونسيم حجازي، أن ينقذوا المسلمين اليائسين من حاضر الهند وباكستان، والمتشائمين من مستقبل البلدين، وأن يخرجوهم من دوامة اليأس؛ بتذكيرهم ببطولات المصلحين والمحاربين الأبطال من المسلمين).^(١)

وتشتمل هذه الروايات على البطولات التاريخية للأسلاف من جهة، وعلى قصص الحب والعشق من جهة أخرى؛ مما يجعلها مشوّقة للقارئ العادي.

(١) برصغير ميں اردوناؤل = الرواية الأردنية في شبه القارة الهندية، د. خالد أشرف، ص: ٢٩٨.

أشهر الروائيين التاريخيين في الأدب الأردني

أختصر فيما يلي بعضاً من أشهر كتاب الرواية التاريخية في الأدب الأردني، ومنهم:

١ - عبد الحليم شرر (١٨٦٠ - ١٩٤٦م):

كتب شرر اثنتين وأربعين رواية، منها تسع وعشرون رواية تاريخية.

رواياته التاريخية:

١ - ملك العزيز ورجينا، عام ١٨٨٨م، وهي روايته التاريخية الأولى، والتي وصفها شرر نفسه بأنها تنطوي على ردٍ لرواية سكات: "طلسمان"^(١) حيث قال شرر بأن سكات حاول الطعن في البطل الإسلامي التاريخي صلاح الدين الأيوبي، والإساءة إلى الفكر الإسلامي، ولذا فإنه ألّف هذه الرواية انطلاقاً من النخوة الإسلامية.

٢ - منصور موهنا.

٣ - حسن انجلينا.

٤ - قيس ولبنى.

٥ - يوسف ونجمة، في عام ١٩٠٥م، وهي قصة رائعة لشاب في العهد التغلقي.

٦ - أيام عرب، وتناول فيها الظروف الاجتماعية للعرب قبل الإسلام، وفي عام ١٩٠٠م أكمل شرر الجزء الثاني من أيام العرب، وتحدث فيه عن العهد البروزي في إيران، وفترة الجاهلية عند العرب قبل الإسلام.

٧ - مقدس نازنين، وتحدث فيها عن قصة غرامية بين فتاة مسيحية وأمير مسلم.

٨ - فتح أندلس.

٩ - فليانا.

١٠ - رومة الكبرى.

١١ - فاتح مفتوح.

١٢ - عزيزة مصر.

(١) "دلگداز" مجلة، عبد الحليم شرر، عدد: مايو ١٩٣٤م، ص: ٩٧.

١٣- زيد وحلاوة.

١٤- فردوس بريس، وهي من أحسن رواياته، التي حظيت بدعاية كبرى بين الأوساط العلمية، وهي عن مذهب الباطنية التي سببت الاضطرابات في الإسلام.

١٥- شوقين ملكه: الملكة الشَّغوف، نشرها في مجلة "دلگداز" في يوليو ١٩٠٤م.

١٦- ماه ملك، تدور حول أوضاع أفغانستان أثناء عهد الغوريين، وغزوهم للهند.

١٧- زوال بغداد، ١٩١٢م، تحدث فيها عن مجد الخلافة العباسية وازدهارها، ثم انهيارها

١٨- الفانسو، ١٩١٦م.

١٩- شهزاده حبش: أمير الحبش.

٢٠- جويائي حق، عن حياة سلمان الفارسي رضي الله عنه، وتنبؤات القسيسين المسيحيين حول ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي عام ١٩٠٦م كتب سيرة حياة الصوفي العظيم الشيخ "جنيد البغدادى" وأكمل المجلد الأول باسم: تاريخ السند، وتعدّ رواية تاريخ السند من أبدع مؤلفات شرر؛ لأنها تدل على أن شرر كان مؤرخاً أيضاً.^(١)

وفي عام ١٩٠٧م كتب شرر عن حياة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، وأكمل سيرة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال رسائل مختلفة للقسيسين الذين كتبوها للرسول صلى الله عليه وسلم، وكتب عن اليهود ومعاداتهم، والصراعات الداخلية عند العرب.

٢- محمد علي طيب: ومن أشهر رواياته التاريخية: جعفر عباسية، وهي عن الوزير جعفر البرمكي، والعباسية أخت الخليفة العباسي هارون الرشيد.

٣- منشي مراد علي: وله رواية تاريخية مشهورة باسم: رزم بزم، وهي عن الدولة الغورية.

(١) شرر کی زندگی = حياة شرر، د. مرتضى جعفري، ص: ٥٠، مجلة خیابان، جامعة بشاور، ١٩٧٢م.

۴- نسیم حجازی:^(۱) من روایاتہ التاریخیة: (داستان مجاہد): حکایة مجاہد، انسان اور دیوتا: الإنسان والخالق، (آخری معرکہ): المعركة الأخيرة، (اور تلوار ٹوٹ گئی): وتحطم سيف آخر، (آخری چٹان): الصخرة الأخيرة، (خاک اور خون): التراب والدم، (اندھیرے رات کی مسافر): راحل في ظلام الليل، (کلیسا اور آگ): الكنيسة والنار، (قافلہ حجاز): قافلة الحجاز، یوسف بن تاشفین، محمد بن قاسم، معظم علي، شاہین، قیصر وکسری۔

۵- مولانا صادق سردهنوی: کتب اکثر من ثلاثین رواية تاریخیة، منها: (عربی دوشیزہ): الفتاة العربية، وفتوح الشام، وفتح الأندلس، ومعركة كربلاء، وغير ذلك۔
۶- رئیس أحمد جعفري: له روايات تاریخیة، منها: حجاج یوسف، خوارزم شاه، علاء الدین خلجی، أحمد شاه أبدالی، سلطان شهاب الدین غوری، وغيرها۔

۷- پنڈت رتن ناتھ سرشار: اشتهر بسبب روايته التاریخیة: (فسانہ آزاد): قصة آزاد.^(۲)

۸- مولوي عبد الرحيم خان: اشتهر بروايته التاریخیة (نیرنگ دکن): نیرون دکن، التي نشرت عام ۱۸۹۵م، وهي رواية مختصرة، تحكي عن السلطان أورنگزیب، ووالي گولکنڈہ أبو الحسن تانا شاه، وقصة حبه للحسناء خورشيد بانو.^(۳)

۹- خان آصف: اشتهر بروايته وقصصه عن التاريخ الإسلامي، ومن أشهر رواياته التاریخیة: (اندھیروں کے قافلے): قوافل الظلمات، التي تناول فيها دور السلطان غياث الدين بلبن.^(۴)

۱۰- أسلم راهي: ألف الكثير من الروايات التاریخیة، مثل: سکندر، قتيبة بن مسلم، نور الدين زنکی، موت کی مسافر = مسافر الموت، آتش و آہن = النار والحديد، بابل کابت شکن = محطم

(۱) اردو ناول میں مسلم ثقافت = الثقافة الإسلامية في الرواية الأردنية، ڈاکٹر فاروق عثمان، ص: 165، بکس ملتان، ط 1، جولائی 2002م۔

(۲) المرجع نفسه، ص: ۱۴۵۔

(۳) المرجع نفسه، ص: ۱۴۶۔

(۴) المرجع نفسه، ص: ۱۵۰۔

صنم بابل، دشت کے بھیرے = ذئاب الصحراء، صحرا کی آگ = نار الصحراء، یثرب کا
 ابلیس = إبليس یثرب، وروایتہ التاريخية (عُقَاب) عن عماد الدین زنکی.^(۱)

(۱) اردو ناول میں مسلم ثقافت = الثقافة الإسلامية في الرواية الأردنية، ص: ۱۵۰.

الباب الأول

عرض روايات أمين معلوف

التاريخية

وفيه فصلان:

الفصل الأول

أمين معلوف حياته وأعماله وأوصافه الأدبية

الفصل الثاني

عرض روايات أمين معلوف التاريخية

الفصل الأول

أمين مخلوف حياته وأعماله
وأوصافه الأدبية

أمين معلوف

حياته وأعماله وأوصافه الأدبية

مولده ونشأته:

أمين معلوف أديب وصحافي لبناني، ولد في بيروت في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٩٤٩م.

درس الاقتصاد والعلوم الاجتماعية في مدرسة الآداب العليا في جامعة القديس يوسف في بيروت، وامتحن الصحافة بعد تخرجه، فعمل محرراً اقتصادياً في الملحق الاقتصادي لجريدة "النهار" البيروتية الشهيرة التي تعدّ من أهم الصحف اللبنانية.^(١) عمل أيضاً - إلى جانب عمله - محرراً للشؤون الدولية بالجريدة، وهو ما أتاح له الاطلاع على كثير من التطورات السياسية والدبلوماسية في العالم.^(٢)

نال أمين معلوف درجة البكالوريوس في تخصص الاجتماعيات والاقتصاد، ولكن اتجه إلى الأدب، وقد ورث الموهبة الأدبية عن أسرته التي اشتهرت بالحكي والقصص، والكتابة والصحافة، فقد كان أبوه رشدي صحفياً وشاعراً، وتعاهد أطفاله بإسماعهم الحكايات والقصص الكلاسيكية، وإنشادهم شعر الشعراء الفحول، من العصور الأدبية المختلفة، مثل: أبي الطيب المتنبي، وعمر الخيام، وعنترة بن شداد العبسي.

هجرته إلى باريس:

نظراً لاندلاع الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٦؛ غادر أمين معلوف بلده الأم لبنان، واتجه مهاجراً إلى فرنسا، وبدأ العمل صحفياً في مجلة "إيكونوميا" الاقتصادية، كما ترأس تحرير مجلة "إفريقيا الشابة"، وزاول العمل في جريدة "النهار" اللبنانية، وكذلك في صحيفة "النهار العربي الدولي".^(٣)

(١) ليون الإفريقي، أمين معلوف، ترجمة د. عفيف دمشقية، ص: ٣٩٢، دار الفارابي، ط/ ١، ١٩٩٧م.

(٢) أمين معلوف والهويات القاتلة انتماءات مختلفة يجب ألا تحتزل بواحد يصبح أداة استبعاد وحرب، الحسين المعطاوي، صحيفة الشرق الأوسط لندن، تاريخ النشر: ٢٧ أبريل ٢٠١٦ م / ١٩ رجب ١٤٣٧هـ.

(٣) انظر: موقع أمين معلوف، تاريخ التصفح: ٢ مايو ٢٠٢٤م، الساعة ١٠ مساءً:

ولاحقاً ترأس أمين معلوف تحرير جريدة: (Jeune Afrique)، الصادرة أسبوعياً، وبعد هذا المشوار الصحفي؛ اعتزل أمين معلوف العمل الصحفي، ليتفرغ للكتابة والتأليف الأدبي، لا سيما في مجال تأليف الروايات، أثناء إقامته في فرنسا، لما يزيد على أربعة عقود، وكان خلالها يزور لبنان بين الفينة والأخرى، وقد استوحى أمين معلوف موضوع الهجرة موضوعاً أساسياً رئيسياً لرواياته التي تنزح فيها الشخصيات وتنقل بين الأراضي والبلدان، وكذلك بين اللغات والأديان، فالهجرة - من مفكوره - لا تقتصر على الانتقال الجغرافي، بل تتوسع لتشمل الهجرة الثقافية والفكرية، ولا شك أن الكثير من مظاهر الهجرة وأحداثها تعكس جزءاً من تجربته الشخصية أيضاً.^(١)

إنجازات أمين معلوف:

نذر أمين معلوف حياته للأدب، معتبراً ذاته ابناً للمشرق والمغرب كليهما، ولم يكن من اليسير عليه الانتماء إلى هوية دون أخرى، فظل متأرجحاً بين الهويتين العربية والغربية.

الأعمال الأدبية لأمين معلوف تشمل أكثر من عشر روايات، والكثير من المقالات، وهي مصنفة في الأساس باللغة الفرنسية، وترجمت إلى اللغات الأخرى، وتصل بعض ترجمات أعماله إلى أربعين لغة، والحق يقال إن أمين معلوف نجح في التطرق إلى موضوعات ذات اهتمامات عالمية، مثل: التأمل الروحاني، والهوية، والأصول والأنساب، والهجرة، والخسارة، واللجوء، وغير ذلك.^(٢)

صوّر أمين معلوف الشرق ومدنه ومجتمعاته في صور مشرقة، تنم عن الحضارة الشرقية العربية لها، فقد رسم ملامح مدن: بغداد، وسمرقند، وغرناطة، والأندلس، كما

<http://www.aminmaalouf.net/en/about>

^(١) أمين معلوف مسافر بجروح كثيرة، غسان شربل، جريدة الشرق الأوسط لندن، الإثنين - ١٧ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ /

٢ أكتوبر ٢٠٢٣ م.

^(٢) مناقشة رواية سمرقند، معهد الدراسات الدينية والفلسفية، مادة مسجلة، تاريخ الاطلاع: ٦ مايو ٢٠٢٤ م،

الساعة ٨ صباحاً، على موقع:

<https://maarefhekmiya.org/٣٢٧١/رواية-سمرقند>

قدّم أمين معلوف للقارئ الغربي وجهة النظر العربية والإسلامية في الحروب بين الشرق والغرب.

يعترف أمين معلوف بأنه لا يحب كلمة "فرنكفونية"، وبأن اللغة الفرنسية تتراجع عالمياً، وهذا التراجع لا يمكن تفاديه، واستطاع معلوف - بعد نحو عشر سنين من الكتابة الروائية - أن يعرض اسمه في العالم، وأن يصبح واحداً من رواد الرواية التاريخية، ويحصل على جوائز عالمية.^(١)

أعماله وأوصافه الأدبية:

لأمين معلوف مؤلفات وأعمال روائية عديدة، وكان أولها:

- ١- "الحروب الصليبية كما رآها العرب" التي صدرت عام ١٩٨٣م عن دار نشر لا تيس، وترجمت بعدها إلى العديد من اللغات.
- ٢- "ليون الإفريقي" صدرت عام ١٩٨٦م، ونالت جائزة الصداقة الفرنسية العربية.^(٢)
- ٣- "سمرقند"، صدرت عام ١٩٨٦م.
- ٤- "حدائق النور"، و"صخرة طانيوس" صدرتا عام ١٩٩٣م ونالت الجائزة على جائزة غونكور الفرنسية لسنة ١٩٩٣م.
- ٥- "سلام الشرق"، صدرت عام ١٩٩٦م.
- ٦- "رحلة بالداسار"، صدرت عام ٢٠٠٠م.
- ٧- "التائهون"، صدرت عام ٢٠١٢م.
- ٨- "القرن الأول بعد بياتريس".
- ٩- الهوايات القتالة (مقالات سياسية).

(١) أمين معلوف.. جسر وقنطرة بين أوروبا والعرب، إميل أمين، جريدة الشرق الأوسط لندن، العدد: ١١٩٠٧، تاريخ

النشر: الثلاثاء ٠٣ شعبان ١٤٣٢هـ / ٥ يوليو ٢٠١١م.

(٢) ليون الإفريقي، أمين معلوف، ص: ٣٩٢.

١٠- "الحب عن بعد" مسرحية شعرية، صدرت عام ٢٠٠١م.

١١- بدايات "سيرة عائلية"، صدرت عام ٢٠٠٤م.

١٢- "الأم أديانا" مسرحية شعرية، صدرت عام ٢٠٠٦م.

١٣- "اختلال العالم" مقالات سياسية، صدرت عام ٢٠٠٩م.

فاز أمين معلوف بجوائز أدبية عديدة، منها: جائزة بوكور الدولية، وجائزة دبلن الأدبية، وغونكور الفرنسية، وأمير أستورياس العائدة لعام ٢٠١٠م، التي تعدّ من أهم الجوائز الأسبانية في العالم الناطق بلغة سيرفانتيس في الآداب إلى جانب جائزتي سيرفانتيس وبلانيتا.^(١)

وفيما يلي تعريف موجز بأهم الروايات التي ألفها أمين معلوف:

١- الحروب الصليبية كما رآها العرب: قدّم أمين معلوف في هذه الرواية الحروب الصليبية بمنظور الرؤية الغربية، وأوضح بأسلوب مبسطٍ سلسٍ: كيف أن العرب لم يكونوا لينظروا إليها على أنها حروب دينية، شنت نصرّة للصليب، بل هي هجماتٍ استعمارية، ولم يغفل أمين معلوف عن ذكر تلك المجازر الفظيعة التي ارتكبتها تلك الحملات الصليبية بحق أتباع الأديان السماوية جميعها، بما في ذلك المسيحيين أنفسهم.^(٢)

٢- ليون الإفريقي: في هذه الرواية تناول أمين معلوف حكاية "الحسن بن محمد الوزان"، وشخصيته متعددة الصفات والاتجاهات، فهو رحالة وعالم، انخرط في السلك الدبلوماسي، وعاش طبقة النبلاء في الأندلس، وكان شاهد عيانٍ على أواخر أعوام الحكم العربي الإسلامي للأندلس، ثم ارتحل بمعية أسرته إلى المغرب العربي شمال أفريقيا، وارتحل في رحلات عديدة، في شمال إفريقيا ومصر، وتعرض للاختطاف من قبل

(١) في ذكرى ميلاده السابعة والستين أمين معلوف بين إشكاليات هويته القاتلة ومتاهات اختلال عولمه، محمد محمد الخطابي، صحيفة القدس العربي لندن، العدد: ٨٣٨٩، تاريخ النشر: الإثنين ٢٩ فبراير ٢٠١٦م.

(٢) الحروب الصليبية من وجهة نظر العرب، د. رؤوف عباس، مجلة المستقبل العربي، ص: ١٦٧ - ١٧٣، المجلد: ٨، العدد: ٧٨، أغسطس ١٩٨٥م.

قراصنة إيطاليين، وقدّر للوژان أن يعيش في البلاط البابوي، حيث تغير اسمه إلى "ليون دي مويتشي"، واقتزن بفتاة تنصّرت هي الأخرى أيضاً، وكانت نازحةً من يهود الأندلس، وأنجبت له أولاده.

٣- حدائق النور: رواية روحية صوفية، تناول فيها أمين معلوف شخصية دينية إصلاحية، وهو: "ماني"، الفارس الذي حمل حلمه الكبير بتحقيق المساواة بين البشر، طامحاً إلى تكوين عالمٍ مسالمٍ، ينعم بالأمن، بعيداً عن الحروب، يخلو من صفات الحقد والبغضاء، ويدعو إلى نبذ التسلط والدكتاتورية بأي شكلٍ من الأشكال، بل يشجع أتباعه على التوجه إلى الفن والرسم والموسيقى، يرسم لوحاتٍ جماليةٍ تدعو إلى السّلم والمحبة والتسامح، وكان ماني يحاول التوازن والتوفيق والمسايرة بين الإمبراطوريتين العظيمتين آنذاك: الساسانيين الفرس، والرومان، وكان مصير ماني - كأغلب المصلحين - الموت في نهاية المطاف.^(١)

٤- القرن الأول بعد بياتريس: رواية خيالية تحكي قصة عالم الحشرات الذي يقع فجأةً في غرام صحفية تصغره سناً، ويتجهان في النهاية إلى تسليط الأضواء على موضوع التعقيم الإجباري للشعوب الفقيرة، وكذلك التحكم في اختيار جنس الأجنة الذكور عبر عقاقير وأدوية غير مرخصة دولياً؛ فهو دواء عجيب حقاً، يساعد المرأة على إنجاب المولود الذكر فقط، ويدعو معلوف ضمناً في هذه الرواية إلى التسامح، ولكن ليس التسامح بين الشعوب، بل التسامح في محيط النوع البشري وداخله، والتسامح مع الذات، عبر نبذ وكراهية أي عاداتٍ أو طقوسٍ وتقاليدٍ مبيدةٍ للجنس البشري، وأن المرأة رمزٌ للخصوبة والنماء، والرجل رمزٌ للحرب والقوة.^(٢)

٥- موانئ المشرق: تجسد الرواية فكرة التسامح، عبر مظاهر جميلةٍ ومعاني ساميةٍ، بواسطة بطل الرواية "عصيان كتبدار"، وهو شخصٌ مسلمٌ، من الدولة العثمانية،

(١) الخطاب الروائي عند أمين معلوف، رسالة ماجستير للباحثة: فريال محمد أحمد القضاة، ص: ٤٦، إشراف: د. وليد

سيف، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان - الأردن، ٢٠٠٢م.

(٢) المرجع نفسه، ص: ١٧٩.

من سلالة الأرمن، ولد عصيان في تركيا، وترّقى في لبنان، وأكمل دراسته في فرنسا، فهذا التنوّع العرقي والانتمائي والمعيشي يعكس فكرة التسامح، لكن للأسف مع ذلك كله فإن مصير بطل الرواية الجنون، حين يكون نزيلاً في مستشفى الأمراض العقلية، الذي لا يخرج منه إلا مع اندلاع الحرب، وتنعكس هذه الحبكة السخرية المريرة والمؤلمة.^(١)

حقائق سريعة عن أمين معلوف:

- كاتب وروائي لبناني، ولد في لبنان في عائلة مسيحية محافظة، إلا أن والده نفر من المسيحية، ورفض تعميد أولاده في الكنيسة، ونال أمين معلوف الجنسية الفرنسية، بعد أن هاجر إلى فرنسا؛ لدواعٍ أمنية، إبان اندلاع الحرب الأهلية في لبنان، ولا زال يعيش في فرنسا.
- على الرغم من تخصص أمين معلوف في الصحافة والاقتصاد إلا أنه برع في التأليف الأدبي والروائي، وكان قد توارث المهوبة الأدبية من والده الذي تعاوده بالأدب والشعر.
- زاول أمين معلوف في بدايات حياته المهنية مهنة الصحافة، وكان رئيساً لتحرير عدد من الصحف والمجلات، ثم تفرغ للعمل الروائي والأدبي.
- مؤلفات أمين معلوف وأعماله الروائية باللغة الفرنسية، وقد تُرجمت أعماله إلى اللغات العالمية، وتصل بعض ترجمات كتبه إلى نحو أربعين لغة.
- السمة الغالبة على روايات أمين معلوف موضوع الهجرة واللجوء، والتسامح بين الشرق والغرب، والتقارب الديني، والعولمة.

(١) سلام الشرق الرؤية والتشكيل دراسة في رواية أمين معلوف سلام الشرق، زهير محمود عبيدات، مجلة مؤتة - الأردن، ص: ٢٥٧ - ٢٧٦، المجلد: ١٥، العدد: ٨، ٢٠٠٠م.

أمين معلوف روائياً تاريخياً

يعدّ أمين معلوف واحداً من الأسماء الروائية المهمة في الرواية العربية المعاصرة، ولكنّ وجهه الآخر المتمثل في القراءة الفكرية للواقع العربي، له من الأهمية ما يحتاج إلى دراسةٍ مستفيضةٍ.

من العسير أن نحصر روايات أمين معلوف ضمن فكرٍ معينٍ أو وفق نصٍّ محدودٍ، فهي على كل حال أعمالٌ روائيةٌ، وبالأحرى رواياتٌ تاريخيةٌ، تركز في سردها على الحضارات والثقافات المتنوعة، في شكل حوارٍ حقيقيٍّ، يراعي الخصوصيات، ويرسم ملامح التباين في الهوية.

رغم أن (معلوف) قدم أعماله بلغة غير عربية (باللغة الفرنسية) إلا أنها ذات مرجعيةٍ عربيةٍ، وذلك من اتجاهين:

الأول: أن (أمين معلوف) أصلاً عربي المولد والنشأة.

والثاني: أن الثقافة العربية الإسلامية بمعطياتها التاريخية، وفضاءاتها المكانية والزمانية، وشخصياتها وعلاقتها مع الآخر تؤدي دوراً مركزياً في العالم الروائي لمعلوف.

يعدّ أمين معلوف من الروائيين الذين عنوا إلى حدٍ بعيدٍ في أعمالهم بقضية (الصراع الحضاري بين الشرق والغرب)، وهذا الصراع لا زال جارياً وقائماً في العالم منذ أمدٍ بعيدٍ، بين الشمال والجنوب، أو بين الشرق والغرب، وبين الذات والآخر، فله طرفان متناحran، على امتداد الحقب التاريخية.

أبرز التصادمات التاريخية في رواياته وما يميز كتابات أمين معلوف:

أولاً- أنه يريد من خلال كتاباته أن يكون مشروعه مناهضاً لمشروع صراع أو صدام الحضارات، في رواية "ليون الإفريقي" تجسيداً للصراعات بين المسلمين الغرناطين والمسيحيين القشتاليين.

وثانيها: الصراع بين طرفين مسلمين، هما: المماليك والعثمانيون.

وثالثها: الصراع بين طرفين مسيحيين، هما: اللوثريون والبابويون.

وفي استلهاهم هذه الصراعات محاولة للكشف عن دوافعها الحقيقية الكامنة، وتوصيف دورها في صياغة العلاقات والصراعات في عالمنا الراهن.

ولمُتلّقِي رواية "ليون الإفريقي" أن يعاين مسرح الحدث من منظور الراوي المتحدث بضمير الأنا،^(١) فهو يقدم لنا الحدث في إطار سردٍ سيري ذاتي، ومن ثم فإن الحدث التاريخي يغدو فضاء للوجود الإنساني أولاً، وللتفاعل ثانياً.

يبدو حال الأمة العربية في هذه الحقبة ممزقا بين صراعين:

أحدهما: في المشرق مع العثمانيين، والثاني: في المغرب مع الإسبان والبرتغاليين، فغرناطة محاصرة من قبل الإسبان، وكذلك المغرب التي وقعت تحت الاحتلال، ثم الاستيلاء على طنجة وسبتة، وأصيلة، وأغادير، والهجوم المتواصل على سوس لاحتلالها كلها، وقد ظلت العرائش، والرباط، وشالة، وسلا، مهددة إلى أن دمرت عن آخرها. ولا شك أن المشروع الروائي الكامل لأمين معلوف يقف لتجسيد إحدى النظريات العكسية المضادة، وهو ما يسمى بالحوار أو التعايش بين الأديان، والثقافات، والحضارات، كما تدعو هذه الأعمال الروائية إلى التنوع الخلاق ومراعاة الاختلاف في الهوية والدين والعرق.

وقد تجلّى مشروعه - آنف الذكر - من خلال تجسيده لرواية "التائهون"، ولم يهتم معلوف إلا بالكتابة عن الحاضر؛ لأن الماضي فيه كثير من الغنى، ويحمل من الدروس ما يكفي، فهو مرآة اليوم بصحافة مظلمة (الإسلام ضد المسيحية) كما في "الحروب الصليبية كما رآها العرب".

وهذه الرواية تستند على فكرة مبسطة، وهي معرفة أحوال العالم الإسلامي في غضون الحرب، ولكن السرد الأدبي الذي ميّز هذا العمل الروائي أضفى عليه مزيداً من التميز بدرجةٍ تفوقت حتى على من وثّقوا بكتابتهم لحقبة الحروب الصليبية؛ لأن

(١) السرد الكثيف في الرواية العربية، أمين معلوف أنموذجاً، عبدالله إبراهيم، مجلة البحرين الثقافية، المنامة البحرين، ص:

المستهدف الأساسي بالخطاب هو المجتمع والقارئ الغربي الذي جهل تلك الحقائق التاريخية لتلك الفترة.

فالرواية حاولت أن ترسم صورة للعالم الإسلامي في بغداد ودمشق والقاهرة، وغيرها، حينما دخل الإفرنج لخوض غمار الحروب، في زمنٍ لم تكن فيه للمسلمين والعرب حكومةً مركزيةً مستحكمةً، ولا زعيماً وقائداً نافذ القول بين المسلمين.

إذاً فهذه الرواية محاولةٌ عصريةٌ كي تعيد تذكير الإنسان الغربي بالحقائق التاريخية لحروبه مع الشرق، وتزيح الغطاء عن كثير من الحقائق التي خفيت على القارئ الغربي أو أخفيت عنه، فـ "الحروب الصليبية كما يراها العرب"، يتحدث أمين معلوف من خلالها إلى المجتمعات الأوروبية - وبلغتهم -، مناقشاً المفاهيم الأساسية للحضارة ذاتها، ويمكننا القول بأن الرواية ليست إلا شبه نسخة عصرية من كتاب: "تاريخ دمشق" أو "الكامل في التاريخ".

و"سمرقند": رواية تاريخية، تتحدث عن الوجود الإنساني، وعن تاريخ البشر، وعن هوية الأنا، وحوارها مع الآخر، وصراع الأيديولوجيا، خاصة أن هذه الرواية تحدث تفاعلات نصية تاريخية، حيث يسافر فيها أمين معلوف من الحاضر إلى الماضي.

وكذلك تظهت الصراعات الدينية في بلاد فارس خلال القرن الحادي عشر انطلاقاً من مختلف الشخصيات البارزة، التي أدت أدواراً أساسية وحيوية، لتوسيع المجال الديني، والأوضاع السائدة آنذاك.

وقال عبده وازن: تتحدث روايات أمين معلوف عن مفهوم الرواية التاريخية، معتبراً أن الأساس هو الفن الروائي الذي يحتوي على المادة التاريخية، يصف نفسه بأنه (هاوٍ للتاريخ لديه شغفٌ بالرواية)، وأعماله روائيةٌ بمقدار ما هي أعمالٌ تاريخية، وقد نجح الكاتب اللبناني الفرنسي أن يتطّلع من خلال - أعماله الروائية - إلى مختلف الحضارات والثقافات والشعوب، على هيئة مشابهة لحوار حقيقي، يراعي الخصوصيات، والاختلافات، والهويات الأصيلة. وكان المنشود من هذه الروايات أن تحظى برواج عالٍ،

لا يستغرق الكثير من الوقت، فهي تخاطب الإنسان حيثما كان، وتتوجه إلى الذاكرة الإنسانية والمخيلة البشرية في وقت واحد.^(١)

في رأيي أن "أمين معلوف" ارتقى متجاوزاً الكثير ممن كتبوا في فن الرواية التاريخية؛ لأنه استطاع ربط الماضي والحاضر، الشرق والغرب، الإسلام والمسيحية، ولديه كل عناصر كتابة الروايات في يده، من العمل الواضح على الحبكة، والاهتمام الكبير بأدق المعلومات والأحداث التاريخية، ومن كتابة كل ذلك بلغة صلبة وواضحة.

(١) أمين معلوف العابر للتخوم، لعبده وازن، ص: ٢٢، الناشر: دبي الثقافية الإمارات، ٢٠١٢م.

الفصل الثاني

عرض روايات أمين معلوف

التاريخية

عرض روايات أمين معلوف التاريخية

هذا الفصل يتضمن الأجزاء التالية:

- عرض رواية "التائهون".
- عرض رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب".
- عرض رواية "صخرة طانيوس".
- عرض رواية "سمرقند".
- عرض رواية "ليون الإفريقي".
- عرض رواية "حدائق النور".
- عرض رواية "سلام الشرق".
- عرض رواية "القرن الأول بعد بياتريس".

عرض رواية "التائهون"

رواية "التائهون" تعدّ من الروايات التي ناقشت الحرب الأهلية التي حصلت في لبنان.

تحكي هذه الرواية قصة مجموعةٍ من الشباب اللبنانيين الذين تعارفوا في الجامعة في بيروت، في بداية السبعينات، وكانوا من مختلف الأديان والطوائف، وكان القاسم المشترك بين هؤلاء الأصدقاء هو حبهم لوطنهم وإيمانهم ببعض الأفكار، والتي من خلالها كانوا يعتقدون أنهم سيغيرون الوضع السياسي والاجتماعي في بلدهم وعلى المستوى العالمي.

الشخصيات في الرواية: آدم، وألبير، وسميراميس، ورمزي المسيحيين، وبلال ورامز المسلمين، ونعيم اليهودي، ومراد وتالا، جمعهم فكرٌ فوق الطائفية وفوق الوطنية، إنهم مجموعة ماركسيّة تريد إعادة صوغ العالم، هم أبطال هذه الرواية، كانوا متلازمين في شبابهم، ثم تشتّتوا، ودبّ بينهم الخصام، وفرقتهم الأيام، واندلعت الحرب الأهلية اللبنانية، وفرقت بينهم، وشتّتتهم في مختلف أصقاع الأرض، بعضهم أبى أن يغادر وطنه لبنان، وبعضهم الآخر هاجر إلى البرازيل، أو إلى الولايات المتحدة، أو فرنسا، أو غير ذلك.^(١)

مراد هاجر إلى فرنسا، وألبير إلى أمريكا، ونعيم إلى البرازيل، وبلال قُتل في الحرب الأهلية، ورامز استمر في لبنان يعمل بالتجارة، أما رمزي فقد اعتزل العالم ودخل ملك الكهنوت راهباً في الجبل، ومراد تزوج تالا، واستمر بالعيش في لبنان، وسميراميس استمرت في لبنان ولها فندقٌ في الجبل تعيش من ريعه، عمل آدم أستاذاً في الجامعة لمادة التاريخ الروماني، كما كان كاتباً في مجال التاريخ، واستثمر رصيده التاريخي بكونه إمكانيات إقطاعية، بقيت مستترة أو ظاهرة، علناً في المسرح السياسي اللبناني، الذي كان آنذاك مزدحماً بالفاعلين بشتى أصنافهم، وكان من المحتمل أن يكون الشخص تابعاً

(١) الوعي المأساوي ومعضلة الاختيار في رواية "التائهون" لأمين معلوف، د. نواف المخولف، مجلة الآداب العالمية،

الصادرة من اتحاد الكتاب العرب - سوريا، سنة ٤٠، العدد/ ١٦٥، ٢٠١٦م، ص: ١٠١ - ١١٢.

وأيضاً: الفكر الديني عند زكي نجيب محمود، منى أحمد أبو زيد، ص: ٥٦، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع -

بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٩٩٦م.

ومجنّداً من طرفٍ ما، مثل سوريا أو إسرائيل، وكانت هذه في الحقيقة تخرصاتٌ ذاتية. محور هذه الرواية وبطلها الرئيسي هو آدم، وهو شاب لبناني كان قد غادر لبنان خلال أحداث السبعينيات، التي اندلعت فيها الحرب الأهلية اللبنانية، وتأثر بسببها كثير من الشباب اللبناني، تبدأ الرواية مع تلقّي (آدم) رسالة من تالا زوجة صديقه مراد، تطلب فيه من آدم أن يعود إلى لبنان، ليرى صديقه القديم مراد، فهو يحتضر ويرغب برؤية آدم، وكانت صلة آدم قد انقطعت بصديقه مراد منذ زمن طويل، فمراد - في نظر آدم - بقي في لبنان وصار ثرياً من أموال الفساد، أما آدم - في نظر مراد - فقد ترك المركب يغرق وهرب إلى مصيره خارج لبنان.

وهنا يدور صراع بين ذكرياته الجميلة مع هذا الصديق، يسافر آدم لزيارة مراد، لكن قبل أن يصل آدم يموت صديقه مراد، فيعزّي زوجته بموته. وهنا تولّدت لدى تالا زوجة مراد فكرة جمع الأصدقاء القدامى في جلسة، وهو ما يحاول آدم فعله طوال أيامه الست عشرة القادمة خلال زيارته لبنان.

التقى آدم بسميراميس في فندقها، واستعاد معها المرحلة السابقة من الصداقة، حين كان آدم يخطط للاقتران بها، ليعيشا حياتهما الأسرية باستقرار في لبنان، ولكنه قصر في هذه المبادرة، وحالت الظروف دون زواجهما، فكانت سميراميس من نصيب بلال، الشاب الحالم الثوري الذي تشبّع بفكرة الثورة، وقُتل في الحرب الأهلية، وتحولت حبيبته سميراميس إلى يتيمة نفسياً، فحبيبها ورمزها النفسي قُتل، وبقيت سميراميس تعيش علاقاتٍ عابرة مع آلامٍ وهمومٍ كثيرةٍ مستمرة، في حياة تسترجع الماضي بآلمٍ شديدٍ.

كما تواصل آدم مع صديقه نعيم اليهودي الذي هاجر إلى البرازيل مع أهله، وهنا إشارةٌ من الروائي إلى قصة اليهود العرب، بين الالتحاق بكيان إسرائيل الجديد والتحوّل إلى عدوٍ للمجتمع الذي عاشوا فيه، أو الهجرة إلى خارج المنطقة العربية والخروج من المعادلة القائلة بأنهم جزءٌ من يهود العالم الداعمين لإسرائيل العدوّة للعرب والمسلمين.

وتواصل آدم أيضاً مع صديقه ألبير الذي تركه والداه، فأبوه مقيمٌ في أمريكا اللاتينية، وأمه مقيمةٌ في أوروبا، وهما منفصلان، وتأثر ألبير بهذا الانفصال حتى قرر

الانتحار، ولكن تبنته إحدى العائلات ابناً لها، بديلاً عن ابنها الذي قُتل، وهاجر ألبير إلى فرنسا حيث آدم، ودرس في علم المستقبليات، وأصبح واحداً من صانعي الرؤى المستقبلية في العالم.

وتواصل آدم أيضاً مع صديقه رامز الذي صنع إمبراطورية إنشاءات هندسية عالمية، اغتنى رامز من بناء السجون والقصور والمرافق الكبيرة، وصنع مجده، وتزوج بزوجة متفهمه، وكون عائلة ناجحة، وبرر توازنه بأنه لا يستطيع أن يغير معادلة العصر، فهناك الدول والأنظمة، وأن المعاملة أكبر منه، وهو يريد أن يحقق حياة أفضل ضمن المتاح له، وليس نادماً على أي شيء، لكنه لا يرضى بمجتمعاتنا العربية ولا بعصره، ويعترف بعجزه عن فعل أي شيء سوى العمل لخلاصه الذاتي.

كما ذكر آدم رمزي في ديره، الذي اعترف لصديقه بأن أحد أسباب اعتزاله العالم ظروفه العائلية الخاصة، والظرف العام كان له دورٌ أهم، فلمن نبني القصور والمنتجعات والسجون؟! إنها لمن يمتصون دماء الناس، ورمزي له مبرراته لما فعل، وهو سعيدٌ من نفسه في منفاه أو متأمله الاختياري، لا سيّما بعد وفاة زوجته الموسوسة، حين تنكّر له أولاده وتفرقوا في أصقاع الدنيا، مع ذلك فهو سعيدٌ أن يلتئم شمله مع أصدقائه ثانية.

وتواصل آدم أيضاً مع الأخ الأصغر لبلال (نضال)، الذي كان يتابع آدم عن كثبٍ، ولنضال فكره التاريخي، وهو يكنّ العداء للغرب الذي صنع إسرائيل، والغرب وراء كل العلل، والحل هو العودة للأصل الإسلامي، وعد نضال أنه سيحضر اللقاء لكن الاجتماع حصل، ولكن لم يكتمل، إذ حضر المسافرون جميعاً، سوى المهندس رامز الذي سلك سبيل الرهبانية، وعندئذٍ عزم آدم على أن يذهب إليه بنفسه، ويحضره من الكنيسة، وأثناء عودتهما انقلبت السيارة وتدحرجت من فوق الجبل، فمات السائق والراهب، وأصيب آدم بجروحٍ بليغة، وفقد وعيه، وهذه النهاية كأنها إشارةٌ من الروائي إلى الشرق، الفاقد لوعيه، وهكذا يختم الروائي روايته بخاتمةٍ حزينة.

عرض رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب"

تبدأ الرواية بمشهد القاضي أبي سعد الهروي وهو يدخل الديوان الفسيح للخليفة المستظهر بالله، والقاضي يبكي ويصيح بأعلى صوته حاسر الرأس، حليق الشعر - وهي علامة على الحداد - ويخاطب الحاضرين قائلاً: أتجرؤون على التهويم في ظل الأمن ورغد العيش الناعم شأن الزهرة في الخميعة وإخوانكم في الشام لا مأوى لهم سوى ظهور الجمال وبطون النسور والعقبان؟ كم من دماء سُفكت! وكم من نساء أخفين وجوههن بأيديهن حياءً وخجلاً! أيرضى العرب البواسل بالمهانة؟ ويقبل الأعاجم الشجعان بالذل؟! (١).

كانت كلمة القاضي الدمشقي آنفة الذكر التي ألقاها في ديوان الخليفة داعياً إلى الجهاد؛ هي أول عملٍ للدعوة إلى المقاومة، ولكن للأسف كان واقع الحال أن طال أمد الانتظار نصف قرنٍ تقريباً، قبل أن تجد كلمة القاضي آذاناً صاغيةً، تعي ما يقول، وتهب للنجدة، ويتحرك الشرق لصدّ الاجتياح.

نجح الإفرنج في الاستيلاء الكامل على المدينة المقدسة، يوم الجمعة في الثاني والعشرين من شهر شعبان، لعام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م، بعد أن حاصروا المدينة نحو أربعين يوماً تقريباً، ولا زال منظر المهاجمين الإفرنج في محيطة النازحين من المدينة، حين رأوا المهاجمين المقاتلين لابسي الدروع، معتمري الخوذات، قد تفرقوا في شوارع المدينة وضواحيها، قد أشهروا سيوفهم، وارتكبوا مجزرةً بحق النساء والأطفال، وقاموا بنهب المنازل، وتخريب المساجد، والنازحون إذ يروون هذه الأحداث على ألسنتهم يرتعدون خوفاً وذعراً، وتشخص أبصارهم، وكأنهم لا زالوا يشاهدون المنظر عياناً، وبعد أن اكتملت المجزرة في المدينة؛ لم يكن داخل أسوارها مسلمٌ واحدٌ. (٢)

(١) وردت هذه الأقوال على لسان الشاعر أبي المظفر الأبيوردي من قصيدة عدد أبياتها اثنان وعشرون بيتاً، الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٨ / ١٨٩-١٩٠، دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان، ط / ٣، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

(٢) الحروب الصليبية كما رآها العرب، أمين معلوف، ترجمة: د. عفيف دمشقية، ص: ١٢-١٣، دار الفارابي - بيروت، لبنان، ط / ٢، ١٩٩٨ م.

يكشف الكتاب فظائع الغزاة الذين قصدوا المشرق العربي بدعوة من البابا أوربان الثاني في المجمع الكنسي بكليرمونت جنوب فرنسا عام ١٠٩٥م، مع بداية الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي؛ لتخليص القدس من أيدي المسلمين، فقام الفرنجة بتدمير كنائس اليهود في القدس، وقتل اليهود وإحراقهم وتخريب المدينة المقدسة في معتقداتهم.

كما يسلط الكتاب الضوء على التصرفات الوحشية للمحاربين في بلاد الشام، ولا سيّما معرّة النعمان؛ مما شكل صدمةً للعرب والأوروبيين على حدّ سواء. تبدأ أحداث الرواية بوصول الغزاة إلى السواحل التركية، وتلقيهم الهزيمة للمرة الأولى من قبل الملك الشاب داود بن سليمان، ثم عاد الغزاة في المرة التالية بقوة أعظم، ونجحوا في احتلال أنطاكية، بالعون والمساعدة التي تلقوها من أهالي المدينة.

ابتدأ الغزو في عام (١٠٩٦-١١٠٠م) وفي الختام كان سقوط مدينة (أنطاكية) في قبضة الصليبيين عام ١٠٩٧م، ثم توجه الصليبيون إلى مدينة نيقية، حاضرة الأمير السلجوقي "قلج أرسلان"، وكان قد غاب عن المدينة لصراعه الدامي ضد الدانشمانيين، فحاصر الصليبيون المدينة حصاراً منيعاً، أدى في نهاية المطاف إلى سقوط المدينة، وكان هذا أول انتصارٍ للصليبيين في حملتهم الأولى، فألهب حماسهم، وضاعف معنوياتهم، لا سيما أن انتصارهم واكب نصرهم على السلاجقة في (صورليوم)، وبذلك صارت بوابات آسيا الصغرى مشرعة أمام جيوشهم الغازية التي توالى زحفها على بقية المدن والمواقع، حتى نجحوا في احتلال المناطق التابعة للحكم السلجوقي في آسيا الصغرى وإخضاعها لسلطتهم، ثم واصلوا زحفهم باتجاه الشام، ثم أنطاكية، وأخيراً بيت المقدس، الذي تسلطوا عليه واحتلوه.

زامنت هذه الأحداث التاريخية فترةً زمنية غاب فيها العرب عن مسرح الأحداث، إذ لم تكن لهم سلطةٌ قابضةٌ محكمةٌ على مجريات الأحداث ومصير الشعوب، وبالتالي أحكم السلاجقة قبضتهم على الحكم، وانتقلت لاحقاً هذه القبضة السياسية والعسكرية

إلى عدة عناصر وأجناس، مثل: الأتراك والفرس والتركمان، وصولاً إلى الأكراد، وأخيراً المماليك.

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت الاحتلال الصليبي ذلك الوضع المزري للعالم الإسلامي - قبيل فترة الحروب الصليبية - فقد كان العالم الإسلامي يعاني الفقرة والانقسام الداخلي، مصاباً بالركود الاقتصادي، والاختلال الأمني، والتشتت السياسي، ولكل منطقة ولاؤها لأمير أو حاكم أو حتى خليفة، فالخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الأموية في الأندلس، والخلافة الفاطمية في القاهرة، بينما كانت المدن الأخرى ترزح تحت حكم أمراء ضعفاء، أو دهاة لا همّ لهم إلا مصالحهم الخاصة، إضافة إلى وجود عدد من العوامل الدينية والمذهبية، التي زادت بسببها التوترات والانقسامات، واستشرى بسببها الضعف إلى المجتمع الإسلامي، واهترأت أوصال جسد العالم الإسلامي.

في أحداث القسم الثاني من الكتاب نلاحظ بأن رياح التغيير قد هبت، وانفصمت عروة الحملة الإفرنجية الصليبية، وأعقبت جنوده الأسر أو القتل، في عكا والأناضول، أو الفرار والرجوع إلى الخلف نحو القسطنطينية، وهنا استغل الحاكم السلجوقيّ الدمشقيّ هذه الفرصة، وقام بتوجيه ضربة قاضية للإفرنج، مستغلاً التآمر الداخليّ بينهم، بالإضافة إلى الانفراج على المستوى العربيّ، بعد انتصار المقاومة في مدينتيّ عسقلان وصور، وكانت لهذه الانتصارات انعكاساتها بالتالي على الانتصار في حلب، واندلاع الثورة الشعبية التي سحقّت الفرنج في أنطاكية.

بعد انقسام الدولة السلجوقية؛ نجح مملوك من المماليك التابعين للدولة السلجوقية يدعى (عماد الدين زنكي) أن يستقلّ بالحكم في الموصل، فأخمد ثورة العرب ضد الحكم التركيّ في بغداد، كما استطاع عماد الدين زنكي أن يضاعف قوته، فهاجم على الرهاء في أوروبا، واستولى على العاصمة، متجاوزاً أسوارها المنيعة، عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤م.

وقد خلف سقوط الرهاء هزة عنيفة، تولدت على إثرها دعوات الصليبيين إلى القيام بحملة صليبية جديدة لاستعادة الرهاء، وبالفعل نجحوا في ذلك، ولكن هبّ نور الدين زنكي ثانية لاستعادتها، قائماً بواجب الجهاد، وعاد منتصراً إلى حلب، بعد أن هزم

الصلبيين على مقربةٍ من دمشق، ثم قام بالهجوم على أنطاكية، واستولى على بعض أجزائها، ووقع أمير أنطاكية بوهيموند أسيراً في قبضته، مع مجموعةٍ من الأمراء الصليبيين، واستطاع نور الدين زنكي إخضاع عدة مدن أخرى.

انتقل الروائيّ إلى الحديث عن حقبةٍ تاريخيةٍ أخرى، توحّدت فيها مدينتا دمشق وحلب، في مزيجٍ من دولةٍ واحدة، ثم وقع الزلزال المدمر الذي أباد مناطق العرب والإفرنج سوياً، وعقب ذلك ساد الجمود على الصعيد السياسي والعسكري في أرض الشام، وصارت مصر هي المسرح الجديد للأحداث لاحقاً.

ذكر الروائيّ بطريقة تفصيلية رحلة صلاح الدين يوسف بن أيوب الأيوبيّ، تلك الرحلة التي ابتدأت بشنّ الحرب على مصر، ومقتل وزيرها، وتولّي الملك الناصر حكم مصر، والشقاق الذي دبّ إلى العلاقة بين الملك الناصر ونور الدين زنكي، وكانت عاقبته حبك المؤامرات ضده بعد وفاة نور الدين زنكي، واصطفاف العدو للتحالف ضده مع الإفرنج بصورةٍ سافرةٍ، وإعلان القائد صلاح الدين الأيوبي الحرب على منطقة الشام.

بعدما أسس صلاح الدين الأيوبي دولته (الدولة الأيوبية)، قام بعقد معاهدات الصلح مع الصليبيين، مستغلاً الفرصة للتفرغ من أجل لمّ شمل الجبهة الإسلامية، ولكن الصليبيين نقضوا عهود الصلح واستفzوا المسلمين، إذ نقض المعاهدة أمير الكرك رجنلد (أنارط) الذي جهز أسطولاً لمهاجمة شواطئ الحجاز، وسفن الحجيج وقوافلهم، وكان ذلك إيذاناً باندلاع القتال بين الطرفين، فاتجه جيش صلاح الدين من دمشق باتجاه القدس، والتقى بجيش الصليبيين في حطين، عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، وكان الفتح حليف جيش صلاح الدين، الذي استمر بالمسير إلى القدس، وفتح في طريقه حصون طبرية، وعكا والناصرية، وقيسارية، وحيفا وصيدا، ويبروت، التي استسلمت الحاميات الصليبية المقيمة فيها.

مع وصول جيش المسلمين إلى القدس، تمركز الجيش على جبل الزيتون، وتحصّن الصليبيون داخل المدينة، ونصب المسلمون المنجنيق لهدم أسوار المدينة، التي فرّ من

أمامها المدافعون من الصليبيين، وتقدم جيش المسلمين، واستسلم الإفرنج، مطالبين بالصلح، الذي قبل به صلاح الدين الأيوبي.

كان فتح القدس حدثاً تاريخياً، انتقلت سلطة المدينة من يدٍ لأخرى، تتقاذفها أهواء الحكام وأطماعهم السياسية، وعاد الإفرنج لزعة استقرار المنطقة واستهداف الحجاج، وكان تدريجياً زوال حكم الأيوبيين، كما زامن ذلك الغزو المغولي للعالم الإسلامي، واستيلاء المماليك على سدة الحكم، وتصل أحداث الرواية إلى "السلطان قلاوون"، وقيادة ابنه خليل حملة المماليك، موفياً بعهد والده، وكانت مغادرة آخر الإفرنج للعالم العربي عام ١٢٩١م.

عرض رواية "صخرة طانيوس"

صدرت هذه الرواية التاريخية لأمين معلوف عن المشرق العربي، وبخاصة مناطق لبنان، مثل: الضيعة، والمشرف، والجبل، وقد حازت الرواية جائزة غونكور عام ١٩٩٣م، وتحكي عن الإقطاع المتحالف مع رجال الدين، وسطوة الشيوخ وتعصب رجال الدين، وخنوع البسطاء لهم، والنزاعات المحلية التي لا تنتهي، والتناحر والصراعات بين القوى الكبرى: الإمبراطورية العثمانية ومصر وإنكلترا في منتصف القرن التاسع عشر، خلال سنوات ١٨٤٠م، في محاولة للسيطرة على لبنان، ذلك البلد المندور للتمزق.

المسرح المكاني لأحداث الرواية هو: ضيعة كفر يقدا، واسمها الأصلي عين القبو، وهي من قرى المتن الأعلى في لبنان، وهي ضيعة الروائي أمين معلوف.

أما المسرح الزمني للرواية فيتناول العصر الحديث، ويتنقل معلوف بين ثلاث أزمنة: زمن ولادة طانيوس من عام ١٨٢١ إلى ١٨٣٨، وزمن رواية المؤلف، وزمن ينتظر من خلاله طانيوس مصيراً زائراً بالمعاناة.

وأوضح المؤلف بأن هذه الرواية مستوحاة بتصرفٍ من قصة حقيقية، وتنقسم الرواية إلى تسعة فصول أو معابر، في الفصل أو المعبر الأول يتحدث الكاتب عن الصخرة حيث يتأمل فيها ككتلة من الحجارة دون الجرأة على الاقتراب منها، لا بسبب الخوف من خطرها، فالصخرة هي لعبتنا المفضلة خاصة بالنسبة لأطفال القرية، ولكن تلتصق جلودنا بالصخرة ونحن لا نستطيع مقاومة سحرها، وهذه الصخرة شاهدة على جحود الزمان، وعلى أحداث مرت أمامها مرور الكرام، والضيعة حصنٌ بغياهبه، يقطنها الكثير من أهالي المنطقة، وهم كالسماك لا يستطيعون الخروج منها.

ويبدأ الكاتب في تعريف القارئ بأبطال الرواية، وهم: الشيخ فرانسيس، وملياء، وجريوس.

وملياء فتاة جميلة، وزوجة للقروي البسيط جريوس، وتعمل خادمة بمنزل شيخ الضيعة فرانسيس، وهو رجلٌ متناقض الطباع، عُرف عنه أنه لا يعييه سوى أمر واحد:

النساء، على الرغم من المحاولات لم يستطع أحد إبطال عاداته هذه.

يبدأ الكاتب في التمهيد لقصة البطل طانيوس ابن لمياء، لأن لمياء لم تكن مجرد خادمة في بيت فرانسيس، بل كانت ذات حظوة خاصة لدى الشيخ الذي كان يناديها أمام الناس بـ: "بنتي"، وكثير من نساء القرية يحسدنها على مكانتها، ولكنها تقدم للشيخ الفواكه متى ما دخلت عليه، وتشاركه في قطف الثمار، والشيخ يتحرش بها أحياناً، ويطلب منها بعض الطلبات، لكنها لم تخبر زوجها بذلك، وكانت تتهرب من الكلام عن هذه الأمور حتى لا تثير الشك في نفس زوجها.

وبسبب علاقة فرانسيس القوية بلمياء؛ بدأت الشائعات تنتشر بالضيعة عندما وضعت مولودها طانيوس: هل طانيوس ابنٌ لجريوس؟ أم طانيوس ابنٌ لفرانسيس؟!.

وتردد جريوس في تسمية طفله بين عباس وطانيوس، وقد اختار له اسماً بادئ الأمر، فسماه عباس، ثم استقر المقام على طانيوس، وهو اسم غريب بالنسبة للضيعة التي اعتادت أن تطلق أسماء أخرى على أبنائها، وقد حاول الروائي أمين معلوف أن يقدم بعض التفسيرات لهذه المسميات اللبنانية، فاسم عباس هو عم الرسول الكريم، وعباس هو اسمٌ لاثني عشر خليفة حكموا المنطقة العربية دهرًا طويلاً.

بعد ولادة طانيوس، ذات يوم أتت زوجة القس إلى منزل الشيخ فرانسيس، وسألته عن هوية الطفل طانيوس، فأخبرها الشيخ أنه ليس من صلبه، وكان جريوس يحاول أن يخدع حاله بطانيوس بأنه طفله، حتى لا تتحول حياته إلى زعزعة نفسية، على الرغم من أن الشيخ كان كاذباً، أما الزوج جريوس فكان يتلقى التهاني، وكان لا بد أن يصدق في قرارة نفسه أن طانيوس ابنه، أما إذا شك في ذلك فستتحول حياته جحيماً.

عندما وصل طانيوس مرحلة الصبا، وصار مراهقاً في سن الخامسة عشرة، أعلن فرانسيس التمرد على رافوز مساعد، ورفع من نسبة الضريبة التي أثقلت كاهله، فاضطر إلى الهروب، فأصدر الإقطاعي الأمر فوراً بحظر دخوله إلى الضيعة، ولكن أشار الروائي إلى أن السبب الحقيقي لم يكن هذا، بل إن الإقطاعي أراد أن يرتكب مع زوجة فرانسيس ما ارتكبه فرانسيس نفسه مع لمياء.

طلب الشيخ فرانسيس من طانيوس أن يتعلم، ويصبح الشيخ فرانسيس أباه الروحي، وفي الدراسة زامله "رعد" الابن الشرعي للشيخ فرانسيس، وتوطدت العلاقة بالبطريك، وكان الرجلان يترددان على بيت الحاكم العام للجبل، وهناك ظهر القسّ شتولتون الذي رأى في طانيوس ذي الخمسة عشر عام أسطورة مشعة، وانتشرت الشائعات على ألسنة النساء بأن هناك علاقة محرمة بين رعد وزوجة القس شتولتون، ومن الطبيعي أن تنتشر الشائعات في مجتمع صغير مغلق مثل هذا، لا تلبث أن تتسرب الحكايات، الحقيقية منها والمزيفة، على الجانب الآخر كان طانيوس يغلق على نفسه أبواب المكتبة لأجل الاستزادة من المعرفة؛ لكنه رأى الفتاة الجميلة أسماء ابنة معلمه الكبير رافوز، وهي لم تتجاوز الثالثة عشرة بعد، فأثارت في نفسه الحب الطفولي الجميل، وحاول طانيوس أن يحفظ سره في داخله.

أهدى قس المدرسة الإنجليزية التي كان طانيوس ورعد يدرسان فيها؛ بندقية إنجليزية إلى رعد ابن الشيخ فرانسيس، وذهب البطريك الفرنسي لخطبة أسماء ابنة روكز رافوز لطانيوس، وتفاجأ بجمالها، فخطبها لابن أخيه، فترصده جريوس والد طانيوس، وقتله بالبندقية الإنجليزية الأنفة الذكر، فاضطر جريوس وابنه طانيوس إلى الهرب إلى قبرص، فأعيد جريوس إلى البلاد بحيلة من أحد عملاء الأمير ثم أعدم، وبقي طانيوس في قبرص وانقطعت صلته بضيعته، فلا أخبار تأتيه من هناك، كما أن أخباره لا تصل إلى أهله، وخاصة أمه لمياء، وفكر طانيوس في العودة من أجل الثأر، وأحسن بالازدراء داخل نفسه وبسبب الأحزان والهموم الكثيرة ابيضّ شعره تماماً، وبعد فترة عاد طانيوس إلى القرية، بصحبة ممثلين للدولة العثمانية وممثلين لبريطانيا، وكان فرانسيس في السجن، واستقبل طانيوس كبطل وطني، وطُلب من أهل القرية أن يصبح شيخهم، وأن يقتل روكز الذي ظلم واستبدّ وحبس شيخهم السابق، فوضع روكز في الحبس بحراسة أربعة من الحراس حتى يقرر ماذا يفعل بشأنه، غير أنه تفاجأ في الصباح بمقتل روكز وحراسه، ولم تكن عودة طانيوس للثأر ولكن ليرى أمه، وكانت أمه تصرخ باكية: "أنا في حاجة إليك، فلا تبعد مرة أخرى"، لكن طانيوس عاد ليختفي من جديد، لم يجد أمامه سوى حل واحد هو

الخروج من الوطن، فراح يمشي في أحراش الصنوبر المحروق حديثاً يفتش عبثاً عن الدرب إلى مدرسة السهلين الذي كان يسلكه فيما مضى للذهاب، كان مقتنعاً بذنبه الشخصي إلى حد أنه لم يجرؤ على العودة إلى الضيعة، وأيضاً جاء في الرواية بأنه لم يظلم أحداً، بل صعد صخرة وجلس عليها، ثم اختفى وغاب عن الأنظار.

يقول صاحب أحبار الجبل (الراهب إلياس): "إن القدر يمرّ عبر حياتنا، ويعاود مثل سلة الإسكافي في الجلد الذي يصنعه".^(١)

والعبور في هذه الحالة إشارةً جليئةً من القدر، أو تسلُّ قد يكون قاسياً أو ساحراً، أو من صنع العناية الإلهية ومعلماً في آنٍ واحد، أي مرحلةٍ من حياةٍ فريدة، وبهذا المعنى كان إغواء لمياء في مصير طانيوس "العبور الأول" ذلك الذي تنبثق منه كل المعابر الأخرى.^(٢)

شيخ الجبل حاول أن يواريه بنفوذه، فقبل بانتسابه إليه حقيقةً بعد أن أغوى (لمياء) في حادثة كانت سبباً في ولادة طانيوس، كانت هذه الحادثة في حياة طانيوس عبوراً أولاً، يأتي بعده كثير من العبورات، ليس في إطار حياته فقط بل في حياة أهالي القرية أيضاً الذين عانوا ويلات انتقام (الشيخة) من زوجها إثر تيقنها من خلال مجموعة من الإشارات في صحة انتساب طانيوس ابن (لمياء) للشيخ.

كما نشهد في الرواية كثيراً من الأحداث الجسام والتحويلات الكبرى في حياة طانيوس، مثل: تأسيس مدرسة بروتستانتية من قبل الإنكليز، وتصفية حسابات قديمة بين فرانسيس وبين البطريك، وتمكن الإنجليز من مقاومة الدولة التي طمح محمد علي باشا لإنشائها في مصر، وسعي محمد علي باشا للقضاء على النظام الإقطاعي في الجبل اللبناني وإحكام سيطرته عليه، إلا أن أهالي القرية - رغم معاناتهم من النظام الإقطاعي الذي يمارسه الشيخ في القرية - استشعروا الهيمنة التي سعى إلى فرضها محمد علي باشا، ولذلك لم يفرح الأهالي بالقضاء على النظام الإقطاعي.

(١) صخرة طانيوس، أمين معلوف، ترجمة: نحلة بيضون، ص: ٤٥، دار الفارابي - بيروت لبنان، ط / ١، ٢٠٠١ م.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٥ - ٤٦.

وهكذا كان الخلاف بين الشيخ فرانسيس والبطريك حاسماً في صراع القرية مع جيوش محمد علي باشا، وأيضاً صراع الإنجليز الذين ثبتوا أقدامهم في القرية مع الفرنسيين،^(١) واستطاعوا أن يفشلوا تجربة محمد علي باشا النهضوية في إقامة دولة حديثة.

فقد عاش طانيوس تجربة خاصة بحكم خصوصية حالته، اقتضت مواجهته الدائمة مشاعر الاغتراب واللا انتماء، تلك العوامل ساهمت بتضافرها بالتجسيد في رفض طانيوس لقتل روكز الذي خدعه، ودفع أباه إلى الثأر من البطريك بقتله، الأمر الذي كلفه حياته، صائغا حكمته في قوله:

"لقد اقترفت في الآونة الأخيرة جرائم، وارتكبت أخطاء فادحة، وقع ضحايا أبرياء، ولو راح كل امرئ يعاقب الذين أساءوا إليه، وتسببوا بمقتل قريب، فلن تلتئم جراح الضيعة، ولو ترك لي القرار، فأنا أمر بما يلي: تُصادر كل أملاك روكز، ويُعوض بها للذين عانوا من انتهاكاته، ثم يُنفى عن هذه البلاد".^(٢)

عندما لم تهدأ خواطر الأهالي الذين ألحوا في دفعهم طانيوس لقتل روكز انتقاماً لهم؛ أحال طانيوس أمر الحكم على روكز إلى الشيخ، تعبيراً عن ثباته على موقفه الرفض للقتل مهما كان السبب، خصوصاً أنه استحضر معاناته التي تسبب فيها روكز، معبراً عنها في كلام وجهه لأمه قبل أن يختفي عن الضيعة:

"قولي لهؤلاء الناس! إنهم لا يعرفون معنى المعاناة كما لو أنني أنا طانيوس، لم أتعذب بسبب خيانة روكز وخساسته ووعوده الكاذبة وطموحه الجامع، أم لعل روكز ليس السبب في تحول والدي إلى قاتل، ووالدتي إلى أرملة".^(٣)

وكانت مآسي طانيوس ومعاناته الدائمة من مشاعر الاغتراب بلغت ذروتها على يدي روكز، ومن ثم حرمانه من أبسط حقوقه الإنسانية وأعظمها في الوقت ذاته، وهو

(١) صخرة طانيوس، ص: ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٧٩.

باستحضاره تلك المشاعر المأزومة في ذلك السياق، أراد أن يبرهن على أن القتل ليس
مبرراً ولا مقبولاً، مهما كانت فداحة الدوافع إليه.

عرض رواية "سمرقند"

هذه إحدى الروايات التاريخية التي نشرها الكاتب الروائي أمين معلوف، باللغة الفرنسية، صدرت سنة ١٩٨٨م، وهي رواية غزيرة المعلومات والتفاصيل تجمع الشعر والحب والفلسفة والرياسة والدين، نالت الرواية جائزة: (Prix Maison delapresse).

في الشطر الأول من الرواية وقعت الأحداث في منطقة آسيا الوسطى، وفارس (إيران حالياً)، وتحكي عن الشاعر عمر الخيام النيسابوري، ويروي هذا الشطر قصة وضع رباعيات الخيام، وتاريخ الدولة السلجوقية، والتفاعلات مع الشخصيات التاريخية، كالوزير نظام الملك وحسن الصباح زعيم الحشاشين، وعلاقة الحب التي ربطت الخيام بشاعرة من سمرقند، تسمى جهان، وقد تسامر الشاعران في بلاط القاضي، أما الشطر الثاني من الرواية فيحكي عن المصلح جمال الدين الأفغاني، في القرن الثالث عشر الهجري، أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين، ويوثق هذا الشطر جهود الروائي الأمريكي بينجامين يسيج للحصول على النسخة الأصلية من الرباعيات، ويشهد التاريخ الفارسي من خلال الثورة الدستورية الفارسية التي وقعت في الفترة (١٩٠٧-١٩٠٥) ليفقد بعد ذلك المخطوط في غرق السفينة آر. ايم. ايس تيتانيك. قد قسمت الرواية إلى كتب مختلفة:

- شعراء وعشاق.
- فردوس الحشاشين.
- نهاية الأعوام الألف وشاعر تائه.

هذه الرواية تحكي قصة عمر الخيام الذي رحل إلى سمرقند^(١) لتحصيل العلم ودراسة مقالات الخوارزمي في الجبر، وكانت رحلته في توقيت غير مناسب؛ لأن أهل

(١) تقع في دولة أوزبكستان، وكانت عاصمة الدولة التيمورية القديمة. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، ١/

سمرقند كانوا متخوفين من تسرب عقيدة قرامطة^(١) البحرين وإمامية^(٢) قُم إلى مدينتهم سمرقند،^(٣) ومن الطوائف الاثنتين والسبعين،^(٤) ومن الروم في القسطنطينية، ومن الكفرة من جميع الأصناف.

دعا أمير طبرستان^(٥) الخيام إلى سمرقند؛ للتعزية بوفاة السلطان السلجوقي ألب أرسلان^(٦)، هنا التقى الخيام بالسلطان ملكشاه في أثناء رحلته إلى أصفهان، وتوقف في مدينة قاسان، ثم استمر في رحلته إلى أصفهان؛ لالتقاء الوزير نظام الملك، الذي غضب عليه السلطان وأمر بقتله، لكن الخيام أنقذ الوزير من القتل، وساعده على الهرب، حتى وصل إلى الدولة الفاطمية بمصر، وبدأ بدعوة الناس في أقطار الدولة السلجوقية إلى العقيدة الإسماعيلية، واحتشد الكثير من العوام والخطباء والأمراء تحت راية الصباح، ومنهم أمير سمرقند أخي السلطانة السلجوقية، واهتم قاضي سمرقند السني لاعتناق أهل المدينة عقيدة الإسماعيليين، وحاول أن يثني الناس ويخبر السلطان، لكن السلطان تأثر بموقف زوجته السلطانة التي وقفت مع عقيدة الإسماعيليين والصباح، وقتل الوزير في مدينة نهاوند، وغامر الخيام في تلك الحالة الأليمة بالسفر بين المدن، وحينما اختار الخيام أن يستوطن مدينة نيسابور استقبله العلماء والأمراء والولاة، واشتغل فيها بتعليم الناس العلوم وتأليف الكتب العلمية، وفي هذه الأثناء سُرقت كتاب ربايعاته المشهورة.

(١) فرقة شيعية، أسسها حمدان بن الأشعث قرمط، وأقام أتباعها في جنوب العراق والبحرين.

(٢) عظمى فرق الشيعة التي أسسها جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، وبقيت الفرقة في دولة إيران الإسلامية، وصارت مذهباً للدولة.

(٣) من المدن المقدسة عند النجف، تقع جنوبي طهران، فيها مشهد الإمام السابع عند الشيعة علي بن جعفر الرضا.

(٤) كما ورد في الحديث الشريف: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أممي على ثلاث وسبعين فرقة». انظر: المستدرک علی الصحيحین، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١/ ٤٧، رقم الحديث: ١٠، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

(٥) الاسم القديم لدولة أوزبكستان الحديثة.

(٦) وهو ابن أخي طغرل بك مؤسس الدولة السلجوقية والسلطان الثاني للدولة، اغتيل عام ١٠٧٢ م، وخلفه ابنه ملكشاه. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ١/ ٦٢.

والصباح بقي يجمع مريديه في قلعة الموت^(١) لا للدعوة فقط، بل لإقامة شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالاً لتفسيره الإسماعيلي بين الناس، وتطبيق النظم الشرعية بالاضطهاد، ونشر الخوف في قلوب الخطباء والأمراء والولاة والموظفين السلاجقة.

^(١) هي بلدة واقعة بين قزوين وإربيل في شمالي إيران وجنوبي بحر قزوين.

عرض رواية "ليون الإفريقي"

رواية "ليون الإفريقي" اتكأت بصورة واضحة على التاريخ، والرواية تعيد القارئ إلى أجود الكتب التاريخية ومؤلفات أدب الرحلات، والرواية تتألف من أربعة كتب، أُطلق على كل كتاب اسم مدينته، وذلك على صعيد تسلسل زمنيٍّ للأعوام المتحدرة ما بين عامي ٨٩٤-٩٣٣ هـ. أما الكتب الأربعة فهي:

- ١- كتاب غرناطة من ٨٩٤ هـ إلى ٨٩٩ هـ.
- ٢- كتاب فاس من ٩٠٠ هـ إلى ٩١٨ هـ.
- ٣- كتاب القاهرة من ٩١٩ هـ إلى ٩٢٤ هـ.
- ٤- كتاب رومة من ٩٢٥ هـ إلى ٩٣٣ هـ.

والمؤلف في تقسيم روايته إلى تلك الكتب الأربعة انتهج نهج المؤرخين في طرف كتابتهم، وترتيب الحوادث في مؤلفاتهم، فقسّم كل كتاب من الكتب الأربعة إلى فصول قصيرة، سمّى الواحد منها عامًا، ونسب كلاً منها إلى أبرز الحوادث التي جرت فيه، مثلاً: عام سلمى الحرة، عام التمام، عام أستغفر الله، عام الرحيل، عام النوادب، عام الاختطاف، عام القديس انجلو، عام المهرجان، وغير ذلك.

تتوزع الرواية على أربعة كتب، على منوال التقسيم الذي اعتمده الحسن الوزان في وصفه لإفريقيا. شمل كتاب "غرناطة" بلد النشأة والمنشأ الذي شهد سقوطه على يد الإسبان (الكاثوليك)، غير أن السبب الحقيقي لسقوط غرناطة تمثل في الصراعات الداخلية بين المسلمين، وانشقاقهم بين خائن ومتواطئ، مما فتح شهية المدّ المسيحي في وجه الديانتين الإسلامية واليهودية، وانتهى الكتاب بنزوح الحسن الوزان إلى المغرب برفقة العائلات المسلمة واليهودية، هرباً من محاكم التفتيش.

أما في كتاب "فاس" فقد شهد الحسن الوزان حدوث مواجهاتٍ بين العرب والبرتغاليين ووقوف المدّ الإسلامي في وجه المسيحي. وفي كتاب "القاهرة" عايش الحسن الوزان أجواءً من الصراعات الدينية والسياسية الداخلية التي دارت رحاها بين ثلاثة

أطراف إسلامية، تمثلت في كلٍ من: الأتراك، والمماليك، وعرب القاهرة، انتهت بسيطرة العثمانيين على القاهرة، في حين اشتدت الصراعات الدينية داخل الكنيسة.

في كتاب "روما" صراعٌ داخل التيار الديني التقليدي؛ بين تيارٍ متسامحٍ ومنفتحٍ على الفن والعلم، وتيارٍ آخر متعصبٍ ورمزٍ من رموز عصر الظلام، وصعود اللوثريين الجرمان (حركة الإصلاح - المسيحية على حساب روما).

الحسن الوزان يذكر في نهاية عام العصابات السود شيئاً مما يتعلق بكتابه وصف أفريقية، فيقول: "وضعت في هذا العام اللمسة الأخيرة لكتابي وصف أفريقية، ثم قررت من غير أن أستريح يوماً واحداً أن أنصرف إلى تاريخ حياتي والوقائع التي قدّر لي أن أدونها".^(١)

حينما وصل نهاية المطاف، وبالقرب من الساحل الأفريقي، قال:
"رسمت آخر كلمةٍ على آخر صفحةٍ، وكنا قد أصبحنا عند الساحل الأفريقي: مآذن قمارت البيضاء، أطلال قرطاجة الشاحخة، إن النسيان يتربص بي في ظلالها، وباتجاهها يتحول مجرى حياتي بعد تعرضي لعددٍ من حوادث الغرق، خراب رومة بعد نكبة القاهرة، وحريق تومبكتو، بعد سقوط غرناطة أ تكون المصيبة هي التي تناديني؟! أم أنني أنا من يستدعي المصيبة؟!".^(٢)

ومن الأحداث التاريخية الخاصة بشخصية ليون الإفريقي - والتي وقف عندها الكاتب -: رحلته إلى السودان، ورحلته إلى الحجاز، عام مسلمي الحرة، عام التمام، عام أستغفر الله، عام الرحيل، وعام النوادب، وعام الاختطاف، وعام القديس انجلو، وعام المهرجان، وغير ذلك.

(١) ليون الإفريقي، أمين معلوف، ص: ٣٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٨٨-٣٨٩.

عرض رواية "حدائق النور"

نشرت رواية "حدائق النور" للكاتب الفرنسي اللبناني أمين معلوف عام ١٩٩١م، تقع الرواية مترجمة في ٢٨٨ صفحة من الحجم المتوسط والأنيق، وتركز على المفكر الديني ماني، ذلك الرجل الطبيب الرسام الرسول الذي وضع في القرن الثالث رؤية جديدة للعالم، وهو مؤسس الديانة المانوية، وقد سعى إلى رد حياته أو ما لا يزال بالإمكان تخمينه، يتكلم معلوف عن "ماني" هذا الفارس الحالم بالمساواة بين البشر، والطامح إلى عالم خالٍ من الحقد والحرب والبغضاء، ويدعو إلى نبذ السلطة بكل أشكالها والانغماس في عالم الفن، ورسم لوحات بالريشة تدعو إلى الحب، ويدعو أتباعه إلى التسامح بآلات الموسيقى بدلا من الحرب، ويحاول التوفيق بين الإمبراطورية الساسانية الفارسية والإمبراطورية الرومانية فيكون مصيره الموت في النهاية.^(١)

تبدأ قصة "ماني" في فجر العهد النصراني، بعد أقل من قرنين على موت المسيح، وعلى ضفاف دجلة ما يزال حشد من عبّاد الآلهة يتباطأ، فبعضهم برزوا من الطوفان والكتب الأولى، والآخرون نجموا من الفاتحين أو مع التجار، وقليل من المؤمنين في (المدائن) يحتفظون بصلواتهم لوثن واحد، ويجرون من معبد إلى معبد لإقامة القداديس.^(٢) الفيلسوف الذي يلقبه الصينيون بـ"بوارد النور"، والمصريون بـ"حواري عيسى" ويقوم تصوره على الطبيعة الإنسانية الفطرية والتسامح، والروح الأفلاطونية، وتوحيد الديانات، ولبس الملابس البيضاء، في مجتمع رجالي تخلص عن شهوات الحياة ولذاتها من خلال تربية مسيطرة وصارمة، بعد أن لاحظ محدودية عقيدتهم وتزمتها، وبعض تجاوزاتها، غادر نهائياً مجموعة الملابس البيضاء ومن أجل "حوار الديانات" وتعايشها، سافر مع صديقه "مالكوس" في بلاد الرافدين، كان يمارس جملة من الشرائع، منها: الصوم والعبادات، ثم الإحساس بوجود الأشياء من العطور والنسائم، ثم الدعوة للتأمل في

(١) حدائق النور، أمين معلوف، ترجمة: د. عفيف دمشقية، ص: ٦، دار الفارابي - بيروت، لبنان، ط/ ٤، ١٩٩٨م.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٨.

جمال الطبيعة وغيرها، للوصول إلى تناسقٍ كليٍّ بين الإنسان والإله والطبيعة، وبفضل القيم التي تحلى بها من الزهد في الحياة، وأقواله المعبأة بطاقة روحية فارقة، توصل سريعاً في ذلك الزمن لإقناع الكثير من مواطنيه، وصار له أتباع كثير لم يفصل بينهم إلا موته، وأما رجال السلطة فكان منهم المحترم لآرائه، والمنصت له، والمعجب به، وفي المقابل كان هناك الرافض لمذهبه، وحتى المعارض، وصولاً إلى سجنه وتعذيبه.

نجح أمين معلوف في تقريبنا إلى زمن "ماني"، إنه الروائي الذي يحمل البحث عن الرابط بين التاريخ وسره، في قالب روائي جديد، والجامع بين الديانات على اختلاف الأجناس في ذلك العصر، والموحد بين الثقافات، والمهم هو تبليغ رسالة "الحبة بين الناس".

كل ذلك متعة لا تعادلها متعة في السفر والتثقيف في الزمن، رغم ما قد يبدو من بعض المشكلات والصعوبات، مرجها الزاد التاريخي بطبيعة الحال، فهو مصادفة روحية، أن يستمتع القارئ بمسار "ماني" مثل قناعته بدقة أقواله، وحكمته، وذلك هو القارئ الذي لا يمكن إلا أن يكون راضياً، مقاسماً لماني الطريق الطويل نحو النور، وهذا مقطع من الرواية يعبر عن فكر معلوف ورؤيته في الكتابة ومواقفه، أورده فيما يلي:

"وفي كل كائن، وفي كل شيء، وعلى السواء، تتعايش الظلمات والنور وتتشابك، فلب الثمرة التي تقضمونها يغذي جسدكم، بيد أن مذاقها الطيب وعطرها ولونها تغذي نفسكم، النور الكائن فيكم يتغذى بالجمال والمعرفة، ففكروا بتغذية من غير انقطاع، ولا تكتفوا بإتخام الجسد، وحواسكم منذورة لتلقف الجمال ولمسه واستنشاقه وتذوقه والإصغاء إليه وتأمله، أجل أيها الإخوة، إن حواسكم الخمس مصافي نور، فقدموا إليها العطور والأنغام والألوان، وجنبوها الفتن والصراعات والفحشاء والقذارة".^(١)

(١) حقائق النور، ص: ٩٨.

عرض رواية "موانئ المشرق"

تُروى الرواية على لسان بطلها الأمير التركي "عصيان" الذي بدأ حياته منذ نصف قرن، قبل ولادته في غرفةٍ لم يزرها قطّ على ضفاف البوسفور، حيث كانت المأساة، ودوّت الصرخة، وانتشرت موجةٌ من الجنون لا تنقطع، بحيث يجيء للحياة، كانت حياته قد بدأت منذ وقتٍ بعيد. (١)

يتناول الكاتب من خلال حياة بطل القصة موضوعه الأثير العالمي، ويسرد الحكاية دون تدخلٍ مباشرٍ منه، فالقصة للراوي عصيان، ولكن اختيار الكلمات لمعلوف قائلًا: "هذه القصة لا تخصني، فهي تروي حياة إنسانٍ آخر بكلماته الخاصة التي قمت بترتيبها فقط، ما تساويه كل الحقائق، التقية بمحض المصادفة في باريس في إحدى حافلات المترو في حزيران من عام ١٩٧٦م". (٢)

التقى الكاتب في باريس مصادفةً رجلٍ في عقده السادس أو السابع، ولم يفارقه الرجل طوال ثلاثة أيام أو أربعة، وظل مستمعاً لعصيان وهو يحكي تاريخ العائلة من الأناضول إلى بيروت، ثم سفره إلى باريس، ثم عودته إلى بيروت... ثم بعد أكثر من عشرين سنة إلى باريس مرة أخرى.

في حياة بطل القصة المتحدر من سلالة السلاطين العثمانيين والممزوجة بدم أرمني لأن عصيان ابن رجل مسلم تركي، وأم مسيحية أرمنية، وزوجته يهودية، ولد عصيان في تركيا، وترعرع في لبنان، ودرس في فرنسا، إنه المواطن العالمي الذي يجسد فكرة التسامح في أجمل وأكمل معانيها، وأن ظروف الحرب اللبنانية هي من اضطرت البطل للهجرة إلى فرنسا.

تبدأ حكاية عصيان لعائلة تتحدر من أسرة حكمت المشرق لفترة طويلة، فالجدة

(١) موانئ المشرق، أمين معلوف، ترجمة: منيرة مصطفى، ص: ٣١، ورد للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، سوريا، ط/

٢، ١٩٩٨م.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٠.

ايفيت هي ابنة آخر سلاطين الخلافة العثمانية، فقدت رشدتها بعد رؤيتها لمشهد والدها يسبح قتيلاً في دمائه، فزوجتها أمها لطبيبٍ من عائلة كتابدار، معروفٌ عنه في أوساط إسطنبول أنه يعالج من الاستلاب أو الخبل، فانتقلا من إسطنبول، وهناك أنجبا ولداً، كبر وترعرع وأصبح مولعاً بالعلم والتصوير وبالتمرد على الأنماط السائدة، من خلال التصوير تعرف الابن إلى الأرمني نوبار وأصبحا صديقين.

تدفع كتابدار إلى حماية صديقه من ملاحقة الجماهير التركية، ما يجبره على الهجرة من تركيا إلى لبنان، ويصر صديقه الطبيب على أن يرافقه في هجرته، فيعده صديقه الأرمني بتزويجه من ابنته، وهذا ما حصل، وبعد الزواج لهما ثلاثة أبناء: البنت الكبرى وعصيان وسالم، تموت الأم حينما تضع مولودها الأخير سالم، وتلحق هذا المولود الأخير اللعنة مدى حياته، فهو مهربٌ للمخدرات، وبسبب ذلك يدخل السجن، ثم يخرج وتتحسن أحواله فيسيطر على العائلة ويرسله عصيان إلى "المصححة في الطريق الجديد" يستأثر بأموال العائلة، وفي النهاية يجده عصيان بعد تركه للمصححة مقتولاً وملقى في بيت العائلة فيتركه هنا ويغادر إلى باريس.

عصيان البطل المأساوي في هذه الرواية، ابن العائلة التي حكمت المشرق، لا يعرف من المشرق إلا بيروت وبعده حيفا، عصيان اسم غريب، وبسبب ذلك يتعجب الراوي من هذا الاسم، لكن هناك أسماء شبيهة باسم عصيان في المنطقة، منها: جهاد، ونضال، وكفاح، وحرب، وغير ذلك.

واسم عصيان يعود إلى روح والده الذي نزع إلى الثورة فاطلق على ابنه هذا الاسم، وكان أبو عصيان يريد لابنه باستمرار أن يكون زعيماً ثورياً معروفاً في العالم، وهي أمنيته، لكن هذه الأمنية ليست موجودة عند معظم الآباء، فهؤلاء يريدون لأبنائهم أن يصبحوا إما مهندسين أو أطباء أو أي شيء آخر.

وهو هدفٌ يحققه عصيان لوالده دون أن يخطط له، يذهب عصيان من بيروت إلى فرنسا؛ لدراسة الطب فيها، لكن أحداث الحرب العالمية الثانية والاحتلال الألماني النازي لفرنسا يهيمن على كل شيء، فينخرط بالمقاومة السرية الفرنسية ضد الاحتلال

النازي، ويتحول إلى بطل قومي تدريجياً، بعد انتهاء الحرب يعود إلى بيروت ويصبح مفخرة لأبيه.

خلال وجوده في فرنسا يتعرف بالصدفة على زميلة له بالمقاومة، كلارا النمساوية اليهودية، يقع بينهما الحب من أول مرة، كما كان اشتعال نار الحرب اشتعل قلبه بالعشق بعد انتهاء الحرب، هذه النمساوية تهاجر مع خالها استيفان إلى فلسطين عن طريق بيروت، وهي الناجي الوحيد من عائلتها من المحرقة، هي تبحث عنه وتزوره ويتقرر الزواج، يجمع بينهما الزواج في بيروت. لكن حرب ١٩٤٨م في فلسطين تفرق بين الزوجين، عصيان يبقى إلى جانب والده في بيروت، وكلارا تبقى في حيفا تنتظر أن تضع مولودتها الأولى ناديا، عصيان يعيش معذباً بعد وفاة والده، ويصاب شقيقه بانحيار، فيزج بعصيان في المصححة، وهناك يبقونه تحت السيطرة، لا أحد يستطيع أن يعمل لعصيان شيئاً لإخراجه من هنا.

شقيقته تزوره لكن لا تستطيع أن تعمل أي شيء لإخراجه من هنا، وعندما تهاجر إلى أستراليا تنقطع زيارتها له.

صديقه القديم برتران الذي يزور لبنان بصفته وزيراً فرنسياً، يأتي هنا ويزوره، وهي المرة الوحيدة التي يخرج فيها من المصححة إلى بيت العائلة، حيث يُقيم شقيقه لهذه الغاية مأدبة تكريمية على شرف الضيف الفرنسي، ولكن الفرصة تضيع لأن عصيان كان مثقلاً بجراحاتٍ من المهدئات، فيبعث في نفس صديقه الفرنسي الإحباط والحزن على ما آل إليه وضعه.

ناديا تذهب إلى فرنسا للدراسة، في سنّ العشرين، وتلتقي بالسيد برتران، وتحاول إقناعه بخطف والدها من المصححة، لكن هذا ليس ممكناً.

في الأخير تصمم على الأقل أن تزور والدها لترى أحواله، فتذهب إلى لبنان متخفية باسم مستعار لعائلة كرسطين الشهيرة، وتدخل المصححة، وتهدي والدها كتاباً، وتدسّ بالكتاب ورقة تقول له فيها: إنها ستُخرجه من المصححة، وهذه الحادثة تعطي لعصيان الأمل بأن ابنته ستأتي لتُنقذه، لكن ابنته لا تجد من يشجعها على خطفه حينما

تعود إلى فرنسا، وبالنهاية تلتهي بحياتها وتتزوج، وتهاجر إلى البرازيل.

بعد وقت قليل تقع الحرب الأهلية اللبنانية، وعصيان حتى الآن في المصححة، فيهرب صاحب المصححة والطاغم "الطبي" من المصححة، ويتركوها مشرعة الأبواب، فيغتنم عصيان الفرصة، ويخرج من المصححة إلى بيته ثم إلى فرنسا سعيداً.

تنتهي هذه الرواية بنهاية سعيدة، حيث يخرج البطل عصيان من المصححة ويسافر إلى فرنسا، ويطرق باب صديقه برتران، الذي أصبح وزيراً في فرنسا، عندما يعلم أن صديقه عصيان سيأتي إلى فرنسا يؤخر سفره إلى اليابان لمدة ٢٤ ساعة؛ ليلتقي الصديق القديم من الشرق، وأيضاً كلارا زوجة عصيان تحضر إلى الموعد المحدد، في رسالة عصيان لها، يتعانقان وتتشابك الأيدي، الابتسامة على محياهما واضحة، ولقاؤهما بعد عشرين سنة، ويترك الراوي المشهد هنا دون إنهاء، فلا يستطيع أن يراقبهما مثل الآخرين، معللاً ذلك بقوله: فأنا لم أكن عابراً.

عرض رواية "القرن الأول بعد بياتريس"

البروفيسور ج. في الثالثة والثمانين من العمر حين حكايته للأحداث، وهو بروفيسور في الجامعة، متخصص في علم الحشرات، وقد ترعرع على ضفاف البحر المتوسط، وله مختبر خاص بمتحف التاريخ الطبيعي، ويسكن في شقة فسيحة في باريس، في شارع جوفروا سانت هيلار مقابل حديقة النباتات.

سافر البروفيسور ج. قبل أربعة وأربعين عاماً إلى العاصمة المصرية القاهرة لحضور ندوة عن: (تقويم مكانة الجعران في الحضارة الفرعونية)، ضمن خمسة وعشرين باحثاً وفدوا من ثماني دول، وكان هذا الحدث قريباً من سنة ٢٠٠٠م، وفي القاهرة وجد البروفيسور ج. فول الجعران، الذي اشتراه من بعض الباعة المتجولين في ميدان التحرير، وهذا الفول ينمي في الرجل إنجاب الأولاد الذكور.

وبعد رجوعه من المؤتمر التقى بالصحافية كلارنس في باريس، والتي جاءت إليه لإجراء مقابلة صحفية عن هجرة الجراد، ثم أصبحت كلارنس صديقتها، وانتقلت للعيش معه في شقته، وصارت فيما بعد أمّاً لابنته بياتريس، التي كبرت وأنجبت ابنها فلوريان من صديقها المصري مرسى.

سافرت كلارنس في رحلة عمل صحافية إلى الهند، للبحث حول النساء التي يحرقن أحياء بعد موت أزواجهن، ولكن بعد عدة أيام بدأت تبحث عن قضية أخرى وهي كثرة إنجاب المواليد الذكور في بعض المناطق أكثر من الإناث، وبدأت هذه القضية تشغل كلارنس وصديقها البروفيسور ج. بعد أن لاحظا ذلك في عدة أماكن من العالم لا سيما في الدول الفقيرة من آسيا وأفريقيا.

سافرت كلارنس عدة مرات إلى عدة بلدان للوقوف على حقيقة الوضع، بعد أن لاحظت في بعض الدول وجود أدوية لتحديد النسل، وإنجاب الذكور، كما تعرضت كلارنس لحادث نهب حقائبها وضربها في إحدى الدول الأفريقية، وكانت كلارنس في غيبوبة استمرت شهرين ونصف.

وبدأ الاثنان البروفيسور ج. والصحافية كلارنس العمل على هذه القضية وساعدهما صديق البروفيسور ج. أندريه فالوريس، بعدة أبحاث وأخبار، وعندما مات أندريه أوصى زميله البروفيسور ج. بإنشاء جمعية العقلاء للحد من التلاعب بالجنس البشري في العالم، وبالفعل تكوّنت هذه الجمعية من واحدٍ وثلاثين عضواً، عقدوا مؤتمراً عالمياً في مقرّ الأمم المتحدة في نيويورك. في هذه الأثناء وقعت عدة حوادث بسبب هذه القضية وهي تحديد النسل، وإنجاب الذكور، وكان هدف كلارنس تحديد معالم القضية وأسبابها، التي تتلخص فيما يلي:

غالبية الدول الفقيرة في الشرق والجنوب من آسيا وأوروبا تفضّل الذكر على الأنثى، وتتجه بعض الزوجات لاستخدام العقاقير والأدوية من أجل زيادة خصوبة الرجل وإنجاب الذكور، وفي بعض الدول تكثر عمليات الإجهاض للمواليد الإناث، مثل: الهند، والصين.

بينما دول الشمال الأوروبي لا تهتم بهذا القدر الكبير بجنس المولود، وتقف أطراف كثيرة خلف انتشار العقاقير التي تؤدي إلى إنجاب الذكور، للاستفادة من الربح المادي، ونظراً للقوانين الصحية تتغير أسماء هذه الأدوية وطريقة تغليفها، مثل: الطبيب فولبو الذي أنشأ مصنعاً لهذه الأدوية.

وهناك بعض الأدوية لها دور في كثرة إنجاب المواليد الذكور مثل: أدوية وباء الحصبة والجذري؛ لأنها تعطي مناعة عالية جداً للمريض، وهذه القوة تؤثر في نوع الجنين. في بعض الدول الأفريقية وصلت نسبة المواليد الذكور إلى عشرين مولوداً مقابل مولودة واحدة أنثى، ولكن من ناحية أخرى في هذا البلد نفسه صدر في عام واحد فقط ثمانية وخمسون حكماً بالإعدام بتهمة الاغتصاب، فهل السبب قلة الإناث؟!

وفي الرواية المبشر المسيحي فيتسيا دعا إلى نقل عشرة آلاف طفل أكثرهم من الإناث من دول الجنوب الفقيرة إلى دول أوروبا؛ لتحسّن معيشتهم وينالوا القدر الكافي من التعليم، وفي نهاية الرواية تقاعد البروفيسور ج. من عمله في المتحف الطبيعي في باريس، وانتقل للعيش في بيت ريفي في سويسرا.

الباب الثاني

عرض روايات عنايت الله التمش
التاريخية

وفيه فصلان:

الفصل الأول

عنايت الله التمش حياته وأعماله وأوصافه الأدبية

الفصل الثاني

عرض روايات عنايت الله التمش التاريخية

الفصل الأول

عنايت الله التمش حياتہ وأعماله
وأوصافه الأدبية

عنايت الله التمش

حياته و أعماله وأوصافه الأدبية

الظروف الأولية لحياته:

ولد عنايت الله في ١ نوفمبر ١٩٢٠م في مدينة گوجر خان، الواقعة على هضبة پوٹھوہار في غرب إقليم البنجاب، وينتمي إلى قبيلة راجپوت البنجابية، ولقب نفسه بـ (التمش).

عاش عنايت الله التمش في إنجلترا، والهند، وباكستان، وهو كاتبٌ وصحفيٌّ، وروائيٌّ تاريخيٌّ مشهورٌ، اكتسب شهرةً من خلال رواياته التاريخية الخالدة، واشتهرت قصصه عن الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٦٥م، والحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٧١م، وقدم أعمالاً أدبيةً غنيةً للأدب الأردني حتى سن ٧٩ عاماً، وكان عددها حوالي ١٠٠ عمل.

التعليم:

في الوقت الذي ولد فيه عنايت الله كانت منطقة پوٹھوہار بعيدة عن التعليم، غالبية أهلها يدرسون الابتدائية فقط، وكان الغرض الحقيقي للبريطانيين هو إبقاء هذه المنطقة بعيدةً عن التعليم، وجلب الشباب للجيش، وبسبب هذه الشهرة تسمى هذه المنطقة أيضاً منطقة مارشال (مارشل).

ومع ذلك درس عنايت الله في المدرسة المحلية في مدينة گوجر خان، واجتاز امتحان المرحلة المتوسطة حوالي عام ١٩٣٦م.

التوظيف:

بعد اجتيازه شهادة المرحلة المتوسطة في عام ١٩٣٦م، التحق عنايت الله بالجيش وفقاً لتقاليد منطقته، فقد التحق كاتباً بالجيش الملكي الهندي، وشارك في الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٥م، ووقع أسيراً حربياً لعامين في أيدي القوات

اليابانية، ثم تمكن من الفرار من الأسر الياباني، وفي أوائل عام ۱۹۴۶ انضم إلى الجيش مرة أخرى، وعلى مدى العام ونصف العام التاليين خاض حرب العصابات من أجل الاستقلال في مالايا.^(۱)

خلال هذه الفترة انقسمت الهند إلى دولتين: الهند وباكستان، وصار بلد التمش الأصلي باكستان، وبعد استقلال مالايا قبلت حكومة باكستان جميع الجنود المسلمين الهاربين كمواطنين، وقد تم تسريحه بالفعل من وظيفة الجيش، ولكن في عام ۱۹۴۸م انضم عنايت الله البالغ من العمر ۲۸ عاماً إلى القوات الجوية الباكستانية برتبة عريف. وكان من بين أول فرقة من القوات الجوية الباكستانية تستقبل مؤسس باكستان القائد الأعظم محمد علي جناح في مدينة پشاور.

الأنشطة الصحفية والأدبية:

بعد تقاعده من القوات الجوية الباكستانية تفرغ للكتابة، وبدأ حياته المهنية مع مجلة "ستاره ڈائجسٹ" الشهرية. وسرعان ما أصبح محرر المجلة، وكانت شهرته في ذلك الوقت هي شهرة كاتب ثانوي، وكتب بعض المسلسلات (الدراما) الإذاعية والتلفزيونية، التي نُشرت في عددٍ خاصٍ من مجلة "ستاره ڈائجسٹ" الشهرية.

الشهرة:

أعطت حرب سبتمبر (الحرب الهندية الباكستانية ۱۹۶۵م) عنايت الله شهرة خالدة، حين وصل إلى الخطوط الأمامية، وذهب إلى الثكنات العسكرية، وجلب قصة الجنود المجهولين إلى الجمهور.^(۲)

تأسيس مجلة السرد الشهري:

بعد نهاية حرب سبتمبر ترك عنايت الله مجلة "ستاره ڈائجسٹ" وأسس مجلة السرد الشهري. وكانت شخصيته كاريزمية وساحرة، وكانت مجلته الشهرية الأكثر شعبيةً في

(۱) منزل اور مسافر ایک ہنگامہ خیز اور سحر انگیز خودنوشت، عنايت اللہ التمش، 8/1-9، ب.ت.

(۲) ماہنامہ اردو ڈائجسٹ ستمبر 1966ء.

باکستان فی السبعینیات والثمانینیات، وتحوّل التمش فی جمیع أنحاء البلاد بحثاً عن قصص الحياة الحقيقية، وقدم الأدب الأردی إلى أبعاد جديدة من الخيال، وكتب بأسماء جديدة لسلسلة مختلفة من الروایات الشهيرة التاريخية.^(۱)

أبرز الأعمال الأدبية:

وبالحديث عن مسيرته الأدبية ککل فهو بلا شكّ أول كاتب يُخرج قراء الأدب الأردی من قصص الخيال إلى القصص الحقيقية المبررة للمجتمع الحقيقي، والتي كانت سبباً لنجاحه الكبير.

أعمال عنايت الله التمش: (۲)

الروایات التاريخية:

- ۱- حجاز کی آمدھی = عاصفة الحجاز.
- ۲- شمشیر بی نیام = السيف المسلول (جزءین).
- ۳- اور نیل بہتارہا = وظل النيل یجری (جزءین).
- ۴- دمشق کی قید خانی میں = فی سجن دمشق.
- ۵- اور ایک بت شکن پیدا ہوا = ولادة محطّم التماثل (خمسہ أجزاء).
- ۶- داستان ایمان فروشوں کی = حکایة الخونة بائعي الإيمان (خمسہ أجزاء).
- ۷- اندلس کی ناگن = أفعی الأندلس.
- ۸- امیر تیمور = الأمير تیمور (روایة مترجمة عن الإنجليزية).

وفاته:

اعتاد عنايت الله المكوث فی مكتب مجلته السردية منذ الصباح الباكر، والكتابة حتى وقت متأخر من الليل، فالكتابة لا نهاية لها عنده، وفي بداية عام ۱۹۹۹م سقط

(۱) اکھیا میٹ کی پیدائش، افسانوی مجموعہ، عنايت الله التمش، پیش لفظ، محرر: شاہد جمیل بن عنايت الله التمش.

(۲) لفظ زندہ رہتی ہیں کتابچہ عنايت الله مرحوم، از ملک کاشف اعوان، جھوک پبلیکیشنز ملتان، 2015ء.

عنايت الله طريح الفراش، فبدأ حفيده عارف محمود يجلس بجانبه ويكتب له، وبعد صراع طويل مع المرض غادر الدنيا هذا الروائي التاريخي الأفاضل للأدب الأردني، في مدينة لاهور في ١٦ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٩٩م، وكان الراحل يبلغ من العمر ٧٩ عاماً، ومن المثير للاهتمام أن تاريخ ١٦ تشرين الثاني نوفمبر ذكرى وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي أيضاً.

تعريفٌ ببعض أشهر أعماله:

شميرلي نيام = السيف المسلول:

هذه رواية رائعة كتبها في مجلدين عن حياة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقصة حياة هذا الحاكم العظيم للإسلام الذي لم يكن في جسده مقدار شبر واحد دون جرح، وصفه المؤرخون من غير المسلمين بأنه قائد عظيم في التاريخ، كان خالد مجاهداً عظيماً لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بـ "سيف الله المسلول"، وكان أحد القادة الذين نشروا الإسلام في كل مكان، هذه القصة هي انعكاس حقيقي للروح العسكرية للإسلام.

دمشق کی قید خانی میں = في سجن دمشق:

هذه قصة جهاد مجاهدي الإسلام الذين عبروا البحر الأبيض المتوسط وأحرقوا القوارب قبالة سواحل الأندلس؛ حتى لا يكون هناك سبيل للعودة، هذه قصة سبعة آلاف من مجاهدي الإسلام الذين تحدوا الجيوش الأوروبية كلها، هذه قصة ابن الأمة الشجاع طارق بن زياد الذي أضاف لتاريخ الإسلام تقليداً مذهلاً وملهماً للإيمان من الشجاعة.

داستان ایمان فروشوں کی = حكاية الخونة بائعي الإيمان

يحتوي هذا الكتاب على أحداث حقيقية من زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي، وتحكي تفاصيل الرواية المعركة التي خاضها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين والقتلة المحترفين للحسن بن الصباح، وهي رواية رائعة جداً عن جنود التاريخ العظماء الذين قدموا تضحيات كثيرة للحفاظ على عظمة الإسلام.

عنايت الله التمش كاتبا روائيا للرواية التاريخية

عنايت الله التمش من أشهر كتاب الرواية التاريخية في الأدب الأردني، إضافةً إلى مشاركته في التأليف في الأنواع الأدبية الأخرى، مثل: القصة، والرواية الاجتماعية، والبوليسية، لكن ظلت شهرته المستفيضة هي الرواية، وخاصة الرواية التاريخية. ألّف بعض الروايات الاجتماعية التي تناول فيها موضوعات المجتمع، فقدم في صورة مثالية مشكلات المجتمع وقضاياها، واضعاً يده على النبض الحساس للمجتمع، وكانت الرواية سبباً في شهرته ونجاحه.

روايته التاريخية *شمشير بے نیام* = السيف المسلول، صوّر فيها في قالبٍ روائيٍّ وأدبيٍّ تلك الملاحم والبطولات العسكرية التي سطرها على صفحات التاريخ الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه، القائد العسكري العظيم في تاريخ الإسلام، وراعى التمش الحقيقة التاريخية، وعدم تحريفها أو العبث بأخبارها في السرد الروائي.

ويقول التمش في مقدمة روايته *اور نیل بہتارہا* = وظل النيل يجري: "أنشأت في هذه الرواية مؤثرات كثيرة، لكن لم أسمح أبداً بمسخ الأحداث التاريخية وتسلسلها".^(١)

وروايته *داستان ایمان فروشوں کی* = حكاية الخونة باعة الإيمان: هذه الرواية أوصلت التمش إلى قمة الشهرة، وتتناول واحداً من أشهر القادة الفاتحين في التاريخ الإسلامي وهو بطل الحروب الصليبية وفتح بيت المقدس صلاح الدين الأيوبي، وصاغ التمش في هذه الرواية حكايات وقصص تلك الحقبة التاريخية المهمة بأسلوب مشوق ومثير، وأحداث الحروب الصليبية، وخيانات العملاء من بائعي الضمائر والإيمان، وما آل إليه مصيرهم في النهاية.

وكان الهدف الأساسي لالتمش في تأليف الرواية التاريخية أن يقدم للأمة تاريخها الماضي في صورة مشرقة، وأن تكون وسيلة لإيقاظ الأمة من سبات الغفلة وإحياء الهمم

(١) *اور نیل بہتارہا* = وظل النيل يجري، عنايت الله التمش، ٢/ المقدمة، اولی دنیا، اردو بازار—ٹولین انڈیا، 2000ء.

وإثارة العزائم، وإبعاد الناشئة والشباب المسلمين من الروايات المهابطة الماحجة التي تنشر العري والفحشاء، وتقديم بديل هادف ومفيد لهم للقراءة، لكن على العموم هناك بعض المناظر والصور المثيرة جنسياً في بعض روايات التمش، مثل روايته: حكاية الخونة باعة الإيمان، التي تحتوي على بعض المناظر المهيجة للدماغ والقلب، وهذه إحدى سلبيات الرواية، التي قد يكون الروائي أضافها من أجل التشويق والإثارة، في حين أن بعض الروائيين الآخرين يغلفون مثل هذه المناظر في ألفاظ رومانسية، إلا أن التمش يختلف عنهم.

تأليف الرواية التاريخية فن مستعصٍ وعسير، من حيث الجمع والامتزاج بين الحدث التاريخي والسرد الخيالي، وإذا كانت خلفية الروائي التاريخية سطحيةً وعابرةً فإنه لن يوفي الرواية حقها من الحقيقة، وتبقى الرواية بذلك في دائرة الشك.

كما يجب على الروائي التاريخي أن يكون على إحاطة تامة بالجغرافيا الطبيعية، لإيضاح صورة ميدان المعركة، ورصد تحركات الجيوش، وهذه الميزة نجدها لدى التمش الذي اهتم في رواياته التاريخية بتصوير المناظر والأحداث الروائية في ميادين المعارك بالاستعانة بجغرافيا المنطقة، وكأن الروائي موجوداً هناك يراقب الكلّ عن كثب.

وهذه الميزة الفنية اهتم بها التمش في رواياته التاريخية، لكنه ارتكب عدة أخطاء على المستوى الفني في تقديم الصورة النمذجية للمواقع الجغرافية، فحين وصف التمش مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه بجيشه من فارس إلى الشام، سالكاً طريق الصحراء، التي سماها صحراء الموت، قدّم التمش أوصافاً خيالية لهذه الصحراء، لكن هذه الأوصاف لا توجد في المراجع التاريخية، وأيضاً لم يقدم التمش صورة واضحة عن قصور كسرى وقيصر، فبقيت الصورة مغبّشة وناقصة.

وعلى العموم فإن الروايات التاريخية لا لتمش مثيرة وجذابة للقراء، لكنها ناقصة في موازين نقاد الأدب.

المكانة الأدبية لروايات عنايت الله التمش التاريخية

لا شك أن عنايت الله التمش من أهم الروائيين في الأدب الأردني ممن ألفوا الرواية التاريخية، وكتبوا التاريخ الإسلامي بصورة مشوقة ومثيرة، فاختر التمش الأحداث التاريخية الهامة، وجعلها مادةً لرواياته التاريخية.

الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام من أهم المراحل في تاريخ الإسلام، فكانت مرحلة ثرية بالمعارك والأحداث، مثل: سقوط إمبراطوريتي قيصر وكسرى، وفتح فلسطين والعراق والشام وغيرها، وهذه الأحداث التاريخية بينها المؤرخون بالتفصيل في كتبهم، ولكن يبقى سردها في قالبٍ روائيٍّ أمراً عسيراً؛ لضرورة الاطلاع والإحاطة بتفاصيل هذه المرحلة، ولصعوبة التزاج بين الحقيقة التاريخية والخيال الأدبي، لا سيما في هذه المرحلة الحرجة والحساسة من تاريخ الإسلام، لكن اضطلع التمش بهذه المهمة العسيرة، وخطّ بقلمه عدة روايات تاريخية عن هذه الحقبة التاريخية، مثل روايات: حجازي آندھی = عاصفة الحجاز، اور نیل بہتارہا = وظل النيل يجري، شمشیر بے نیام = السيف المسلول.

ومن أهم الأحداث التاريخية التي تناولها التمش: الحروب الصليبية التي قام بها حكام أوروبا وأهلها من النصاري تحت غطاء الدفاع عن الدين، وكان نور الدين زنكي يتمنى تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين، ولكنه مات قبل تحقيق أمنيته، فكان صلاح الدين الأيوبي هو القائد العسكري المسلم الذي أعاد تنظيم الجيش، وحقق حلم أستاذه ومربيه العظيم نور الدين زنكي.

والرواية التاريخية الأخرى لالتمش هي: داستان ایمان فروشوں کی = حكاية الخونة باعة الإيمان، وهي رواية ضخمة تقع في خمس مجلدات، نشرت الرواية على أجزاء وأقساط في إحدى المجلات، ثم نشرت مجمعة في شكل كتاب، وعلى الرغم من أن الرواية مشوقة وجاذبة للقراء، إلا أنها من الناحية الفنية لا تنتمي إلى روايات الروائيين البارزين في

المستوى الأول، فالحبكة ليست قوية ومحكمة جداً، لا يتحكم فيها الروائي بصورة منطقية، إضافة إلى أن طول الرواية يبعث الملل والسآمة في نفس القارئ.

تمتلى الرواية بالحكايات والقصص الجاسوسية، مما جعل الرواية تبدو في مجملها رواية جاسوسية، اقتبست مادتها من التاريخ، والعيب الأبرز في هذه الرواية أنها استعانت بالمحتوى الجنسي الساقط والمناظر الرومانسية لجذب القارئ.

وعلى العموم تعدّ الرواية من أفضل الروايات التاريخية المؤلفة في الأدب الأردني، على الرغم من عيوبها الفنية التي سبق ذكرها، والتي تقلل من قيمتها الأدبية.

أما رواية (شمشير بے نیام) = السيف المسلول فتقع في مجلدين، وتتناول حياة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وما قام به من البطولات والفتوحات والملاحم، وحبكة الرواية سريعة ونشطة، وشخصياتها الروائية حقيقية موجودة في كتب السيرة والتاريخ، وقد حاول الروائي أن يقدم أيضاً صورة اجتماعية للمجتمع من خلال هذه الرواية، وتقديم صورة للمرأة العربية المسلمة، ومشاركتها الفعالة في المعارك، لا سيما في إنقاذ الجرحى وإسعافهم.

الفصل الثاني

عرض روايات عنايت الله التمش
التاريخية

عرض روايات عنايت الله التمش التاريخية

هذا الفصل يتضمن النقاط التالية:

- عرض رواية (حكاية الخونة باعة الإيمان).
- عرض رواية (السيف المسلول).
- عرض رواية (عاصفة الحجاز).
- عرض رواية (ولادة محطّم التماثيل).
- عرض رواية (أفعى الأندلس).
- عرض رواية (الأمير تيمور).
- عرض رواية (وظل النيل يجري).
- عرض رواية (في سجن دمشق).

عرض رواية "حكاية الخونة باعة الإيمان" (۱)

"داستان ایمان فروشوں کی" = حكاية الخونة باعة الإيمان: رواية رائعة للغاية، كُتِبَ فيها عن الحملات الحربية للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الأيوبي، مؤسس الإمبراطورية الأيوبية، وُلِدَ السلطان عام ۱۱۳۸م في مدينة تكريت العراقية، الواقعة في كردستان العراق، وهو كرديّ النسل، في البداية كان ضابطاً في الجيش في عهد السلطان نور الدين زنكي، وقد شارك أيضاً مع الجيش الإسلامي في مصر، وكان عمه - شيركوه - قائداً في تلك المعركة، وبعد فتح مصر عُيِّنَ صلاح الدين حاكماً لمصر عام ۵۶۴هـ، ثم فتح اليمن أيضاً في نفس الفترة، وبعد وفاة نور الدين زنكي، تولى صلاح الدين السلطة.

حقّق صلاح الدين إنجازات كثيرة، وكان صدره مليئاً بروح الجهاد، وكان غزو القدس أعظم رغباته، وبعد فتح مصر، غزا صلاح الدين سوريا والموصل وحلب وغيرها بحلول عام ۱۱۸۲م، ودمجها في إمبراطوريته.

وفي غضون ذلك، وقّع معاهدة سلام لمدة أربع سنوات مع الصليبي رينولد، وبموجب الاتفاق، كان الاثنان ملزمين بمساعدة بعضهما البعض، لكن الاتفاق كان ورقياً ورسمياً فقط، وكان الصليبيون لا يزالون منشغلين باستفزازاتهم، وكانوا ينتهبون قوافل المسلمين باستمرار، وفي عام ۱۱۸۶م، تجرأ رينولد على مهاجمة الحجاز المقدس مع العديد من الأباطرة المسيحيين الآخرين ليحتل المدينة المنورة، فاتخذ صلاح الدين الأيوبي خطوات لوقف أنشطته، وتبعه على الفور حتى أدركه في حطين، وهنا صبّ السلطان مادة قابلة للاشتعال على جيش العدو، مما تسبب في اندلاع حريق على الأرض، وهكذا بدأت في حطين أفظع حرب في التاريخ، وقُتِل ثلاثون ألف مسيحي في هذه

(۱) اختصرتها الباحثة بأسلوبها من رواية "داستان ایمان فروشوں کی صلاح الدین ایوبی کے دور کی حقیقی کہانیاں عورت اور ایمان کی معرکہ آرائیاں" = حكاية الخونة باعة الإيمان قصص واقعية من عصر صلاح الدين الأيوبي، الصراع بين المرأة والإيمان، عنايت الله التمش.

الحرب، واعتُقل منهم ثلاثون ألف آخرون، وتمكن المسلمون من أسر رينولد، فقطع السلطان رأسه بيده. وبعد هذه المعركة غزت القوات الإسلامية المناطق المسيحية.

ثم توجه صلاح الدين إلى القدس بعد فتح حطين. واستسلم المسيحيون بعد أسبوع من القتال الدامي، وتوصلوا إلى المسلمين بالرحمة، واستعاد المسلمون القدس بعد ٨٨ عامًا، وانتهى الاحتلال المسيحي في فلسطين. وكان فتح القدس إنجازاً عظيماً لصلاح الدين الأيوبي، فدخل المسجد الأقصى ووضع المنبر -الذي أعده نور الدين- في المسجد بيده، وبذلك تحققت رغبة نور الدين بيده.

ودخل صلاح الدين القدس فاتحاً مثالياً، لم يرتكب الفظائع التي ارتكبتها القوات المسيحية أثناء احتلالها للمدينة من قبل، فأخذ الفدية ممن أراد البقاء على المسيحية، وأذن لهم في الخروج، والفقراء الذين لم يستطيعوا دفع فديتهم لأنفسهم دفعها عنهم صلاح الدين وأخوه الملك العادل.

وعندما سيطر المسلمون على القدس وانتهى حكم المسيحيين الذي كان قائماً في فلسطين منذ عام ١٠٩٩م، وبعد فترة وجيزة، وقعت أراضي فلسطين بأكملها تحت الحكم الإسلامي، واضطربت أوروبا عندما وصلت أخبار القدس، وبدأت في الاستعداد للمعركة في جميع بلدانها، وبدأت القوات من ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وإنجلترا بالتوجه إلى فلسطين، ووصل ملك إنجلترا ريتشارد الذي اشتهر بشجاعته، والملك الفرنسي فيليب أوغسطس إلى فلسطين بقواتهما، وبلغ عدد الجيش الأوروبي الموحد ٦٠٠ ألف مقاتل، كما كان يرافقهم فريدريك ببروسا -ملك ألمانيا- في هذه المعركة.

وخرج هذا الجيش العرمرم من أوروبا ووصل إلى ميناء مكة وبدأ بمحاصرتها، وكان السلطان صلاح الدين وحده أنهى جميع الترتيبات الأمنية لمكة، وأما الصليبيون فكانوا يتلقون المساعدات باستمرار من أوروبا.

قُتل عشرات الآلاف من المسيحيين في معركة واحدة، لكن الصليبيين واصلوا حصارهم، ولم تقم أي دولة إسلامية أخرى بتقديم العون والمساعدة للسلطان، وأظهرت الأمة الإسلامية جُبناً وخوفاً كبيراً، وانقطعت العلاقة بين أهل المدينة والسلطان بسبب

الحصار الصليبي، ولم يستطع السلطان مساعدة المسلمين رغم جهوده الطيبة، وضاق أهل مكة بالحصار الصليبي، ولذلك وافقوا على تسليم المدينة للمسيحيين بوعده السلام. وتم الاتفاق بين الطرفين، ووعد المسلمون بدفع مائتي ألف دينار فديةً للمسيحيين، واستسلم المسلمون بعد قبول شروط السلم وإعادة الصليب الأكبر وخمسمائة أسير مسيحي لهم. وسمح للمسلمين بمغادرة المدينة بكل أمتعتهم، لكن ريتشارد نقض عهده وقتل المحاصرين. واتجه الصليبيون (بعد مكة) إلى ميناء عسقلان الفلسطيني، وفي طريق الوصول إلى عسقلان، حارب السلطان المسيحيين إحدى عشرة أو اثنتي عشرة مرة، وكانت معركة الأرسوف أكثر أهمية في هذه المعارك، وأظهر السلطان أمثلة مشرقة من الشجاعة والفروسية فيها، ولكن بما أنه لم تأت أي مساعدة من أي حكومة إسلامية، وخاصة من قبل الخليفة في بغداد، لذلك كان على السلطان أن يتراجع. وفي أثناء عودته دمر السلطان مدينة عسقلان بنفسه، وعندما وصل الصليبيون لم يجدوا سوى كومة من الطوب، وفي غضون ذلك، أكمل السلطان الاستعدادات لحماية القدس، لأن القدس كانت من الأهداف الرئيسية للصليبيين.

وواجه السلطان مع جيشه الصغير بشجاعة كبيرة هذا الجيش الضخم، ولما رأى الصليبيون أنه لم يعد هناك أي أمل في النصر، مالوا إلى الصلح، وتم التوصل إلى اتفاق سلام بين الطرفين، وهكذا انتهت الحرب الصليبية الثالثة.

ولم يريح المسيحيون شيئاً في هذه الحملة الصليبية غير مكة، وفشلوا فشلاً ذريعاً، وتأثر ريتشارد بكرم السلطان وشجاعته، وغرق ملك ألمانيا أثناء هروبه في النهر، وشارك في تلك الحروب حوالي ستمائة ألف مسيحي.

وكانت شروط الاتفاقية على النحو التالي:

ستبقى القدس مع المسلمين، وسقطت أرسوف، وحيفا، ويافا، ومكة في أيدي الصليبيين، تم الاعتراف بمدينة عسقلان منطقة حرة، وسمح للزوار بالسفر، وبقي الصليب الأعظم في أيدي المسلمين.

وهكذا أثبت صلاح الدين في الحملة الصليبية الثالثة أنه أقوى حاكم في العالم، كان صلاح الدين شجاعاً وكرماً، يعامل المسيحيين في المعارك معاملة حسنة، ولذلك لا يزال المسيحيون يحترمونه، وكان مغرمًا بالجهد، ذات مرة أصيب بالدمامل في جسده السفلي، ولم يستطع الجلوس وتناول الطعام، ولكن حتى في هذه الحالة لم يطرأ أيّ تغيير في نشاطه للجهد، ومكث على ظهور الخيل من الصباح حتى الظهر ومن بعد الظهر إلى المساء، وكان يقول إنه طالما بقيت على ظهر حصان، فإن الألم يزول، وبعد النزول منه، يبدأ الألم مُجدّداً.

وسمح صلاح الدين للمسيحيين بزيارة القدس بعد المصالحة معهم، وبدأ الأوروبيون -الذين طال انتظارهم- في زيارة القدس وكثُر عددهم حتى أصبح من الصعب على الملك ريتشارد اتخاذ الترتيبات اللازمة، وطلب من السلطان عدم السماح لأي شخص بدخول القدس دون إذنه، ولكن السلطان لم يأخذ برأيه ومنح لهم حرية كاملة، وقام أيضاً بتقديم الطعام والضيافة لهؤلاء الزائرين.

وكانت معاملة صلاح الدين لغير المسلمين متوافقة مع تعاليم الإسلام، وهذا يثبت أن حقوق غير المسلمين محمية في جميع الحكومات الإسلامية. وكانت طريقة حياة صلاح الدين بسيطة مثل حياة نور الدين زنكي، ولم يستخدم الحرير مطلقاً، وكان يعيش في بيتٍ بسيطٍ بدلاً من القصر.

واستمرت القدس تحت الحكم الإسلامي حوالي ٧٦١ سنة. ولكن في عام ١٩٤٨م، بسبب مؤامرة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وجبن المسلمين، وابتزاز بعضهم البعض، وغفلة الأمة الإسلامية، تأسست الإمبراطورية اليهودية في الأراضي الفلسطينية، وسقطت نصف القدس في أيدي اليهود، ثم احتل الإسرائيليون القدس في الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧م.

وتوفي صلاح الدين عام ٥٨٩هـ، ودفن في ضواحي الجامع الأموي الشهير بدمشق -العاصمة الحالية لسوريا-. حكم صلاح الدين لمدة عشرين عاماً، وفقاً لابن خلكان المؤرخ، كان يوم وفاته مؤملاً للغاية، حتى إن مثل هذا اليوم المؤلم لم يأت على

الإسلام والمسلمين بعد وفاة الخلفاء الراشدين. كما أشاد المؤرخ الإنجليزي المعاصر "لين بول" بالسلطان، وكتب أن هناك فرقاً غريباً بينه وبين معاصريه من الملوك؛ تم تكريم الملوك على شرفهم ومجدهم، ونال صلاح الدين هذه المرتبة بحبه لشعبه والاهتمام بشؤونهم. وكانت الحكومة التي شكلها صلاح الدين الأيوبي، تُسمى "الأيوبية" على اسم والده نجم الدين الأيوبي، وكان صلاح الدين الأيوبي قائداً حكيماً ومقتدراً لكنه لم يستطع تحرير نفسه من المفهوم التقليدي، وقد اضمحلّ التصوّر الحقيقي للخلافة في المجتمع المسلم إلى حد كبير، حتى إن الحكام مثل: نور الدين وصلاح الدين أيضاً فكروا في النظام الملكي.

وفي مسألة الخلافة ارتكب صلاح الدين نفس الخطأ الذي ارتكبه هارون الرشيد من قبل، وجميع الحكام منذ عهد السلاجقة، وقسم إمبراطوريته في أبنائه الثلاثة وفقاً للتقاليد الخاطئة في ذلك الوقت، وتسبب ذلك في ضعفها، ومع ذلك، لم يزل حكام الأسرة الأيوبية هم البارزون، بما في ذلك شقيق صلاح الدين الملك العادل وابنه الملك الكامل، لقد أبقوا مصر وسوريا والحجاز واليمن متحدةً إلى مدة كبيرة لما يقرب من ستين عاماً. وفي عام ٦٤٨هـ، انتهى حكم السلالة الأيوبية، وحلت محلها حكومة العبيد الأتراك (المماليك).

"حكاية الخونة" هي قصة المجاهدين العظام، والجنود المجهولين الذين لم يُنصفهم التاريخ، وهناك رجال لم يعطهم التاريخ منزلتهم الحقيقية، ومنهم: علي، وغيث الدين، والقاضي بهاء الدين شداد، وغيرهم، ولقد بذل المؤلف عنايت الله التمش قسارى جهده لإبراز دور هذه الشخصيات العظيمة للعالم، في هذه الرواية الرائعة.

عرض رواية "السيف المسلول" (١)

كان خالد بن الوليد سيف الإسلام المسلول دائماً ضد الكفر، وكان أحد القادة المعروفين الذين ساهموا في نشر الإسلام، وأوصلوه حتى بلغوا شتى أنحاء العالم.

يعد خالد بن الوليد من القادة العظماء ودهاة الحرب، لا في تاريخ الإسلام فحسب، بل في تاريخ الحروب العالمية، ولقد تحيّر التاريخ من هزيمة جيش الروم على أيدي المسلمين في معركة اليرموك، مع أن المسلمين كانوا أربعين ألف مقاتل، وأما الفرس فكان جيشهم يزيد على مائة ألف، ثم افتتح المسلمون بيت القدس.

ولما عزله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استبدل به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فرضي بقضائه ولم يتسبب بأية مشاكل، بل شارك جندياً في المعركة، وحطمّ القوتين المتحاربتين العظيمتين، وهما: الروم والفرس.

وفي السنة الثامنة خرج شاب من مكة واتجه إلى المدينة المنورة وكان يحمل أمنيات جديدة وفي أثناء طريقه عاد تفكيره إلى ما حدث قبل سبع سنوات، عندما كان رؤساء قريش قد اجتمعوا حول بيت النبي صلى الله عليه وسلم بإرادة قتله، فلم يجدوه، وكان من بينهم الوليد بن المغيرة والد خالد، ولكنه استمر في مشيته بهدوء، ثم تذكر اليوم الذي أعلن فيه حفيد عبد المطلب نبوته على جبل الصفا، فضحك الناس منه، واستهزؤوا به، وكان فيهم والده الوليد بن المغيرة.

وتذكر خالد بن الوليد انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى، ولكن خالد لم يشهد تلك المعركة التي نال الكفار فيها هزيمة مخزية، ثم تذكر غزوة أحد التي ظهر فيها نفاق عبد الله بن أبي بن سلول عندما فارق الجيش مع ثلاثمائة مقاتل، وتمكن المسلمون من هزيمة جيش الكفار في بداية المعركة، ثم نزل بعض الصحابة الذين عينهم النبي صلى الله عليه وسلم على جبل الرماة، فأغار العدو مرة أخرى، وانتصر في المعركة بعد هزيمته،

(١) اختصرتها الباحثة بأسلوبها من رواية: "شمشير بي نيام تاريخي ناول خالد بن الوليد كي داستان شجاعت" = السيف المسلول رواية تاريخية حكاية شجاعة خالد بن الوليد، عنايت الله التمش.

وقد أصيب المسلمون بجروح كثيرة في هذه المعركة، واستشهد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم تذكر خالد بن الوليد حادثة الرجيع، حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ستة من الصحابة إلى حي بئر الرجيع، وكان ذلك بطلب من شارجة بن مغيث؛ ليعث معه من يعلمهم شرائع الإسلام، فخرجوا مع القوم، وفي أثناء الطريق خدعهم، وأغاروا عليهم، فقتل منهم أربعة، وبقي منهم رجلان، فقيّدوهما (أي ربطوهما) ثم باعهما في مكة، واشترهما أبو سفيان وزوجته هند، فأذوهما حتى فارقا الحياة، وعلق المشركون جثتيهما لعدة أيام.

ثم تذكر خالد بن الوليد عندما جاء رؤساء بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع من قبائل اليهود وحرصوا أبا سفيان على قتال المسلمين ووعدهم بتأييدهم ونصرهم الكامل، وانضمت إليهم قبائل غطفان وأسد بناء على طلب من حيي بن أخطب، وتجمعت قبائل أخرى مع جيش أبي سفيان حتى تجاوز عددهم عشرة آلاف جندي، وأرسل أبو سفيان جواسيسه لمعرفة ما إذا كان المسلمون على علم بالهجوم؟؛ لأن أبا سفيان كان يريد أن ينتقم من المسلمين وأن يهاجمهم دون علمهم.

ولما عاد الجواسيس أخبروه بأن المسلمين على علم مسبق بقدوم الأحزاب ومنزعجين من كثرة عددهم، ولكن لما جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بأن الفوز للمسلمين في كلا الحالين، إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله، فتعالت همم المؤمنين بذلك واستعدوا لمواجهة العدو، وكان عدد المسلمين في هذه المعركة حوالي ثلاثة آلاف جندي، وسلمان الفارسي رضي الله عنه الذي كان من عباد النار (المجوسيين) قبل الإسلام أشار على النبي صلى الله عليه وسلم أن يحفر الخندق حول المدينة المنورة.

وكان الكفار مخيمين على جانب أحد، غير مدركين بما سيفاجئهم المسلمون به من خطط استراتيجية، وكانت هذه هي المرة الأولى التي قابلوا فيها مثل هذه الخطط الاستراتيجية الحربية، وبدأ المسلمون بحفر الخندق، وكان ممتداً من جبل الشيخين إلى قمة جبل بني عبيد، وتقع جبال الشيخين شرق المدينة، وتقوم مقام حصن طبيعي للمدينة

المنورة، ولما جاء أبو سفيان مع الجيش اندهش برؤية الخندق، وشعر خالد وعكرمة بنفس الإحساس، وتيقنوا أن عبور الخندق صعب جداً، وحتى لو تم تجاوزه فسيكون من الصعب للغاية مقاتلة المسلمين، ورأوا أن الحصار هو الأنسب في هذا الوقت؛ لكي يتعرض المسلمون للأذى والجوع والمشقة فيخرجوا إليهم، فكم سيقون محاصرين بلا طعام؟!!

وفي غضون شهر بدأ نقص الغذاء في كلا الطرفين، وأتت قريش إلى بني قريظة وحرضوهم على قتال المسلمين، مع أن بني قريظة كانوا في عهد صلح مع المسلمين، إلا أن رؤساء قريش تمكنوا من إغرائهم على المسلمين، ولكن حيلة نعيم الغطفاني قد أثرت في تفريقهم وتشيتتهم.

وذاث يوم أخذ عكرمة بن أبي جهل معه ستة أو سبعة فرسان، وعبر الخندق، وكان معه عمرو بن عبد ودّ الذي اشتهر بقوته في الجزيرة العربية، وبدأ المبارزة وفق تقاليد العرب، فبارز عمرو بن عبد ود المسلمين، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب لمبارزته، ودعا له، فقتل عمرو بن عبد ودّ، ثم لم يجرؤ أحد على عبور الخندق، وبعد أيام قليلة تجرأ خالد بن الوليد على عبور الخندق ولكنه لما لم يجد أي فرصة للقتال، ففقل راجعا إلى جيشه، وذاث ليلة هبت عواصف شديدة فاقتلعت خيام قريش، فهرب الجيش وعادوا إلى مكة، وأثبتت تلك الرياح أن الله تعالى مع المؤمنين.

ثم تذكّر خالد بن الوليد فتح خيبر الذي سلّمه اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم خوفا من المسلمين، ولكن اليهود لم يتوقفوا عن الغش وبدؤوا يبايعونه، وكانت هناك امرأة يهودية تُسمّى زينب بنت الحارث، دعت النبي صلى الله عليه وسلم ليأكل الطعام في بيتها، فلم يرفض دعوتها، وذهب إلى بيتها وكان برفقته بشار بن البار، فلما وضع الطعام في فمه شعر بالسم، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشار بن البار بأن الطعام مسموم، فتقيأ ما أكل من الطعام مباشرة، لكن السم كان شديدا ولذلك سقط ومات لتسممه، وعندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية اعترفت، وقالت:

لقد وضعت السم في الطعام. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها، وعامل عائلتها معاملةً طيبةً.

ثم تذكّر خالد بن الوليد صلح الحديبية عندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه للعمرة وخافت قريش من مهاجمته لمكة المكرمة، فجهز خالد بن الوليد جيشاً قوامه ثلاثمائة جندي، وأخذه معه، ونصب كميناً للمسلمين في طريقهم إلى (كراع النعيم) ولكن لما علم خالد بأن المسلمين قد ذهبوا في اتجاه آخر، نزل بالحديبية على بعد ثلاثة عشر ميلاً من مكة المكرمة، وأرسل مبعوثاً إلى أبي سفيان ليخبره أن المسلمين لم يأتوا للهجوم، بل لأداء العمرة.

وقال أبو سفيان: يجب أن نبعث حَكَمًا من كلا الطرفين، وأخيراً اتفق الفريقان على شروط الصلح، واشتهر الصلح بصلح الحديبية. وكان المسلمون قد خاضوا ثمانٍ وعشرين معركة بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زمن الحديبية.

ثم وصل خالد بن الوليد إلى المدينة المنورة ماشياً على الأقدام، وطرق باب النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره عن سبب زيارته واعتنق الإسلام.

عاشت قبيلة غسان فيما يعرف الآن بـ (سوريا والأردن)، وكانت على تحالف مع الإمبراطورية الرومية العظيمة التي كان يحكمها هرقل، وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثاً مع أربعة رجال إلى ملك غسان يدعوه إلى الإسلام، فقتل المبعوث شرحبيل بن عمرو في طريقه إلى غسان بمؤتة، ومُنِع أصحابه من الذهاب إلى ملك غسان، وعندما وصل بقية الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروهم بقتل المبعوث شرحبيل بن عمرو أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالاستعداد للهجوم والإغارة على العدو - وكان قتل المبعوث في تلك الأيام بمثابة إعلان الحرب-، وكان هرقل وغسان في تحالف فيما بينهم، ويُقال إن القوات المشتركة للجيشين كانت مائة ألف فأكثر، فخرج المجاهدون لمواجهة جيش الكفار (جيش غسان وجيش الروم) ووصلوا إلى موضع يُقال له "البلقاء"، وكان عدد المجاهدين في تلك المعركة حوالي ثلاثة آلاف جندي فقط.

وكان جيش المسلمين في الخلف، وأراد المسلمون أن يتقدموا، لكن جيش هرقل وغسان اعترضوا طريقهم، وتقابل الجيشان في مؤتة، وسيطر غسان وجيش هرقل في بداية المعركة على المسلمين، واستشهد القادة الثلاثة الذين عيّنهم النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم زيد بن حارثة الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم قائدا للجيش، وأرشدتهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا استشهد زيد بن حارثة فليأخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وبعده عبد الله بن رواحة، فاذا استشهدوا جميعاً فللمسلمين أن يختاروا أميرهم، وبعد استشهد الأُمراء الثلاثة عُيِّنَ خالد بن الوليد أميراً للجيش مع أنه كان حديث العهد بالإسلام، فقد أسلم قبل ثلاثة أشهر، ولكن خالد بن الوليد قاتل بجرأة شديدة، حتى كُسرت في يديه تسعة سيوف، وانتهت المعركة دون أي نتيجة، ولما وصل المسلمون إلى المدينة المنورة، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم وقائع الحرب لقّب خالد بن الوليد بسيف الله، وضعفت هم المشركين بعد هذه المعركة.

وحين تعاهد المسلمون صلح الحديبية كانت تسكن هناك قبيلتان، إحداهما بنو بكر والأخرى خزاعة، وكانتا تتشاجران فيما بينهما، فتحالفت بنو بكر مع قريش، وخزاعة مع المسلمين، فتخاصمت القبيلتان فيما بينهما، فسبقت قريش لنصرة بني بكر، فشكت خزاعة ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فعلم بأن قريشاً قد نقضت عهدها؛ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإغارة على مكة، فتجهز الجيش في عدة أيام، وكان عدد هذا الجيش حوالي عشرة آلاف جنديٍّ، وقد وانضمت إليه القبائل المحيطة بالمدينة المنورة، فلما وصل جيش المؤمنين إلى وادي "مَرَّ الظهران" اكتشف النبي صلى الله عليه وسلم من الجواسيس أن أهل مكة ليسوا على علم بقدوم المؤمنين، وهذا ما كان يريده النبي صلى الله عليه وسلم (أي: أن يهجم على مكة دون علم أهلها).

وبعد استراحة قصيرة، استمر الجيش الإسلامي في السير، فلما وصل إلى الجحفة رأوا العباس عمّ النبي صلى الله عليه وسلم قادماً، فسألوه، فقال إنه في طريقه إلى المدينة المنورة لاعتناق الإسلام، وعندما رأى الجيش توسّل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعطي أهل مكة فُرصة؛ لأنّ أغلب أهل مكة كانوا يريدون اعتناق الإسلام، فقَبِلَ النبي

صلى الله عليه وسلم ذلك، وَبَعَثَ برسالته إلى أبي سفيان: أن من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن بقي في بيته فهو آمن، ولكن من خرج بالسلاح فسوف يُعْتَبَرُ ذلك حرباً وسوف يُعامل معاملة الحرب، وهكذا دخل المسلمون مكة بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبينما كانت الأمور صالحة؛ بدأ الوضع بالتدهور بسبب سعي قبيلتي هوازن وثقيف لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خرجت جميع القبائل معاً لتدمير ومهاجمة مكة، وكان من بينهم ذُرَيْدُ بن الصِّمَّة وهو شيخٌ ضعيفٌ، كان يدرب قبيلتي ثقيف وهوازن للقتال، وعندما كان هذا الجيش في أوطاس أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنهم واستعدادهم للهجوم على مكة، ومع أن الوضع لم يكن صالحاً للقتال إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المجاهدين بالاستعداد للهجوم والسير إلى الطائف، وأعجب المسلمون بكثرتهم وقوتهم في ذلك اليوم، وقالوا: لن يغلب علينا اليوم أحد، وبينما هم في الطريق إذ فاجأهم العدو بالنبال، ففرّ من كان في مقدمة الجيش، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أعادهم إلى القتال، وجمعهم مرةً ثانيةً، وقد ذُكر ذلك في سورة التوبة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۖ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۖ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مَنِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٥﴾ (١).

ثم تتابع المسلمون بهجمات متتاليات على العدو؛ مما تسبب ذلك في خسائر فادحة في الأرواح والأموال لثقيف وهوازن. ثم كانت غزوة الطائف التي تحصن فيها عوف بن مالك بعد انهزامه من أوطاس فسار إليه النبي صلى الله عليه وسلم، واختار طريقاً آخر فدخل الطائف من وادي "القرن"، وكانت ثقيف مطمئنين.

(١) سورة التوبة، الآيات: ٢٥ - ٢٧.

وأما هوازن فقد خسروا أموالهم وأنفسهم في غزوة حنين، ولم يكن أهل الطائف على علم بقدوم المسلمين، ولما نزل المسلمون بالطائف حاصروا أهلها؛ فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً وأصابوهم بجروح كثيرة، وبعد أيام قليلة من الحصار رأى النبي صلى الله عليه وسلم العودة إلى مكة؛ لأن هذه المعركة كانت بعد أيام قليلة من فتح مكة، وكان من الضروري أن ينتبهوا إلى الأمور الإدارية التي هي أهم من ذلك (أي: الحصار).

وبعد بضعة أيام جاء عوف بن مالك إلى معسكر المسلمين من الطائف ليعتني بالإسلام، فانتهدت عبودية اللات إلى الأبد، ثم في أكتوبر ٦٣٠م في شدة الحر أمر النبي صلى الله عليه وسلم جيش المسلمين أن يخرج إلى تبوك لمقابلة الروم، وعندما وصل الجيش إلى تبوك، بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بتوحيد القبائل المجاورة وانضمامها إليه، وكانت من بينهم: أيلة، ومقننة، وزرح، وجربة. وجميع هذه القبائل تعاهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم وانضمت إليه.

وكان في "دومة الجندل" رجل يسمى أكيدر بن عبد الملك، وكان من أشد أعداء الإسلام، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربعمائة فارس إلى "أكيدر بن عبد الملك" -ملك دومة الجندل-، وأمره بأن يأتي به إليه أسيراً أو قتيلاً، فلما دخل خالد الصحراء أقام مع جيشه، فما لبث أن رأى أكيدر يخرج في الصيد من المدينة، فتعقبه خالد مع فرسانه، فلما ابتعد أكيدر من المدينة (أي: دومة الجندل) حاصره جيش خالد، وأسروه وأتوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ولما تيقن أعداء الإسلام أنهم لن يستطيعوا أن يهزموا الإسلام والمسلمين في القتال، حاولوا في تضعيف الإسلام بطرق أخرى وبدأت ادعاءات النبوة في مناطق مختلفة، ومن ادعى النبوة: الأسود العنسي من اليمن، وطليحة من بني أسد، ومسيلمة من بني حنيفة، وكلهم كانوا سحرة، وقُتل الأسود العنسي في زمن النبوة، وسجاح بنت الحارث، وكانت قد أعدت جيشاً لها، وكانت تنهب المال من القبائل وتغزوها، حتى إذا وصلت إلى مسيلمة الكذاب وقعت في حبه، وتزوجته. ولكنها لما اكتشفت فيما بعد أن مسيلمة قد خانها؛ فعادت إلى قبيلتها في العراق، وتراجعت عن النبوة وأسلمت، ولما

تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه خلافة المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ظهرت العديد من الصعوبات التي كان لابد من إزالتها على الفور، وكانت من تلك المسائل إرسال جيش أسامة بن زيد إلى الروم.

فأرسل أبو بكر رضي الله عنه جيش أسامة إلى الروم، وفي غضون أربعين يوما عاد هذا الجيش منتصرا، والعقبة الثانية هي مسألة قتال المرتدين، وكان طليحة ومسيلمة أقوى هؤلاء المرتدين وأخطرهم على الإسلام، وبعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد لقتال هؤلاء المرتدين، ومن البدهي أنهم كانوا على استعداد تام لمواجهة المسلمين، لكن خالد بن الوليد فاجأهم بسرعة وصوله، وانضمت إليه بعض القبائل.

وكان عيينة بن مسلم قد أسلم خوفا من المسلمين، ثم ارتد بعد ذلك، وانضم إلى جيش طليحة، وصار قائدا لجيشه، فانهزم جيش طليحة، وفر مع زوجته، ثم أسلم بعد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخضع خالد بن الوليد كثيرا من المرتدين، وأعادهم إلى الإسلام، وكذلك عاقب جميع من ارتد عن الإسلام، أو ادعى النبوة بعد ذلك، وكانت أم زمل سلمى بنت مالك من هؤلاء المرتدين، وكانت أمها امرأة مشهورة من بني نوية، وكان مالك بن نوية من زعماء القرية، فلما رأى أن أكثر أهل القرية أسلموا؛ دخل في الإسلام، ثم ارتد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبدأ في اضطهاد المسلمين وإيذائهم، فأتى خالد بن الوليد لمواجهته وقتاله.

وفي الأسبوع الأول من شهر نوفمبر ٦٣٢م وصل خالد إلى بطاح، لكن مالك بن نوية كان قد هرب من قريته، فلم يجده خالد، ثم قُتل مالك بن نوية فيما بعد.

وفي ديسمبر ٦٣٢م / شوال ١١هـ خاض خالد بن الوليد معركة دامية مع ألف وثلاثمائة مقاتل ضد جيش قوامه أربعين ألف مقاتل في اليمامة، ودارت المعركة الأخيرة في حديقة كانت تُسمى بحديقة الرحمن، وقُتل هناك مئات الجنود، وسميت بعد ذلك بحديقة الموت. وفي عام ٦٣٣م ذهب المثني بن حارثة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعرفه قيس بن عاصم المنقري إلى أبي بكر فقال: إن هذا الرجل هو الذي يخاف منه أهل فارس والعراق، وهذا هو الذي أشعل شمعة الإسلام في رياح الكفر والردة.

وعندما انتهت حروب الردة بدأت جيوش المسلمين في المحاربة ضد الإيرانيين وسقطت "أبلّة" و"العراق" من مناطق إيران، وسقطت الإمبراطورية الفارسية تدريجياً بأكملها بأيدي المسلمين، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يواجه فيها المسلمون بمثل هذه الإمبراطورية الكبيرة.

وغزا المسلمون هذه المعركة بقيادة خالد بن الوليد، وهزموا المجوس بمنطقة "كاظم"، وكذلك هزم جيش الكفار في أبلّة التي تقع جنوب نهر دجلة والفرات، على حدود العراق والجزيرة العربية، ويوجد بها أطلال حتى الآن تحكي لنا عن حكاياتهم، وتوجد بعض أطلال هؤلاء الكفار في "بابل" وغيرها، وجميع هذه الحكايات موضع عبرة. وتولى خالد بن الوليد زمام الحكم وأمور الرياسة في مدينة "كاظم" و"أبلّة" بعد انتصاره في معركة سلاسل، وكان بلاط ملك فارس في المدائن، وكان "أردشير" الإمبراطور الفارسي يُعتبر مصدر القوة في ذلك الزمن، ومع أن جيوشه كانت محصنة بدروع حديدية إلا أنهم لم يستطيعوا مقاومة جيوش المسلمين، وبدأوا بالتراجع إلى الخلف، وكأنهم يظنون المسلمين مخلوقات غريبة تهاجم فجأة، وتمزّق صفوف العدو، وتقطّع الكفار مثل الجزر والفجل. وفي الأسبوع الأول من عام ٦٣٣م أصبح نهر الفرات جحيماً للمجوس وكان كسرى -ملك المجوس- يعدّ رمزا للخوف والإرهاب، فهزم خالد بن الوليد جيش المجوسيين عند مجمع نهر دجلة وفرات.

ثم وصل خالد بن الوليد بعد ذلك مباشرةً إلى "ولجة" حيث كان جيش المسيحيين موجوداً مُسبقاً، وانهمز المجوسيون في هذه المعركة أيضاً، ولما علم الملك أردشير -الذي كانت صحته متدهورة من قبل وكان الجميع قلقون بشأن مرضه والأطباء لا يعرفون عن علاجه- فلما علم بغلبة المسلمين على جيوشه مال رأسه إلى الجانب، وفارق الحياة، وهكذا تحطمت الإمبراطورية المجوسية بأيدي المسلمين.

وكان "أمنيشا أباد" هدفه الثاني للقتال، وبدأت كل خطوة تالية أكثر صعوبة من ذي قبل، ولكن لما سار من "آليس" وأرسل الجواسيس إلى "أمنيشا" اكتشف بأن العدو قد فر من الحصن، فاستمر خالد بن الوليد في السير إلى الهدف التالي دون ضياع أيّ

وقت، وكان حاكم الحيرة غاضباً من بدو الصحراء لأنهم قتلوا أصحابه في "كاظم"؛
فعاهد نفسه أن ينتقم منهم. وفي هذه الأثناء أقبل فارسٌ مسرعاً، وأخبره بأن المسلمين
قادمون، فأرسل ابنه مع جيشه، فهاجم المسلمين عليهم وقتلوهم، فلم يبقوا منهم أحداً
حيّاً.

عرض رواية "عاصفة الحجاز"^(١)

على بُعد ثلاثة وثلاثين أو خمسة وثلاثين ميلاً شمال شرقي المدينة المنورة، كانت هناك واحة خصبة بها خمس أو ست خيام، وكانت إحداها واسعةً مربعة الأطراف، وكانت تحتوي على جميع أنواع وسائل الراحة، المغنّيات يغنّين، والراقصات يرُقّصن، وأصحاب المخيم يتلذذون بشرب الخمر، ورقص الراقصات وغنائهن، ثم بدأوا بالخوض في أمور الدنيا، وكان سبب فرحهم: هو رحيل النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا، لكن سعادتهم تحولت إلى شقاء عندما بدأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمواجهة المرتدين وقتالهم.

وكان أبو سلمى، وإسحاق، وأبو داود يضعون خططهم أمام بعضهم البعض، وكانوا يحاولون تضليل المسلمين بالأحاديث المخترعة، والتفسيرات الخاطئة للقرآن الكريم، وفي غضون ذلك طرح أبو داود خطته "بأنه يمكنه أن يحقق هدفه بجعل بنت يامين زوجةً لأحد المسلمين، ومن ثمّ يمكنهم أن ينقذوا ما يريدون من إثارة المؤامرات الداخلية في المسلمين، فعمد إلى حبيب بن كعب لتحقيق هدفه، والتقى أبو داود بحبيب بن كعب كرجلٍ مظلومٍ حديث العهد بالإسلام، وزوجه "بنت يامين"، وكان أبو الزبير يتاجر بالخيول، وكان فارساً في جيش المسلمين، ولكنه لم يعد قادراً على القتال بسبب سقوطه من الخيل أثناء قتال المرتدين، ووجد في الغنيمة امرأتين أسيرتين، أمّاً وابنتها، وكان اسم الأم أسماء وابنتها شريعة، فأراد أبو زبير أن يُزوّجهما لبعض المسلمين، لكنهما رفضتا قبول الإسلام، ورفضاً كذلك أن تنكحاً المسلمين.

وبعد فترة التقى أبو داود بأسماء وشريعة، وأخبرهما بخطته، ونجح في أن يشركهما معه في تنفيذ خطته، كما حكى لهما عن "بنت يامين" وتزويجها لحبيب بن كعب، وكيف

(١) اختصرتها الباحثة بأسلوبها من رواية "حجازي أندھی مجاہدین اسلام کے ہاتھوں کسری فارس کی تباہی کی داستان" = عاصفة الحجاز حكاية هلاك كسرى فارس على أيدي مجاهدي الإسلام، عنايت الله التمش.

نجح في إغوائه، ثم أتى أبو داود إلى بيت ابنته "بنت يامين" واستأذن صهره حبيب بن كعب في أن يصحبها معه إلى القرية، فأذن لها بالذهاب مع أبيها.

وكان لأبي داود صديقاً يهودياً في المدينة المنورة، وكان يُظهر نفسه نجاراً مسلماً، فالتقى به أبو داود مع أسماء وشريعة وعزفهما إليه، ثم ركبا فرسيهما، وخرجا متفرقين من المدينة المنورة، ولما قطعوا مسافة ميل لقيا بعضهما، ثم ذهبوا معاً إلى الموضع الذي نُصبت فيه خيامهم، على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً من المدينة المنورة، وكانوا يريدون أن يحتفلوا في هذه الليلة باجتماعهم وتزايدهم إلى هذا العدد، وبينما كانوا منشغلين في احتفالهم إذ سمعوا صوت حوافر الخيول، وبعد لحظات دخل حبيب بن كعب بن زبير ونجله سليمان إلى الخيمة مستلين سيوفهم، وقتلوهما جميعاً واحداً تلو الآخر، وكانت شريعة قد أخبرت سليمان بكل شيء، كيف تأمر هؤلاء اليهود ضد المسلمين، وكيف يتظاهرون بأنهم مسلمون، لكي يخدعوا المسلمين، وكانت شريعة قد أسلمت وتزوجت بسليمان.

والآن كانت العقبة التالية هي المعركة ضد المرتدين، وقد بدأ ظهورهم منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد حاربهم المسلمون وأخذوهم بشدة، وخاضوا ضدهم معارك دامية لإنهاءها، وانتهت هذه الفتنة، وكانت من بينهم فاطمة بنت بدر، وابنها طلحة الذي اعتنق الإسلام فيما بعد، وانضم إلى جيش المسلمين في الجهاد ضد الفرس. وكتب النبي صلى الله عليه وسلم في حياته رسائل إلى حكام الإمبراطوريات الكبرى مثل بلاد فارس، وروما يدعوهم إلى الإسلام، ولكنهم عاملوا المبعوثين معاملة سيئة، ومزّق كسرى "برويز" كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما عاد المبعوث وأخبره بما حدث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مزّق الله ملكه"^(١)، وكان هذا من نبوءاته صلى الله عليه وسلم التي صدقت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اغتيل "خسرو برويز" بعد ذلك بوقت قصير على يد ابنه "شيرويه"، وأعطى زمام الحكومة إلى "أردشير" حفيد "أنوشروان" الذي كان محارباً مُحترفاً، وكان المسلمون يحتلون البلدان

(١) فتح الباري بشرح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ١ / ٤٤، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام

بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية - مصر، ط / ١، ١٣٨٠هـ.

الواحد تلو الآخر، ويتقدمون نحو بلاد فارس، وافتتحوا "أمنيشا" و"الحيرة"، وتدهورت الأوضاع في بلاد فارس، وكانت أحوال فارس في تدهور لأجل الخلافات بين الحكام، ومات أردشير "إمبراطور بلاد فارس" بعدما سمع أخبار الفشل المستمر والهزومات المتتالية لجيش الفرس، وتولّت أخته "أرميد" مسؤولية الحكومة، لكنها لم تكن على استعداد، ولم يكن لها أي اهتمام بشؤون الإمبراطورية، فعزلت عن الحكم، ووقعت المسؤولية على عاتق الملكة بوران فجعلت رستم - الذي كان خبيراً بالقيادة - وزيراً لها، حتى يمكن استعادة سمعة بلاد فارس المتدهورة، ولكنهم لم يتمكنوا من السيطرة على الوضع السيء، وأرسل الفرس جنودهم بقيادة: جابان، ومروان، وجالينوس، ونرسي، وغيرهم، ببعثات متكررة إلى عدة مواضع، مثل: كسكر، وسقاطية، وتيرويه، وبندوقية، وفارق بارسما، لكن الفرس واجهوا هزوماتٍ متتالية من جميع الجهات وعانوا من خسائر فادحة.

وبعد الهزيمة في معركة "السقاطية"، استعدّ الجيش الفارسي مرة أخرى للانتقام من المسلمين، وتقدموا بقيادة القائدَيْن "بهمن جادويه" و"جالينوس"، وعند وصوله إلى ضفة النهر تحدّى جيش المسلمين، وكان عسكر جيش أبي عبيد على الجانب الآخر من النهر، فلما سمع تحدّي الفرس، أمر أبو عبيد جيشه بعبور النهر لقتال العدو، فأشار إليه الجميع بخطورة عبور النهر، لكن أبو عبيد لم يغير رأيه، فأطاعوه، فلما عبروا النهر حصروا من جميع الجهات - من ورائهم النهر والجيش الفارسي أمامهم -، كما كانت برفقتهم الفيلة في هذه المعركة، وبمجرد عبورهم النهر هاجم الجيش الفارسي المسلمين وألحقوا بهم خسائر فادحة، وداس الفيلُ أبا عبيد ووطئه برجله فمات، وهكذا داس ذلك الفيل سبعة رجال من جيش المسلمين واستشهدوا جميعاً. ثم رفع المثنى بن حارثة علم المسلمين وأنقذ بقية المجاهدين من محاصرة العدو، وسميت هذه المعركة بمعركة الجسر، ولما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الهزيمة أعدّ جيشاً من فرسان جميع القبائل، وأرسله إلى فارس، فتعارك الجيشان بمنطقة "بويب" وانتصر المسلمون على العدو، وانتقموا لهزيمتهم، وقتل فيها مائة ألف جندي فارسي، وأطلق عليه "يوم الأعشار"، وأصيب المثنى بن حارثة بالنبل في خصره في هذه المعركة، فأخرج النبل من الموضع إلا أن الجروح لم تندمل،

ولكنه واصل المسير من "السباط" إلى تكريت، فاستاءت حالته في "ذي قار"، وتوفي هناك.

وكانت بوران ملكة فارس آنذاك، وكانت الفُرس يزعمون أن تولي المرأة أمر الحكومة هي السبب في فشلهم وهزيمتهم، ولذلك أرادوا أن يجعلوا "يزدجرد" -الذي كان من أبناء خسرو برويز، ولما قتل شيرويه إخوته السبعة عشر وأباه فرّت أمّ يزيدجرد وأخذته معه بعيداً من تلك البلاد- وكان عمره سبعة عشر، فأرسلوا إليه وأجلسوه ملكاً على عرش بلاد فارس.

وكان يزيدجرد يريد أن يقاتل المسلمين معركة قاضية ليُعيد إلى بلاد فارس سُمعتها، فأرسل جيشاً عرمرماً بقيادة رستم إلى القادسية، لكن رستم كان يريد أن يؤخر القتال، فأخّره لمدة شهرين، ثم عرض المصالحة للمسلمين لكنه فشل، وأصبحت الحرب لا مفر منها، فتواجه الجيشان في القادسية، كان المسلمون يقاتلون لإعلاء كلمة الله، وأما جنود الفرس فكانوا يأخذون الراتب على القتال، وكان معهم أربعون فيلاً في هذه المعركة، واستمر القتال لمدة أربعة أيام، وانتهت هذه المعركة الدامية بهزيمة الفُرس، وتُعد هذه المعركة من أكبر معارك التاريخ بعد غزوة بدر الكبرى.

ونهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيش المسلمين عن مواصلة المسير نحو العدو، ووصل قادة فارس: فيروزان وهرمزان وغيرهما إلى آثار "بابل"، وبدؤوا بالاستعداد للهجوم، وكان المسلمون قد افتتحوا عدة أمصار، مثل: برص، وساباط، وكوتي، وبيرشير. وكانت بوران ملكة "بهرشير" قد جهّزت جيشاً من ألفي جنديّ، وكان معهم أسدّ، وهجم هاشم بن عبيد لوحده على الأسد فقتله بسيفه، وهُزم جيش الكفار، فلجئوا إلى الحصن، وتحصّنوا فيه.

فأرسل يزيدجرد مبعوثه إلى سعد بن أبي وقاص وعرض عليه نصف ملكه، ولكنه لم يقبل، وبعد يومين ذهب يزيدجرد مع رجاله إلى المدائن، وأحرق جسر الفرات بعد عبوره؛ لكي لا يتمكن المسلمون من اللحاق بهم، وذهبوا بالسفن معهم، وفي اليوم التالي جاء المسلمون إلى حصن أردشير، فلم يجدوا فيه أحداً فسيطروا عليه.

وكانت المدائن هي الهدف التالي للمسلمين، فاستمروا في متابعة العدو، ولما وصل المسلمون إلى نهر الفرات لم يجدوا الجسر ولا السفن، فعزموا على عبور النهر فساروا فيه بخيولهم، وخرجوا سالمين، وكان "خرذار" والي مدين آنذاك، وكانت عليه مسؤولية الدفاع، فأمر جيش فارس بمواجهة المسلمين عند النهر، فنزلوا بخيولهم إلى البحر لكنهم لم يستطيعوا المواجهة وفروا مهزومين.

ولما وصل جيش المسلمين إلى المدائن لم يجدوا فيها أحدا. وقد خرج يزدجرد قبل وصولهم مع أهله وجنوده إلى حلوان، وتبعهم جيش المسلمين إلى حلوان فاحتلّوها، وفرّ جيش الفرس إلى "جلولاء" وكانوا يريدون أن يستعيدوا قوّتهم، فأرسل سعد بن أبي وقاص جيشاً بقيادة هاشم بن عتبة، فحاصروا "جلولاء"، وفتحها الله عزوجل عليهم بعد حصار دام ثمانين يوما.

وأصبح العراق كله في ملك المسلمين، ونهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيش المسلمين عن مواصلة المسير، وأمرهم بأن لا يتقدموا عن السواد (يعني: دجلة والفرات)، وأمر ببناء سور بين جبال السواد؛ لكي لا يُقتحم من كلا الطرفين.

عرض رواية "ولادة محطّم التماثيل" (۱)

لا زال لقب المجاهد البطل (محطّم التّماثيل) حياً حتى اليوم على الرغم من مرور عدة قرون، والذي انطلق من مدينة غزني نحو الهند، وحطم تماثيل الهندوس، ووطئها بأقدام جيشه، ثم مات ذلك البطل، ونصب البرهمن تماثيل أخرى مكان تلك المحطّمة، وبعد مرور ألف سنة ارتفعت صيحات الفرخ من تلك المعابد الوثنية في عام ۹۷۱م معلنة انتصارها على الشجاعة الإسلامية.

نُفي من إيران شابٌ ينتمي لعائلة الملك أنوشيروان العادل، والتقى الشاب في غابات بخارى بالبدو الرّحل، وتزوج منهم، ورزقه الله ابناً سماه سبكتكين، تعلم على يد والديه، ثم ارتحل مع والديه نحو بخارى، وفي الطريق تعرضت القافلة للنهب من قطاع الطريق، وقُتل الأب (الشاب الإيراني)، وهامت أم سبكتكين على وجهها فاقدة العقل، باحثة عن ابنها؛ لكنهما لم يلتقيا، واختطف قطاعُ الطريق الولدَ الصغير سبكتكين، وباعوه - مع الأطفال الآخرين المختطفين - عبداً في سوق النخاسة ببخارى، واشتراه رجلٌ من أعيان المدينة، يُدعى الحاج نصر، واتخذهُ خادماً لأولاده، وعندما شبَّ الغلام ظهرت عليه أمارات النجابة، فأعجب به وبمهاراته والي بخارى ألبتكين، الذي اشتراه من صديقه الحاج نصر، ثم زوّجه الوالي ابنته.

كان ألبتكين قلقاً من أوضاع المسلمين وتفرقهم، وكان يخطط لتوفير العدل والمساواة للمسلمين، وفي نفس الأثناء كان أمراء المسلمين غارقين في الملذات والشهوات، وبعد فترة توفي الحاكم عبد الملك، وآل الحكم إلى ألبتكين سنة ۹۶۲م، فنصب سبكتكين أميراً على جميع الأمراء، وتوفي ألبتكين في العام التالي ۹۶۳م، وعجز ابن ألبتكين عن الإمساك بمقاليد الحكم وضبط الأمور؛ فتقدم سبكتكين لتولي الحكم، ورزقه

(۱) اختصرتها الباحثة بأسلوبها من رواية "اورايك بت شكن پيدا ہوا سلطان محمود غزنوی کے جہاد اور جاسوسوں کی جذباتی اور واقعاتی داستان" = "ولادة محطّم التماثيل، الحكاية الحقيقية المثيرة لجهاد السلطان محمود الغزنوي، والجواسيس، عنايت الله التمش، علم و عرفان پبلشرز لاہور، 2008ء.

الله بابنِ سماه محمود الغزنوي، الذي لقّب لاحقاً بِـ (محطم التماثيل)، وشنّ على الهند سبعة عشر هجوماً عسكرياً، وكانت هذه الحملات العسكرية هي السبب الأكبر وراء شهرته العسكرية والقيادية.

كانت أولى هذه الحملات العسكرية بقيادة والده سبكتكين، الذي هجم بجيشه على جيش راجه جي بال الوثني، الذي خرج بجيشه من الهند مروراً بمدينة بشاور متجهاً إلى مدينة غزني، وألحق بجيش جي بال هزيمةً نكراء، وفرّ الجنود الهندوس من ميدان المعركة، تاركين وراءهم العتاد، وظل جيش سبكتكين يجمع الغنائم المتناثرة عشرين يوماً.

تناحر المسلمين فيما بينهم:

في الوقت الذي اشتدت فيه وطأة الحملات الهندوسية على المسلمين، يريدون استئصال المسلمين، واجتثاث جذور الإسلام من شبه القارة الهندية؛ في نفس الوقت استغل بعض المسلمين انشغال الجيش الإسلامي، فطمعوا في الالتفاف عليهم، وبذلك اندلعت الحرب الأهلية بين المسلمين، وكان آنذاك محمود الغزنوي أميراً على خراسان من قبل والده سبكتكين، وتوفي ملك بخارى الذي عهد بالحكم من بعده لابنه الصغير نوح، فثار عليه فائق (حاكم أحد الأقاليم في بخارى)، فاستنجد نوح بسبكتكين، الذي أسرع بنفسه لنجدة نوح، كما ثار على السلطان محمود الغزنوي الأمير أبو علي الحسن بن سنجار، الذي ساندته في الخفاء المسيحيون، وحاول سبكتكين أن يعقد الصلح مع الأمراء الثائرين؛ لكن فشلت المفاوضات، ولم يكن أمام سبكتكين إلا طريق الحرب، واتفق الأمراء الثائرون الثلاثة: فائق، وأبو علي الحسن بن سنجار، وفخر الدولة حاكم جرجان، على الحرب ضد محمود الغزنوي، وكانت الغلبة بادئ الأمر للأمراء الثائرين، لكنهم لم يثبتوا أمام جيش محمود الغزنوي، ففرّوا هاربين، وانتصر عليهم محمود الغزنوي.

ثم توفي السلطان سبكتكين في شهر شعبان سنة ٣٨٧هـ الموافق لشهر أغسطس سنة ٩٩٧م، عن عمرٍ يناهز السادسة والخمسين، وخلف على الحكم ابنه محمود الغزنوي (محطم التماثيل).

وبينما كان محمود الغزنوي مشغولاً بإعدادات جنازة والده السلطان سبكتكين؛ فإن زوجة والده كانت تجهز ليتولى ابنها إسماعيل مقاليد السلطنة. وتبين سريعاً بأن إسماعيل شابٌ يفتقر إلى الحنكة السياسية والخبرة العسكرية، تجمّع حوله المتزلفون ليؤلّبوه ضد أخيه محمود الغزنوي، وفي نفس الوقت كانت الهند تخطط للهجوم على مدينة غزني، فجهز محمود الغزنوي جيشه لصدّ هجوم الهندوس، ولكن أخاه إسماعيل جهز جيشاً في مدينة بلخ للقتال ضد أخيه محمود الغزنوي، ولم يكن أمام محمود الغزنوي إلا أن يواجه جيش بلخ، فاندلعت بين الجيشين المسلمين معركة طاحنة، انتصر فيها محمود الغزنوي، وهُزم جيش إسماعيل، كما اعتقل إسماعيل واقتيد أسيراً إلى قلعة جرجان، وتولى محمود الغزنوي مقاليد السلطنة، وبدأ في الإعداد والتجهيز للهجوم على الهند.

دأب الهندوس على تقديم قربانٍ لآلهتهم بذبح فتاةٍ قبل المعركة، وكانت لديهم أسطورةٌ بأنهم سينتصرون في المعركة إذا فعلوا ذلك، ولهذا جلبوا معهم عدداً من الفتيات المسلمات للتضحية بهن قبيل كل معركة.

قدم راجه جي بال إلى لاهور، وأنشأ فيها حاميةً عسكريةً، وقام بتكديس عتاد الحرب في منطقة (بُهْنْدَه) بمدينة لاهور، فقام جواسيس السلطان محمود الغزنوي بحرق هذا العتاد العسكري، ولكن الحادثة لم تُثن من عزيمة راجه جي بال عن المضيّ قدماً نحو خوض المعركة، والهجوم على مدينة غزني، فقام مرةً أخرى بتجهيز الجيش وجلب العتاد.

كان السلطان محمود الغزنوي قلقاً من ثورات الإمارات والدويلات المجاورة لسلطنة غزني، السامانيون في بخارى والإيلخانيون في كاشغر، فقام أمير بخارى بمنح خراسان (من مناطق غزني) لتوزون بيك، وحاول السلطان محمود الغزنوي أن يقنع أميراً بخارى بالتراجع عن قراره، ولكنه فشل، فقام السلطان محمود الغزنوي بمواجهة الأمير توزون بيك والأمير فائق، وإجبارهما على التراجع. وكان حاكم كاشغر إيلخ خان، الذي اغتال عبد الملك (أخو حاكم بخارى)؛ من أجل أن ينتزع الملك لنفسه، لكنه فشل في مخططه، وقام السلطان محمود الغزنوي بضم منطقتي بلخ وخراسان إلى سلطنة غزني.

كان السلطان محمود الغزنوي مجاهداً في سبيل الله، محطماً لتمثيل الوثنيين، مؤيداً بالنصر والتمكين، وكان السلطان محمود الغزنوي قد شيد مدينةً بالقرب من مدينة هرات؛ لأن جوها كان مشابهاً لأجواء الهند في الحرارة، واحتفظ فيها بالفيلة التي جلبها من الهند، واستقدم لخدمتها السائسين من الهند، وكان السلطان محمود الغزنوي يستخدم هذه الفيلة في حملاته ومعاركه العسكرية ضد الهند، ثم يرجع بها إلى آجامها في هذه المدينة، وقد عثر السلطان محمود الغزنوي على منجمٍ للذهب قريباً من سيستان، فصرف ريعه على شعبه، وقام بحقوقهم، لكن بعد موته وتولي ابنه لمقاليد السلطنة وقع زلزالٌ في المنطقة، واندثر على إثره منجم الذهب، الذي نَقَب عنه العمال كثيراً ولكنه انطمس تحت الأرض.

يعدّ السلطان محمود الغزنوي أحد القادة العسكريين في التاريخ الإسلامي، وكان قوام جيشه حوالي مائة ألف جندي، منهم: العرب، والغوريون، والسلاجقة، والأفغان، والمُغل، إضافةً إلى بعض الهندوس الذين يقودهم قائدٌ هندي، يتراوح عددهم من عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف جندي.

وكان الخليفة العباسي قد خلع لقب (يمين الدولة) على السلطان محمود الغزنوي، ولذا كانت سلطنة غزني تسمى بـ (السلطنة اليمينية) أيضاً. كانت أولى المعارك العسكرية التي خاضها السلطان محمود الغزنوي ضد الهند تحت قيادة والده السلطان سبكتكين ضد جيش راجه جي بال الذي كان يحكم المنطقة الواقعة بين مدينتي لاهور وبشاور، وكانت هذه المعركة عام ٩٨٦م في حدود بشاور وجلال آباد، وانهمز فيها راجه جي بال، وتقلّص حكمه حتى حدود أتك على نهر السند، بينما ضمّ السلطان سبكتكين الأراضي التي فتحها إلى سلطنة غزني، وكانت المعركة التالية عام ١٠٠١م، حين تجهز راجه جي بال لأخذ الثأر، وتقابل الجيشان قرب بشاور، فانهمز راجه جي بال هزيمةً نكراء للمرة الثانية، واقتيد راجه جي بال مع أسرته أسيراً، وبعد المفاوضات وتقديم الأثمان الباهظة افتدى نفسه وأسرته، ورجع نادماً ذليلاً إلى لاهور، فأسند الحكم إلى ابنه أنند پال،

وأحرق راجه جي بال نفسه منتحراً بالقرب من إحدى بوابات مدينة لاهور، وصار رماداً.

وكانت المعركة الثالثة عام ١٠٠٤م، قرب منطقة بهيرة، والرابعة في ملتان ضد حاكمها أبي الفتح داود بن نصر، لكن حصلت في الطريق مناوشات قتالية مع جيش أنند بال بن راجه جي بال، انهزم فيها جيش أنند بال وفرّ هارباً إلى كشمير، ثم واصل السلطان محمود الغزنوي طريقه إلى ملتان، وفتحها منتصراً.

ثم تواردت الأنباء إلى السلطان محمود الغزنوي بأن أمير كاشغر إيلك خان قد هجم على مدينة غزني، فخلّف السلطان محمود الغزنوي القائد سكه بال (حفيد راجه جي بال) أميراً على بهيره، بعد أن أعلن إسلامه، وأراد السلطان محمود الغزنوي التوجه لإخماد فتنة إيلك خان، ولكن سرعان ما أعلن سكه بال عصيانه وتمرده على السلطان محمود الغزنوي، الذي اضطر للرجوع إلى ملتان، فقبض على سكه بال وعزله. خاض السلطان محمود الغزنوي معركتين ضد أنند بال الذي رجع من كشمير، واستعاد قوته العسكرية بمساعدة الهندوس، وكانت المعركة الأخيرة عام ١٠٠٨م.

وفي أواخر سنة ١٠٠٩م هجم السلطان محمود الغزنوي على الهند وفتح إقليم (نكر كوث)، وفي العام التالي ١٠١٠م فتح المناطق المحيطة بملتان، وضمّها إلى سلطنته، وفتح قلعة تھانسر، المقدسة لدى الهندوس، وحطّم التمثال المنصوب فيها، ووطّئته حوافر الخيول، ثم تفرغ في العام التالي ١٠١١م الموافق ٤٥٢هـ للأقاليم والدويلات المجاورة لسلطنة غزني، التي تواطأت على الهجوم على غزني في غياب السلطان محمود الغزنوي، ولم يكن للخليفة في بغداد القادر بالله أي دور في لمّ شمل المسلمين واتحادهم، فكتب السلطان محمود الغزنوي رسالةً شديدة اللهجة إلى الخليفة في بغداد، الذي ضمّ خراسان وسمرقند إلى ملكه.

في عام ١٠١٢م مات الحاكم الهندوسي أنند بال، وتولى مكانه راجه بهيم بال، فتجهز للأخذ بثأر أجداده، فقابله السلطان محمود الغزنوي بجيشه في منطقة (لمه جوگیاں)

الواقعة بين مدينتي راولبندي وجهلم، وهُزم جيش راجه بهيم بال، وقتل الكثير من جنوده، وفرّ راجه بهيم بال هارباً، ثم قُبض عليه، وخضع بدفع الجزية للسلطان محمود الغزنوي. في سنة ١٠١٥م هجم السلطان محمود الغزنوي على كشمير، ولكنه تراجع بجيشه المتضرر؛ بسبب تساقط الثلوج، وعدم المعرفة بالطرق.

في سنة ١٠١٨م هجم السلطان محمود الغزنوي بجيشه على منطقة متهرا، وفتحها، ثم حاصر مدينة قنوج، التي نزل حاكمها على الصلح، ودفع الجزية إلى السلطان محمود الغزنوي.

في سنة ١٠١٩م هجم حاكم إقليم كالنجر الواقع قرب قنوج، على راجه بهيم بال الموالي للسلطان محمود الغزنوي، وقتله، فتوجه السلطان محمود الغزنوي للأخذ بثأر راجه بهيم بال، وهجم على إقليم كالنجر، وفتحه.

وفي نفس السنة ١٠١٩م تجهز اثنان من القادة الهندوس: راجه رحيا بال وراجه كول بند للهجوم على سلطنة السلطان محمود الغزنوي، الذي صد الهجوم، وألحق الهزيمة بالقائدين، وأنهى حكم القادة الهندوس على الهند.

في الفترة بين عامي ١٠٢٠م و١٠٢٥م انشغل السلطان محمود الغزنوي بالفتوحات في الشمال الغربي من وادي الفرات، وتواردت الأنباء بتجمع الهندوس في معبدهم سومنات الواقع بالقرب من إقليم گجرات للهجوم على جيش السلطان محمود الغزنوي، وكان الهندوس يجلبون الماء لغسل هذا التمثال في معبد سومنات من نهر (گنگا)، فتجهز السلطان محمود الغزنوي للهجوم المباغت، وقطع بجيشه البالغ عدده (ثلاثين ألف) جندي، المسافة بين غزني وسومنات، التي تبلغ ٢٦٠٠ كيلو متراً، منها ٥٠٠ كيلو متراً من الصحراء الرملية، فقطعها في ثلاثة أشهر، ووصل الجيش بالقرب من سومنات في يناير ١٠٢٦م، وانتصر جيش السلطان محمود الغزنوي، وحطم تمثال سومنات، وكانت آخر الحملات العسكرية للسلطان محمود الغزنوي على الهند سنة ١٠٢٧م، على المناطق الواقعة بين نهرَي السند وبياس.

عرض رواية "أفعى الأندلس" (۱)

في ۸۲۵ بعد الميلاد، لما كان المسلمون يحكمون إسبانيا، كان ملك فرنسا جالساً في غرفته الخاصة - في قصره - يحاول إقناع إلو جيوس (لويس) لكي يجعلوا عبد الرحمن خليفة الأندلس (إسبانيا) يعشق الخمر والنساء ليتسبب ذلك في انهيار الدولة الإسلامية، لم يريدوا قتله، وإنما أرادوا تدمير دوره في الحكومة... ولذلك تواطؤوا بإرسال امرأة مسلمة تدعى سلطانة، وإدخالها إلى قصر الملك عبد الرحمن لتغويه بجمالها، وكانت ترغب أن تصبح ملكة قبل ذلك، وكان الأمير عبد الرحمن يحب الغناء والشيولات والموسيقى، وكان يعشق النساء ولا يتمالك نفسه أمامهن، فلما رأى الأمير سلطانة أغراه جمالها وشغف بها ووقعت في قلبه، ودرس إلو جيوس القرآن وفهمه بعمق، ووجد كتاباً عن المسيحية في أطلال كنائس المسيحيين في بامبلونا بالأندلس يحتوي على تعاليم المسيحية، ويتضمن مفاهيم خاطئة عن الإسلام ونبى الإسلام، قام Elo Giuseppe بنسخ تلك الكتب وإرسالها إلى جميع الكنائس في الأندلس، وحدّثهم بأنهم إن انحرفوا عن المسيحية، فسيكونون في حاجة إلى المسلمين لأجيال عديدة قادمة، وكانت هناك حركة تتجذر في الأندلس، وهي حركة المولدين، وعندما علم رئيس الوزراء الحاجب عبد الكريم بذلك، أبلغ الخليفة عبد الرحمن الثاني عن ذلك لكنه لم يعزها أي اهتمام.

وأراد رئيس الوزراء الحاجب عبد الكريم أن يطلع القائد عبيد الله بن عبد الله على الوضع، لكن الأمير عبد الرحمن كان لاهياً في اللهو والطرب.

ولما علم الأمير عبد الرحمن أن القائد عبيد الله ورئيس الوزراء الحاجب عبد الكريم قد حضرا للقاء، أرادت سلطانة أن تؤخر هذه اللقاء، ولكنهما دخلا القصر وأبلغا عبد الرحمن عن المؤامرة، فشكّلوا جيشاً أرسلوه مباشرة إلى بامبلونا بقيادة عبيد الله، حيث

(۱) اختصرتها الباحثة بأسلوبها من رواية: "اندلس کی ناگن تاریخ اندلس کے مردانِ حرکی ولولہ انگیز اور سنسنی خیز داستان" = أفعى الأندلس الحكاية المثيرة الغامضة لأحرار الأندلس، عنایت الله التمش.

هاجم رجال فرنسيون قبل بضعة أيام ونهبوا الثروات والممتلكات، وأسروا الشباب ووضعوا السلاسل والأصفاد في أرجلهم وأجبروهم على العمل.

ولما وصل الجيش إلى بامبلونا أخذ معه مرشدين محليين يدلّانه على الطريق إلى حصون الفرنسيين، فحاصروهم في ظلام الليل وهزموهم هزيمة مخزية، وحولوا حصونهم إلى ركام وأطلقوا سراح السجناء.

وكان زرياب أخطر رجل في بلاط عبد الرحمن، وكان رجلاً يضرب بالدف ويغني بصوت جميل، فنجح في إغواء الملك عبد الرحمن، وفي الوقت الذي كان فريق زرياب يجلب هذه الثورة الدسيسة في حضارة الأندلس، من ناحية أخرى، هزم القائد عبيد الله مقاطعتين فرنسيتين في بامبلونا، وكان المسيحيون قد أقاموا قواعد ومخابئ في أماكن مختلفة، وكان القائد عبيد الله يدمرها جميعاً أثناء مروره. فلم يترك أي موضع يُظنُّ عليها أن يكون كميناً للفرنسيين إلا أنه قام بتدميره، ولذلك استغرق بعض الوقت في العودة إلى قرطبة، وأخبرت سلطنة عبد الرحمن أنها تريد الذهاب إلى منزلها، واستأذنته أن يرافقها زرياب؛ لكيلا يحدث لها أي مكروه في الطريق، وقامت باستدعاء "الوجيوس" قبل مغادرتها، فوصل إلى القصر في اليوم الأول وشرح التحديات والخطط الجديدة لـ "سلطنة"، وكان على سلطنة وزرياب أن ينجّحا مؤامرات المبشرين المسيحيين في القصر في هذه المرحلة.

وتيقن عبيد الله أثناء عودته إلى قرطبة أن الإمبراطورية الإسلامية في خطر محقق، وأن قواعد الأندلس ضعفت وانتكست، وكل ذلك بسبب اهتمام الحكام بالترف والدف واللهو واللعب.

وعندما كان عبيد الله في طريق عودته إلى قرطبة من بامبلونا بلغه عن إمام في المسجد يضل الناس فيه بتفسير خاطئ للقرآن الكريم، ولما تجسس عبيد الله على ذلك الرجل علم بأنه يعمل هذا الفعل الشنيع بمشاركة فريقه، فألقى القبض عليه وعلى فتاتين من مجموعته، وأخذهم إلى قرطبة وقدمهم أمام الأمير عبد الرحمن، وعندما رأى عبد

الرحمن هذا الوضع، وأخبره القائد عبيد الله بظروف أخرى رآها في الطريق، وكيف يجري التمرد، وفرنسا هي الداعمة لهذا الانقلاب، أمر مباشرةً بشنّ الحرب على فرنسا.

ذهب عبد الرحمن بنفسه لقيادة الجيش، ولما اقترب الجيش من الحدود الفرنسية، تلقوا أنباء المؤامرة في "مريدة" فحوّل وجهة الجيش نحو "مريدة"، وكان بمرافقة الأمير عبد الرحمن في هذا الجيش: القائد عبيد الله بن عبد الله، وعبد الرؤوف، وموسى بن موسى، وفرقون، فأرسل الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة عبيد الله بن عبد الله إلى "مريدة" وبقي بنفسه حول حدود فرنسا، ليسيّط على الهجوم الفرنسي المتوقع على الجيش الإسلامي.

وعندما وردت أنباء عن قدوم الجيش الإسلامي إلى "مريدة"، استعدوا مباشرة للمواجهة، وأغلّقوا أبواب الحصن الأربعة، وحبسوا والي مريدة وجنوده، وكان هناك رجل يسمى عبد الجبار يتولى مسؤولية "قسم البيئة والثقافة"، وكان رجلاً أميناً إلا أنه لم يسلم من مكائد المسيحيين، ورفعوا راية التمرد على يديه، ولما وصل الجيش الإسلامي إلى حصن مريدة أحاطوه من جميع الجهات، لكن المسيحيين قاوموا مقاومة شديدة.

وأبو ريجان القائد العسكري في مريدة، قام المسيحيون بحبسه مع جنوده، واختار المسيحيون أبا ريجان وثلاثة من جنوده لصدّ الهجوم الإسلامي، واشترطوا عليهم أنهم إن فعلوا ذلك فسوف يطلقون سراحهم، فلما كان أبو ريجان ورفاقه الثلاثة يسرون مع المسيحيين، تخلف عنهم أبو ريجان رويداً ثم هرب فجأة، وكان يريد مساعدة الجيش الإسلامي، فارتدى زيّ المسيحيين وصعد على سقف الحصن، وكتب رسالة على قطعة من الورق، وطلب منهم الابتعاد عن البوابة الجنوبية حتى يتحول انتباه المسيحيين من هنا، ويذهبوا إلى الباب الأمامي، فربط الرسالة بسهم وألقى به، ولما وصلت الرسالة إلى المسلمين فعلوا ذلك، وذهب أبو ريجان مباشرة مع أصحابه وفتح الباب، واندفع الجيش الإسلامي كله نحو هذه البوابة، وعندما دخل الجيش الإسلامي إلى "مريدة" طلب القائد عبيد الله منهم الاستسلام، لكن المسيحيين لم يستسلموا، وقاوموا الجيش الإسلامي. وتسبب ذلك في إراقة دماء كثيرة، وأخذ المسلمون يُحرقون جميع الأماكن التي يظن بها التمرد والمقاومة ضدهم، وهرب رؤساء التمرد: إلوجيوس، وأعوانه إليارو، وعبد الجبار.

وجاء أمير الأندلس عبد الرحمن إلى مريدة بعد قمع التمرد، وقد شارك الأمير عبد الرحمن في هذه الحروب، ورافق الجيش جندياً، وعاد الجيش بعد هذا الظفر إلى قرطبة دون مهاجمة فرنسا.

وبعد عودة الأمير عبد الرحمن إلى قرطبة بدأ "زرياب" وسلطانة عملهما بإطار جديد، وثُرت الزهور على الجيش عند وصوله إلى قرطبة، وبدأت النساء والفتيات يُلقين الزهور على الجيش من أعلى السُّفوف والجدران، وكانت من بينهن فتاة جميلة تطل من كُوة منزل قائد مسلم، وكانت تنظر نظرة غاضبة إلى جيش الأمير عبد الرحمن؛ لأنها كانت غاضبة جداً بسبب سفكهم لدماء المسيحيين، هذه الفتاة كانت فلورا، وكان والدها قائداً في جيش المسلمين، بينما كانت والدتها مسيحية، واعتنقت الإسلام فيما بعد، لكنها لم تستطع أن تنسى دينها، وتمسكت به سرّاً، كما قامت بتدريب ابنته الكبرى على المسيحية، وجعلتها مسيحية متشددة، وعمل والد فلورا جاسوساً على الحدود الإسلامية، وكان أول من أشار إلى التمرد، ولم يكن يعلم عن مذهب زوجته وابنته، ولما علم شقيق فلورا "بدر" بأمر فلورا، أوسعها ضرباً، لكن فلورا استمرت في المسيحية، فحبسها شقيقها في الغرفة، لكنها هربت من المنزل في ظلام الليل عبر النافذة وأرادت الجري عبر سقف الجيران، ولكنها لما وصلت إلى السقف استيقظ شاب من الجيران، فأعطته ثقتها وتمكنت من الخروج من منزله معه، وعندما ابتعدت من المنزل قتلت الشاب بخنجرها، وأسرعت في الذهاب إلى بيت "هاشم الحداد" الذي كانت تأتي إليه مع والدتها دائماً، وكانا يعملان بترويج المسيحية في الأندلس، ونقلها "هاشم الحداد" إلى منزل القسّ في اليوم التالي، حيث تم القبض عليها وسُجنت لكي تُدرّب على الإسلام، لكنها هربت أيضاً من هناك، ووصلت إلى إلوحيوس، وكان "هاشم الحداد" يتدينّ بالإسلام في الظاهر إلا أن قلبه كان مليئاً بحب المسيحية؛ لأنه كان حديث العهد بالإسلام، ولذلك ساهم في ثورة حركة المولدين ونشرها في جميع أنحاء الأندلس، وكانت فلورا مع إلوحيوس، وكانت تتسابق في نشر التمرد، وكان محمد بن وسيم والي "طليطة" لديه جيش صغير جداً، وكان المسيحيون يعملون فيها بسرعة فائقة، وعندما ثار التمرد

في طليطة أصبح من الصعب جداً أن يُسيطر عليه، ولذلك أرسل محمد بن وسيم مباشرةً رسولاً إلى أمير الأندلس عبد الرحمن، ولكنه يرجع بأي خبر من البلاط، في غضون ذلك هاجم المتمرّدون جيش المسلمين، وقاتل محمد بن وسيم ببسالة، ونجا بنفسه بصعوبة بالغة، وأنقذ نصف جيشه، وفي أثناء عودته افترق صديقان له وهربا إلى الجبال مخافة ملاحقة المتمردين.

وترك قادة المسلمين خيولهم وتسلقوا الجبال بأنفسهم؛ لكي يختبؤوا عن أعين المتمردين، وفجأة وصلوا إلى المكان الذي كان يجتمع فيه زعيم المتمردين الحداد هاشم مع أصدقائه إلوجيوس وفلورا وأناس آخرين، فرجعوا من هناك في ظلام الليل، وأخبروا الوالي بجميع التفاصيل، وأرسل محمد بن وسيم خمسة عشر رجلاً لقتال هؤلاء المردة فظفروا على العدو وقتلوا جميع المتمردين، وكان إلوجيوس وفلورا قد غادرا إلى سوريا قبل وصول الكتيبة، ونزل الجنود بجثة "الحداد هاشم" وأتوا بها إلى محمد بن وسيم، فأمر بتعليق جثمان هاشم عند بوابة المدينة، ثم أعلن أن جثمان هاشم معلق، في موضع كذا وكذا. وانصدمت قلوب المسيحيين عندما رأوا جثة أميرهم، لكنهم ما زالوا يقاتلون لأنه لم يكن هناك من يدعمهم، ولذلك انهزموا في برهة من الوقت، ونجح المسلمون في إخماد نار التمرد، كما جاء من قرطبة جيش بقيادة أمية بن عبد الرحمن، وعاد محمد بن وسيم إلى الحصن مع بقية جيشه بعد انتهاء المعركة.

وهذه التمردات أيقظت الأمير عبد الرحمن، ورأى زرياب أنه لم يعد قادراً على نجاح خطته، فغير رأيه، ولما التقى بـ "فلورا" ومريم (واعظة مسيحية) فكر أن هؤلاء الفتيات مع كونهن نسوة إلا أنهن ما زلن متمسكاتٍ بدينهن، وهو يحاول الإضرار بدينه على الرغم من كونه رجلاً، فاستيقظ الضمير بداخله، ولكنه لم يُظهر ذلك لسلطانة، إلا أنه كفّ عن المؤامرات داخل القصر الإسلامي.

وأتى بعض الرجال المكروبين إلى الأمير عبد الرحمن، وشكوا إليه أن بعض القراصنة من ألمانيا يقومون بنهب ممتلكاتهم، ويخطفون فتياتهم وأطفالهم، ويبيعونهم في بلدان مختلفة، فأرسل الأمير عبد الرحمن جنوداً إلى هناك، حيث اعتاد القراصنة نهب

الأموال والممتلكات، ولما وصلوا هناك جهزوا البحرية وأخذوها إلى البحر، فركبوا بها وأتوا إلى أماكن القراصنة، فأشعلوا النار في أسطولهم في البحر، ودمروهم إلى الأبد.

وقد تاب "زرياب" من فعله الشنيع، لكن سلطنة بدأت في التخطيط لتعيين ابنها خليفة للملك، وحاولت القيام بذلك عن طريق زرياب لكنها فشلت، فلجأت إلى عبدٍ يقال له "نصر"، فأمرته أن يأخذ السم من طبيب حرّاني، وأن يدسّه في طعام الأمير عبد الرحمن، وكان الجميع يعرفون منزلة سلطنة في القصر، فأطاعها نصرٌ وأخذ السم من الطبيب الحرّاني، وحذّره من إخبار أي أحد، ولكن الحرّاني ذهب بعذر الاطمئنان على الملكة "مدثر" وأخبرها بجميع التفاصيل، وأتت الملكة مدثر إلى الأمير عبد الرحمن، وأخبرته بجميع التفاصيل، وحذّرتَه بأن لا يأكل أو يشرب من أحد، وعندما صنع "نصر" عجينة وخلطها بالسم وأحضرها إلى أمير الأندلس، وادّعى بأنه أتى بمعجون يجعل المسنّ شابًا، وأن الملك حالته غير صحيحة، ولذلك يُفضل أن يتناول منها شيئاً لتتقوى صحته، وكان الأمير عبد الرحمن يعرف كل شيء بالفعل، فأمر بوجوب تناول "نصر" لهذه العجينة بنفسه؛ لأنه أيضا كبير في السن، وهو أيضا يحتاجها ... ولما تناول نصر ذلك المعجون سقط مباشرةً، وتوفي إثر ذلك، وأثّرت هذه الواقعة في أمير الأندلس؛ لأنه انخدع من أناس كان يثق بهم طيلة حياته، وكانوا يتآمرون ضده، وبعد بضعة أيام من هذه الصدمة، توفي الأمير عبد الرحمن في السادس من سبتمبر، وبعد وفاته اعتلى العرش ابنه محمد، وضاعت الملكة سلطنة وابنها عبد الله في ظلام التاريخ.

عرض رواية "الأمير تيمور"^(١)

قبل خمسمائة وخمسين عامًا، أُطلق على تمرلين (تيمور لنگ) لقب مَولِد الفاتحين. وقد قدّمت تلك البلاد نفسها أمةً، ومنهم الأمير تيمور، ولم يكن الأمير تيمور ابن ملكٍ في الحقيقة، إلا أنه كان شريف النفس ضعيفاً في بادئ أمره، ويُعدّ من أكبر الفاتحين الخمسة في العالم، احتل أربعاً وخمسين منطقةً، وأُطلقَ عليه اسم "تيمور العظيم".

ما وراء النهر:

يُعتبر نهر (آمو) الحدّ الفاصل بين "إيران" و"توران" أو بين الشمال والجنوب، وتقع بلدة خراسان عن جنوبه، وتقع أراضي توران عبر النهر إلى جهة الشمال، وتقع المدينة التي تُسمّى "ما وراء النهر" إلى الشمال مباشرة من النهر، ويأتي مر عند عبور النهر -الذي كان يسمى باب الحديد-، وأوّل نُزُلٍ بعدها هي مسقط رأس الأمير تيمور التي أطلقَ الناسُ عليها اسمَ "المدينة الخضراء".

أصحاب القُبُعات:

وكانت "المدينة الخضراء" هي إرث القبيلة بارلاس الذين كانوا من التتار، وجنكيز خان هو الذي أعطى هذه المدينة لقبيلة برلاس، وولّاهم عليها منذ فترة طويلة، ولم تُزل "المدينة الخضراء" تخضع لقوانين جنكيز خان، وكان "طراغاي" والد الأمير تيمور رئيساً لقبيلة بارلاس، وكان قد انعزل عن الناس في هذا الزمن، والحاج برلاس (عم تيمور) الذي كان رئيس القبيلة برلاس في ذلك الوقت، واجتمع الأمراء وفرسان القبيلة في بلاط الأمير قزغان "شاه ساز"، وذهب تيمور أيضاً إلى هناك بناءً على طلب والده.

نُزُل شاه ساز:

وفي أحد الأيام، أرسل الأمير قزغان بعض رؤسائه إلى "تيمور" وطلب منه أن يأخذ مجموعة من الأبطال الذين هم أصغر منه سناً، وأن يخرج في تتبّع اللصوص الذين

(١) اختصرتها الباحثة بأسلوبها من رواية: "امير تيمور جس نے دنیا بھلاؤالی" = الأمير تيمور الذي هزّ العالم، هيرالد ليم، ترجمة:

عنايت الله التمش، ناشر: بک کارنر شوروم، جہلم پاکستان.

سرقوا الإبل وفروا إلى الحدود، فخرج تيمور مع الجيش في أثرهم، وبعد مواجهته معهم أعاد البضائع المسروقة إلى خيولهم وقدمها للأمير قزغان، وقد حكم جغتاي خان، ابن جنكيز خان، الجزء الشمالي الشاسع من الأرض، وكانت خلافته تتسع إلى بلاد الأفغان في الجنوب وسلسلة الجبال خلف "عرش سليمان"، وقد تم تولية قزغان هذه الرئاسة على يد أحد هؤلاء الأمراء، وبعد مرور مائة عام ضعفت قوة آل جغتائي في الحكومة، وحاول كثير ممن تمكنوا من الاستقلال من الدولة أن ينتهبوا الأموال من "المدينة الخضراء"، وسئم القزغان من هذه الهجمات، فقرّر أن يتمرد على آل جغتائي وأن يستقل منهم. وقُتل "خان" في هذه المعركة، وأصبح إقليم سمرقند وقبيلة برلاس ومحافظة وأراضي أخرى ملكاً لقزغان، وبعد ذلك بوقت قصير تزوج تيمور من حفيدة قزغان، وسُمّيت زوجة تيمور (لجاي خاتون)، وتعني زوجة السيد، وقام الأمير قزغان بتعيين تيمور خان قائداً في الجيش، وحقق الأمير قزغان انتصارات جديدة في الصحراء الغربية والوديان الجنوبية بفضل شجاعة تيمور، وأُتي ملك هرات (مالك معز الدين) إلى "نزل سالي" في الأسر، فطلب الملأ من قزغان أن يأمر بقتله، وتوزيع ثرواته فيما بينهم، ولكن الأمير قزغان رفض طلبهم، وأطلق سراحه، فغضب عليه الملأ، وقتلوه رمياً بالنبال.

وادّعى برلاس (عمّ تيمور) وبا يزيد (والي جلاير) أنهما غزوا سمرقند، وأنهما هاجما التتار، وأراد عبد الله (نجل قزغان) أن يحكم في سمرقند بدلاً من والده ولكنه لم يتمكن من حصول الملك، وفرّ هارباً، وسار الجيش المغولي من شمال البلاد نحو سمرقند تحت قيادة خان، وعرف تيمور قصد مجيئهم، وفي غضون ذلك وصلت كتيبة من الجيش المغولي إلى عسكر تيمور، فأمتع تيمور الجيش كله، وأرسلهم بعيداً بعد إعطائهم العديد من المكافآت، واستمرّ الأمير تيمور في تسيير الجيش إلى الأمام ليجمع العديد من الجوائز والأوسمة لخان ومنحها إياه، ثم جاءت كتيبة أخرى من المغول وأعطاهم تيمور جميع الأموال والثروات، ولما وصل خان مع الجيش أخبره تيمور بسبب فقدان الثروة، فبدأ في مطاردة جيوش المغول، ودمر كل شيء في الطريق. ووصل العدو إلى الحدود الشمالية وبدؤوا في حشد القوات بدلاً من ملاحقتهم، وعندما رأى خان ذلك، تشاور مع تيمور

ورجع إلى المدينة الخضراء، وهكذا أنقذ تيمور المدينة الخضراء من الدمار والخراب. وجاء برلاس (عم تيمور) للقتال، واندلعت الحرب بين العم وابن أخيه، كما جاء تغلق تيمور أيضاً، وحقق انتصارات سخية، وفي أثناء إيابه جعل ابنه إلياس ملكاً لجميع الولايات التتارية، وقد نشأت عدّة فتنٍ خلال هذه الفترة، لكن الأمير إلياس لم يعرها أيّ اهتمام، وتمكّن تيمور من حل العديد من القضايا بقوة السلاح، وبناءً على ذلك أصدر "تغلق تيمور" أمراً بقتل تيمور.

تيمور والبدوية:

لما علم تيمور بهذا الأمر هرب سريعاً، وفي طريقه عانى كثيراً من المصائب، وعند مروره بـ "هيو" تعرّف عليه الناس المارّة، وأرادوا محاربتة والقبض عليه، ولكنهم لم ينجحوا، ولما وصل إلى "تركمان" أكرمه الناس، وقدموا له الهدايا والخيول للركوب، فخرج من هناك، ولما صل إلى الطريق قبض عليه الأمير "علي بيك" ووضعه في السجن، فلبث في السجن اثنين وستين يوماً تقريباً، ولما علم أخوه الذي كان والياً على مدينة طوس، منع شقيقه من التدخل في شؤون "المدينة الخضراء" وإمبراطورية مغل، وأمر بالإفراج عن تيمور، وأرسل العديد من الهدايا لتيمور، لكن شقيقه أخذ جميع تلك الهدايا لنفسه، وأعطى تيمور حصاناً هزياً، وودّعه من بلده. وقام تيمور برحلات مختلفة، ووصل إلى "اقطاع" مروراً بكابل وقندهار، حيث رافقه جيش بقيادة شقيق زوجته أمير حسين.

القتال على الجسر:

وذات ليلة عندما كان تيمور في خيمته التي نصبها على الجبل، رأى بعض الناس يأتون نحو الخيمة، وفي الواقع كانوا أعضاء في جيش تيمور، وأخبروه أنهم كانوا يبحثون عنه، وقالوا إن جيش المغول يتقدم نحو "المدينة الخضراء" بجيش قوامه ثلاثون ألفاً. فأمر تيمور مباشرة بإعداد الجيش، ولما بدأت المعركة قاتل تيمور وجيشه بشجاعة كبيرة، وفر المغول، ووزع تيمور غنائمهم على جيشه، ثم قام بتنظيم بقية الجيش وعين أمراءهم.

حرب في المطر:

كان إلياس خواجه أميرا على جميع ولايات التتار، وكان والده "تغلق تيمور" قد توفي، فذهب إلى "الماليق" -عاصمة مملكة جته - لكنه رجع سريعاً إلى أراضي "ما وراء النهر" ونظم جيشه، كما تقدّم تيمور لمحاربته، وفجأةً بدأت الأمطار الغزيرة في النزول، وانتشرت المياه في جميع الأراضي، ولم يتخذ الجيش التيموري أي ترتيبات بشأن الحفاظ عن المطر والبرد، وكان الجيش المعارض مجهّزا بجميع الوسائل للحماية من المطر والبرد، وعندما انقطع المطر بدأ القتال، وبعد معركة دامية للغاية تمكّن تيمور من السيطرة على ساحة المعركة، وفي النهاية احتاج تيمور إلى المساعدة، فبعث رسلاً عدة مرات إلى "أمير حسين" -أخي زوجته- لكنه لم ينتبه، وحينئذ حصل خواجه إلياس على دعم حربي، ومن أجل ذلك انهزم تيمور في الحرب بعد انتصاره، وقد عانى تيمور من ذلك طوال حياته.

وصل تيمور مباشرةً إلى "المدينة الخضراء"، حيث توفيت زوجته لجائي، وانتهت علاقاته البقية بالأمير حسين الآن.

أميران في أرض واحدة:

انتشر وباء في خيول "جاتا مغل" في سمرقند، مما أدى إلى انقراض عدد كبير من خيولها، واستغل الأمير حسين هذه الفرصة فطارد المغول وطردهم بعيداً عن سمرقند، وأصبح الأمير حسين وتيمور حاكمين لجميع الأراضي من حدود الهند إلى بحر خوارزم. وأعطى الأمير حسين لتيمور صلاحيات قليلة في السلطة، وأبقى بقية الصلاحيات لنفسه. ولذلك كان أمير تيمور يقود جيشاً قوامه مائتان وأربعون جندياً فقط، وقد تمكن من طرد المغول من جسر سانجين، وبعد انهزام هؤلاء، خطط للقبض على "القرشي"، ولما علم موسى بمجيء الأمير تيمور، بادر في الفرار من هناك، وأعطى ابنه مسؤولية "القرشي"، وعندما رأى ابن موسى الأمير تيمور وجيشه، أطاعه على الفور.

وصول تيمور إلى "بام دنيا":

ولم يكن حاشية الأمير حسين سعداء به، جاء مانجلي بوغا زعيم الغجر إلى تيمور، وكان تيمور يتقدم نحو بدخشان بعد إنهاء تمرد "جاتا المغول".

وعندما سمع بوصول تيمور، أزال الجيوش وترك الجبال المغطاة بالثلوج وذهب بعيداً، وصل تيمور أيضاً مع رفاقه لملاحقتهم، ونزل الجيش من "بام دنيا" إلى السهول، بعد فترة طويلة من الحرب والجدال، قبل الأباطرة التتار طاعته، وخضع أتباع الأمير موسى أيضاً لطاعته، وأصبح جيش الأمير تيمور كبيراً بانتظام هؤلاء، وأما الأمير حسين فقد بقي معه عدد قليل جداً من القوات، كما هزمه جيش تيمور بالقرب من "بلخ"، وتوفي الأمير حسين بعد فترة، واختير الأمير تيمور أميراً بالإجماع، وأصبحت لتيمور سيطرة على جميع البلدان التي تقع بين "الهند" و"نهر سير"، كما قبل أبناء أمراء "جاتا" والأباطرة الآخرون بجانبهم طاعة تيمور، وكانت أراضي "خيوة غانج" وجبل "يورال" تحت سيطرة والي خوارزم حسين الصوفي، أراد الأمير تيمور إقامة علاقة ودية معهم لكنه لم ينجح، وبعد وفاة حسين الصوفي قبل أهل منطقته طاعة الأمير تيمور، والمنطقة التي كان يحكمها الأمير قزغان، أصبحت في سلطة جهانكير نجل تيمور، ثم غزا تيمور هرات واستولى عليها.

سمرقند:

جاء أهل المدينة في خدمة تيمور ودخلوا في طاعته، قام تيمور بإصلاح المدينة المحطمة، وأمر ببناء الحصون وبناء نُزلٍ للضيوف، كما فتح بحر حزر، وكان قمر الدين آخر والٍ لـ "مغول حبه"، فتجراً على القتال ضد تيمور لكنه هُزم، وكانت منطقة صيرة وردة ملكاً لجنكيز خان وذريته، وكان أصغر جزء من إمبراطورية المغول تحت سيطرة "حبة المغولية"، الذين كانوا من نسل جنكيز، فقهرهم الأمير تيمور جميعاً، وجاء "توقتمش" والي كرميا إلى تيمور يطلب الأمان؛ بسبب الوضع غير المواتي، فأعطاه الأمان، ولم يرده تيمور على الرغم من طلب مبعوث سيرافاردا، وأنقذ توقطماش من العُزة، ولكن عندما استعاد "توقطماش" منصبه وقَفَ في مواجهة تيمور، وتقدم تيمور مع جيشه لقتاله، وعندما عبر نهر توبال واجهه جيش توقطماش الذي كان قد نصب كمينا له، وبدأت معركة شرسة بين الجيشين، وهرب توقطماش من ساحة المعركة، واستولى الأمير تيمور على ممتلكات توقطماش، وقد حصل التتار على الكثير من الغنائم في هذه المعركة.

موسكو روسيا:

عندما تقدم عَلمُ تيمور الشرقية على ضفاف نهر الدون (أوروبا)، خاف الجميع في مدينة موسكو الروسية، وسجدوا أمام "تمثال" مريم (عليها السلام)، ومرر تيمور بموسكو ثم رجع، وسقطت المدن الواقعة على شواطئ المحيط الهادئ: البندقية (إيطاليا)، جنيف (سويسرا)، كاتالونيا (إسبانيا)، سقطت جميعاً ضحيةً لسيف تيمور، ولم يبق شيء عند أحفاد "جنكيز" سوى "صحراء جوبي" وأقطاع الشمال.

وفَتَحَ العديد من الحصون التي صادفته على الطريق، وهكذا وصل تيمور إلى شواطئ بحر هزار، والآن كانت أمامه سلسلة جبال البرز التي تشكل حدود شمال إيران، واستمرّ تيمور في غزو الحصون، واستولى على عدّة حصون، أشهرها: حصون قلات وتكرت، وصارت المناطق الشمالية من خوارزم والبحار الشاسعة لبحر حراز، وكذلك المقاطعات الجبلية في إيران والقوقاز -أصبحت جميعها- ملكاً لتيمور، وكان الخراج يأتي إليه من الأراضي التي تتسّع من نيسابور في خراسان إلى مدينة "ماليق" في الصين.

وكانت الهند تقع في الجنوب، خلف سلسلة جبال "هندوكش"، وبعد وفاة جلال الدين شاه، أصبح أبنائه أيضاً جامعي الضرائب لتيمور، وفي عام سبعمائة وتسعين من الهجرة أصبح الأمير تيمور حاكماً على "جورغان" هضبة آسيا الوسطى بإيران، وفتح تيمور طريقين للوصول إلى الهند، من كابل إلى دره خيبر (ممرّ خيبر)، ومن قندهار إلى السند، وأخضع شاه شبستان في معركة، واحتل في الغرب قلعة "سياه ميش" ومدينة الموصل، استولى تيمور أيضاً على حصون نهر دجلة، والآن أراد تيمور أن يفتح آسيا كلها، وكانت بغداد تقع في الطريق الذي كان يسير عليها جيش التتار، وكان خليفة بغداد السلطان أحمد جلاير يعتبر من ناصري الأمة والدين، فواجهه تيمور وأجبره على الفرار من بغداد.

مدينة سمرقند الآمنة:

زَيَّنَ تيمور مدينة سمرقند بأرقى الهندسة المعمارية، وأعطاهم الأولوية لجعلها آمنة وسليمة من كل خطر.

حرب استمرت ثلاث سنوات:

اضطر تيمور إلى قطع مسافة ألف ميل للوصول إلى أعدائه، وجميع الناس الذين اتحدوا ضده كانوا على شكل أقواس وسهام، بما في ذلك جيش القوقاز التركي والجيش المصري الذي كان في سوريا، قام تيمور بتدميرهم جميعاً، واحتل جميع المدن إلى "سيواس" في بداية القرن الخامس عشر، وكانت الخطوة التالية باتجاه سوريا وحلب وحمص ودمشق.

مغادرة رئيس الأساقفة إلى أوروبا:

شعر ملك "هنغارية" ساكسمان بالتهديد من قبل السلطان بايزيد، فقام بإقناع أوروبا بالذهاب إلى الحرب لحماية الصليب، ووافق الملك فيليب، كما انضمت إليه سفن "وينس"، وتم جمع حوالي مائة ألف جندي من الصليبيين، وبعد معركة شرسة بين جيش السلطان بايزيد وجيش الصليبيين، هرب الصليبيون وانتصر السلطان بايزيد.

معركة بايزيد وتيمور:

وفي عام ١٤٠٢ وقّعت الحرب بين السلطان بايزيد والجيش التيموري، وصل تيمور إلى أنكورية مروراً بـ "سيواس". وكان بايزيد قد اتخذ من أنكوريا عاصمته. فاستولى عليها الجيش التيموري وصادر المياه، وهُزم جيش بايزيد المتعب، وألقي القبض على السلطان بايزيد أثناء محاولته الهروب، فأمر تيمور بإحضاره أمامه، وأبدى له الود والاحترام، لكن بايزيد لم يتحمل صدمة الأسر، ولقي خالقه الحقيقي.

تيمور عند بوابة أوروبا:

حصن "أزمير" الذي لم يستطع بايزيد اقتحامه حتى بعد ستة أشهر من الحصار؛ حاصره تيمور وتمكّن من الاستيلاء عليه، وكان الأتراك موجودين هنا منذ ما يقرب من قرن، وشعر الأوروبيون بسعادة غامرة أثناء حكم تيمور لهذه الإمبراطورية، وقاموا بتهنئة تيمور على ذلك، ولم يحاول تيمور دخول أوروبا.

العالمُ الجليدي:

فكر تيمور في الانتقال إلى الصين في آخر عمره، عندما كان يبلغ من العمر سبعين عامًا تقريبًا، كانت الثلوج تتساقط في جميع أنحاء العالم، لكن جيشه كان يتقدم باستمرار. وفي مارس ١٤٠٥م تدهورت صحة تيمور في ولاية "أترار"، ويئس الطبيب الملكي، وفي ذلك الحين التقى تيمور بخالقه الحقيقي.

في زمن تيمور أصبح التتار أسياد نصف العالم تقريبًا، وأخذ الولاءُ وعُقدت البيعة من الناس لخليل سلطان بن ميرانشاه ملكًا، وأُجلِسَ على كُرْسِيِّ الحُكْم قبل وصول الحفيد الذي كان تيمور قد أوصى بجعله خليفةً له.

عرض رواية "وظل النيل يجري" (۱)

عمرو بن العاص "فاتح مصر"، جاءت فكرة غزو مصر إلى ذهنه، فأقنع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بغزو مصر، لأن عمرو بن العاص ذهب مرة إلى القدس مع بعض قريش، ونزلوا في العراء، فرأى رجلاً نحيفاً ينزل من تل بعيد باتجاهه، ولما وصل إليه بعد وقت طويل سقط على الأرض من العطش والإعياء، فسقاه عمرو، وشرب حتى ارتوى ونام تحت شجرة، وبعد وقت قليل رأى عمرو أن ثعباناً أسود قد اقترب منه بجواره، فقام عمرو بتقويم قوسه وسهمه وقتل الثعبان، عندما استيقظ الرجل اندهش، فأخبره عمرو كيف سارت الأفعى نحوه فقتلها، وكان الرجل ممتناً جداً له؛ لأنه أنقذ حياته مرتين، في سقي الماء وحمايته من الثعبان، فأصر الرجل على أن يذهب معه عمرو إلى الإسكندرية وفقاً لعادة العرب في مكافأة المحسن، وسيدفع ثمن حياتين، هذا يساوي مئتي جمل، لم يوافق عمرو بن العاص في البداية، ولكن عندما أصر الرجل أكثر اصطحب معه رفيقاً آخر للسفر، فسافر إلى الإسكندرية، ثم رجع من مصر لكن تعلق قلبه وعقله بمصر.

لم تكن هناك سوى قوتين متحاربتين في العالم آنذاك، الفرس المجوس عبّاد النار، والرومان المسيحيون، كانت هاتان القوتان في حالة حربٍ ضد بعضهما في الشرق الأوسط، وكان الفرس أحياناً يهاجمون سوريا ومصر، ويعتبر الرومان العرب جاهلين تماماً ومتخلفين، ولكن هؤلاء العرب يتقدمون ويهزمون الرومان والفرس.

هربت جيوش هرقل من سوريا، ووصل هرقل إلى مدينة أنطاكية المحصنة، لكن أبو عبيدة لم يسمح له بالبقاء هناك أيضاً، في النهاية، انتقل إلى بلدة صغيرة تسمى رباء، وحاول توحيد جيشه لكنه فشل؛ لأن قادة الجيش الإسلامي قسموا جيشهم أيضاً

(۱) اختصرتها الباحثة بأسلوبها من رواية: "اورنيل بهتاربا، فتح مصر فرعونون كي پر اسراريت، نیل کے توہمات" = وظل النيل يجري فتح مصر وغموض الفراعنة وأوهام النيل، عثمانيت اللہ التمش، ادبی دنیا، اردو بازار—ڈبلی انڈیا، 2000ء.

حسب جيش الرومان المشتت، وأصبح من المستحيل على الرومان توحيد جيوشهم في مكان واحد.

احتل مجوس إيران العراق، واحتل الرومان الذين صلبوا المسيح سوريا ومصر، والآن هم من أتباع المسيحية، والفرس جعلوا القدس مكاناً للعبادة مثل الكعبة المشرفة، انتزع الفرس سوريا ومصر من الرومان عام ٦١٤م، والتي استعادها هرقل عام ٦٢٥م بعد غزو واسع لمصر وسوريا، وبعد ذلك تجرأ الفرس على مواجهة الرومان، وملوكهم معروفون في الإسلام بقيصر وكسرى.

قاتلت جيوش هرقل من أجل الانتقام من الفرس من منطلق التضامن الوطني، وانتصرت في الحرب، ثم غزا هرقل فيما بعد الأراضي التي احتلها الفرس سوريا ومصر، وأدخل المسيحية ديناً سياسياً، وعندما هاجم المسلمون قيصر وكسرى رحب الناس بالمسلمين، وكان الجيش الروماني الذي سئم من دين هرقل السياسي يتراجع بأعداد قليلة، وهُزموا من مجاهدي الإسلام، حتى أدخلوا البلاد بأكملها من سوريا وصولاً إلى شواطئ بحر الروم، وبعض الأماكن كانت في أيدي الرومان، ومن أبرزها: أنطاكية وحلب ومرعش وبيروت، وكان هو نفسه في رباء، ويعتقد أن الجيش كله يجب أن يتجمع في رباء، لكن جيوش الإسلام منعت طريقه، أكبر هذه المواقع أنطاكية التي كانت لا تقهر؛ لأنها كانت محاطة بالجبال، والأبنية الشاهقة، وكان قائد الجيش الإسلامي أبو عبيدة بن الجراح وساعده الأيمن خالد بن الوليد.

بعد فتح أنطاكية، فُرضت جزية صغيرة على الناس هناك، وألغيت الضرائب، وما إلى ذلك، كانت هناك بعض الثورات، لكن القادة تغلبوا عليها في الوقت المناسب، فتح المسلمون حلب أيضاً، وبالمثل عندما جاء ضابط في الجيش من حلب، أوضح لهرقل سبب إخفاقه وفشل الحكومة، وهو الضرائب الباهظة والدين الرسمي للمسيحية، وكان هرقل على علم بسياسته الفاشلة فأحني رأسه. واستولى المسلمون على بيروت فيما بعد وطردها الرومان من جميع المناطق التي بنى فيها الرومان حصوناً للدفاع عن سوريا، ووصل يزيد بن أبي سفيان من دمشق إلى بيروت فور تلقيه الأوامر من القائد أبي عبيدة.

الهجوم على بيروت معناه أن الرومان لن يعودوا قادرين على تلقي أي مساعدة عن طريق البحر، قرر هرقل الذهاب إلى القسطنطينية؛ لأن مصر كانت لا تزال تحت الحكم الروماني، كانت هذه المنطقة التي يمكن أن يحصل فيها على إجراءات أمنية، جمع جيشه ووصل إلى بيزنطة، حيث جاء بعض شيوخ القبائل واقترحوا هجوماً آخر، كما دعا هرقل إلى تعزيزات جديدة من مصر، وتجمع الجيش كله في "بيسان" على بعد مسافة من دمشق، وكانت هذه المنطقة مخضرةً، حيث أمر قائد الروم "سكار" بقطع أطراف الأنهار، ثم أرسل إلى المسلمين يطلب مبعوثاً لإجراء مباحثات الصلح والسلام، لكن لم تنجح لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بالثبات في سبيل الله، كانت حصص مدينة كبيرة، وكان أبو عبيدة مع مجاهديه في هذه المدينة لأنها كانت مقراً للمجاهدين، لكنه لم يكن يتخيل أن هرقل سيهاجم مرة أخرى، فلما سمع أبو عبيدة الخبر اشتركت القبائل في الهجوم.

كتب أبو عبيدة رضي الله عنه رسالة إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، بناءً على نصيحة مستشاريه، ورسالة إلى القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حول الجهتين العراقية والإيرانية، وأمر بإعطاء القادة سهيل بن عديّ وعبد الله بن نيسان أربعة آلاف فارس وإرسالهم إلى هذه المناطق القبلية في الجزيرة، الذين ساعدوا ٣٠ ألف جندي من كل قبيلة، وأمرهم بأنهم إذا قاتلوا يجب أن يأخذوا جنود العدو أسرى حرب، وإذا لم يستسلموا يجب تدميرهم والمستوطنات الأخرى، جاء عمر رضي الله عنه مع الجيش لمساعدتهم.

أبو عبيدة رضي الله عنه:

وصلت أيضاً مساعدات عسكرية من مصر لهرقل وكان قائدها ابنه قسطنطين. عندما وصلت الأخبار إلى القبائل، غيروا رأيهم، وأرسلت القوات من قبل عمر رضي الله عنه، عندما وصلوا إلى القبائل، كان على القبائل المغادرة على الفور مع كل قبيلة والعودة إلى قبائلهم، وهكذا تم تقليص الجيش بالقرب من كل قبيلة، كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قد أرسل رسالة إلى سعد بن أبي وقاص في العراق بأن يعطي

الققعاق بن عمرو أربعة آلاف فارس ويرسلهم إلى حمص على الفور، وكان الققعاق قد حارب في السابق ضد جيوش الفرس، كان سريعاً وشجاعاً جداً، بعد الهجوم على معركة غمسان تراجع الكفار، وهربوا.

فقد غادر هرقل بيزنطة ولكن الثعبان لم يمت حتى الآن، فكان متوجهاً إلى روما، كان قائد الجيش المهزوم قسطنطين بن هرقل، بدلاً من الذهاب إلى بيزنطة، التفت إلى أنطاكية، الآن أمر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بأن يقتصر على الحدود السورية، لا ينبغي اتخاذ مزيد من الإجراءات وتعزيز إدارة المناطق المحتلة، وأراد عمرو بن العاص أن يتم فتح مصر أيضاً، وقال: إنها أرض الأنبياء ومصر أيضاً مذكورة في القرآن الكريم، وأعطى عمر رضي الله عنه أملاً، كان عمرو بن العاص قد أقنع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بغزو مصر، لكن عمر قال: سيتم أولاً تعزيز الدفاع عن الشام وفارس، ومن ثم سيسمح بفتح مصر.

كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ومستشاروه في حالة ضائقة شديدة بسبب المجاعة الشديدة، مع ذلك الطاعون الذي أودى بحياة العديد من المجاهدين، بعد المجاعة والطاعون أذن عمر الفاروق رضي الله عنه بغزو مصر، لكن الصحابة العظماء بمن فيهم عثمان رضي الله عنه، كانوا مستائين ولم يكونوا راضين عن قرار عمر رضي الله عنه، كان عمر الفاروق رضي الله عنه يواجه وجهات نظر مختلفة، فبعث برسالة إلى عمرو بن العاص بيد شريك بن عبد يقول فيها: حسب تاريخ هذه الكلمات، وإذا كنت قد دخلت في مصر بالفعل، فاستمر في المضي قدماً، فسأرسل لك المساعدة، وإن كنت لم تدخل فعد إلى بيت المقدس. فلما وصل إليهم الرسول كانوا في رفح، لم يقرأ الرسالة وظل يسأل عن أخبار المدينة المنورة، عندما وصلوا أخيراً إلى مصر، فقرأ الرسالة على جيشه.

عندما دخلوا مصر، كانت أول منطقة قادمة هي العريش والتي غزوها بسهولة؛ لأنهم سحبوا جيشهم بالكامل من المنطقة، والمنطقة التالية كانت الصحراء قبل الفرما، وكان عمرو بن العاص يغادر الصحراء ببطء شديد، كان هناك جيش في الفرما، لكن الجنرال الروماني الشهير أطريون كان في الإسكندرية، كان جواسيسه يبقونه على اطلاع

على أساس يومي، الآن المسلمون بحاجة للمساعدة وكذلك الحبوب والحيوانات، كانت أقرب قرية هي قرية العرب البدو، فلو تعاونوا لكنت الحرب أسهل، لكنهم كانوا من البدو، وكانوا مقاتلين شجعاناً للغاية، لكنهم كانوا دائماً يفعلون ما يريدون، وكانت هناك طريقة واحدة فقط، لأنهم كانوا بدواً يؤمنون بالخرافات كان من الممكن استغلال ضعفهم من أجل السلام، كل عام في اليوم الثالث من القمر كان لديهم حفل، في هذا الحفل هاجم الجواسيس المسلمون (جرير وشرينا وفهد ومسعود) بنجاح كبير، وأخذوا هؤلاء البدو معهم، وسيطر بدو القرية المصرية بالكامل على الإمدادات الغذائية، وكان عمرو بن العاص راضياً عن ذلك، فأخذ قيادة الهجوم وانضم إلى البدو في الجيش، وألقى خطاباً مؤثراً، وكان غزو "فرما" بعد العريش، وكان نصراً عظيماً للمسلمين. الآن كان جيش عمرو بن العاص كله باتجاه مدينة "بليس"، لكن لم يكن من السهل احتلال مدينة "بليس" هذا هو السبب في أنهم قسموا جيشهم إلى أجزاء، أرسل الجواسيس إلى الأمام، كانوا ينقلون المعلومات الصحيحة إلى العسكر بعد فترة وجيزة من انتصار فرما، وصل هؤلاء المسلمين إلى "بليس" وغزوها، ونصروا جيوش المسلمين وهرب الكفار، وكثير منهم هلكوا على أيدي المسلمين.

بعد انتصار "بليس" فتحت "أم دين" و"الفيوم"، هذه المنطقة مخضرة، وكذلك الحبوب والحيوانات في هذه المنطقة وافرة، لما سمع "المقوقس" ملك مصر بهلاك الجيش أرسل جيشاً آخر لملاحقة المسلمين، المسلمون خرجوا من الصحراء، ووصلوا إلى ضفاف نهر النيل، ووصل أيضاً نصف المساعدة المرسلة إليه، ونصب هذا الدعم في "هليو بوليس" بدلاً من "أم دين".

كان عمرو بن العاص قد بدأ الاستعداد للحرب وكان يرتب ويشرح للمجاهدين ويلهمهم، من ناحية أخرى في "ببليون" غرس المقوقس وقائده "ثيودور" في جنودهم الروح القائلة بأنهم إذا فشلوا، فسيغادرون مصر إلى الأبد، لذلك سيضطرون إلى القتال بقوة، في اليوم التالي جاء الجاسوس وأخبره أن القوات الرومانية في العراق للقتال، كما أراد عمرو بن العاص القتال في العراق، لكن كل شيء كان خيراً من الله، رتب عمرو بن

العاص الجيش حتى يفقد الجيش الروماني موطن قدمه مرة أخرى، وبعد خسائر كثيرة هرب باقي الجيش، وتم إخلاء الفيوم بالكامل، تقدم عمرو بن العاص واحتل المنطقة كلها.

سقطت الأراضي المجاورة لبابليون في أيدي المسلمين، وسقطت شواطئ النيل في أيدي المسلمين الآن كان الأمر يتعلق باحتلال قلعة "بابليون" كان الحصن تحت الحصار، كان الحصن قويا جداً، لكن الجيش الروماني، ليس عنده قوة إيمانية مثل جيوش المسلم، بسبب رعب الجيوش المسلمة، أصبح الجيش الروماني الهارب، لما رأى "المقوقس" هذا العالم من الجيش حاول أن يضع السلام مع المسلمين حتى يكون من الأفضل تجنب إراقة الدماء، وهذا يضع السلام بدفع الجزية وهو ما تم قبوله بجزية، وبالتالي فُتح الحصن.

لكن حين ينقل مقوقس الخبر إلى "هرقل" ويرسل رسالة وتفاصيل كاملة إلى هرقل، سمع هرقل عن هذا الخبر، فأخبر الناس أن المقوقس قد تبين أنه خائن وأنه يضع مصر كلها في حضن العدو. هرقل أمر بتجهيز تعزيزات لمصر مع الجنرال ثيودور والجنرال جورج المسؤولين عن بابليون.

عندما أخبره المقوقس عن الوضع برمته في مصر تدهورت حالة هرقل، وكان الطبيب الملكي يعالجه، لكن حالته ما تغيرت، جاء اليوم الذي مات فيه هرقل، بعد مائة يوم من موت هرقل مات ابنه قسطنطين أيضاً، تم تسميم "الأب" و"الابن" معاً حتى الموت على يد الملكة مارتينا بواسطة طبيب.

لقد كان عوناً عظيماً من الله جعلهم يتمردون ويتألمون الواحد تلو الآخر، تولى عمرو بن العاص إدارة الحصن، لم يكن غزو بابليون غزواً عادياً، كان احتلال هذه المدينة الكبيرة وقلعة بابليون المحصنة بمثابة نهاية لمرحلة غزوات المجاهدين، في مصر حيث احتلوا نصف مصر التي كانت المنطقة البابلية منها ذات أهمية خاصة.

كان المسلمون مستعدين لمهاجمة الإسكندرية، أرادوا الوصول إلى الإسكندرية على الفور، أخذ عمرو بن العاص الإذن من أمير المؤمنين بغزو الإسكندرية على الفور، وطلب المساعدة، وهناك المسيحيون قبلوا الإيمان، وطمأنوا المسلمين على التعاون

الكامل، بجانب هذا كان حصن "كريون" المستعصي بزعمهم، ولم يكن من السهل غزوه، واصطف الجيشان في مواجهة بعضهما البعض، وخاضوا معركة دامية للغاية.

كانت القوات والمجاهدون يقاتلون بالتناوب، استخدم القائد عمرو بن العاص التكتيكات ونظم القوات بحيث كان هناك تدافع بين قوات العدو، كانت معركة كريون مستمرة، والمعارك شرسة للغاية، لم يكن هناك مخرج، ذات يوم انزعج القادة المسلمون لدرجة أنهم أخذوا المجاهدين، وصلوا صلاة الخوف، ودعوا الله تعالى يرجون الفتح، دخل جيش المجاهدين إلى الحصن من الباب الخلفي، وبدأوا بقتال الجنود الرومان، استولى المسلمون على القلعة أخيراً، واستسلم الجنود الرومان، وفرّ الجنرال ثيودورد من كريون إلى الإسكندرية.

الجهة التالية للمسلمين كانت الإسكندرية، كان مجاهدو الإسلام يقفزون في الواقع إلى نار نمرود، أخبر عمرو الجيش بجميع الترتيبات الدفاعية، وقال إنه إذا تم احتلال مدينة الإسكندرية فقد تم احتلال مصر بأكملها، لن يكون هناك ملجأ للرومان. وصل جيش المجاهدين إلى الإسكندرية، لكن محاصرة المدينة لم تكن سهلة، استمر الحصار لمدة شهرين، ولكن تم الدفاع عن المدينة بشدة.

هذه المرة لم يقاتل الجيش الروماني خارج الحصن، ولكنهم الآن غيروا طريقتهم، وكانوا قبل ذلك يقاتلون في الخارج، لكن بعد شهرين لم يخرجوا للقتال. وكان أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه مستاءً؛ لانقطاع الأخبار لفترة طويلة، لذلك كتب خطاباً صارماً للغاية، وأرسله إلى الإسكندرية، بأن الحصار استمر لفترة طويلة، ولا توجد طريقة لغزو الإسكندرية.

حينما تلقى عمرو بن العاص الرسالة، جمع الجيش على الفور، ونقل رسالة أمير المؤمنين إليهم، بوضع القادة الذين أرسلوا مع تعزيزات أمام الجيش ومهاجمتهم بعد صلاة الجمعة؛ لأن هذا وقت للدعاء من الله تعالى، عندما كان يتم التحضير للهجوم، بحمد الله، خرج الجيش الرومي للقتال، لكن النصر هو مصير من يطيع أوامر قائده، وبعد

الصلاة نشبت معركة دامية، وقُتل عدد كبير من الرومان، وفر الناجون، ودخل المجاهدون إلى المدينة، وارتجت بالتكبير، بعدما سئم المواطنون بالفعل من الحصار. مع غروب الشمس في ذلك اليوم كانت مدينة الإسكندرية بأكملها تحت سيطرة المسلمين، تم إنزال علم الروم، ورفع علم الإسلام، أرسل عمرو بن العاص بشرى النصر لأمير المؤمنين عن طريق معاوية بن خديج. قتل في بيزنطة هرقل يونس (ابن هرقل) في حصار العرش الملكي، حيث ذهب للصيد وجاءه سهم اخترق جسده. وغضبت جارية على الملكة مرتينا، وقتلتها بسيف هرقل الذي كان معلقاً في غرفته؛ لأنها أتت ولد الجارية الساحرة، وهكذا أصبحت المعركة تحت سيطرة المسلمين.

عرض رواية "في سجن دمشق" (۱)

بينما كان الفقراء مُجْتَمِعِينَ أَيَّامَ الْحَجِّ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَكَانَ أَحَدُ الْفُقَرَاءِ مَنْعَزِلًا عَنْهُمْ، جَاءَ الشَّابَانُ اللَّذَانِ يَنْوِيَانِ التَّعَرُّفَ عَلَيْهِ وَجَلَسَا حَوْلَهُ فَعَلِمَا أَنَّهُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ، فَبَدَءَا فِي احْتِرَامِ هَذَا الْفَقِيرِ مِثْلَمَا كَانَا يَحْتَرِمَانِ أَمِيرَهُمْ مِنْ قَبْلُ، فَجَاءَ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ وَأَخَذُوهُمْ إِلَى الْخَلِيفَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَلَمَّا تَوَلَّى سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَخِيهِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، اسْتَدْعَى فَاتِحَ السِّنْدِ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ، الَّذِي كَانَ مَنْشَغَلًا فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي السِّنْدِ، وَكَانَ مُتَقَدِّمًا بِجَيْشِ الْفَتْحِ نَحْوَ حُدُودِ بِلَادِ الْهِنْدِ، فَأَمَرَ بِوَضْعِهِ فِي السِّجْنِ، وَعَذَّبَهُ هُنَاكَ شَهْرًا بِشَتَّى أَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ حَتَّى مَاتَ، وَاسْتَدْعَى قَتِيبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ الَّذِي كَانَ يُوقِدُ مَشَاعِلَ الْإِسْلَامِ فِي الصِّينِ - وَالْمَسَاجِدُ هِيَ أَفْضَلُ مِثَالٍ عَلَى الْعِمَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الصِّينِ، وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يُذَكَّرَ قَتِيبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا - لَكِنَّهُ اسْتُدْعِيَ أَيْضًا مِنْ الصِّينِ، وَسُجِّنَ فِي دِمَشْقٍ.

وَعِنْدَمَا دَخَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ وَطَارِقُ بْنُ زِيَادٍ الْحُدُودَ الْفَرَنْسِيَّةَ؛ جَاءَهُمَا أَمْرٌ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْعُودَةِ إِلَى دِمَشْقٍ، وَوَصَلَ هَذَانِ الْقَائِدَانِ فِي آخِرِ أَيَّامِ الْوَلِيدِ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، عِنْدَمَا تَوَلَّى سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحُكْمَ، زَجَّ بِهِمَا فِي السِّجْنِ.

تَوَفَّى مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ فِي الْأَسْرِ، وَأَمَّا طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ فَقَدْ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ إِثْرَ وَصُولِهِ إِلَى الشَّامِ، وَمَاتَ فِي فَقْرٍ وَغُمُوضٍ. وَكَانَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ فَاتِحَ الْأَنْدَلُسِ، إِلَّا أَنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ كَانَ يَشُدُّ أَرْزَهُ فِي هَذِهِ الْوَقَائِعِ، وَكَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْعُمُرِ ٨٠ عَامًا فِي ذَلِكَ الْحِينِ، وَكَانَ فِي ذِمَّةِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ دَفْعَ أَلْفِي دِينَارٍ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَدْ تَأَسَّسَتْ دَوْلَةُ الْأَنْدَلُسِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى يَدِ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ وَمُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَقَدْ حَكَمَهَا الْمُسْلِمُونَ لِمُدَّةِ ثَمَانِمِائَةِ عَامٍ. وَمِنْ قَبْلِ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ الْأَنْدَلُسُ تَحْتَ حُكْمِ

(۱) اختصرتها الباحثة بأسلوبها من رواية: "دمشق في قيد غاني میں اندلس کی ساحل پر کشتیاں جلا دینے والوں کی داستان شجاعت" = في سجن دمشق قصة شجاعة الذين أحرقوا سفنهم على ساحل الأندلس، عنایت اللہ التتش، علم و عرفان پبلشرز لاہور، 2009ء.

رودريك الطاعي والظالم، ولم يكن أحد هناك في مأمن من شره، وكان رجلاً محروماً من العدالة، وكان حكام المناطق في ذلك الوقت يرسلون بناقهم إلى القصر لتعليمهنّ، وتدريبهنّ، وأرسل والي "سيوستة" الحاكم جولين ابنته فلوريندا إلى القصر للتدريب، وكانت فلوريندا جميلة جداً، ولم يبقَ شرفها محفوظاً في قصر رودريك، وكانت فلوريندا تُحب "هنري" الذي كان نجلَ موظفٍ في القصر، وكان فارساً جيداً وشاباً مقتدرًا، وكان يعمل في قصر رودريك في ذلك الوقت، وأرسلت فلوريندا خبرَ إذلالها وإهانتها في القصر إلى والدها عن طريق هنري. ولما علم "جولين" بما حدث لابنته، أخذها على الفور من قصر رودريك بعذر، وذهب إلى موسى بن نصير، أمير مصر المسلم، لطلب المساعدة في مهاجمة رودريك، كان جولين برفقة شقيق فيتيرا "أوياس"، وكان رودريك قد اغتال ويتنرا من قبل ثم اعتلى عرشه.

فقام موسى بن نصير بمعرفة الوضع، ثم أبلغه إلى الوليد بن عبد الملك وطلب الإذن بغزو الأندلس، وأرسل جيشاً قوامه سبعة آلاف جنديّ، بقيادة غلامه البربريّ طارق بن زيادٍ لغزو الأندلس، وأرسل جيشاً صغيراً في البداية بقيادة أبي زرعة طريف بن مالك، لعبور النهر والقيام بهجوم صغيرٍ لمعرفة الوضع في الأندلس، وقع هذا الهجوم عام ٧١٠م، وبعدها سار طارق بن زياد بالجيش نحو الأندلس، وأمر طارق بن زياد جيشه بإحراق جميع السُّفن التي عبروا بها البحر، وفي وقت قصير، احترقت القوارب الأربعة الكبيرة وتحولت إلى رماد على ضفة نهر الكيلبي، الذي أصبح يُعرف فيما بعد باسم جبل طارق، وأقام طارق بن زياد ههنا لبضعة أيام، ثم أراد أن يتقدم نحو العدو وأن يختار موقعاً يناسب جغرافياً لإقامة الجيش، ولكنه وصلته الأنباء باقتراب جيش العدو للهجوم، واندلع القتال بين الجيشين، وتعرض "تيودو مير" -نائب رودريك- لهزيمة قاسية، واحتل المسلمون المنطقة كلها، وكان رودريك يقاتل في الجهة الشمالية في ذلك الوقت، وعندما تلقى نبأ الهزيمة، وصل مباشرةً إلى "طليطلة" عاصمة الأندلس، وبدأ في إعداد جيش كبير، فجهّز جيشاً من مائة ألف جنديٍّ للقتال، ثم خرج إلى جهة الجنوب للقاء المسلمين، وكان متيقناً بفوزه في الحرب.

ولما علم طارق بقدوم جيش رودريك الكبير، أرسل رسالة فوريةً إلى موسى بن نصير للحصول على مزيد من المساعدة، وكذلك أبلغه بنصره على العدو في المعركة الأولى، والتخطيط للمستقبل، فأرسل موسى بن نصير جيشاً قوامه خمسة آلاف، وأصبح جيش المسلمين اثني عشر ألف جنديٍّ، ووصل جيش رودريك للقتال، في رمضان ٩٢ هـ، واستمرت المعركة بين رودريك وجيش طارق بن زياد لمدة ثمانية أيام، وأُربِع العدو بعد القتال الشديد، وزعموا أن المسلمين ليسوا من الإنس، وإنما هم نوعٌ آخر من المخلوقات.

وكل هذا كان من أجل قوة الإيمان بالله تعالى، وحصل المسلمون على النجاح في جميع الأمور بعون الله سبحانه، وانتصروا على العدو بفضلِه عز وجل، وهُزِمَ رودريك ففُتِز في النهر وغرق في الأمواج. وعَثَرَ هنري على حذاء "رودريك" وسيفه وحصانه بالقرب من النهر، فأخذ هذه الأشياء وتوجه إلى طارق بن زياد فقدمها في خدمته، واستأذنه في أخذها لنفسه، فأذن له طارق في ذلك، فأخذها وعاد إلى "سيوستة" وقدمها في خدمة فلوريدا، وكان قد وعد فلوريدا بأنه سيقدم لها رأس رودريك، إلا أنه لم يتمكن من ذلك؛ لأن رودريك قد سقط في النهر ولم يُعَثَر عليه. وبعد هذا الانتصار العظيم تابع طارق بن زياد الجيش المهزوم، وغزا مدناً كبيرة، مثل: قرطبة، وغرناطة،^(١) وملقا. ودخلها طارق بن زياد مع جيشه بعد فتحها، فعامل أهلها بلطفٍ، ولم يهدم أماكن عبادتهم، وترك الكنائس آمنة.

(١) ملقا: مدينة بالأندلس، عامرة، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم عزيز بن محمد اللخمي المالقي، وهي مدينة إسبانية قديمة واقعة جنوب البلاد، وهي عاصمة مقاطعة مالقة في منطقة أندلوسيا، تطل على البحر المتوسط، وتقع وسط منطقة كوستستا، وهي أهم ميناء إسباني بعد برشلونة، تحيط بها الجبال، ويوجد حولها نخرا غواد المدينة ونمواداهورس، مناخها لطيف معتدل، يجذب إليها السياح بشكل كبير، ولد في هذه المدينة الرسام الإسباني بابلو بيكاسو، اشتهرت مالاغا باسم مالقة أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا. انظر: معجم البلدان، لشهاب الدين ياقوت الحموي، ٤٣/٥، دار صادر بيروت، ط/ ٢، ١٩٩٥ م.

ثم بعث طارق بن زياد برسالة إلى موسى بن نصير يُبَشِّرُهُ بهذه الانتصارات، وذكر له أيضاً عن أحوال الحرب والفُتُوحات، كما طلب المزيد من المساعدة، قائلاً إن التعاون سيكون ضرورياً لتوسيع الإمبراطورية الإسلامية.

فلما سمع موسى بن نصير كل هذا قاد بنفسه جيشاً إلى الأندلس دون أن يخبر طارق بن زياد، وجاء أناس كثيرون من قبيلة البربر إلى القيروان وسيوستة للانضمام إلى جيش طارق بن زياد، فضمّهم إلى جيشه.

وبعد التغلب على ظروف الحرب الأهلية أو التمرد في "مادونا" و"سيدونة" و"قرونة"، أمَرَ عليهم موسى بن نصير حكاماً من العرب، كما سقطت مدينتا "مريد" والسبيلة في أيدي المسلمين، وتعرض طارق بن زياد للجلد والسجن لارتكابه جريمة التقدم رغم منع الأمير له، ولكنه لم يلبث أن أُطْلِقَ سراحه بسبب التدخل العسكري المستمر من قِبَل البربر، ثم تقدم موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى الأمام وفتحوا المدن: "لاغون" و"سارغاصة"، ثم تغلّب على "قتلونه" وغزا "فيليسيا" و"غاليسيا" و"سرقسطة" و"ألترياس"، والعديد من المناطق الأخرى. واستمرّ في التقدم وتمكّن من احتلال أكبر مدينتين في فرنسا دون مقاومة، وهما: برشلونة وناربول.

وكان موسى في لوغيو بفرنسا وطارق بن زياد في أستورجا على بعد مسافة قصيرة، فجاءهما المبعوث الخاص للوليد بن عبد الملك يأمرهما بوقف التقدم والعودة فوراً إلى دار الخلافة في دمشق، وأمر موسى بن نصير بجعل "الشبالية" عاصمة البلاد بدلا من طليطلة، وأخذ الزعيمان الغنائم والأسرى من الأندلس وأقاما للراحة لفترة في فلسطين - قبل أن يصلا إلى دمشق-، ومرض الوليد بن عبد الملك مرضاً شديداً خلال هذه الفترة، ولما رأى سليمان بن عبد الملك أن الزعيمين قادمان مع الغنائم والأسرى، منعهما من لقاء الوليد، ولكنهما علما بِقُدوم الوليد إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة، فحضر الزعيمان أمام الوليد بن عبد الملك بالغنائم، فغضب سليمان بن عبد الملك بذلك كثيراً، لأنه كان يريد أن يأخذ الغنائم بنفسه. ولما مات الوليد بن عبد الملك، وجلس سليمان بن عبد الملك على عرش الخلافة قَتَلَ موسى بن نصير وذريته، ولا سيما عبد العزيز الذي

كان في إشبيلية، رغم أن عبد العزيز كان يصوم ويصلي، أما طارق بن زياد (فاتح الأندلس) فقد أُلقي به في الخفاء، بدلا من تكريمه، فقضى بقيّة عمره في فقره، ورحل عن الدنيا فقيراً، ولكنّ اسمه قد كُتب بأحرف من ذهب على صفحات التاريخ.^(۱)

(۱) تلخیص من "دمشق کی قید خانی میں اندلس کی ساحل پر کشتیاں جلا دینے والوں کی داستان شجاعت" = فی سجن دمشق قصة شجاعة الذين أحرقوا سفنهم على ساحل الأندلس.

الباب الثالث

الدراسة الفنية لروايات أمين معلوف التاريخية

وفيه فصلان:

الفصل الأول

الحدث والشخصيات في روايات
أمين معلوف التاريخية

الفصل الثاني

السرد والحوار والأسلوب في روايات
أمين معلوف التاريخية

الفصل الأول

الحدث والشخصيات في روايات

أمين معلوف التاريخية

الحدث والشخصيات في روايات أمين معلوف التاريخية

هذا الفصل يتضمن النقاط التالية:

- الأحداث والشخصيات في رواية التائهون.
- الأحداث والشخصيات في رواية الحروب الصليبية كما رآها العرب.
- الأحداث والشخصيات في رواية صخرة طانيوس.
- الأحداث والشخصيات في رواية سمرقند.
- الأحداث والشخصيات في رواية ليون الإفريقي.
- الأحداث والشخصيات في رواية حدائق النور.
- الأحداث والشخصيات في رواية سلاّم الشرق.
- الأحداث والشخصيات في رواية القرن الأول بعد بياتريس.

الأحداث في رواية "التائهون"

رواية "التائهون" تدور أحداثها في لبنان، وقد اتخذت أسلوب المذكرات في ستة عشر يوماً، تبدأ بالعودة إلى الوطن الأم بعد اغتراب دام أكثر من ربع قرن، ومعلوف في كتاباته كثيراً ما يدعو إلى التعايش والتقارب بين الشرق والغرب، والدعوة إلى التنوع الثقافي واللغوي بينهما.

حاولت العديد من روايات معلوف تصوير الغرب (أمريكا) أو الشمال (أوروبا) على أنه عالم حضاري متطور في كل المجالات، سياسياً وفكرياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً... إلخ، أما العالم الآخر المعروف بالشرق أو بالجنوب فهو دائماً ما يظهر في الأعمال الروائية لمعلوف أنه عالم متأخر بالنسبة لعالم الغرب، فالشرق فقيرٌ ومختلفٌ تماماً عن الغرب، فلذلك نجد الشرق يتخبط في الصراعات الاثنية والطائفية والعقائدية. ما يمكن أن نلاحظه من خلال هذا العمل الروائي هو تدمير العديد من الشخصيات إزاء هذا البلد الذي ينتمي إلى الشرق، وكرههم لها.

الحدث الأبرز في هذه الرواية: تسليط الأضواء على الحرب اللبنانية، التي شتت المجتمع، واضطر الناس للهجرة والنزوح، وكان من تبعات هذه الحرب الأهلية تناحر الطوائف الدينية فيما بينها، في حين كان المواطنون اللبنانيون يتعايشون فيما بينهم قبل الحرب، بكل سلام ومحبة، بل كانت بينهم علاقات الصداقة والزواج والتجارة، بغض النظر عن الخلفية الدينية والمذهبية، كما نلاحظ من خلال شخصيات هذه الرواية، وهم الأصدقاء التسعة، فمنهم السنيّ والشيوعيّ، والمسيحي واليهودي.

يحكي آدم في الرواية تعارف الأصدقاء التسعة كانوا طلبة في الجامعة في بيروت في منتصف السبعينات عشية الحرب الأهلية اللبنانية التي بدأت عام ١٩٧١م، وهم: آدم، ومراد، وتانيا، وألبير، ونعيم، وبلال، وسميراميس، ورمزي، ورامز.

(الشريكان المتلازمان):

كان أول من هاجر من لبنان صديقهم نعيم اليهودي مع أهله، وبعد ذلك جاء الدور على بلال الذي رحل لكن بأسلوب آخر وهو الموت، في حادثة إطلاق النار في أحد شوارع العاصمة بين مجموعتين مسلحتين، والهروب الثالث كان آدم نفسه الذي هاجر إلى فرنسا، والهروب الرابع كان لصديقه (ألبير)، والذي أثر السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على وظيفة مهمة داخل الحكومة الأمريكية، ثم حكاية صديقه رمزي الذي اختار حياة الرهينة، وعاش في الجبل في بيروت، هذه قصة أصدقاء شتت الحرب شملهم، وانتشروا في أربع قارات مختلفة، يعني أن المشرق مكان للصراعات، والجرائم والحروب، والتخلف، حيث يقول البطل "آدم" لصديقه نعيم الذي غادر هذا البلد وأيضاً يعتبر جزءاً من هذا المشرق:

"هذا ما جرى، عزيزي نعيم ... أرجو أن أكون قد أجبته كما ينبغي عن سؤالك، وأود فقط أن أضيف لأجلك ما كررته في أغلب الأحيان عن صديقنا القديم: لقد اضطررنا أنت وأنا إلى الابتعاد عن المشرق؛ لنحافظ على نظافة كفنا، وليس لدينا ما نخجل منه، ولكن الدعوة إلى سلوك طريق المنفى - كحلٍ وحيدٍ لمعضلاتنا الأخلاقية - سيكون منافياً للمنطق، ويجب أن نجد يوماً ما حلاً هناك، لو كان ثمة حل فلم أعد واثقاً من ذلك على الإطلاق".^(١)

نتظر من خلال هذا الشاهد أن هناك نبرة تشاؤم من طرف "آدم" الذي لم يجد حلاً للمشكلات الأخلاقية، فتلك الصراعات والحروب الداخلية أدت إلى تعطل كل شيء، ويظهر لنا حجم الكارثة التي حلت بالبلد، فلم يعد أي شيء صالح فيه، ولم يعد العيش فيه كما كان.

آدم اكتشف كم تغير الحرب الناس والأماكن على السواء؟!، فالحرب لا تدمر الحجر أو تقتل الناس فقط، بل تؤثر على نفسياتهم ودواخلهم وحتى على مبادئهم أيضاً، فصورة هذا البلد انعكست على الشرق المنهزم ككل، حيث يقول آدم:

(١) التائهون، أمين معلوف، ص: ١٩١-١٩٣.

"لا يكفّ الآخرون يرددون على مسامعي أن تلك هي حال المشرق، وأنه لن يتغير، وأنه ستكون هناك عصابات وتجاوزات للقانون، ورشى ومحاباة صارخة، وأن لا خيار آخر سوى التكيف مع هذا الوضع، وبما أني أرفض كل ذلك جملةً وتفصيلاً، يتهموني بالتعجرف، لا بل بعدم التسامح، أن يكون المرء متعجرفاً أو غير متسامح، لو رفض عدم الاكتفاء بديمقراطيةٍ تغريبيةٍ وسلمٍ أهليٍ متقطع؟!، إذًا كان هذا هو الحال".^(١)

فالكثير من أصدقائهم يحملون أفكاراً سلبية عن بلده الذي هو جزء من هذا المشرق، حتى أنهم فضلوا العيش في بلدان غربية على التفكير في العودة إلى وطنهم الذي ولدوا وكبروا فيه؛ لأنهم لم يروا أي نقطة ضوء تلوح في الأفق البعيد لتخبرهم بأمل العودة إلى البلد الأم.

لقد كانت صورة الغرب في هذه الرواية أكثر إيجابية تدفع للأمل، فالكثير من الشخصيات غادرت أوطانها؛ لتنعم بالعيش في الغرب سواء في أوروبا أم أمريكا؛ لأنهم رأوا في شرقهم انهزاماً وتخلفاً في الوقت ذاته.

لعبت الحرب الأهلية الطائفية في لبنان دوراً كبيراً في الكشف عن البقع العمياء والمظلمة في المجتمع، وكل هؤلاء لا ذنب لهم سوى الحرب، وأيضاً صورة الغرب الاستعماري من خلال العديد من المقاطع، كما قال "نضال":

"العلاقة بيننا وبينهم تنطوي بشدة عدم المساواة، فمنذ أربعمئة عام، لم نبادر إلى اجتياح أي بلدٍ غربي، فيما هم الذين يجتاحونا دوماً، وهم الذين يفرضون علينا قانونهم، وهم الذي يخضعوننا، ويستعمروننا، وهم الذين يذلوننا، ولم نفعل سوى التحمل والتحمل والتحمل".^(٢)

نلاحظ من وجهة نظر شخصية "نضال" أن الغرب الاستعماري قد تهادى في طريقة تعامله معنا، فمنذ آخر اجتياح لنا استعمرت الدول الغربية الكثير من البلدان العربية والإسلامية دون أن تكون الأذية متبادلة كما يرى "آدم"، فهو حسب "نضال"

(١) التائهون، ص: ٦٩-٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٨٢.

ذلك المؤرخ الذي رأى فيه نضال عدم تحريره للأمانة والحقيقة في نقل الأحداث التاريخية؛ لأن هذه الأحداث بينت أن الأذية واحدة.

فهناك بعض القوى الاستعمارية الغربية؛ كفرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول احتلت الكثير من البلدان العربية، وفرضت سيطرتها العسكرية عليها، وحاولت أخذ أرضها بالقوة حيث يقول:

"يصل الفرنسيون إلى الجزائر، يضمنون البلد، يقتلون من يقاومهم، يحضرون سكاناً أوروبيين يتصرفون كما لو أن الأرض ملك لهم، وكما لو أن السكان المحليين لا عمل لهم سوى طاعتهم وخدمتهم، إنهم يعتمدون الأساليب كافة لإرغام السكان على التخلي عن اللغة العربية، والانصراف عن تعاليم الإسلام، ثم وبعد مئة وثلاثين عاماً يرحلون، ويخلفون وراءهم بلداً جريحاً مهتماً، لم يستطع التعافي البتة، ولكن بحسب رأيك: الأذية متبادلة، أليس كذلك؟!"^(١)

كل هذه الأحداث استشهد بها أن هناك تكافؤاً في الأذى بيننا وبينهم، وأن الاستعمار الفرنسي للجزائر هو شكل (الاستيطان)، و(الاستيطان) معناه أخذ الأرض بالقوة وهذا ما فعله الصهاينة في الأراضي الفلسطينية، والشيء نفسه حدث في الجزائر أيضاً، وقد أشار الروائي إلى هذا التمثيل (الاستيطان الإسرائيلي) حيث يقول:

"جاء اليهود بأعداد هائلة إلى فلسطين، يستعمرون الأرض ويطردون سكانها، الذين يصبحون بين عشية وضحاها بلا وطن، ويعيشون منذ أكثر من نصف قرن في مخيمات اللاجئين، ولكن بالنسبة إليك الأذية متبادلة!!!"^(٢)

نرى أن هناك جرماً وتعدياً ارتكبه الصهاينة ضد الفلسطينيين، فامتلكوا عن طريق الاستيطان أرضاً ليست لهم، صاروا يعتقدون بأن لهم حقاً على هذه الأرض، حتى أن استيطانهم توسع جغرافياً بشكل كبير حتى أخذ أجزاء كبيرة من أراضي الفلسطينيين الذين أصبحوا غرباء في أراضيهم، يدافعون عنها وعن لغتهم وثقافتهم وكيانهم وانتماءاتهم أمام هذا الاستيطان المستبد، والشيء نفسه حدث في الجزائر، ولكن ليس بالعوامل

(١) التائهون، ص: ٣٨٢.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

نفسها؛ لأن الاستعمار الفرنسي خرج وعاد إلى وطنه، لكن الأمر مع اليهود يختلف، فهم لا يملكون وطناً يؤويهم، لذلك هم متشبثون بفلسطين.

تناول "أمين معلوف" الصراع العربي الإسرائيلي من خلال تجسيد الصراع أو المواجهة العسكرية بين الطرفين، وقد تطرق إلى حرب الأيام الستة، والتي كان لها أثر كبير خاصة معنويًا على الإسرائيليين أو اليهود، فهي الحرب التي أعاد بها الإسرائيليون هيبته وسيطرتهم على بعض الأجزاء من الأراضي الفلسطينية.

وبسبب طول مدة الحرب، وبفعل استمرارها أن تقلب أسوأ الغرائز الإنسانية لتصبح ممارسات وعادات، فكم من الأشخاص تحولوا إلى سارقين ومهرين وخاطفين وقتلة، وللخروج من هذه البقعة العمياء اضطر الأصدقاء إلى الابتعاد عن الوطن، بل عن المشرق كله لكي يحافظوا على نظافة الكف.

عاش "آدم" بطل الرواية في (باريس) عدة سنوات، ولم يكن يفكر يوماً في العودة إلى بلده حتى بعد أن توقفت الحرب الأهلية اللبنانية، التي جعلته يغادر وطنه، في إحدى الأيام اتصلت به زوجة (مراد) لتخبره بأن صديقه (مراد) يحتضر وهو على فراش الموت، وأن عليه الحضور لملاقاته، حيث قالت له صديقتها الفرنسية دولوريس:

- صديقك يحتضر، وهو يناديك، ليس بوسعك التردد، اذهب إليه.
- صديقي؟ أيّ صديق؟ لا أحد يكلم الآخر منذ عشرين عاماً.^(١)

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

يبدأ الصراع في الرواية منذ اندلاع الحرب الأهلية في لبنان، إضافةً إلى أن الروائي يشير بطريقة خفية إلى صراع آخر، قد استشرى في لبنان مع اندلاع الحرب الأهلية، وهو صراع الهوية والانتماء، فلبنان بلدٌ تعيش وتتعايش فيه بسلامٍ شتى المذاهب والأديان والطوائف الدينية، مثل: الشيعة والسنة، والدروز والمسيحيين، وغيرهم، إلا أن هذه الطوائف كلها استعرت بنار الحرب الأهلية، وقد صوّر الروائي هذا الصراع بطريقة فنية،

(١) التائهون، ص: ١٦.

حيث اختار شخصيات الرواية من طوائف لبنان الدينية والمذهبية، دون أن يكون في أسمائها دلالات مذهبية، فأدم يهودي، وسميراميس مسيحية كاثوليكية، وبلال شيعي، ورمزي سني.

تتأزم الأحداث في الرواية على الصعيد الداخلي للبنان، بسبب الحرب الأهلية، وبسبب الصراع العربي الإسرائيلي، وقيام حرب الأيام الستة، كما تصل الأحداث إلى الذروة أو (العقدة) عند اتصال زوجة مراد بآدم، وإخبارها لآدم بأن صديقه مراد يحتضر، فيهبّ آدم بطل الرواية إلى جمع الأصدقاء القدامى بعد عشرين سنة، ولكن مراد يموت، وقبيل اجتماع بقية الأصدقاء؛ يحصل حادث سير يموت فيه رمزي، ويدخل آدم في غيبوبة.

وتمت صراع ثالث هو الأهم في الرواية، ويُستشفّ من حوارات شخصيات الرواية، وهذا الصراع يتمثل في موقف المواطن اللبناني من قضايا عديدة، أبرزها: الهجرة إلى الغرب، والنظرة إلى الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فعلى الرغم من أن شخصيات الرواية الأصدقاء كانوا قد تعاهدوا قبيل تفرقهم على بعض المبادئ والقيم التي لا بد أن يتبعوها وأن لا يتنازلوا عنها أبداً، إلا أن الأحداث في لبنان اضطرت بعضهم إلى عدم الوفاء بهذا العهد، فأدم بطل الرواية رأى في الهجرة إلى الغرب ملاذاً من الصراع الدائر، وزميله مراد لم يغادر لبنان، لكنه انخرط في الأحداث حتى دخل في علاقات مع الجماعات المسلحة؛ من أجل أن يستعيد منزله الذي غصبه بعض خصومه، وهنا قدم الروائي فكره حول الهجرة أو البقاء في بلد الصراعات، فمراد - وإن كان قد نقض عهد أصدقائه - إلا أنه لم يبرح أرضه، وحافظ عليه، ولو بدفع الثمن من ترك القيم والمبادئ، وآدم ظهر متعاطفاً مع اليهود دون أن ينظر إلى احتلالهم لفلسطين، عبر وعد بلفور.

لا تقدم الرواية حلاً جذرياً للصراعات التي أوردتها في سير الرواية، لكنها تقدم وجهة نظر الروائي المقنّعة في حوارات الشخصيات.

الشخصيات في رواية "التأهون"

مفهوم الشخصية: الشخصية تعدّ من بنيات العمل الروائي إذ أنّها نقطة ارتكاز سرده: بما يحمل من زمان ومكان حدث وحوار، ووصف ولغة، قد عدها (فورستر) الركن الثاني في الأهمية من سبعة أركان، وعدّها (هنري جيمس) محور الأعمال في مجموعة الأسئلة التي طرحها في مقالته المشهورة (فن القصة):

"ما الشخصية إن لم تكن محور الأعمال؛ وما العمل إذا لم يكن تصوير تصرف الشخصية، وما اللوحة أو الرواية إن لم تكن وصف طباع الشخصية".^(١)

ظهرت في القرن التاسع عشر بصعود قيمة الفرد في العمل الروائي، ووجودا مستقلا غير خاضع لصيرورة الحدث، بل أصبحت عناصر السرد كلها تعمل على إضاءة الشخصية، وإعطائها الحد الأقصى من البروز وفرض وجودها.^(٢)

يحدد هامون بعض الإجراءات التي يستطيع من خلالها دراسة شخصية داخل الرواية، إذ أن وجودها يختم وجود عناصر وعلاقات أخرى تتعامل معها كالمكان والزمان واللغة وإذا كانت الشخصية تتحدد من خلال الخصائص والمميزات الذاتية فإنها تتكون أيضا من خلال علاقاتها مع الشخصيات المقابلة لها في المتن الروائي، وبناء عليه فإن إجراءات هامون تمكن الدارس من عزل الشخصية ودراستها كبؤرة استقلالية.^(٣)

في عمل الروائي نوعان من الشخصية:

(١) طرائق تحليل القصة، قسومة الصادق، ص: ٩٦، دار الجنوب للنشر تونس، ط/١، ٢٠٠٠م.

(٢) طرائق تحليل السرد الأدبي، التحليل البنيوي للسرد، رولان بارت، ترجمة: حسن بحراوي وبشير قمري وعبد الحميد عقار، ص: ٢٠٨، اتحاد كتاب المغرب، الرباط المغرب، ط/١، ١٩٩٢م.

(٣) سيمولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، ص: ١١٧، دار الحوار، اللاذقية - سوريا، ط/١، ٢٠١٣م.

الشخصية الرئيسية: هي التي تدور حولها أو بها الأحداث، وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى حيث يكون الشخصوا الأخرى حولها، فلا تغطي أى شخصية عليها. وإنما تهدف جميعا لإبراز صفاتها ومن ثم تبرز الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها.

الشخصية الثانوية: وهي تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية، أو تكون أمينة سرها، فتبوح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ.^(١)

رواية "التائهون" عن مجموعة من الأصدقاء في بيروت، كانوا طلبة في الجامعة في منتصف السبعينيات عشية الحرب الأهلية اللبنانية، وجعلهم معلوف من كل الطوائف والاتجاهات والأفكار والطبقات، وهم كالتالي:

١- آدم: بطل الرواية، الشخصية المحورية في الرواية، مات والداه في حادث تحطم طائرة فوق بحر عُمان، فاضطر لترك منزل الأسرة للبنوك والمصارف؛ من أجل سداد الديون، ثم غادر لبنان في أحداث السبعينيات، وأقام في فرنسا، وأكمل دراسته، وصار مؤرخاً وأستاذاً للتاريخ في جامعة فرنسية، وتزوج من صحفية من أصل أرجنتيني.

٢- ألبير: الذي قُتل والده في أفريقيا، وأمه تزوجت بعد ذلك، وتخلّت عن ابنها لتضعه في عهدة مدرسة يسوعية داخلية، وفي الليلة التي قرر فيها ألبير الانتحار اختطفه شخص ما ردا على اختطاف ابنته، ولكن الاختطاف تحول إلى صداقة متينة أبدية، وصار بمثابة ابن للرجل وامرأته، اللذين فقدوا ابنهما، بعد ذلك هاجر ألبير إلى الولايات المتحدة، وأكمل دراسته، وعمل باحثاً مرموقاً في مؤسسة حكومية أميركية مهمة وحساسة.

٣- سميراميس: مسيحية كاثوليكية هاجرت من مصر، بعد حكاية غريبة حصلت لأبيها الذي هاجر في الوقت المناسب مع ثروته لتفادي أثر ثورة يونيو، تعكس سميراميس في شخصيتها جانبا حيويا جوهريا من طبيعة الطبقة البرجوازية اللبنانية التي تنتمي إليها، واستمرت سميراميس في لبنان، وبعد مقتل صديقها بلال أصيبت بانحيار

(١) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص: ١٣٥.

عصبي طويل، وتخلت عن دراسة الطب، ثم حولت مبنى للعائلة إلى فندق في الجبل، وتفرغت لإدارته، لتعيش من ريعه.

٤- **مراد وتانيا:** مسيحيان، تزوجا، واستمرا بالعيش في لبنان، وكانا جزءاً من نسيجه الاجتماعي والسياسي، وتعاونوا مع مراكز القوى والتأثير ليجمعا ثروة طائلة، ثم مات مراد بمرض السرطان.

٥- **بلال:** شيعي، انضم إلى المليشيات المسلحة، وقُتل.

٦- **رمزي:** مسلم، أكمل دراسة الهندسة وصار مهندساً مرموقاً، يدير شركة عملاقة للمقاولات والبناء في أنحاء العالم.

٧- **رامز:** مسيحي من الطائفة الشرقية، يقرر بعد وفاة زوجته اعتزل الحياة وتحول إلى راهب في الجبل.

٨- **نضال:** الأخ الأصغر لبلال الذي كان يتابع آدم عبر كتب التاريخ، وكان الجواب الإسلامي عنده، كان يطمح أن يكون كاتباً كبيراً يستلهم وعيه وأفكاره من وحي التجربة الحقيقية المعاشة في الحرب.

٩- **نعيم:** يهودي، هاجر إلى البرازيل مع والديه، حينما خرجوا من لبنان، أيام الحرب الأهلية في منتصف سبعينيات القرن العشرين، وأكمل دراسته هناك، واشتغل في الصحافة، ثم تزوج كاثوليكية برازيلية.

ونلاحظ بأن أمين معلوف درس في هذه الرواية هذه الشخصيات التسعة من الجانب النفسي، مما يسهل على القارئ وعلى الناقد الأدبي أن يعرف دخيلة النفس وصفاتها لدى شخصية الرواية، وتأثير ذلك على التفاعل مع سير الأحداث.^(١)

(١) الدراسة النفسية للأدب النقائص الاحتمالات الإنجازات، مارتن لينداور، ترجمة: د. شاكور عبد الحميد، ص: ٤٩،

الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط/ ٢، ١٩٩٦م.

الأحداث في رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب"

رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب" (Les Croisades Vues Per Les Arabes): لأمين معلوف، باللغة الفرنسية، نُشرت عام ١٩٨٣م، وترجمت إلى عدة لغات من بينها العربية، من ترجمة د. عفيف دمشقية، في عام ١٩٨٩م، في ٣٥٢ صفحة من القطع المتوسط، صدرت من دار الفارابي، وبعد عشر سنوات صدرت الطبعة الثانية ١٩٩٨م، وحتى الآن تعدّ مرجعا في غاية الأهمية لفهم هذه الفترة بالنسبة للمختصين والقراء المهتمين بالتاريخ.

يسرد الكتاب أحداث الحروب الصليبية كما وردت في مؤلفات قدامى الإخباريين العرب، قد أخذ أمين معلوف أكثر الأفكار من كتاب: "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، وأيضا من: "مذيل التاريخ الدمشقي" لابن القلانسي.

من الأحداث التاريخية التي نجدها في "الحروب الصليبية" كما يقول المؤلف: "والحقيقة أن الفرنج كانوا قد استولوا على المدينة المقدسة، يوم الجمعة في ٢٢ من شهر شعبان من عام ٤٩٢هـ - ١٥ تموز يولييه ١٠٩٩م، بعد حصار دام أربعين يوما، ولا يزال النازحون يرتجفون كلما تحدثوا بذلك وتحمد أبصارهم، وكأنهم لا يزالون يرون بأعينهم أولئك المقاتلين الشقر المدرعين المعتمرين الخوذ، وقد انتشروا في الشوارع شاهرين سيوفهم".^(١)

وهذه الحادثة برهاناً على سيطرة الفرنج وقوتهم وضعف العرب وقلة حيلتهم، فهنا امتلكوا (البيت المقدس) الذي يعتبر مركز قوة العرب والمسلمين في امتلاكهم لها. يقول المؤرخ ابن القلانسي:

"وأهلّت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، في المحرم منها زحف الإفرنج إلى سور معرة النعمان من الناحية الشرقية والشمالية، وأسندوا البرج إلى سورها، وهو أعلى منه ... ونهبوا ما وجدوه، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به، ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر إلى كفر طاب، ثم قصدوا به ذلك ناحية بيت

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، أمين معلوف، ص: ١٢.

المقدس آخر رجب من السنة، وقُتل خلقٌ كثير، وُجّع اليهود في الكنيسة، وأحرقوها عليهم، وتسلموا المحراب بالأمان، في الثاني والعشرين من شعبان من السنة، وهدموا المشاهد، وقبر الخليل عليه السلام".^(١)

نجد أن أمين معلوف قد أخذ الفكرة من "مذيل التاريخ الدمشقي" لابن القلانسي، تتلخص هذه الأحداث التاريخية في استيلاء الفرنج على بيت المقدس، وقتل أهلها، وانتشار الجثث في كل مكان، حيث بلغ بهم الأمر إلى اجتياحهم الحيّ اليهودي، وجمعهم اليهود في الكنيسة وإحراقهم، كما يقول معلوف:

"فلقد انهار صاحب أنطاكية بعد مقاومةٍ دامت مائتي يوم .. وأما المدينة فقد غاصت بالنار والدم، فالرجال والنساء والأولاد يحاولون الهرب في الأزقة الموحلة، ولكن الخيالة يمسكون بهم من غير جهدٍ، ويدبحونهم بأرضهم".^(٢)

هذا الحدث التاريخي يدل على ضعف المسلم، وتقهر البلدان العربية، وقوة العدو الفرنجي، فبعد استيلائه على البيت المقدس ها هو أيضاً يأخذ بلداً من بلاد المسلمين وهي أنطاكية، ويقول المؤرخ ابن القلانسي في كتابه:

"وفيها توجه الإفرنج إلى معرة النعمان بأسرهم ونزلوا عليها في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة، وقتلوا ونصبوا عليها البرج والسلام، وبعد افتتاح الإفرنج بلد أنطاكية بتدبير الزراد - وهو رجل أرمني اسمه فيروز - في ليلة الجمعة مستهلّ رجب؛ تواصلت الأخبار بصحة ذلك".^(٣)

في الفصل الثاني "زراد ملعون" من روايته يقول معلوف:

"عسكر الفرنج المحتشدين أمام أنطاكية عام ١٠٩٧م، لن يتمكنوا أبداً من دخولها إلا إذا اطمأنوا إلى وجود تواطؤٍ داخل أسوارها؛ لأنه لا يمكن الاستيلاء على مدينة باقتحامها... وقد كان فيروز - وهو مسلم من أصل أرمني - زمناً طويلاً من حاشية (ياغي سيان)، ولكن هذا اتهمه بالالتجار في السوق السوداء وغرّمه غرامة كبيرة، وإن كان فيروز يسعى للانتقام، اتصل بالمحاصرين، وقال لهم:

(١) مذيل التاريخ الدمشقي، لأبي يعلى ابن القلانسي، ص: ٢٢٢، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

(٢) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٥٥.

(٣) مذيل التاريخ الدمشقي، ص: ٢٢١.

إنه يتولى حفظ شباكٍ يطلّ على الوادي جنوبيّ المدينة، وأبدى استعداداه لتسهيل دخولهم.^(١)

هنا نجد أن أمين معلوف أخذ عدة أفكار من "ابن الأثير" وفصّل فيها، وزاد عليها، وسرد الأحداث بالتفصيل، ويقول في روايته:

"والواقع أن معظم الأهالي بيعوا عبيداً، ونُهبَت أملاك الآخرين، وطُردوا، وسوف يذهب كثيرون منهم إلى ثغر صور، ويقضي فخر الملك بقية أيامه في نواحي دمشق".^(٢)

هذه الأحداث أخذها أمين معلوف من ابن القلانسي، كما يقول:

"وكان طنكري لما لم ينل ما أراد من نصرة السرداني، قد عاد ونزل على بانياس وافتتحها، وأمن أهلها، في شوال من السنة، ونزل على ثغر جبيل، وفيه فخر الملك بن عمار، والقوت فيه نزرٌ قليلٌ، فلم يزل متضافاً له ولأهله إلى يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة، فراسلهم، وبذل لهم الأمان؛ فأجابوه إلى ذلك، فتسلّمه بالأمان، وخرج منه فخر الملك بن عمار سالماً، وقد وعده بإحسان النظر والإقطاع".^(٣)

هذه الأحداث التاريخية عن استيلاء الفرنج على مدينة طرابلس كما قال ابن القلانسي:

"واستولوا عليها عام ١١٠٠م بالقتال وبالسيف، وهذا سنة ٥٠٢هـ - ١١٠٩م حيث خرب هؤلاء الغزاة مكباتها، ونُهبَت مائة ألف مجلد، التي كانت في "دار العلم"، ثم أحرقت...^(٤) واتفق الفرنج والجنوبيون على تقسيم طرابلس بينهم، إذ أخذ الجنوبيون الثلث من البلد، والثلثان لابن صنجيل، وأعطوا الملك بغدوبن من الوسط، والبقية من الأهالي، أي: أهالي طرابلس بيعوا عبيداً، وسلبت أملاك الذين بقوا، والكثير منهم هاجروا إلى ثغر صور. وقضى فخر الملك بقية

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٢.

(٣) مذيّل التاريخ الدمشقي، ص: ٢٦٢.

(٤) المرجع نفسه، ص: ١١١ - ١١٢.

أيامه في نواحي دمشق، وهذا عند خروجه من المدينة التي استولى عليها طنكري،
أي: خروجه سالماً، وبذل لأهلها الأمان، أي: أهل بانياس".^(١)
يذكر أمين معلوف أحداثاً تاريخيةً من روايته، قائلاً:

"وهذه الأحداث كانت قبل مقتل مودود، وسوف يعود مودود إلى الشام
بعد عامين مكلفاً من السلطان بجمع كل الأمراء المسلمين، باستثناء رضوان،
لمواجهة الفرنج، ولما كانت حلب محظورةً عليه، فقد كان من الطبيعي جداً أن يقيم
قيادته العامة في دمشق، للتحضير لهجومٍ واسعٍ على مملكة القدس، وقد تظاهر
مضيفه الأتابك طغتكين بالامتنان للشرف الذي أولاه إياه مندوب السلطان، ولكنه
كان فرغاً بالمقدار الذي كان عليه رضوان... لكن الأحداث التي جاءت بعد قتل
مودود يسردها الراوي على لسان المؤرخ أنه عند مغادرة مودود معسكره للذهاب
ككل يوم إلى المسجد الأموي بصحبة الأتابك، فلما حصل في صحن الجامع
تقدم رجلٌ من بين الناس فقرب منه، أي: الأمير بخنجره أسفل سرتيه بضربتين،
وأحضر له الجرائحي، وأُخيط له الجرح، وتوفي بعد ساعات".^(٢)
وهذه الأحداث موجودةٌ عند ابن الأثير، حيث يقول:

"ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الأول؛ ليقوم عند طغتكين
إلى الربيع، فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الأول؛ ليصلي فيه وطغتكين، فلما
فرغوا من الصلاة وخرجوا إلى صحن الجامع وبده في يد طغتكين وثب عليه باطنيٌّ
فضربه، فجرحه أربع جراحاتٍ، وقُتل الباطني وأُخذ رأسه، فلم يعرفه أحد
فأُحرق".^(٣)

الأحداث التي فيها انهزام الفرنج من الدمشقيين وانسحابهم من مدينة دمشق؛ نجد
نفس الأفكار والكلمات المتشابهة بين أمين معلوف وابن كثير، مثل: حديث معلوف
عن وفاة الملك نور الدين محمود:

^(١) مزيل التاريخ الدمشقي، ص: ٢٦٢.

^(٢) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ١١٩-١٢٠.

^(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ٨/ ٥٩٦، دار الكتاب
العربي، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

"فقد مرض سيد الشام بالفعل مرضاً شديداً بالخوانين، وكان رأي أطبائه أن يفصد، ولكنه رفض قائلًا: (ابن الستين لا يفصد)، وجربت علاجات أخرى ولكنها لم تنجح، وفي الخامس عشر من أيار مايو أعلن في دمشق نبأ وفاة نور الدين محمود الملك الورع والمجاهد".^(١)

أمين معلوف ذكر باختصار الأفكار والكلمات المتشابهة الموجودة في كتاب "الكامل في التاريخ" مثلاً:

"هذه السنة توفي نور الدين محمود بن زنكي بن آقشقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر، يوم الأربعاء الحادي عشر شوال بعلة الخوانيق، ودفن بقلعة دمشق، ونقل منها إلى المدرسة التي أنشأها بدمشق عند سوق الخواصين".^(٢)

في القسم الثالث من الرواية والذي عنوانه "الهجوم المضاد" (١١٢٨ - ١١٤٦ م) في الفصل السادس عنوانه "مؤامرات دمشق":

"وعلى الرغم من تلك الهزيمة، فإن بغدوين الثاني كان قد حشد عسكره من أجل هجوم جديد على دمشق، عندما نزل فجأة مطرٌ غزيرٌ على المنطقة في بداية شهر أيلول سبتمبر، وتحولت الأراضي التي عسكر فوقها الفرنج إلى بحيرة شاسعة من الوحل، غاص فيها الرجل والخيول، بشكل لا ينفع معه تدييرٌ، وأمر ملك القدس بالانسحاب وفي نفسه غصة".^(٣)

وهذه أفكار ابن الأثير نفسها، والروائي غيّر فيها بعض الشيء فقط، وحادثة أخرى عن الأسرى الموجودين في عكا، ذلك بعد انتصار الفرنج واستيلائهم على عكا، حيث يقول:

"ثم إن الفرنج أرسلوا إلى صلاح الدين في معنى تسليم البلد، فأجابهم إلى ذلك، والشرط بينهم أن يطلق بأسراهم بعدد من في البلد ليطلقوا هم من بعكا، وأن يسلم إليهم صليب الصلبوت؛ فلم يقنعوا بما بذل، فأرسل إلى من بعكا من

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٢) الكامل في التاريخ، ١٠ / ٥٥ - ٥٦.

(٣) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ١٤٨.

المسلمين، يأمرهم أن يخرجوا من عكا يداً واحدةً، ويتركوا البلد بمن فيها".^(١)
 وأحداث امتلاك (العادل) لمصر ودمشق عام ١١٩٤م، بعد نفي أخيه صلاح الدين له إلى بلاد ضفة الأردن الشرقية؛ خشية منه في الطمع بامتلاك الإمبراطورية، ومع مرور الوقت استولى (العادل) على دمشق وبعدها بلاد مصر، وذلك بعد نصب المكائد لهم وقلة خبرتهم.^(٢)

وهذه الأحداث مأخوذة من كتاب الكامل في التاريخ، لكن غيرُها أمين معلوف في روايته؛ لأن المؤرخ يقول:

"وصلته الأخبار بأن عمه الملك العادل، قد سار من دمشق قاصداً مصر، ومعه المماليك الناصرية، وقد حلفوه أن يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد، وهو المدير للملك إلى أن يكبر".^(٣)

أحداث استيلاء الفرنج على بيت المقدس، بعد خسارة الفرنج في الاستيلاء على مصر، وذلك بدهاء وحيلة الإمبراطور (فريدريك) كما قال أمين معلوف في روايته:
 "وكان فريدريك الذي جاء بثلاثة آلاف رجلٍ فقط يقدر أن امتلاك القدس ليس سوى أمرٍ شكلي، وهكذا لم يكن في وسعه الاندفاع في سياسةٍ تحريفيةٍ، وسعى إلى إلانة الكامل".^(٤)
 فإن الإفرنج هزموا الكامل؛ لقلة حيلته ودهائه، يقول أمين معلوف:

"وفي تشرين الأول أكتوبر ١٢١٩م وضع الكامل عرضه: إنه حاضرٌ لتسلم القدس، بل فلسطين بأسرها حتى غربي الأردن، وفوق ذلك كله الصليب الحقيقي".^(٥)

ومن هنا نفهم إن كل حيلة ودهاء الفرنج الذين خرجوا من القدس أذلاء وضعفاء، لا قوة لهم ولا حيلة، ليس في الحرب فقط، وإنما في الدفاع عن حياتهم التي كانوا يتفاوضون فيها مع صلاح الدين، ومحاولتهم في تركهم أحياء.

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٦٣ - ٢٦٤. وانظر: الكامل في التاريخ، ٢٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٧٣.

(٣) الكامل في التاريخ، ٩ / ٢٦٥.

(٤) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٨٥. وانظر: الكامل في التاريخ، ١٠ / ٤٨١.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٨١.

ومن الحوادث أيضاً حادثة فتح صلاح الدين القدس: وهذه الاتفاقية جرت بين (صلاح الدين) وباليان، والحقيقة أن السلطان العربي قبل دخوله وفتحه بيت المقدس حاول التفاوض مع الملك الفرنجي حول استلامه وخروجه من القدس دون حرب وسفك للدماء، يقول أمين معلوف:

"أكون في مقدوره أن يدخل هذا المكان المقدس بلا تدمير ولا سفك دماء على غرار ما فعل الخليفة عمر؟ وأرسل إلى أهل القدس رسالة يدعوهم فيها إلى إجراء محادثات تتناول مستقبل المدينة".^(١)

وحادثة أخرى حينما فتح صلاح الدين القدس، يقول ابن الأثير:

"فأجاب صلاح الدين حينئذٍ إلى بذل الأمان للفرنج، فاستقر أن يؤخذ من الرجل عشرة دنانير، يستوي فيه الغنى والفقر، ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين، وتزن المرأة خمسة دنانير، فمن أدى ذلك إلى أربعين يوماً فقد نجا، ومن انقضت الأربعون يوماً عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكاً".^(٢)

هذه الأحداث تبين لنا أخلاق صلاح الدين ورحمته التي شملت حتى أعداءه، فهو مسلم مجاهد، سعى إلى فتح البلدان العربية بالسلام وليس بالحرب، ولكن الفرنج لم يكن يقبلون إلا الحرب.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

موضوع الحروب والحملات الصليبية من الموضوعات التي تناولها المؤرخون بكثرة، في المشرق والمغرب، إلا أن أمين معلوف أراد أن يقدم للقارئ الغربي بلغته هذه الأحداث التاريخية من منظور مغاير، ألا وهو منظور المؤرخ والكاتب العربي، فسرد أحداث الحروب الصليبية بشهادات شهود عيان من المعسكر العربي، إضافةً إلى تقديمه بعض الحقائق من مؤرخين وكتاب غربيين، مثل: المؤرخ (راوول دي كين)، الذي كان شاهداً على حرب معرة النعمان، ووثق في كتاباته قيام الجنود الإفرنج بأكل جثث الجنود العرب والأتراك.

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٤٥ - ٤٦.

(٢) الكامل في التاريخ، ٥٠ / ٩.

الصراع في الرواية هو الحروب الاستعمارية التي شنها الغرب على الشرق في فترة زمنية أصيب الشرق فيها بالضعف والوهن والتفرق والانقسام، وكانت حجة الغرب في شن هذه الحملات: حماية مسيحيي الشرق من اضطهاد الحكام لهم، إلا أن هذه كانت مجرد حجة واهية لتمرير حملاتهم التي انطلقت لاستغلال ثروات الشرق، وقتل المسلمين واليهود على حدٍ سواء، وتخريب المدن ونهب الممتلكات.

بدأ الصراع منذ وصول الصليبيين إلى آسيا الصغرى، واصطدامهم بالسلاجقة، واحتلال الصليبيين لأنطاكية ثم معرة النعمان، واجتياحهم لمدينة القدس، وحصار طرابلس ألي يوم ثم سقوطها، ثم سقوط بيروت وصيدا، وصور.

ومن جهة أخرى بدأت جهود العوام بالوقوف في وجه الزحف الصليبي، لما رأوا تحاذل حكام المشرق وتناحرهم فيما بينهم، وكان من ثمراته: هزيمة الصليبيين في صور (أبريل ١١١٢م)، وفي حلب (١١١٩م)، وقيام أهالي دمشق بملاحقة الحشاشين الإسماعيليين، وقتلهم، ثم ظهور عماد الدين زنكي (حاكم حلب والموصل) الذي بدأ جهوده في القضاء على الصليبيين ثم تبعه خليفته نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، فقاموا بالقضاء على الدولة الفاطمية في مصر، وأسسوا دولة سنية تتبع الخلافة العباسية.

ويصل الصراع إلى العقدة مع اتجاه صلاح الدين الأيوبي لتحرير بيت المقدس في (أكتوبر ١١٨٧م)، ويقدم الروائي الحلّ باستتباب الأمن في بيت المقدس وما جاورها من مدن، وعقد العهود بين صلاح الدين الأيوبي والإفرنج.

ويأتي الباب الأخير في الرواية متحدثاً عن غزو المغول واجتياحهم للشرق في وقتٍ برز فيه المماليك الأتراك الذي انتزعوا الحكم من الدولة الأيوبية، وانتصر السلطان المملوكي قطز على المغول في معركة عين جالوت (سبتمبر ١٢٦٠م)، ثم توجه السلاطين المماليك من بعده (الظاهر بيبرس وقلاوون و خليل) إلى محاربة الصليبيين.

ولا شك أن معلوف أراد من خلال تقديم روايته هذه أن يقدم وجهة نظر العرب إلى الحروب الصليبية، وأن يقارب بين الشرق والغرب، ويفعل الحوار بينهما.

الشخصيات في رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب"

اشتملت رواية الحروب الصليبية كما رآها العرب على مجموعة من الشخصيات الرئيسية والثانوية التي لا بد من وجودها لتحريك أحداث الرواية، لكننا لا نتحدث هنا عن الشخصيات الثانوية تفصيلاً؛ لأنها كثيرة جداً، بل نتحدث بإيجاز عن الشخصيات الرئيسية، وهي:

أ- عماد الدين زنكي:

عماد الدين زنكي بن آف سنقر الحاجب بن عبد الله أبو المظفر الأتابك. الملك المنصور عماد الدين قائد عسكري، وحاكم مسلم، حكم أجزاء من بلاد الشام وحارب الصليبيين، كان أبوه مملوك السلطان ملكشاه السلجوقي. ولاه الخليفة المسترشد سنة ٥١٦هـ، على الموصل بعد موافقة السلطان محمود بن السلطان محمد بن ملكشاه، وفي سنة ٥٢١هـ ملك حلب بتوقيع السلطان محمود، واستولى على الرحبة والجزيرة الفراتية، وفتح الرها سنة ٥٣٩هـ، وكان يحتلها الصليبيون بزعامة (جوسلان)، في عام (٥٤١هـ) توجه إلى قلعة (جعير)، على نهر الفرات في بلاد الشام وحاصرها، وأصبح في إحدى الليالي مقتولاً، قتله خادمه وهو راقداً على فراشه ليلاً، ودفن بصفين، وخلفه ابنه سيف الدين غازي في الموصل، وخلفه ابنه نور الدين محمود في حلب ثم في دمشق.

ب- نور الدين زنكي: (٥١١ - ٥٦٩هـ)

الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي، ومن ألقابه الأخرى: ناصر أمير المؤمنين، تقي الملوك، الخليفة الراشد، كما لقب بنور الدين الشهيد رغم وفاته بسبب المرض، وهو الابن الثاني لعماد الدين زنكي، حكم حلب بعد وفاة والده، وقام بتوسيع إمارته بشكل تدريجي، كما ورث عن أبيه مشروع محاربة الصليبيين.

شملت إمارته معظم الشام، وتصدى للحملة الصليبية الثانية، ثم قام بضم مصر لإمارته وإسقاط الفاطميين وفتح القدس، تميز عهده بالعدل وتثبيت المذهب السني في بلاد الشام ومصر، كما قام بنشر التعليم والصحة في إمارته.

توفي يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال، بعلة الخوانيق، ودفن بقلعة دمشق، ونقل منها إلى المدرسة التي أنشأها بدمشق عند سوق الخواصين.^(١)

ت- السلطان صلاح الدين الأيوبي:^(٢)

سلطان العرب فاتح وحامي القدس، صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بدمشق.

ومولده بتكريت في العراق سنة ١١٣٧م، انتقل والده إلى حلب، ودخل في خدمة عماد الدين زنكي الحاكم التركي القوي لشمال سوريا، نشأ صلاح الدين في منطقة بعلبك ودمشق، بدأت مسيرة صلاح الدين الحربية الرسمية عندما انضم إلى طاقم عمه أسد الدين القائد العسكري المهم في عهد الأمير نور الدين، وخلال ثلاث حملات عسكرية برز صلاح الدين قائداً حريماً قوياً، وعيّن صلاح الدين عام ١١٦٩م عن عمر ٣١ عاماً قائداً للقوات الشامية في مصر، ووزيراً للخليفة الفاطمي في القاهرة.

وبعد سنوات من تثبيت الحكم بدأ صلاح الدين يضم المدن والبلاد لدولته، كحلب في عام ١١٨٣م، والموصل في عام ١١٨٧م، كانت أهم إنجازات صلاح الدين الأيوبي التاريخية في معركة حطين بالقرب من طبرية في شمال فلسطين، ومن إنجازات صلاح الدين الأيوبي المهمة: الانتصار بأغلب الحروب الصليبية الثالثة بين أعوام ١١٨٩ - ١١٩١م، وانتهت هذه الحروب في عام ١١٩٢م بعد معاهدة سلام الرملة.^(٣)

(١) الكامل في التاريخ، ١٠ / ٥٥-٥٦ وانظر: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٢١-٢٢٢.

(٢) الكامل في التاريخ، ص: ٢٢٤.

وأيضاً: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ص: ٨١٣-٨٧٤، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٩٩٢م.

(٣) الكامل في التاريخ، ١٠ / ٢٢٤.

وبعد ذلك مرض القائد صلاح الدين الأيوبي صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بقليل حين قرأ القارئ قول الله عزوجل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ﴾^(١) تبسم السلطان وتהלّل وجهه وأسلم الروح، وكان يبلغ من العمر ٥٥ أو ٥٦ عاماً فقط.^(٢)

ث- ياغي سيان:^(٣)

مؤيد الدين ياغي سيان بن محمد بن ألب سلجوقي (١٠١١ - ١٠٩٨م) ابن أمير أنطاكية محمد بن ألب، عينه ملك شاه الذي استولى على أنطاكية عام ١٠٨٥م أميراً ووالياً عليها حوالي عام ١٠٩٠م.

بعد وفاة ملك شاه أصبح تتش بن ألب أرسلان (تاج الدولة) والياً على الشام وأقر ياغي سيان على حكم أنطاكية، وضم إليه قرى منبج وتل باشر، وبعد مقتل تتش عام ١٠٩٥م تقاتل ولداه رضوان (حاكم حلب) ودقاق شمس الملوك (حاكم دمشق) وانضم ياغي سيان إلى رضوان (نسيبه وزوج ابنته) وحاصروا دمشق، لكن عجزوا عن دخولها فرجعوا، وراسل دقاق ياغي سيان في مفارقة رضوان وحصار حلب، فاجتمعوا في قنسرين واقتتلوا فيها، ثم اصطلحوا على أن يُخطب لرضوان في دمشق وأنطاكية قبل دقاق. في ذلك الوقت في سنة ١٠٩٧م وصلت أنباء الحملة الصليبية تراجعت جميع الأطراف إلى أراضيها استعداداً للهجمات الصليبية.

ج- أبو سعد الهروي:

هو محمد بن نصر بن منصور أبو سعد القاضي الهروي (نسبة إلى هرات)، قدم دمشق ووعظ بها، ثم توجه إلى بغداد، فولي قضاء الشام، وعاد قاضياً، فأقام مدة، ثم رجع إلى العراق، وقد ولي القضاء في مدن كثيرة بالعجم، ثم عزل في شوال سنة أربع وخمسمائة، واتصل بخدمة السلاطين السلاجقة، فتقدم في دولتهم، واستعملوه سفيراً لهم إلى أن قُتل.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٢) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٤.

ح- المستظهر بالله أبو العباس أحمد:

أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن عبد الله المقتدر بأمر الله من خلفاء الدولة العباسية، ولد في شوال سنة ٤٧٠ هـ.

خ- فخر الملك بن عمار:

كان آخر قضاة طرابلس قبل سقوطها في أيدي الصليبيين ١٠٩٩ م حتى ١١٠٩ م.

د- العادل:

أخو صلاح الدين الأيوبي، ملك مصر ودمشق بعد نفي أخيه له إلى بلاد ضفة الأردن الشرقية خشية منه في الطمع بامتلاك السلطنة، ومع مرور الوقت استولى العادل على دمشق وبعدها بلاد مصر.^(١)

ذ- الأمير مودود:

عند مغادرة مودود معسكره للذهاب ككل يوم إلى المسجد الأموي بصحبة الأتابك، تقدم رجل من بين الناس في صحن الجامع فقرب من الأمير بخنجره، وطعنه أسفل سرتة بضربتين، وأحضر له الطبيب فخاط له الجرح، وتوفي بعد ساعات.^(٢)

ر- فيروز:

وهو مسلم من أصل أرمني، كان من حاشية (ياغي سيان) زمنا طويلا ولكن هذا اتهمه بالالتجار في السوق السوداء وغرمه غرامة كبيرة، وإن كان فيروز يسعى للانتقام، اتصل بالمحاصرين وقال لهم إنه يتولى حفظ شباك يطل على الوادي جنوبي المدينة، وأبدى استعداداه لتسهيل دخولهم.^(٣)

ز- باليان: الملك الفرنجي.^(٤)

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٤٥ - ٢٤٦.

حاول السلطان العربي قبل دخوله وفتحه بيت المقدس التفاوض مع باليان الملك الفرنجي حول استسلامه وخروجه من القدس دون حرب وسفك للدماء.

س- الزراد الملعون:^(١)

هو رجل أرمني اسمه فيروز، بتديره افتتح الإفرنج بلدة أنطاكيا.^(٢)

ش- ديكاردوس: الملك الفرنجي^(٣)

كان ديكاردوس قد عهد قبل مغادرته الشرق بمملكة القدس التي غدت عاصمتها عكا إلى أحد أبناء أخيه (الكونداهري).

ص- فريدريك: الأمير الصليبي.^(٤)

بعد خسارة الفرنج في الاستيلاء على مصر، دخل الإمبراطور فريدريك القدس مسالماً بدهاء وحيلة، بثلاثة آلاف رجل فقط.

ض- رجنلد: أمير الكرك الصليبي.

عقد صلاح الدين الأيوبي في بعض الفترات معاهدات مع الصليبيين؛ ليتفرغ لتوحيد الجبهة الإسلامية ولكنهم نقضوا العهد، وقام الصليبيون ببعض الاستفزازات للمسلمين، منها أن رجنلد هذا أعد أسطولاً يعبث بشواطئ الحجاز، ويهاجم الحجاج المسلمين.

ط- بوهيمند: أمير الصليبيين.

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٤٠.

(٢) مذييل التاريخ الدمشقي، ص: ٢٢١.

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص: ٢٨٥.

الأحداث في رواية "صخرة طانيوس"

تقع أحداث الرواية في مكان قصيٍّ من الكرة الأرضية، مكان لا قيمة له في زمن الرواية إلا بما تصنعه أحداثه، كفر ييدا المقاطعة الصغيرة التي تقع بالقرب من منطقة الجبل جنوب لبنان، على صغر حجم جغرافيته.

أحداثها في زمن قديم يعنى عصر مختلف عن عصرنا الحالى وعلى الرغم من أن الرواية خيالية يشعر قارئها أن هذه القصة حدثت بالفعل منذ زمن بعيد، وسائر أحداث الرواية: الراوي، وضيعته، ومصادره، وشخصياته من نسج الخيال، لكنها استوحت قصة حقيقية أيضاً، وهى قصة اغتيال البطريك في القرن التاسع عشر على يد رجل يدعى (أبو الكشك معلوف) وقد أعيد القاتل الذى لجأ إلى قبرص مع ابنه إلى البلاد بحيلة من جواسيس الأمير، لينفذ فيه حكم الإعدام.^(١)

فقد استلهم القسم الأول في الرواية "صخرة طانيوس" فترة حكم محمد علي باشا لمصر، وإخفاق تجربته النهضوية التي حاولت أن تحاكي الحداثة الغربية، المؤلف قسم الرواية إلى عددٍ من العبارات، التي تحمل عدداً من الدلالات، والعبور هو المرور من مكانٍ إلى آخر عبر ممرٍ معين، وهذا المعنى يكشف عن دلالة الجبرية التي تفضي إلى مصائر الأجيال التي يضعها أسلافهم.^(٢)

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

الصراع في هذه الرواية على مستويين: مستوى عام، وهو الصراع الدائر بين الدولة العثمانية ومصر والإنجليز، للسيطرة على جبل لبنان، ومنطقة الشام، والصراع الآخر على المستوى المحلي لفضاء الرواية، وهذا الصراع الذي يعيشه قارئ الرواية من خلال قراءة أحداثها هو الصراع الذي مرّ به بطل الرواية طانيوس، الذي ولد لأُم معروفة في القرية،

(١) صخرة طانيوس، ص: ٢٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص، ١٥.

لكن كثرت الأقاويل حول والده الحقيقي، ثم وقع بطل الرواية في حب فتاة كان والد طانيوس قد قتل والد الفتاة.

والحقيقة أن الرواية تنقل الكثير من ثقافة لبنان وأهلها، ولهجتهم، وأسلوب حياتهم، كما تنقل إلى القارئ كيف تحولت حياة بطل الرواية طانيوس إلى جحيم، بعد أن جاء إلى الدنيا نتيجة نزوة شهوانية للأب البطيريك، فصار طانيوس حديث الناس في القرية، ولهذا ذهب بعيداً حتى غابت أخباره، وكذلك صراعه مع الحرمان من الأب الحقيقي الذي ارتكب جريمة قتل، فهرب إلى قبرص.

وتصل الأحداث إلى العقدة مع قضية القتل التي تقع في القرية، وهروب والد طانيوس إلى قبرص، ويظهر الحل مع إرجاعه إلى القرية بالحيلة، لكي ينال جزاءه.

الشخصيات في رواية "صخرة طانيوس"

أبطال هذه الرواية هم: لمياء، الشيخ فرانسيس، جريوس.

لمياء: هي محور الأحداث، شخصية محورية، امرأة جميلة، زوجة جريوس، لكن جمالها كان سبب مصائب ابتلائها، ومآسي قرية كفر بيداء، لمياء امرأة مسلوقة الإرادة، لا تستطيع التحكم في تصرفات ابنها المراهق، وهي تعمل في منزل شيخها فرانسيس.^(١)

الشيخ فرانسيس: زعيم ضيعة كفر بيداء، جسد بامتياز رجل السلطة الإقطاعي، الذي يملك المزارع في الضيعة، ويخضع تحت سيطرته قرابة ثلاثمائة بيت، وهو شيخ جليل المقام.^(٢)

جريوس / جريس: أبو طانيوس، تتجلى في شخصية الأب جريس شخصية المغلوب على أمره، شخصية هادئة، خاضعة للشيخ، يغلب عليها قلق نفسي؛ جراء تشكيك أهل القرية لأبوتة لطانيوس.^(٣)

رعد: الابن الشرعي للشيخ فرانسيس.^(٤)

بطريك: حاكم البلد، لا يصدر سوى أوامر (فرمانات) بالخضوع، قُتل على يد جريس والد طانيوس.^(٥)

محمد علي باشا: حاكم مصر، الدولة العصرية القوية، سعى محمد علي إلى القضاء على النظام الإقطاعي في الجبل اللبناني، وإحكام سيطرته عليه، إلا أن أهالي قرية كفر بيداء رغم معاناتهم من النظام الإقطاعي الذي يمارسه الشيخ في القرية؛ لم يكونوا راضين عن محمد علي.^(٦)

(١) صخرة طانيوس، ص: ٣٨، ٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٩٦ - ٩٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٥٥.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٣٢ - ١٦٠.

الراهب إلياس: صاحب أخبار الجبل، القائل: إن القدر يمر عبر حياتنا ويعاود المرور، مثل سلة الإسكافي في الجلد الذي يصنعه،^(١) إشارة جلية من القدر أن التسلل قد يكون قاسياً، أو ساخراً أو من صنع العناية الإلهية.^(٢)

روكز: الوكيل السابق للشيخ فرانسيس، حينما السيد حاول إغواء زوجة روكز قرر مغادرة القصر صوناً لشرفه.^(٣)

لافوز: معلم ألبير.

أسماء: ابنة لافوز.

مدعوم: أمير مصر.

(١) صخرة طانيوس، ص: ٤٥ - ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٨٣.

الأحداث في رواية "سمرقند"

رواية "سمرقند" تشتمل أربعة أجزاء، تتكلم عن الأحداث التاريخية المقلقة في فترتين زمانيتين مختلفتين ومتباعدتين: الفترة الأولى في بلاد فارس وآسيا الوسطى، عن حياة عالم الفلك والشاعر "عمر الخيام"، خصوصاً الفترة التي كتب فيها رباعياته الشهيرة التي تضمنت الكثير من أفكاره في الرياضيات وعلم الفلك والفلسفة الخاصة بالحياة، وعلاقة حبه لشاعرة سمرقند، وتسلب الحشاشين، وارتكابهم لجرائم الخطف والقتل، في قلعة الموت زمن حكم السلاجقة، في نهايات حقبة الخلافة العباسية، كما تتناول هذه الفترة تاريخ كثير من الأحداث والتفاعلات مع شخصيات تاريخية بارزة في ذلك الوقت، منها: الوزير نظام الملك وعلاقته مع حسن الصباح زعيم فرقة الحشاشين.

يغادر "عمر الخيام" سمرقند تلبية لطلب "الملك شاه"، وفي طريقه يلتقي بحسن الصباح فيصاحبه معه عند الملك، ويقربه منه، لكن تحاك الدسائس بينه وبين الوزير نظام الملك، "حسن الصباح" تولى منصب "صاحب الخبر"، أي: المخابرات، في عهد نظام الملك الوزير الأول للسلطان السلجوقي ألب أرسلان وابنه ملك شاه، بعد أن تعفف عمر الخيام عن تولي المنصب، ثم انقلب الصباح على الوزير نظام الملك، بعد أن اكتشف نظام الملك مؤامرة كان يحكيها الصباح للإطاحة به؛ فهرب الصباح إلى قلعة الموت في أقصى شمال إيران، وأسس فيها فرقة للاغتيالات السياسية، عُرفت لاحقاً بـ "الحشاشين"، التي اغتالت الوزير نظام الملك، ثم دُمرت القلعة على أيدي الغزاة المغول.

أحرق المغول المكتبة التي كانت تضم عدداً كبيراً من الكتب والمخطوطات العلمية المهمة، ولم يبق منها إلا مخطوطة "رباعيات عمر الخيام".

في القسمين الثالث والرابع من الرواية زمان آخر يبعد عن تاريخ القسمين الأولين ثمانئة عام تقريباً، فيقدم لنا الروائي الأحداث، عن قصة الشاب الأمريكي "بنجامين ع لوسائج"، وشغف والديه بـ "عمر الخيام" والثقافة الشرقية، ينطلق بنجامين لوسائج في رحلته للتعرف على فارس، وبمساعدة صديق جده يدخل بنجامين لوسائج في أحداث

كثيرة بسبب "مخطوط سمرقند"، يرحل بنجامين لوسائج إلى القسطنطينية ويلتقي بجمال الدين، الذي ييسر له سبل الوصول إلى فارس، ويلتقي بنجامين بمرزا فيخبره بأن المخطوط لدى جندي كرمانى، سيأتي به إليه يوم الجمعة، ويسلمه إياه، وهنا تحدث الكارثة؛ إذ يحضر الرجل يوم الجمعة إلى مرزا ويجد مرزا الفرصة لقتله، ويلتقي بنجامين لوسائج بـ "شيرين" الأميرة الفارسية، ويقع في حبها، ثم يعود لبلاده، وينسى كل مغامراته، ولكنه لا ينسى هدفه الأساسي، ألا وهو المخطوط، يتشارك بنجامين لوسائج وشيرين حب المخطوط وعشقهما، عاد بنجامين لوسائج إلى أمريكا، وتلقى رسالة من شيرين، عرف منها المخطوط، الذي وُجد في أمتعة القاتل، وهو الآن عند شيرين، فيعود بنجامين لوسائج مرة أخرى إلى فارس، ويعود إلى أمريكا بصحبة المخطوط وشيرين، في الرحلة التي كانت أول وآخر رحلة لسفينة (تايتانيك) في أبريل ١٩١٢م، محتفلين بعرضهما الذي أقيم قبل ثلاثة أسابيع في باريس، وفرحين بالمخطوط الذي أودعاه خزانة حديدية في الباخرة، تغرق الباخرة، ولكنهما ينجوان، ويصلان إلى اليابسة، بدون المخطوط، ويتلفت بنجامين لوسائج باحثاً عن شيرين، ولكنه لا يجد لها أثراً.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

نلاحظ بأن الرواية انقسمت زمنياً إلى قسمين، فنصف الأحداث وقعت في زمن الشاعر عمر الخيام، والنصف الثاني من أحداث الرواية وقعت في مستهل القرن العشرين، ولذلك نستطيع القول بأن الصراع في النصف الأول من الرواية كان بين عدة أطراف عاشت أحداث الرواية، فعمر الخيام الذي اضطر للرحيل، وحسن الصباح الذي أسس فرقة الحشاشين، والوزير نظام الملك الذي وقع ضحية للاغتيالات السياسية، وكان مصير قلعة الحشاشين الدمار والخراب بعد غزو المغول للمشرق.

أما الصراع في النصف الثاني فيتلخص في رحلة الأمريكي بنجامين لوسائج وعشيقته الفارسية شيرين، ومحاولتهما إنقاذ مخطوطة رباعيات عمر الخيام، بعد غرق سفينة تايتانيك، وضياع المخطوطة، وكذلك شيرين الفارسية.

الشخصيات في رواية "سمرقند"

تدور أحداث رواية (سمرقند) حول شخصية محورية واحدة، وهي شخصية عمر الخيام، والشخصيات الثانوية تتكون من شخصين عظيمين، وهما: الوزير نظام الملك، وحسن الصباح، وشخصيات تاريخية أخرى عديدة، تطرق إليها أمين معلوف في روايته، هذه الشخصيات كما يلي:

أ- عمر الخيام (١٠٤٨ - ١١٢٤م):

ولد في نيسابور من مدن إيران، وانتقل إلى سمرقند وبلخ وأصفهان، وهو فيلسوف، وعالم في الرياضيات والفلك واللغة والتاريخ، وشاعر صاحب الرباعيات الشهيرة، التي ترجمت إلى معظم لغات العالم، لم يكن له دين محدد بنظر المحيطين به، بل سعى إلى معرفة ربه عن طريق عيشه للحياة المبهمة واكتشافه لها، والحياة عنده مختلفة، إنها لذة العلم وعلم اللذة، فهو ينهض متأخراً، ويشرب الصبوح التقليدي، ثم يجلس إلى منضده عمله، فيكتب ويحسب، ويرسم الخطوط والصور، ثم يعود إلى الكتابة، فيكتب في كتابه السري قصيدة أو بعض قصيدة،^(١) ويقول:

"وما كانت حياة القصور لتكون لي، إن حلمي الوحيد، طموحي الوحيد هو أن يكون لي يوماً مرصداً، وحديقة ورود، وأن أتملى السماء، وفي يدي كأس، وإلى جانبي حسناء".^(٢)

ب- حسن الصباح:

حسن بن علي بن محمد الصباح الحميري، ولد في مدينة الري في إيران، عام ١٠٣٧م، وهو مؤسس فرقة الحشاشين، أو الإسماعيلية النزارية بفارس وخراسان. الصباح شخصية نامية، تطورت طبيعته مركبة وموسعة، في أول مرة كان يعتنق العقيدة الشيعية الإمامية الاثنا عشرية، ثم اعتنق الإسماعيلية، أو الإمامية السبعية، ودخل

(١) سمرقند، أمين معلوف، ترجمة: عفيف دمشقية، ص: ١١٤، دار الفارابي بيروت لبنان، ب - ت.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٤.

العاصمة السلجوقية بأصفهان، كي يرى الفارسيين من احتلال السلاجقة الأتراك، ثم ابتعد إلى مصر بعد مكيدته الفاشلة للوزير نظام الملك، ورجع إلى المناطق السلجوقية للدعوة إلى الإسماعيلية، ثم أسس فرقة الحشاشين بعد دعوته الفاشلة، وبقي ينشر الخوف في قلوب الناس بالاغتيالات حتى نهاية حياته. قال الصباح لعمر:

"لقد قلت لك اسمي، ولكنه لا يوقظ في نفسك شيئا، إني حسن الصباح، من قم، ولست أدعي مجداً، غير أنني أتممت في السابعة عشرة قراءة جميع ما يخص علوم الدين والفلسفة والتاريخ والنجوم".^(١)

فقد طاف الشرق الإسلامي بلخ ومرو وكاشغر وسمرقند، وهنا هو ذا يدعو في كل مكان، ويحاج ويقتنع بالانخراط وينظم، ولا يغادر مدينة أو قرية من غير أن يسمي فيها ممثلاً، وقد أحاطت به حلقة من المريدين من شيعيين أتبعهم الانتظار والمعاناة، وستين فارساً أو عرباً أرهقتهم هيمنة الأتراك، وشباب لوعهم الهيجان والغيلان، ومؤمنين ينشدون التمسك بأهداب الدين.^(٢) وهو أول من شرع الاغتيال السياسي في العالم، واغتال عدة رجال دولة وأمراء وشخصيات دينية، لعل أبرزهم: صديقه الوزير السلجوقي نظام الملك، واتخذ الصباح قلعة الموت في إيران مركزاً لدعوته التي سقطت عام ١٢٥٦م، تحت ضربات المغول.

ت- ملكشاه بن ألب أرسلان:

أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي (جلال الدولة)، ولد عام ١٠٥٥م، ويرجح أن تكون ولادته في مدينة أصفهان بإيران حالياً، وهو أبرز سلاطين الدولة السلجوقية بعد والده ألب أرسلان، شهدت الدولة السلجوقية ازدهاراً كبيراً في عهد ملكشاه، ووصل نفوذه إلى بلاد الشام والعراق، وصولاً إلى أطراف القسطنطينية (إسطنبول)، وحتى بلاد الهند، توفي ملكشاه في بغداد مسمماً، بلحم وحش اصطاده خلال رحلته في العراق، ونقل إلى أصفهان، حيث دفن بها عام ١٠٩٢م.

(١) سمرقند، ص: ٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٤.

ث- نظام الملك:

أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، الوزير السلجوقي في عهدي السلطان ألب أرسلان، والسلطان ملك شاه، ولد في ريدكان طوس سنة ١٠١٨م، وتوفي سنة ١٠٩٢م، سخر كل وقته من أجل القضاء على الخلاف السني الشيعي الذي كان حينذاك في ذروته، فكتب الكتب، وأصدر الأحكام، ولاحق المارقين، وأسس المدارس العلمية، واستقدم لهذا الأمر أشهر علماء المسلمين في عصره الإمام حجة الإسلام والمسلمين أبا حامد الغزالي.^(١) وكاد أن يكون الوزير نظام الملك هو الحاكم الفعلي للمنطقة آنذاك.

والوزير نظام الملك شخصية ثانوية لهذه الرواية، صوّر كشخصية نامية، في المرة الأولى كان يقبل حسن الصباح في صداقته، ثم يتبرأ منه، ويعاديه بعد مكيدته إياه، وارتبط نجاح (ملك شاه) الذي بسط نفوذ دولة السلاجقة حتى شملت جميع العالم الإسلامي، ارتبط نجاحه بالوزير نظام الملك.

نظام الملك يعد مثلاً لرجل الدولة القوي، المستقيم الذي يخاف الله في شعبه، والعدل الذي يحقق العدل والمساواة بينهم، الساعي إلى سيادة الاستقرار والسلام في أنحاء الدولة كلها، ويقول:

"أحلم بإمبراطورية يحكم كل إقليم فيها وكل مدينة رجل عادلاً، يخاف الله، ويهتم بشكاوى أضعف الرعية".^(٢)

ج- القاضي أبو طاهر:

شخصية براجماتية، يسعى دائماً للسير مع التيار، مع احتفاظه بآرائه الخاصة، ومنها: إعجابه الشديد بنتاج عمر الخيام صاحب "الرباعيات" الحكمي والعلمي والشعري، فيعمل على إدخاله مجلس الأمير نصر خان الرجل الطاغية الذي بدوره يعيش حالة حصار من قبل السلاجقة، ويسعى لحماية عرشه.

(١) صاحب كتاب إحياء علوم الدين، وشيخ المذهب الشافعي.

(٢) سمرقند، ص: ٨٩ - ٩٠.

ح- جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٦):

مصلح إسلامي كبير، وقد تركزت دعوته الإصلاحية على بعدين أساسيين:

الأول: محاربة الاستعمار الذي كان آنذاك متمثلاً ببريطانيا.

الثاني: النهوض بالمسلمين من الانحطاط الذي يعيشونه من خلال العودة إلى الإسلام، وأخذ الجوانب العقلانية من الحضارة الغربية الحديثة.

شخصية جمال الدين الأفغاني تمثل نموذج المثقف المتسامح مع الأديان والأجناس، ذو فكرٍ منفتحٍ، غير معادٍ للغرب، يؤمن بالاختلاف، وكل محاولاتِه في الإصلاح والتغيير.

جمال الدين الأفغاني المفكر والمصلح الإسلامي، الذي التزم بقضايا المجتمع والأمة الإسلامية، ما جعله في صراع دائم ومستمر مع شاه إيران لأجل إقامة دستور، فنفاه إلى إسطنبول، وكمثقفٍ حرٍ ألقى محاضراتٍ ودروساً تنادي بالحرية والديمقراطية، فأثيرت الشكوك حوله فنُفي من إسطنبول، إلى مصر ثم فرنسا ثم بريطانيا.

يقول عنه صديقه رشفور:

"لقد أسعدني الحظ بمقابلة شخصية فذة، واحد من أولئك الأشخاص الذين يجتازون التاريخ، مصممين على أن يتركوا طابعهم في الأجيال الطالعة، وإن السلطان التركي ليخشاه ويحامله، وإن شاه فارس ليرتعد منه لمجرد ذكر اسمه، ومع أنه من نسل محمد فقد طُرد من القسطنطينية؛ لأنه قال في خطاب عام وبحضور الشخصيات الدينية: إن رسالة الفيلسوف توازي في حاجة البشرية إليها رسالة النبي، إنه يُدعى جمال الدين، هل تعرفه؟".^(١)

خ- جهان:

هي امرأة جميلة مشبوبة بالعواطف والصبايات، وأيضاً شاعرة، وهذا ما جعل عمر الخيام يتعلق بها ويعشقها، حتى النخاع، فكانت هي المتحكمة في زمام العلاقة المصيرية بينهما، جهان امرأة طموحة ومنطلقة، تأبى القيود وتناشد الحرية، لذلك ترفض الزواج، حتى أنها تزوجت من الخيام بعد سنوات من العشق والمقابلات السرية، هي دائمة

(١) سمرقند، ص: ٢١٠.

الحضور في البلاط الملكي، ومع حاشية السلطان وحريمه، وقليلًا ما تكون في بيتها وبجانب زوجها، فهي عاجزة عن مواجهة حياة غير حياة القصر، إنهما معاً ومتباينان، ومع أنهما عاشقان منذ تسع سنوات، ومتزوجان منذ أربع سنوات فإن أحلامهما لا تتعايش دائماً تحت السقف نفسه، ف"جهان"، تلتهم الزمن وعمر يحسوه.^(١)

د- شیرین: (أخت شاه إيران)

شخصية شیرین الأميرة الفارسية عشيقة بنجامين لوسائج، واللذين جمعهما مخطوط عمر الخيام، حينما غادر بنجامين عمر لوسائج الأمريكي إلى باريس للبحث عن مخطوطات عمر الخيام، توجه إلى تركيا، ومنها إلى إيران؛ سعيًا وراءها، ووقع في حب شیرین أخت شاه إيران، بعد مصاعب كثيرة وصل المخطوطات ليد شیرین التي أصبحت زوجته، ثم أبحرت شیرین وبنجامين عمر لوسائج في سفينة "التايتانيك" الشهيرة التي غرقت مطلع القرن العشرين في المحيط الأطلسي، وغرقت مخطوطات عمر الخيام مع الباخرة المنكوبة.

ذ- وزیر الآتابك: وكان وزيراً لملكشاه.

ر- السلطانة تركين خاتون: زوجة ملكشاه.

(١) سمرقند، ص: ١١٤.

الأحداث في رواية "ليون الإفريقي"^(١)

الرواية ألفها الكاتب اللبناني أمين معلوف، سنة ١٩٨٦م، وترجمها عن الفرنسية إلى العربية عفيف دمشقية سنة ١٩٩٠م. وتنهض أحداث الرواية على ما ورد في كتاب "وصف إفريقيا" للحسن بن الوزان الشخصية الإفريقية.

أحداث الرواية تدور بين عامي ١٤٨٨ - ١٥٢٧ التي تمر بها ظروف ومراحل تاريخه حاسمة، مثل: سقوط الأندلس، وصعود دولة العثمانيين، وظهور النهضة الأوروبية. كما تناولت الرواية حياة الرحالة والعالم والدبلوماسي الأندلسي الحسن بن محمد الوزان، الذي شهد الأعوام الأخيرة من عهد الدولة الإسلامية في الأندلس، ثم هاجر مع أسرته إلى المغرب، وقام برحلات متتالية إلى شمال إفريقيا ومصر والقسطنطينية والجزائر، وتركيا وإيطاليا، وغير ذلك.

كتاب غرناطة:

تبدأ الأحداث في هذه الرواية في مملكة غرناطة قبل سقوطها بقليل من عام ١٤٩٣هـ (١٤٨٨م) وتنتهي في عام ٨٩٩هـ (١٤٩٤م).

يقوم فيها حسن الوزان بسرد الظروف التي نشأ فيها والبيئة التي عاش فيها، حيث ولد في مدينة غرناطة سنة ٨٩٣هـ (١٤٨٨م) قبل سقوطها النهائي بيد الإسبان بأربع سنوات، في الوقت الذي كانت تقترب فيه من السقوط نتيجة الفساد السياسي والاجتماعي الذي كان سائداً آنذاك.

كان أغلب السرد يتم نقلاً عن روايات أم سلمى وهي والددة محمد الوزان، يتساءل عن هوية الطفل، ويرى أن الطفل لا يتذكر لغته ولا دينه، وقال عن نفسه:

"كُتبت أنا حسن بن محمد الوزان يوحنا - ليون دومدينشي، بيد مزين، وعمدت بيد أحد البابوات، وأدعى اليوم "الإفريقي"، ولكنني لست من إفريقية، ولا من أوروبا، ولا من بلاد العرب، وأعرف أيضاً بالغرناطي والفاسي والزياتي،

(١) ليون الإفريقي، أمين معلوف، ترجمة: د. عفيف دمشقية، دار الفارابي بيروت لبنان، ط ١ / ١٩٩٧م.

ولكنني لم أصدر عن أي بلد ولا من أي مدينة ولا عن أي قبيلة، فأنا ابن السبيل، وطني هو القافلة، وحياتي هي أقل الرحلات توقفاً.^(١)

فأما الوزان فهو والد الحسن الذي ورث عن أبيه منصباً بلدياً مهماً، يقضي بوزن الحبوب، والتأكد من سلامة الممارسات التجارية.^(٢)

كتاب غرناطة فيه فصول عديدة، مثلاً:

(عام التمام من سنة ١٤٨٩م إلى سنة ١٤٩٥م): في هذه السنة دفع المسلمون للقشتاليين الجزية، وفتحوا أمامهم أبواب مدينة غرناطة، كما قام يحيى حسام الدين بإعطاء الفرصة للمسيحيين، ولم يكن قد قرر تسليم بسطة فحسب، بل الانضمام أيضاً إلى الجيوش القشتالية، وكان هذا تمهيداً لفتح سائر مدن الأندلس وأخيراً غرناطة، وكانت جميع الطرق قد أصبحت في يد القشتاليين، والمسلمون تركوا ثقافتهم بسبب غلبة النصارى عليهم، يعنى حينما جاء وقت السقوط نسوا كل دينهم وحضارتهم وثقافتهم، إن مدينة غرناطة قد سقطت في عام ١٤٩٣ (٨٩٣هـ). وقد استسلم الملك الصغير، تاركاً مفاتيح قصر الحمراء، وكان المسلمون والملك الصغير غادروا غرناطة إلى أماكن أخرى في المغرب العربي، منها: فاس.

في هذا العام سلك خال الحسن بن الوزان طريق المنفى، وحسن أصبح كاتباً وخطاطاً في ديوان الدولة، وكان المسلمون يقولون: "إننا ضعاف والروم أقوياء" أما المسلمون فيدفعون لهم الجندية ويفتحون أمام النصارى أبواب مدينة غرناطة، وأن لا يوجد أي ضابط أو جندي أو قاضٍ بالعدل أو عالم أو إمام مسجدٍ. في حين كان التجار والذراع ينجحون إلى السلم، وكانت قيادتها عند الأمير النصري يحيى التجار، في أثناء الحرب هاجر خال الحسن بن وزان واستقر في فاس، ثم الراوي بنفسه هاجر مع أبويه إلى فاس في وقت سقوط غرناطة.

عام سلمى الحرة ٨٩٤هـ (١٤٨٨ تا ١٤٨٩م).

(١) ليون الإفريقي، ص: ٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٠.

عام أستغفر الله: ٨٩٦ هـ (١٤٩٠-١٤٩١ م): لقد حان وقت المنفى، وكل هذا بسبب المسلمين أنفسهم، إنهم بدؤوا شرب الخمر وارتكاب الأعمال المحرمة ونسوا أصول الدين.

عام السقوط: ٨٩٨ هـ (١٣٩١-١٣٩٢ م): كان الجو باردًا هذا العام في غرناطة وكان مع البرد والخوف، وكان يلج أسود بفعل التربة المفلوحة والدم. وكان أشد الألفة مع الموت. وما كان أقرب المنفى وما كان أقسى تذكر إخراج الماضي.^(١)

عام المهرجان: ٨٩٨ هـ (١٤٩٢-١٤٩٣ م): كل سنة للتقويم المسيحي، كانت غرناطة تحتفل بمهرجان، كان الناس يشعلون إبالات كبيرة يوقدون نارها بالقس، ويحتفلون على رأس السنة الفارسية يوم النيروز، وأيضًا الأعياد الإسلامية الرئيسية الأضحى وعيد الفطر وعاشوراء وهو يوم مخصص لذكرى الأموات.

عام الرحيل: ٨٩٩ هـ (١٤٩٣-١٤٩٣ م): هاجر المسلمون مغادرين غرناطة إلى مكان آخر، وبعضهم عزموا الرحيل إلى آخر غرناطة في أثناء الرحيل هاجم القشتاليون على مركبهم وأسروا بعض المسلمين ووجد المسلمين كثيرًا من المصائب، ثم ذهب الراوي إلى فاس ومنها إلى القاهرة، وانتهى المطاف به في بلاد الروم.

كان المسلمون في غرناطة غير قادرين على إظهار عباداتهم، والأسر المسلمة التي تعيش في غرناطة لديها مشاكل كثيرة في ممارسة العبادة، أما السلطان أبو الحسن علي بن سعد فيقوم بعروض عسكرية لأجل أن يرى الناس عظم قوته، وجنود قشتالة دخلوا غرناطة، وسكان المدينة اقتنعوا بأن المسؤول عن هذه المصيبة أبو الحسن علي بن سعد النصري، الذي تجاهل نصائح الحكماء الذين أخبروه عن زواج فردناند وإيزابيلا، فأصبحتا قوين، وقاما بالهجوم على مملكة المسلمين ودخل قصر الحمراء واحتلال غرناطة التي كانت تحت سيطرة المسلمين.

(١) ليون الإفريقي، ص: ٤٩.

"كتاب فاس":

في فاس يمكننا متابعة حياة الحسن الوزان من خلال علاقته بوالديه، وبخاله سفير سلطان فاس، وبصديقه هارون، وبشقيقته مريم بنت الرومية وردة التي تأمر عليها الزروالي فتسبب بعزلها ظلماً مع المصابين بالجذام المزمّن المعدي الذي انتشر في أحياء فاس. نشأ الحسن الوزان في فاس نشأة دينية، تلقى تعليمه وختم القرآن في الكتاب، وكان يختلف إلى جامع القرويين في سنوات التحصيل والدراسة، وفيها درس النحو والشعر والأدب والتاريخ والفلسفة والشريعة.

وطاف مع صديق طفولته هارون في أنحاء فاس، فوصف لنا أزقة المدينة وشوارعها، ثم سافر مع خاله إلى مدينة تمبكتو، فيطلعنا على ما حدث فيها من أهوال انتهت بموت خاله في طريق العودة، ليقود القافلة بدوره، ويعود ليقيم علاقة وثيقة مع سلطان فاس، ويتزوج بابنة خاله فاطمة، وكان حسن قد أصبح ثرياً، وتحسنت أحواله، قبل أن يلاحقه غضب السلطان الذي حصل منه حسن على إذن لهارون وزوجته مريم شقيقة حسن بالعودة إلى فاس التي كانا قد فرا منها إثر إخراج هارون لمريم من حي المجذومين خلصة، مثلما تسبب في إقناعه بنفى الزروالي الذي مكر بأخته، ثم قرر حسن الفرار بثروته إلى (تيمبكتو)، معه هبة الجارية التي كانت هدية من نصيبه في رحلته الأولى، ويسمى عام رحيله بعام العاصفة، رحل الحسن بأمواله جنوباً، حيث خسر جميع ثروته في خضم عاصفة ثلجية بجزال الأطلس، فأهلك ما معه من الجنود والإبل، وكانت جماعة من اللصوص وقطاع الطريق قد سطوا على ثروته واستولوا عليها ليدخل مصر فقيراً.

كتاب القاهرة (١٥١٣ - ١٥١٩):

وصل حسن الوزان إلى مصر وقد بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة، تم فيها علمه، وصار أوسع خبرة، وأعمق تجربة، بالمزامنة مع دخول العثمانيين القاهرة، والمذابح التي ارتكبتها السلطان سليم وجنوده، الذين أعدموا السلطان طومان باي، في مشهد دموي تقشعر له الأبدان.

أُرسل الوزان سفيراً إلى القسطنطينية، ثم عاد إلى القاهرة حيث شهد أحداثاً مأساوية، مثل: وباء الطاعون، وزحف السلطان بالجيش الانكشاري، وقتل آخر سلاطين المماليك، وبعدها حجّ حسن الوزان، ثم عاد إلى فاس، ثم إلى روما.

كتاب روما (١٥١٩ - ١٥٢٧):

وجد الحسن الوزان نفسه في روما مبيعاً للبابا ليون العاشر، الذي كان محباً للعلم والعلماء، ونصيراً للثقافة والفن، فوجد في الوزان ضالته المنشودة التي كان يبحث عنها منذ زمن، وهي اصطياذ مثقف عربي مسلم مثقف بثقافات العالم العربي والإسلامي، وسياسته، خبيراً بالعلوم الأخرى، ولذا عاش حسن الوزان حياة جديدة، فتعلم اللغات الإيطالية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والتركية والعبرية وغيرها، وقد هُيء له سبعة معلمين لتعليمه تلك اللغات، لكي يتمكن الفاتيكان من الاستفادة من فهمه ورحلاته، قبل أن يعهد إليه بمهمات سياسية متعددة، منها: السفارة إلى ملك فرنسا، وأخرى إلى سليمان القانوني وغيرها.. وسمّاه البابا ليون العاشر بيوحنا، وليون، واسم عائلته مديتشي، وعن ذلك يقول الوزان: يوحنا ليون يوهانس ليوا، لم يسبق يوماً أن دُعي شخص من أسرتي على هذا النحو.

وبالصدفة التقى الوزان في بلاط ملك فرنسا بصديقه هارون زوج أخته، الذي سارت به الأمور إلى اتجاه آخر، حتى صار مستشاراً لدى السلطان العثماني.

ولما انتهى الأمر بروما إلى أن تدمر على يد عصابات المرتزقة الألمان المعروفة بالعصابات السوداء، قرر الوزان العودة إلى تونس بمساعدة المرتزق الألماني اللوثري هانز، تلميذه السابق في الفاتيكان، وعباد السوسي الذي قاده الأقدار ليصبح تاجراً في نابولي، وكانت مع ليون زوجته التي زوّجه إياها البابا ليون العاشر، وكانت تنتمي إلى أصول يهودية غرناطية، وقد أنجبت له ولداً، حملها معه إلى تونس؛ ليعود إلى أسرته الأولى.

ويقول الوزان عن العمر الذي عاشه مغترباً ولحقت به النوائب وأرهقته الأهوال:

"أما أنا فقد بلغت نهاية رحلتي، فلقد أثقل خطوي ونفسي أربعون عاماً

من المغامرات، ولم يعد لي رغبة غير العيش أياماً طويلة وادعة وسط أهلي

وعشريتي، وإلا أن أكون من بين جميع من أحب أول الراحلين إلى ذلك المثوى الأخير الذي لا يحس فيه أحد قط بالغبرة أمام وجه الخالق".^(١)

في نهاية عام العصابات السوداء يذكر الحسن الوزان شيئاً مما يتعلق بكتابه "وصف أفريقيا"، حينما وصل نهاية المطاف، وبالقرب من الساحل الأفريقي قال: "رسمت آخر كلمة على آخر صفحة وكنت قد أصبحنا عند الساحل الأفريقي، مآذن قمارت البيضاء، أطلال قرطاجة الشاحخة، إن النسيان يتربص بي في ظلالها، وباتجاهها يتحول مجرى حياتي، بعد تعرضي لعدد من حوادث الغرق، خراب رومة بعد نكبة القاهرة، وحريق تومبكتو بعد سقوط غرناطة: أتكون المصيبة هي التي تناديني، أم أنني أنا من يستدعي المصيبة".^(٢)

من أهم الأحداث التاريخية التي وردت في الرواية: سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ، واستيلاء العثمانيين على القاهرة سنة ٩٢٢هـ، والصراع الدائر بين البابا واللوثرين، وخراب روما، وأهم الأحداث التاريخية الخاصة بحسن الوزان هي: رحلته إلى السودان، ورحلته إلى الحجاز حاجاً، ورحلته إلى القاهرة، ثم وقوعه أسيراً بيد قراصنة طليان، وتقديمه هدية للبابا ليون العاشر.

نستطيع أن نقول إن هذه الرواية طرحت فرصة رؤية حضارية إنسانية متقدمة، تتمثل بالمناداة بتسامح الأديان، والحوار بين الحضارات المختلفة، ونبذ الصراعات الدموية، والابتعاد عن التعصب الديني، وغير ذلك، كما يقول عبد الفتاح الحجمري:

تبرز رواية "ليون الإفريقي"؛ ليس فقط لأن أحداثها تدور في القرن السادس عشر، بل لأن معلوف استطاع أن يجعل من سيرة حسن الوزان صورة لقراءة تحولات مصيرية، عرفها عصر النهضة الأوروبية، وهذا يجعل أيضاً خطاب السيرة وعياً بسؤال الهوية، في بحثها الدائم عن علاقة مع الواقع الذي نحيا فيه".^(٣)

(١) ليون الإفريقي، ص: ٣٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٣) هل لدينا رواية تاريخية، عبد الفتاح الحجمري، مجلة فصول، العدد/ ١٤، يوليو ١٩٩٧م، ص: ٦٠-٦٧.

تحولات مصيرية عرفها عصر النهضة الأوروبية وهذا يجعل أيضاً خطاب السيرة وعياً بسؤال الهوية في بحثها الدائم عن علاقة مع الواقع الذي نحيا فيه.

ينتمي نص معلوف إلى عوالم مختلفة، تتوزع بحسب التقسيم الذي رسمه صاحبه إلى أربعة فصول زمنية مماثلة لعدد الأمكنة، وتضمينها أخرى فرعية تجعلنا نفي تماماً أن بطله يعيش تعدد الأزمنة والأمكنة و"الكثرة المكانية" هنا إنما تعني... أن يكون هناك شيء جديد، يتطلع أو يستطيع أن يتطلع إليه المرء بفضول من أجل اكتشاف "رؤية عالمة".^(١)

وقفت الرواية على أحوال الناس، وعملت الأسباب التي دفعتهم للرحيل من غرناطة إلى أماكن أخرى في المغرب العربي والتي فيها فاس، التي نزح إليها الحسن بن محمد الوزان نزوحاً قسرياً، كان خيارهم مقابل الخيار الآخر.

الرواية تبدأ برصد ملامح شخصية الحسن بن محمد الوزان منذ طفولته، وتتحرك بحركته في فضاءاتها، إذ إنه على الرغم من انتقاله انتقالاً قسرياً في تلك الفضاءات إلا أنه يعيش حياته الطبيعية كأبي إنسان آخر، وفي فاس يمكننا متابعة حياة الحسن الوزان من خلال علاقته بوالديه وخاله سفير سلطان فاس، وبصديقه هارون، وبشقيقته مريم بنت الرومية.

وفي فاس تلقى تعليمه حيث ختم القرآن في الكتاب، ثم كان يختلف إلى جامع القرويين للتحصيل والدراسة، وتعرف في مراحلها الأولى صديقه هارون، وطاف معه في أنحاء فاس، فوصف لنا شوارع المدينة وأزقتها، وهو إلى جانب ذلك يرصد جوانب من حياة الأندلسيين الذين نزحوا إليها من بلادهم، قبل أن يقف بنا على تفاصيل رحلته مع خاله إلى (تبكتو)، فيطلعنا على ما حدث فيها من أهوال، انتهت بموت خاله،

(١) ما هي العولمة، أولريش بك، ترجمة: أبو العيد دودو، ص: ١٣٠، الناشر: منشورات الجمل ألمانيا، ط/ ٢، ٢٠١٢ م.
الهوية الثقافية المركبة المتناصة: كتاب وصف إفريقيا للحسن بن الوزان ورواية ليون الإفريقي لأمين معلوف نموذجاً، للباحثة: فتيحة عاشوري، ٢ / ٢٦٩-٢٨٨، أشغال المؤتمر الدولي السنوي لمؤسسة مقاربات: الذاكرة والبناء الثقافي، فاس المغرب، مارس ٢٠١٩ م.

حينما يعود ليقود القافلة بدوره، وأيضاً يعود ليقيم علاقة وثيقة مع سلطان فاس، ويتزوج بابنة خاله فاطمة، قال:

"أنجبت لي فاطمة بنتاً في أيام الصيف الأخيرة، فأسميتها ثروة؛ لأن ذلك العام شهد بداية ازدهاري".^(١)

وطاف مع صديق طفولته هارون في أنحاء فاس، فوصف لنا أزقة المدينة وشوارعها، ثم سافر مع خاله إلى مدينة تمبكتو، فيطلعنا على ما حدث فيها من أهوال انتهت بموت خاله في طريق العودة، ليقود القافلة بدوره، ويعود ليقيم علاقة وثيقة مع سلطان فاس، ويتزوج بابنة خاله فاطمة، وكان حسن قد أصبح ثرياً، وتحسنت أحواله، قبل أن يلاحقه غضب السلطان الذي حصل منه حسن على إذن لهارون وزوجته مريم شقيقة حسن بالعودة إلى فاس التي كانا قد فرا منها إثر إخراج هارون لمريم من حي المجذومين خلصة، مثلما تسبب في إقناعه بنفى الزروالي الذي مكر بأخته، ثم قرر حسن الفرار بثروته إلى (تيمبكتو)، معه هبة الجارية التي كانت هدية من نصيبه في رحلته الأولى، ويسمى عام رحيله بعام العاصفة، رحل الحسن بأمواله جنوباً، حيث خسر جميع ثروته في خضم عاصفة ثلجية بجبال الأطلس، فأهلكت ما معه من الجنود والإبل، وكانت جماعة من اللصوص وقطاع الطريق قد سطوا على ثروته واستولوا عليها ليدخل مصر فقيراً، وقد بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة، تم فيها علمه، وصار أوسع خبرة، وأعمق تجربة، بالمزمنة مع دخول العثمانيين القاهرة، والمذابح التي ارتكبها السلطان سليم وجنوده، وانتفاضة وارث عرض القاهرة من السلطان قانصوه السلطان طومان باي، الذي أعدمه العثمانيون في مشهد دموي تقشعر له الأبدان.

شهد الحسن الوزان في القاهرة أحداثاً مأساوية كانتشار مرض الطاعون، وعاد مرة أخرى إلى فاس، ثم ذهب إلى روما مع أسرته، وجد الحسن الوزان نفسه في روما مبيعاً للبابا ليون العاشر، الذي كان محباً للعلم والعلماء، ونصيراً للثقافة والفن، فوجد في الوزان ضالته المنشودة التي كان يبحث عنها منذ زمن، وهي اصطيد مثقف عربي مسلم مثقف

(١) ليون الإفريقي، ص: ٢٠٣.

بثقافات العالم العربي والإسلامي، وسياسته، خبيراً بالعلوم الأخرى، ولذا عاش حسن الوزان حياة جديدة، فتعلم اللغات الإيطالية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والتركية والعبرية وغيرها، وقد هُيء له سبعة معلمين لتعليمه تلك اللغات، لكي يتمكن الفاتيكان من الاستفادة من فهمه ورحلاته، قبل أن يعهد إليه بمهمات سياسية متعددة، منها: السفارة إلى ملك فرنسا، وأخرى إلى سليمان القانوني وغيرهما.. وسمّا البابا ليون العاشر بيوحنا، وليون، واسم عائلته مديتشي، وعن ذلك يقول الوزان:

"يوحنا ليون يوهانس ليوا، لم يسبق يوماً أن دُعي شخص من أسرتي على

هذا النحو".^(١)

وكان البابا هياً الوزان للتعميد، ووصف الوزان مراسم تنصيره وهو يدخل في خدمة البابا، ويتعرف على أسرار الكنيسة، وحياة رجالها، وعلاقاتها المذهبية الاجتماعية والسياسية، مشيراً إلى أن الصراع في تلك الحقبة كان على أشده بين الإمبراطورية والبابوية من جهة وبين الكنيسة الكاثوليكية وأتباع الكردينال لوثر من جهة أخرى.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

تصوّر الرواية الصراع العام لرحيل المسلمين عن الأندلس قسراً، وهجرتهم إلى شمال أفريقيا، بعد تناحر ملوك الطوائف، وسقوط دويلاتهم واحدةً تلو الأخرى بيد الإسبان، بعد أن وقف الإسبان في صف بعضهم ضد البعض الآخر، حتى فنوا وضعفوا، ولا شك أن هذا الرحيل كان قاسياً مؤلماً جداً للأندلسيين الذين تركوا ديارهم دون رجعة.

وعلى صعيد آخر، يأتي الصراع في حياة بطل الرواية الأندلسي الحسن بن محمد الوزان، الذي شهد الأعوام الأخيرة من عهد الدولة الإسلامية في الأندلس، ثم هاجر مع أسرته إلى المغرب، وقام برحلات متتالية إلى شمال إفريقيا ومصر والقسطنطينية والجزائر، وتركيا وإيطاليا، وهو من أسرة مسلمة، لكنه تنصر وصار سفيراً لبابا الفاتيكان ليون العاشر، الذي سمّا بيوحنا، وليون، واسم عائلته مديتشي.

(١) ليون الإفريقي، ص: ٣٢٠.

وتتمثل العقدة في الرواية في منظر خروج المسلمين من غرناطة، بعد أن احتلها الإسبان، وأخرج المسلمون منها قسراً.

ويبدو الحل في صراع الوزن مع بداية حياته الجديدة في البلاط البابوي في الفاتيكان وقيامه بالسفارة إلى الدولة العثمانية.

الشخصيات في رواية "ليون الإفريقي"

في هذه الرواية شخصيات كثيرة، أبرزها الكاتب بطريقة رائعة، وأبرز شخصيات الرواية من المحيط المباشر: الحسن الوزان، وأيضاً الشخصيات التاريخية السياسية التي جابتها رحلة البطل.

الشخصية المحورية: الحسن بن محمد الوزان المعروف بـ (ليون الإفريقي):^(١)

شخصية حقيقية، وهي شخصية محورية وتاريخية في الرواية، وقد عاشت حياة زاخرة بالمغامرات، والأحداث التاريخية، وتعد من الشخصيات النامية، ولد في غرناطة سنة ١٤٨٩م، ويختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته، فبعضهم يجعلها ٩٠١هـ - ١٤٩٥م، وبعضهم يجعلها عام ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م، ولكن المصادر ترجح أنه ولد سنة ٨٨٨هـ - ١٤٨٣م، ورحل عن غرناطة عقب سقوطها عام ١٤٩٢م، إلى فاس في المغرب. ترصد الرواية جوانب من حياة الحسن الوزان على شكل سيرته الذاتية التي أتاحت الفرصة له بأن يتحدث عن نفسه، ويعبر عن آرائه ومشاعره تجاه مواقف اجتماعية وتاريخية متنوعة. ويقف بناء الرواية على تصور طفل رضيع، فصل عن محيطه منذ ولادته، ونقل من بيئته الأصلية إلى بيئة مختلفة، ويتساءل عن هوية الطفل، ويرى أن الطفل لا يتذكر لغته ولا أمته ولا دينه.

ولقب بالغرناطي؛ لأنه ولد في غرناطة قبل سقوطها، ثم رحل إلى فاس، فكانت أول بلد يقيم فيه، وبعد خروجه عن بلده لقب بالفاسي، وأما ليون الإفريقي فهو ذلك الاسم الذي أطلقه عليه في روما البابا ليون العاشر الذي أعجب بعلمه ومعرفته. شهد الحسن بن الوزان غرناطة منذ طفولته الأولى، في الوقت الذي كانت تقترب فيه من السقوط؛ نتيجة الفساد الاجتماعي والسياسي الذي كان سائداً آنذاك.

^(١) وصف إفريقيا، الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ٥/١

الحسن الوزان شخصية عربية إسلامية فذة، اجتمع له من الخصال العلمية والانسانية ما جعل الغربيين المسيحيين يقدرونه حق قدره، ويستفيدون من تأليفه الجغرافي في عصر النهضة، ويعتمدون عليه كمصدر أساسي عن أفريقيا، ينتسب الحسن الوزان إلى قبيلة بني زيات الزناتية، وانتقل مع أسرته صغيراً إلى فاس، واتصف بالنبوغ المبكر، وأسند له سلطان فاس مهاماً سياسية خطيرة، وبالإضافة للنشاط التجاري لأسرته قام برحلات داخل المغرب وخارجه وقام بتسجيل مشاهداته في مذكرات شبه يومية.

محمد الوزان: والد حسن الوزان، ويعد مرجعاً أساسياً لأحداث سقوط غرناطة، التي يرويها لابنه حسن:

"فأنا أريد أن تعرف ما حدث بالضبط في مدينتنا غرناطة، في عام الشقاء ذاك....^(١) فهكذا فإنه عندما يقص علي خبر سقوط غرناطة كان المحتم أن تبدأ حكايته من قاعات الحمراء المنجدة".^(٢)

الوزان والد الحسن "ورث عن أبيه منصباً بلدياً مهماً، يقضي بوزن الحبوب والتأكد من سلامة الممارسات التجارية"^(٣) وسمي بالوزان نسبة إلى المهنة التي كان يزاولها.

سلمى:^(٤) أم الحسن، هي صاحبة الدور الكبير في المجتمع على مر العصور، تدافع عن بيتها وزوجها بكل الوسائل والطرق عندما سقطت غرناطة واسترد القشتاليون الجوّاري، ومنهن ضربتها، ففرع زوجها على عشيقته، وحاول استعادتها، وحزن حزناً شديداً ألمها كثيراً وجرح كبريائها.

سارة المبرقشة:^(٥) عرافة يهودية غرناطية، وصديقة سلمى (أم الحسن) ستهاجر إلى المغرب بعد السقوط.

(١) ليون الإفريقي، ص: ٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٠.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٥.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٥.

أبو حمزة المزين: ^(١) من أصدقاء ليون وأبيه.

وردة / إسميرالدا: ^(٢) زوجة محمد الحسن الوزان، المسيحية القشتالية.

مريم: ^(٣) أخت الحسن من أمها وردة.

هارون المنقب: ^(٤) حمال فاسي، صديق طفولة الحسن، سيتزوج مريم وسيصير

قائداً في جيش عروج ذي اللحية الحمراء في الجزائر، وبعد ذلك انضم إلى الجيش العثماني في عهد السلطان سليمان القانوني.

نور: ^(٥) أميرة جركسية مصرية، وابنة با يزيد، تزوجها الحسن خلال مقامه في

مصر، تبدو نور مثالا للزوجة الذكية والعبقرية.

مادالينا: ^(٦) زوجة الحسن، أصلها من غرناطة، وقد أنجبت للحسن الولد.

فاطمة: ^(٧) زوجة أبي الحسن.

الشيخ أستغفر الله: ^(٨) ابن مسيحي، اعتنق الإسلام، صديق من أصدقاء

ليون، وله دور بارز في هذه الرواية.

حامد حال البستاني: ^(٩) صديق أستغفر الله، وكان رجلاً عالماً بالقرآن الكريم.

يوسف: ^(١٠) جوسب ابن الحسن من مادالينا.

أبو عمرو: ^(١١) طبيب، وهو من ألدّ خصوم أستغفر الله.

(١) ليون الإفريقي، ص: ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١١٥.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٣٩٨.

(٦) أمين معلوف ومصيصة المواطن العالمي من ليون الإفريقي إلى الهويات القاتلة، حسين سركك حسن، جريدة الزمان،

السنة الخامسة عشرة، العدد: ٤٣١٢، تاريخ النشر: ٢٤/٠٩/٢٠١٢م.

(٧) ليون الإفريقي، ص: ٢٦.

(٨) المصدر نفسه، ص: ٢٦.

(٩) المصدر نفسه، ص: ٤٣ - ٤٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص: ٨١.

أبو خمر: ^(١) واعظ وطبيب في عصر ليون الإفريقي.

الشخصيات التاريخية السياسية في الرواية:

أبو الحسن علي بن سعد: ^(٢) ملك غرناطة العثرون.

أبو عبد الله: ^(٣) كان سفيراً يخطب الناس بأمور الحكومة.

فرناندو وإزابيلا: ^(٤) ملكا قشتالة وأراجون (أراغون).

المليح: ^(٥) كان وزيراً، حصل من فرديناند لقاء التسليم عشرين ألف قشتالي وأراض شاسعة.

الشريف الأعرج: ^(٦) أحمد الأعرج السعدي مؤسس الدولة السعدية.

عروج ذو الدحية الحمراء: ^(٧) قائد عثماني.

سليم الرهيب: ^(٨) تاسع سلاطين الدولة العثمانية.

سليمان القانوني: عاشر سلاطين الدولة العثمانية.

طومان باي: ^(٩) آخر سلاطين المماليك البرجية.

كليمنت السابع: ^(١٠) بابا الكنيسة الكاثوليكية، التاسع عشر.

ليون العاشر: ^(١١) بابا الكنيسة الكاثوليكية، ظهرت لشخصية متناقضة في الرواية، تظهر

ورعاً وشغفاً بالعلم والعلماء، في الوقت ذاته تقوم بأعمال تناقض ذلك.

^(١١) المصدر نفسه، ص: ٢٦.

^(١) ليون الإفريقي، ص: ٤٣.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٠.

^(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

^(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٦.

^(٥) المصدر نفسه، ص: ٦٥.

^(٦) المصدر نفسه، ص: ١٦٤.

^(٧) المصدر نفسه، ص: ٢٧٣.

^(٨) المصدر نفسه، ص: ٢٩٠.

^(٩) المصدر نفسه، ص: ٣٨٩.

^(١٠) المصدر نفسه، ص: ٣٨٣.

^(١١) المصدر نفسه، ص: ٣٦٧، ٣٧٠.

الأحداث في رواية "حدائق النور"

رواية "حدائق النور" هي رواية تاريخية ذات أبعاد فلسفية دينية، تحكي قصة "ماني" الذي ولد في مدينة ماردين، واسم أبيه باتيغ، واسم أمه مريم، الروائي قسم روايته إلى: تمهيد، وأربعة أقسام، ثم نهاية قصيرة.

وهذه الرواية تقدم التاريخ القديم جداً، ما بين حدود الدولة الساسانية والأخمينية وبلاد الرومان، والوقائع التاريخية المرتبطة بالإمبراطوريتين الفارسية والرومانية داخلياً وخارجياً.

وُلد ماني في اليوم الثامن من شهر نيسان، عام ٥٢٧ حسب التقويم الفلكي البابلي، وفي اليوم الرابع عشر من شهر أبريل يوم الأحد عام ٢١٦م بالنسبة إلى التقويم الميلادي، وكان يتربع "أرطبان" على عرش المدائن، ويحكم "كركلا" بقسوة في روما.^(١) وكان ماني عميق الإحساس بالموسيقى، يعتبر أنه في فجر الكون والمخلوقات جميعها تسبح في نغم علوي، كان ماني فناناً موهباً في عظمته، وربما أخطأ طريقه نحو النبوة، وكانت سماحة ماني إنسانية في عمقها، فما يهمه هو الإله الذي بداخل الإنسان، والذي يقويه هذا الأخير بالجمال والمعرفة، فمصير العالم بيد البشر.

وقوتان أساسيتان في الرواية تحكمان الكون: قوة ملك حدائق النور، وقوة سيد الظلمات، لم يخلق أحدهما الآخر، هو الطرف الحاسم، لقد عهد بالخلق إلى الإنسان، وإليه يرجع قبل أن يجعل الظلمات تتقهقر.^(٢)

وما كان يجعل ماني منفتحاً على الأديان كلها، حتى الوثنية منها هو إيمانه بالإنسان، لم يكن يراعي الاختلاف المعتقد ما دام المعتقد هو نفسه، إن لكل شعبٍ تقاليد دُوت في شرائعه، ونسبها للمشيئة الربانية.^(٣)

عاش "ماني" الشخصية الأساسية في الرواية في القرن الثالث الميلادي في بلاد ما

(١) حدائق النور، ص: ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٧٠.

بين النهرين، وتبدأ الرواية بوصف نهر دجلة، في بستان ذوي الملابس البيضاء، الذي يقع شرق دجلة، والزعيم شخص يُدعى سيتاي، يأتي معهم إلى البستان، ووالدا ماني أخذهما في سن الرابعة إلى هذا البستان، لينمو ولتعلم، وبعد مرور أعوام صادف أن صنع ماني معروفاً مع صوريّ سمين يدعى "مالكوس"، وفي أحد الأيام تعرف ماني إلى فتاة يونانية، يحبها مالكوس وتدعى كلووية، التي تحب ماني، لكن ماني كان يردعها بحجة العهود التي قطعها على نفسه. ماني غادر بستان النخيل عندما أصبح ناضجاً، وبعد فترة علم ماني أن مالكوس وكلووية قد تزوجا، وأقاما في المدائن. بعد انتظارٍ طويلٍ تلقى ماني في الرابعة والعشرين من عمره الكلمات التي طالما أهدى في سماءها. دخل ماني احتفال الصلاة بثيابٍ ملونةٍ استفزّت الجميع، وبعد حوارٍ قصيرٍ مع أبيه خضع لمحكمة الجماعة، وكشف عن رسالته، كما تكلم عن أصحاب الملابس البيضاء ومعتقداتهم، وبعد ذلك رحل.

من دجلة إلى السند:

غادر ماني بستان النخيل في شهر نيسان عام ٢٥٠م، وقد طويت صفحته من قصته، وعاش حتى ذلك الحين متخفياً، وسيعيش بعد الآن على الطريق، أمضى ماني ليلته الأولى في منزل صديقيه مالكوس وكلووية في المدائن، التي كانت محطته الأولى، وهذه المدينة أكبر مدن وادي دجلة، وعاصمة الملوك البارثيين سابقاً والساسانيين لاحقاً، وهنا باشر ماني بعض تعاليمه، مما تسبب في مخاوف مالكوس الذي حدثه عن الملك الجديد "أردشير" والعبادات المختلفة، مثل: عبادة النار دين الساسانيين الوحيد، وفي هذه الأثناء وصل والد ماني باتيغ وحاول إقناعه بالعودة إلى بستان النخيل، لكن ماني بدلاً من ذلك أقنع أباه بالبقاء معه، وهنا طلب منهما مالكوس الرحيل عن المدائن، فرحل ماني برفقة باتيغ ومالكوس رحلةً مليئةً بالمخاطر، حتى وصل مدينة "دب" القائمة على دلتا نهر السند، وتوجه ماني إلى الكنيسة يوم الأحد بعد الصلاة، فقام باستقبالهم كاهن الكنيسة بمنزله، وأخبرهم أن والي المدينة وحاميتها قد هجروها وتركوها للفتح الجديد الأمير هرمز حفيد أردشير الملك، وفي هذا الوقت كان الجيش الساساني يريد غزو المدينة، فذهب ماني لمقابلة قائد الجيش وهو هرمز بن شاهبور ليقرر مصير المدينة، وفي تلك الأثناء

مرضت ابنة هرمز فأخبره ماني بأنه يستطيع علاجها، وصار هرمز متعاطفاً مع ماني وديانته بعد حوار طويل، وشفيت ابنة هرمز بعد علاج ماني لها، وعرض هرمز على ماني من الذهب ما يكفي بقية حياته، لكنه رفض، وفي المقابل طلب من هرمز أن يعدل عن نهب المدينة وقتل أهلها.^(١)

بجوار الملوك

كان "ماني" ينتظر دخوله قاعة "العرش"، ولم يكن قادراً على انتزاع عينيه عن الباب الضخم الذي اصطقت أمامه اللبدات القانية الحمرة التي كان يعتمرها رجال الحرس، ألم يكن ذاك الباب هو الذي ذكره توأمه عندما كان يتحدث عن غزو المدائن؛ وكان مقدراً له أن يذهب إلى ضفاف السند، ويلتقي ذلك الأمير الساساني، ويعالج ابنته ليحصل على كتاب التقديم الموجه من هرمز إلى أبيه شاهبور سيد الإمبراطورية الجديد.^(٢)

قرر ماني فجأة زيارة ايكبتان عاصمة ماردين مسقط رأسه، وتعرض للمضايقة من الجند حراس القلعة، ومثل ماني في قصر الملك في حجرة اعتيادية لا علاقة لها بقاعة العرش، والتقى الملك بماني، ودار بينهما حوار حول ما قام به بهرام وما فعله ماني، ثم حبس ماني نفسه في منزل صديقه مالكوس ساجداً صائماً متأملاً لثلاثة أيام وبعدها خرج إلى تلامذته وقال بأن النصر قريب. وتذكر الرواية معاهدة السلام التي وقعها إمبراطور روما فليبيوس وشاهبور لقاء مئة قطعة ذهبية، تدفعها روما كل عام جزيةً إلى فارس، وبعد أن قُتل فليبيوس واصل خلفه دسيوس دفع الجزية ولكنه قُتل هو الآخر بعد سنتين.

أعدّ شاهبور جيشه للحرب، وطلب من ماني مرافقته، لكنه رفض، وخسر ماني مكانته في البلاط، وازداد عداؤ كهنه النار له ولتعاليمه، وانطلق شاهبور إلى الحرب برفقة حاشيته من غير أن يأخذ معه ماني، واجتاز أرمينيا، فاتحاً المدن والمناطق حتى أنطاكية،

(١) حقائق النور، ص: ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٩.

بعد تخريبها ونهب أكثرها، وبعد الحرب استدعاه الملك إلى القصر، وجرى حوار حزين بين شاهبور وماني، وفي الأخير حصل شاهبور على ما يريده بالحيلة، أي مرافقة ماني له في الحرب القادمة، التي كسبها الفرس على يد شاهبور، وأُسر فيها فاليريانوس إمبراطور روما، وتفتّت جيشه بعد معونة كبيرة قدمها للفرس خائن من ضباط الرومان.

كان ماني طبيباً بارعاً ورساماً ماهراً في عهده، والمؤسس الأول للرسم الشرقي، وحين أراد شاهبور أن يخلد صورته - جرياً على تقاليد الأسرة الإمبراطورية - اختار ماني لهذه المهمة.^(١)

في الأخير تذكر الراوي موت شاهبور، وإعلان ولده هرمز (الذي كان يميل إلى ديانة ماني) ملكاً لفرس، على لسان كردير (كبير الكهنة) المناوئ لهرمز، وأثناء حفلة التنصيب وُضع له السم من قبل كردير الذي كان يميل إلى بهرام الأكبر لهرمز، وبعد وفاة هرمز تولّى بهرام السلطة، وسجن ماني لمدة ٢٦ يوماً مع التعذيب، حتى مات ماني.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

تتناول الرواية حياة ماني، الفيلسوف أو النبي كما يعتقد بعض الكتاب، الذي عاش في القرن الثالث الميلادي في بلاد ما بين النهرين، والصراع الذي عاشه لتقرير دعوته للناس إلى التسامح والإخاء، والصفاء الروحي، والتعايش بين الأديان، وفي بداية حياته حاول والده أن يلحقه بجماعة دينية تسمى بأصحاب الملابس البيضاء، لكن ماني ضاق ذرعاً بتصرفاتهم، التي لم تتوافق مع رسالته في الحياة، فانفصل عنهم ورحل في البلاد، وصار مقرباً من حكام فارس، وحاول التأثير فيهم، إلا أنه لم يستطع أن يكون منعزلاً عن حكام الفرس، ولذا عارض بطريقة غير مباشرة قرار شاهبور بالحرب، ولم يرافقه في البداية، إلا أنه اضطر لمسايرته ومرافقته في الحروب التالية. وعلى الرغم من القرب الذي حظي به ماني من هرمز بن شاهبور، وتأثر هرمز بديانة ماني، إلا أن الكهنة كانوا

(١) حدائق النور، ص: ٢٥٤.

يكنّون له العدا، حتى قام كردير كبير الكهنة بتسميم هرمز بن شاهبور والتخلص منه،
لحساب أخيه بهرام بن شاهبور، كما كان مصير ماني السجن والتعذيب حتى الموت.

الشخصيات في رواية "حدائق النور"

شخصيات حدائق النور شخصيات غامضة، لا يمكن التواصل مباشرة إلى صورة واضحة عنها من الداخل، لكن القارئ يستطيع أن يلتقط بعض البيانات التي تعمل على الكشف عن الشخصيات عن طريق الحوار، من خلال تصرفاتها وحركاتها، حيث يفسح الكاتب المجال للشخصية للتعبير عن أفكارها وعواطفها، دون أن يتداخل مباشرة في وصف هذه المشاعر والأفكار التي تربط مباشرة بالحوار ويستعين بها المؤلف؛ لأنها تركز على الذكريات والتأملات والأحلام التي تكشف الشخصية كشفاً عميقاً.^(١)

شخصيات الرواية:

ماني: الشخصية المحورية:

ماني هو الطبيب الرسام الرسول، الذي وضع في القرن الثالث الميلادي رؤية جديدة للعالم، لقد كان يقول: قدمت من بلاد بابل لأجعل صيحة تدوي في أنحاء العالم. ولقد سُمعت صيحته خلال ألف عام، ففي مصر كان يُدعى حواري يسوع، وفي الصين كان يطلق عليه لقب (بوذا النور)، وكان أمله يزهر على ضفاف ثلاثة محيطات، وحمل ماني رسالة دينية طاف بها حيثما استطاع الوصول.^(٢)

باتيخ:^(٣) والد ماني، كان أميراً بارتيا، وذا جاه ومال، من طبقة الأشراف البارتيين، وكان حضوره كلياً في سير أحداث الرواية، يظهر باتيخ شخصية متناقضة في بداية الرواية، فيبدو بصورة الرجل المتدين، الذي يضحي بزوجه وابنه وبيته للتقرب إلى الله من خلال الانضمام إلى بستان التطهرين، كما يقول:

"سأعيش مع جماعة من المؤمنين، ليس فيهم إلا الرجال، ولا تقبل فيها

أية امرأة".^(٤)

(١) فن القصة، د. محمد يوسف نجم، ص: ١٩٨، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٥٥ م.

(٢) حدائق النور، ص: ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٢.

مريم: والدته ماني التي حُرمت من زوجها، ثم ابنها الذي لم يتجاوز الثلاث سنوات، حيث انْتزع منها بالقوة ليلتحق بوالده، ويتطهر من دنس الدنيا، بانضمامه إلى التطهرين أصحاب الملابس البيضاء. (١)

مالكوس: الذي وصل إلى بستان النخيل بعد فقدان أسرته وممتلكاته، وجد مالكوس نفسه مثل ماني، لأن ماني الآن ليس ابناً لأحد. (٢)

كلووية: تنتمي إلى أسرة من أسر المستعمرين الذين جاء أسلافهم قديماً للحرب في الشرق ضمن جيش الإسكندر، ثم اختاروا بعد موت المقدوني أن يبقوا في الأرض المحتلة، وأن يتخذوا المزارع والنساء، ليكونوا لأنفسهم أرومة. (٣)

وهي فتاة يونانية تحب ماني، لكن ماني يردعها بحجة العهود التي قطعها على نفسه، بعد فترة علم ماني من الشائعات في بستان النخيل أن مالكوس قد تزوج كلووية، وأنها ذهبا معاً إلى المدائن. (٤)

هرمز بن شاهبور: حفيد الملك أردشير، وتكونت علاقة قوية بين شاهبور وماني الذي عالج ابنة شاهبور، وكان هرمز مائلاً إلى ديانة ماني، ولهذا قتله كردير كبير الكهنة بوضع السم له، وبعد موته تولى السلطة أخوه بهرام. (٥)

أردشير: ملك فارس، سيد المدائن. (٦)

شاهبور: (٧) رجل السلطة، ملك الدولة الساسانية الذي احتضن ماني وأتباعه، وشجعهم على مواصلة نشر الدين الجديد في ربوع الدولة، وحماه من كيد خصومة

(١) حقائق النور، ص: ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٧٨.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٣٦-١٤٤.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٩٨-٩٩.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٦١-٢٠٠.

الكهنة، لكن بعد ذلك بدأ الجدل بين شاهبور وماني؛ لأن ماني لم يرافقه في الحرب، وكان الفراق بينهما أحد عشر عاماً.

ديناغ: ابنة هرمز، امرأة فتية، ذات ضفيرة رمادية.^(١)

بهرام: ابن شاهبور البكر، وكان عدواً لماني، سجن ماني حتى مات.^(٢)

كردير: كبير الكهنة، المعادي لماني، ولهرمز بن شاهبور، الذي كان مائلاً إلى ديانة

ماني، وقد وضع كردير السم لهرمز وقتله.^(٣)

^(١) حقائق النور، ص: ١٨٩.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨٧.

^(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣٨، ١٤٣، ١٦٨.

أحداث رواية "موانئ المشرق"

تدور الأحداث التاريخية في الرواية منذ نهايات القرن التاسع عشر حتى نهايات القرن العشرين في الغرب والشرق، بمذابح الأرمن وسقوط الدولة العثمانية، إلى الحرب العالمية الأولى، ونتيجةً للمقاومة الفرنسية والحرب العالمية الثانية، حتى قيام إسرائيل، وبعد ذلك؛ الاضطرابات في بيروت عند اندلاع الحرب الأهلية. تدور أحداث الرواية أيضاً حول زوجين، رجل مسلم وسيدة يهودية، عصيان وكلازار، وانفصالهما بسبب الحرب العالمية الثانية.

تتناول هذه الرواية قضايا: الصراع في الخلافة العثمانية، وبين الأتراك والأرمن، والحرب العالمية الثانية، والمقاومة الفرنسية، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وقضية التعايش المشترك، والصراع داخل العائلة الواحدة بين الخير والشر.

"تستلهم هذه الرواية مرحلة اندلاع الحرب العالمية الأولى وبعض حيثياتها من خلال شخصية (عصيان) بطل الرواية الذي انضم إلى صفوف المقاومة ضد النازية الألمانية".^(١)

الرواية ركزت على شخصيات عادية، في ظل أحداث الحرب العالمية التي كانت خلفية للصراع الدموي الذي ما زال في تصاعده المستمر بين الفلسطينيين والصهاينة.

وتبدأ الرواية بلقاء السارد بالبطل عصيان في المترو في باريس.^(٢)

و"عصيان" ينحدر من أصول عثمانية، كما يقول: أنا أنتمي إلى أسرة حكمت المشرق فترة طويلة.^(٣)

(١) موانئ المشرق مغالطة صارخة في قضية الصراع العربي الصهيوني، حسين عيد، ص: ٧٤، مجلة الرافد الصادرة من دائرة الثقافة، الشارقة الإمارات العربية المتحدة، العدد: ٤٩، ٢٠٠١ م.

(٢) موانئ المشرق، أمين معلوف، ص: ٧-٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٦.

قرر عصيان السفر إلى فرنسا لدراسة الطب في جامعة باريس، حينما أراد والده أن يصبح ابنه قائداً ثورياً عظيماً، وهذا تحديد خياراته الذاتية، حيث اختار عصيان أن يدرس الطب حسب ميوله، بدلاً من الامتثال لإرادة أبيه في أن يكون بطلاً ثورياً.^(١)

مجرى الأحداث في الفترة ١٩٣٨م:

ابتعدت مدينة ميونيخ عن تبعات الحرب في أيلول ١٩٣٨م، ثم اقتربت من براغ في آذار مارس ١٩٣٩م، وكان الجميع متربصين بأن الحرب على وشك الاندلاع مجدداً، وكانت أغلبية الشبان يفرطون في حسن الظن مراهنين على قوة الجيش، وضعف جيش العدو في المقابل، وأن جيش العدو على وشك التمزق، وفي خضم هذه الحالات لم يكن من المناسب الإدلاء برأي معارض لرأي الأغلبية.^(٢)

وبعد اشتعال نار الحرب العالمية الثانية في أيلول سبتمبر ١٩٣٨م وجد عصيان نفسه ينخرط في صفوف المقاومة تحت اسم حركي (باكو) ضد المارشال، وميليشيا الغوستابو، وتحول إلى بطل قومي تدريجياً. يذكر عصيان قصة زواج جدته المضطربة عقلياً من طبيبها الأمير العثماني، التي فقدت حواسها عندما رأت والدها يطفو في دمائه، فانتقلا من إسطنبول، وهناك أنجبا ولداً، بعد ذلك هذا الولد أصبح والداً لعصيان.

في نيسان ١٩١٩م، حلت كارثة أو شيء من هذا القبيل، الكارثة التي أبصرت بسببها النور، شهدت أضنة بعض القلاقل، وعاث الناس فساداً في الحي الأرمني، وكان ذلك نذيراً لما سيحدث لاحقاً بعد ست سنوات على نطاق أوسع، غير أن الرعب قد حلّ، فسقط مئات القتلى وربما الآلاف منهم، وأُحرقت منازل كثيرة، من بينها منزل "نوبار" الذي تمكن من الفرار مع زوجته.^(٣)

في شهر سبتمبر لعام ١٩٢٢ ماتت أمي، بعد إنجابها للمولود الثالث، وكانت شقيقي آنذاك في السابعة من عمرها، وعلى الرغم من ذلك، صارت ربة البيت، وكانت

(١) موانئ المشرق، ص: ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٣-٣٤.

مكلفاً أن تفهمني بكل برود أن والدتي ارتحلت في رحلة بعيدة، ويجب علي الخلود إلى النوم؛ حتى لا أنغص عليها رحلتها إلى تلك البلاد النائية؛ وأفترض أن شقيقتي كانت ذهبت بعد ذلك لتذرف الدمع السخي في سريرها.

وتلتحق بـ "سليم" الذي حملت له قائلة: (كنا بديار عداها، بسبب حادثة مؤلمة عن ظروف ولادته التي ترافقت مع موت أمه).^(١)

قد تكون هذه العلاقة المأزومة مع (الأخ) تعبيراً عن تجاوز المفهوم الطبيعي أو الفطري للأخوة على اعتبار أن أخوة الدم لا تربط فطرياً بين الأخوة، وهذه الفكرة إذ تنسجم مع فطرية الانتماء التي ينادي بها المؤلف؛ فهي تعطل مفهوم التسامح.

ف (عصيان) وسليم أخوان، يمثلان المستوى الاستعماري للأخوة الثقافية التي تتمثل بالانتماء إلى كيان ثقافي واحد، لا يقتضي اصطلاحهما بأواصر الأخوة، وهذا ما يصوره التشبيه بقول عصيان: "لأنه من لحمي ودمي؟!، ماذا لو كنت أعاني من ورم ينهش جسدي؟!؛ أيجب أن أطيقه لأنه من لحمي ودمي؟!".^(٢)

علاقة الحب التي قامت بين "عصيان" التركي المسلم، وكلارا اليهودية النمساوية، بعد أن اشتركا في المقاومة ضد النازية.

نعيم الذي أقام "حفلة زواج" عصيان وكلارا في منزله في حيفا، نعيم من عائلة كانت تملك نصف المدينة، ولكنها أفلست وباعت كل شيء هنا، واضطر للرحيل عن المدينة؛ بسبب التوتر السائد بين العرب واليهود الذي كان يستشعر أصلاً أنه لن يكتب له العودة إليها على الأرجح، ومن جهة أخرى ستيفان اليهودي القادم من أوروبا الوسطى، والذي جاء تحديداً للاستقرار في هذه المدينة، وكلاهما قريبان للعروسين.^(٣)

(١) موانئ المشرق، ص: ٥٣-٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٥-١٤٦.

ف (معلوف) في هذه الصورة التي رسمها للعلاقة بين محمود وستيفان خالف نظريته في أن تحديد الانتماء يجعله مستنفراً للمقاومة بقوة، لا سيما عند ابن الثقافة المهزومة.^(١)

وبعد زمن قليل انفصل عصيان وكلا را؛ بسبب الحرب العربية الإسرائيلية.

اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى:

حدث ذلك عام ١٩٤٨م في أواسط شهر أيار، وقد تسارعت الأحداث فأنتهى الانتداب البريطاني في فلسطين، وأعلن مجلس الشعب اليهودي الملتئم في متحف تل أبيب قيام دولة إسرائيل، ودخلت الدول العربية الحرب في الساعات القليلة التي تلت هذا الإعلان.

وفي الواقع لم تعد هذه الأحداث السياسية، والعسكرية تؤثر في، فالجميع كان يعرف منذ أمد بعيد أن المنطقة على قاب قوسين من الاشتعال، وشيء واحد يروعي وهو مصير كلا را والطفل الذي سيولد، ذلك أن هنالك حدوداً باتت تفصلنا الآن، حدوداً بات عبورها مستحيلاً ولأمد طويل.^(٢)

عصيان بقي إلى جانب والده، بعد وفاة والده أصيب بانحيار شقيقه، وزجّ في المصححة، وهناك بقي تحت السيطرة، ولم يستطع أحد أن يخرج منه.

رغم اليأس الذي يغلف الكثير من الأحداث، "وناديا" ابنة عصيان من كلا را التي ولدت في غيابه، تبذل جهودها محاولةً إخراج والدها "عصيان" من المصححة، هي تأتي لتلتقي به وتقبله، ولكنها تحت وطأة جنون والدها، تعود، وتغادر إلى البرازيل، والرواية لا تنتهي إلا بخروج عصيان من المصححة.

اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية، هو يهرب من المصححة بعد ذهاب صاحب المصححة، ويبدأ بالبحث عن أصدقائه في المقاومة الفرنسية، ويطلب من كلا را في رسالة بعث بها إليها أن تقابله على نهر السين في باريس، ويلتقي بزوجه بعد أكثر من عشرين

(١) الثقافة والإمبريالية، لإدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، ص: ٣٤، دار الآداب، ط/ ٤، ٢٠١٤م.

(٢) موانئ المشرق، ص: ١٦٩.

عاماً، في الأخير ينتهي المؤلف بوقوف عصيان وكالارا على ضفة النهر، وكأنه يريد الإيحاء بأن اللقاء بينهما لا بد من حتميته إذا ما ترك الأمر لهما دون تدخلات. إن بناء الرواية نهض على جملة من المصادفات، مثلاً: ابتداء بلقاء السارد بالبطل في المترو في باريس.^(١)

ووصولاً لعصيان إلى صفوف المقاومة في فرنسا ضد النازية، ولقائه بكالارا اليهودية التي كانت تعمل أيضاً^(٢) في المقاومة ضد الألمان النازيين.^(٣) والصراع العربي الصهيوني، وقيام دولة إسرائيل ذلك الحقد بين العرب والصهيانية، كلها مصادفات، ليس لها أي أبعاد سياسية منظمة.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

تركز الرواية على الصراعات العالمية التي وقعت في نهايات القرن التاسع عشر إلى نهايات القرن العشرين، مثل: قيام الحرب العالمية الأولى، ومذابح الأرمن، وسقوط الدولة العثمانية، والحرب العالمية الثانية، وقيام إسرائيل باحتلال فلسطين، والاضطرابات في بيروت عند اندلاع الحرب الأهلية في لبنان. كل هذه الأحداث تتوارد من خلال قصة بطل الرواية عصيان التركي المسلم، وزوجته النمساوية اليهودية كالارا، اللذين جمعتهما المقاومة ضد النازية.

تبدأ العقدة بإصابة عصيان بالجئون، وإدخاله المصححة العقلية، وفراقه لزوجته، وولادة ابنته ناديا التي تكبر وتحاول إخراجه من المصححة، لكن الحل يظهر مع قيام الحرب الأهلية في لبنان حين يهرب صاحب المصححة، فيجد عصيان الفرصة للهروب منها، ويكون بعدها لقاؤه بزوجته كالارا بعد عشرين عاماً على الفراق.

(١) موانئ المشرق، ص: ٧-٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧١-٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٨٢-٨٣.

الشخصيات في رواية "سلام الشرق"

من أهم الشخصيات في هذه الرواية:

عصيان: البطل المأساوي أو التراجيدي في هذه الرواية، من العائلة التي حكمت المشرق، كما قال: (أنا أنتمي إلى أسرة حكمت المشرق فترة طويلة).^(١) ويسكن أبواه في جبل لبنان، اختار والده أن يدرس الطب حسب ميوله بدلا من الامتثال إلى إرادة أبيه في أن يكون بطلاً ثورياً.^(٢)

كتابدار الأب:^(٣)

طبيب العائلة العجوز، فارسي الأصل، حينما رأى ابنة السلطان في حالة هستيريا رثى لحالها، واقترح أن يأخذها بعيداً عن إسطنبول إلى مونترو؛ لتعالج، لكن أمها لم توافق أن تحتجز ابنتها في مصحة، فعاد ليقترح عليها أن يأخذها إلى أضنة جنوب الأناضول حيث يملك منزلاً، ويكرس نفسه لها ليلاً ونهاراً، وكان زواجهما الحل الوحيد لإقامتها بمفردها معه.

كتبدار الابن:^(٤)

والد عصيان بطل الرواية، نشأ بين أبناء الأسرة المالكة، يأتيه المدرسون إلى المنزل، ونشأت بينه وبين نوبار مدرس العلوم صداقة بحكم تقارب السن، ثم صارا نسيبين في أوج تصاعد العداء بين الأرمن والأتراك.

نوبار:^(٥) مدرس العلوم، وصديق ابن العائلة الحاكمة، أرميني، جمعته صداقة بتلميذه لحظة الوداع تحت وطأة اشتداد العداء ضد الأرمن، نوى السفر إلى أمريكا لكن

(١) موانئ المشرق، ص: ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١١١.

كتبتدار استبقاه، ولم يجد نوبار من حلٍ سوى انصهار العائلتين، يقترح عليه يد ابنته سيسيل، ويصيران عائلة واحدة، يمثل الأرمني الرفض للعداء والحق على الأتراك.

كلارا:^(١) اليهودية النمساوية الأصل، المقيمة في فلسطين، فقدت أهلها في حملة الإبادة التي تعرض لها اليهود بينما كانت عند صديقة كاثوليكية، ساعدتها على الاختباء، ثم الهرب إلى سويسرا، والتي التقاها عصيان أول مرة مصادفة خلال انخراطه في المقاومة الفرنسية، ونشأت بين عصيان وكلارا حكاية حب، وتزوجا بعد ذلك.

برتران:^(٢) زعيم خلية المقاومة في مونيبلية، لفت انتباهه عصيان، وأعجب به بينما كان يدلي برأيه في مستجدات الحرب لأحد زملائه في حانة، اقتفى أثره واتصل به في شقيقته، وجنده في المقاومة، وتقلد وظائف في أسفاره، ودامت الصداقة بينه وبين ابنته حين ساعدها على الوصول إليه، وحلقة وصل بينه وبين زوجته، حين يؤمن له العودة إلى فرنسا، ويزوده بعنوان كلارا.

سالم:^(٣) شقيق عصيان، وهو الأصغر في العائلة، يختلف عن عصيان في طيشه، تموت أم سالم حينما ولد سالم، وتلحق اللعنة سالم مدى حياته، فيصبح مهرباً للمخدرات، ويدخل السجن بسبب ذلك، ثم يخرج وتحسن أحواله، وبعد ذلك يصبح وزيراً في إحدى الحكومات اللبنانية.

عفت:^(٤) شقيقة عصيان، فتاة قوية الشخصية، تولت زمام الأمور في البيت بعد وفاة الأم، وتكفلت بإقناع الأب بترك عصيان يسافر إلى فرنسا ليدرس الطب، تزوجت بعد سفر عصيان وأقامت في مصر.

ناديا:^(٥) ابنة عصيان وكلارا، لم يشهد ولادتها ولم يرها إلا وهي ابنة العشرين ربيعاً، سعت سعيّاً حثيثاً لكي تسافر من فرنسا إلى بيروت؛ لتتمكن من رؤية أبيها،

(١) موانئ المشرق، ص: ١٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٣، ٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٤.

اتصلت ببرتران وساعدها على ذلك، دخلت المصححة منتحلة شخصية أخرى، هي تمكنت من رؤيته وتركت رسالة له فحسب، حاولت إخراج والدها لكنها لم تنجح، وبعد ذلك هي تزوجت وانتقلت إلى البرازيل.

محمود:^(١) ابن العائلة المسلمة، من حيفا، اضطر إلى النزوح من مدينته؛ بسبب التوترات بين الغرب واليهود، وكان محمود يحس بأنه ربما لن يستطيع العودة إلى مدينته حيفا.

ستيفان:^(٢) خال كلارا، الذي انتقل للعيش في حيفا، اليهودي القادم من أوروبا الوسطى، الذي جاء تحديداً للاستقرار في هذه المدينة.

الجددة أيفيت:^(٣) التي أعطى عنها عصيان إشارات طفيفة، تخص مواصفاتها الداخلية والخارجية، أيام شبابها، تقول: أيفيت الابنة الحبيبة، والطفلة المدللة المرحمة والأنيقة.

(٥) موانئ المشرق، ص: ١٧٦-١٧٧.

(١) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤.

الأحداث في رواية "القرن الأول بعد بياتريس"

ألخص أهم الأحداث في هذه الرواية على النحو التالي:

- ١- تبدأ أحداث الرواية بمشاركة البروفيسور ج. في مؤتمر في القاهرة، عن (تقويم مكانة الجعران في الحضارة الفرعونية)، وصادف أن اشترى هناك فول الجعران من بعض الباعة المتجولين، وهذا الفول يساعد في إنجاب الذكور.^(١)
- ٢- بعد رجوعه من القاهرة إلى باريس التقى بالصحافية كلارنس، التي أجرت معه مقابلة صحفية عن الجراد المهاجر، ومن هنا بدأت الصداقة بين الاثنين، وتطورت إلى الحب، وانتقلت كلارنس لتعيش معه بقية حياتها في شقته.^(٢)
- ٣- سافرت كلارنس إلى الهند في مهمة عمل صحافية عن النساء التي يُحرقن أحياء بعد موت أزواجهن، وبعد انتهائها من هذه المهمة الصحافية لفت نظرها كثرة إنجاب المواليد الذكور، لا سيما في دار للولادة في بومباي، يولد فيها المواليد الذكور فقط، فبدأت كلارنس تبحث عن السبب.^(٣)
- ٤- ثم أنجبت كلارنس ابنتها بياتريس من صديقها البروفيسور ج.^(٤)
- ٥- ثم سافرت كلارنس إلى عدة دول لمدة ثلاثة أسابيع، للتحقيق في موضوع المواليد الذكور.
- ٦- اهتم البروفيسور ج. أيضاً بهذه الظاهرة العجيبة، وبدأ في البحث والتحري عن أسبابها، ولهذا زار صديقه أندريه فالوريس، وحدثه عن موضوع كثرة إنجاب المواليد الذكور في بعض مناطق العالم. وهنا وقف البروفيسور ج على بعض الأخبار والحقائق:
- خبرٌ عن السنغال في السبعينيات بعد تفشي وباء الجدري زادت نسبة المواليد

(١) القرن الأول بعد بياتريس، أمين معلوف، ترجمة: نهلة بيضون، ص: ١٣-٢٠، دار الفارابي - بيروت لبنان، ط/ ١،

١٩٩٧م.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣-٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٥-٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٧٨.

الذكور على الإناث، بواقع مولودة واحدة أنثى لكل عشرة مواليد من الذكور.^(١)

- خبرٌ نشرته صحيفة (تايمز اوف إنديا) بأن آلاف النساء الحوامل يجهضن الأجنة بعد معرفتهن بأنها إناث.^(٢)
- كما قرأ البروفيسور ج. بحثاً يفيد بأن عشرة مدن على حوض البحر المتوسط زادت فيها نسبة المواليد الذكور على الإناث.^(٣)
- إجهاض المواليد الإناث في الصين بعد تحديد الحكومة للنسل بطفل أو طفلين، فيقدم الوالدان رشوة إلى الطبيب للإجهاض في حال كون المولود أنثى.^(٤)
- معظم النساء اللاتي أصبن ببوءاء الحصبة لم ينجبن بعدها إلا الذكور.^(٥)
- كما وقفت كلارنس على كتاب "رحلتي على ضفاف النيل" لجوستاف ميسونيه، نشر في مارسيليا عام ١٩٠٤م، ويذكر فول الجعران.^(٦)
- الطبيب فولبو أنشأ مصنعاً في التسعينات في إحدى الدول المطلة على البحر الأحمر؛ لصناعة عقار يزيد من إنجاب المواليد الذكور.^(٧)
- اندلعت بعض الانتفاضات في عدد من دول العالم مثل: سريلانكا وبوروندي وجنوب إفريقيا؛ لأن السلطات وزعت نوعاً من الفول الهندي، لتقليص وإبادة القدرة على الإنجاب.^(٨)
- إيمي راندوم مزارعة أمريكية استخدمت دواء إنجاب الذكور، وبعد ثلاثة أولاد أراد

(١) القرن الأول بعد يياتريس، ص: ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٦١.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٧٤.

(٧) المصدر نفسه، ص: ٨٢.

(٨) المصدر نفسه، ص: ٩٥.

زوجها إنجاب بنت، ولكن لم يوجد دواء عكسي لإيقاف مفعول الدواء الأول، فقامت عبر محاميهـا دون غرشوين بمقاضاة الشركة المصنعة للدواء، وحكمت المحكمة بتغريم الشركة مليوني دولار.^(١)

- مدينة كبيرة في الشرق فيها دون سن السابعة عشرة: مليون ونصف من الذكور، وأقل من ثلاثمائة ألف من الإناث.^(٢)

- في نايبوتو كانت المواليد الإناث واحدة من بين خمسة ذكور، وفي رمال أقل من أنثى واحدة من بين عشرين مولوداً ذكراً.^(٣)

- في رمال خلال سنة واحدة صدر ٨٥٠ حكماً بالإعدام بتهمة الاغتصاب.^(٤)

٧- حضر البروفيسور ج. وكلارنس مؤتمراً عالمياً في نايبوتو بإفريقيا.^(٥)

٨- توفي أندريه فالوريس، وترك وصية للبروفيسور ج. بإنشاء جمعية العقلاء، للعمل على إيقاف التلاعب بالجنس البشري.^(٦)

٩- ضمت هذه الجمعية واحداً وثلاثين شخصاً منهم: البروفيسور ج. وعمانويل ليف وكلارنس وآخرين.^(٧)

١٠- عقدت جمعية العقلاء مؤتمراً في مقر الأمم المتحدة في نيويورك.^(٨)

١١- دعا المبشر فيتسيا إلى نقل عشرة آلاف من المواليد الإناث من دول الجنوب إلى أوروبا.^(٩)

١٢- وقعت مأساة نايبوتو، عندما ثار الأهالي نحو العاصمة، وأضرمو النيران في

(١) القرن الأول بعد يياتريس، ص: ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٦٢.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٩٨-٩٩.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٠١.

(٨) المصدر نفسه، ص: ١٢٤.

(٩) المصدر نفسه، ص: ١١٩.

السفارات والمراكز التجارية، وقتلوا رئيس البلاد، وتعرضت للنهب مبانى الإذاعة والتلفزيون والاتصالات، وأغلقت المطارات، وعلّق آلاف السياح المنتشرين في البلاد، وقتل المئات من الأجانب، وكان السبب الرئيسي وراء المأساة هو ثورة الناس على التعقيم الإجباري، وتحديد النسل.^(١)

١٣- عاد البروفيسور ج. من إجازته إلى عمله في المتحف الطبيعي بعد عدة سنوات.^(٢)

١٤- ذهبت كلارنس في رحلة عمل صحافية إلى أفريقيا، وذهبت إلى نايوتو، وتعرضت للنهب من مجموعة عسكرية، صادرت حقائبها، ومنها حقيبة اليد التي فيها جواز سفرها، ونقودها ومفاتيحها وأوراقها، وتلقت على مؤخرة رأسها ضربةً بعقب البندقية أفقدتها الوعي، ودخلت المستشفى للعلاج، وبقيت شهرين ونصف فاقدة للوعي.^(٣)

١٥- أعلن عن اغتيال الجنرال الطاغية عبدان حاكم رمال، منذ ستة عشر عاماً، بعد انقلاب عسكري عليه.

١٦- انتقلت بياتريس للعيش مع صديقها المصري مرسى، وأنجبت منه ابنها فلوريان.^(٤)

١٧- انتقل البروفيسور ج. للعيش في الريف في منطقة أرافيس في سويسرا بعد تقاعده.^(٥)

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

(١) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ١٤٠-١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٤-١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٧١-١٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٨١.

تصور الرواية مشكلة التحكم في الإنجاب في بعض الدول الفقيرة من العالم، حيث تتجه النساء لاستخدام بعض العقاقير والأدوية العشبية لإنجاب الذكور، وقد شغلت هذه القضية اهتمام البروفيسور ج. بطل الرواية، فقام بجولات عالمية مع صديقه كلارنس للوقوف على أسرار هذه العقاقير والأدوية، ومعرفة المزيد حول حقيقة الموضوع، وقد تعرض البروفيسور ج. وكلارنس للعديد من المشكلات والتحديات والحوادث في رحلاتهما، كما قام البروفيسور ج. بإنشاء جمعية للحدّ من التلاعب بالجنس البشري. تدرس الرواية ظاهرة كثرة المواليد الذكور في دول الجنوب والشرق، والإجهاض المبكر، والتحكم في النسل.

الشخصيات في رواية "القرن الأول بعد بياتريس"

أبرز الشخصيات في هذه الرواية:

البروفيسور ج.: هو الآن في الثالثة والثمانين من العمر حين حكايته للأحداث، بروفيسور جامعي، ترعرع على ضفاف البحر المتوسط، مغرم بالحشرات، يُجري عليها التحليلات في مختبره الخاص بمتحف التاريخ الطبيعي، ويسكن في شقة فسيحة في باريس، في شارع جوفروا سانت هيلار مقابل حديقة النباتات، وبعد حضوره لمؤتمر عن حشرة الجعران في القاهرة التقى بالصحافية كلارنس في باريس، وأصبحت صديقته، وأماً لابنته بياتريس.^(١)

كلارنس نسميغلو: صحافية، ولدت في الإسكندرية، وتحدثت عائلتها من مولدافيا، وتنقلت بين سالونيك وطنجة والإسكندرية وسيت، وهي أصغر من البروفيسور ج. باثني عشرة سنة، التقت بالبروفيسور ج. لأول مرة بواسطة البروفيسور هوبير فافر بونتي.^(٢) ويفيض البروفيسور ج. في وصف شخصيتها وجمالها بأن لها شفتين تشبهان زورقين ورديين داكنين يبحران بعيداً، ترتدي كنزةً من صوف الأنغورا الأبيض، متألقة ومتحفظة، كتفاها يانعان شامخان ناعم سمراوان وعاريان، شعرها كستنائي اللون.^(٣) ظلّت العلاقة بين البروفيسور ج. وكلارنس علاقة صداقة حميمة، وأنجب منها ابنته بياتريس دون زواج، ويضيف قائلاً عن هذه العلاقة: (وهكذا عشنا، لا زوجين ولا متساكنين، ولا خليلين ... عشنا عاشقاً وعاشقةً).^(٤)

بياتريس: ابنة البروفيسور ج. وكلارنس، وُلدت في آخر ليلة من آب أغسطس، مع بداية القرن الحادي والعشرين.^(٥)

(١) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٣، ٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٨٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٧٨.

مرسي: صديق بياتريس، ولد من أب مصري وأم فرنسية، شعره قصير أجعد، عاش في فرنسا وسويسرا، زار مصر مرتين، والداه صيدليان، يعيشان في سويسرا.^(١)

فلوريان: ابن بياتريس ومرسي.^(٢)

أندريه فالوريس: الصديق الحميم للبروفيسور ج. منذ الطفولة، طويل القامة ملتحي بدين، يتصف برهافة الذوق والحسّ، يحبّ حلوى الزلاية، ولا يطيق أندريه في صداقته للراوي شخصاً ثالثاً أياً كان، ويلتقيان مرتين سنوياً، في عيد ميلاد البروفيسور ج. ثم في عيد ميلاد أندريه، وأندريه أكبر من صديقه البروفيسور ج. بحوالي ثلاثين عاماً. كان أندريه يحلم منذ طفولته أن يكون مخترعاً لكن والده جعله يدرس المحاماة، يحب أندريه الكتب، ولديه مكتبة، وفي كل عام يهدي لصديقه البروفيسور ج. بعض الكتب، ويناقشه فيها في العام القادم.^(٣)

موريل فاست: رئيسة تحرير الصحيفة التي تعمل بها كلارنس، وتبدو كوكيل عمّال بدين، يلبس تنانير مجمّدة.^(٤)

دون غريشوين: محامي في شيكاغو، عمل مع أندريه فالوريس.^(٥)

إيمي راندوم: شابة صهباء مكتنزة، أنفها منمش، وفي عينها دهشة، متزوجة من هاري وهو مزارع في ولاية إلينوي الأمريكية، ولدت له هاري الصغير، ثم التوأم تيد وفريد. البروفيسور كريستنسن: عالم الآثار المصرية من جامعة أرهوس بالدنمارك، شارك في ندوة القاهرة.^(٦)

البروفيسور هوبير فافر بونتي: متخصص في وباء تفشي الجراد، يزور البروفيسور ج. أسبوعياً.^(٧)

(١) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ١٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٠١-١٠٢.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٦.

عمانوئيل لبيف: صديق قديم لأندريه فالوريس، وأكبر من أندريه بسنتين، وقد هاجرت أسرتهما إلى جنيف في الحرب العالمية الثانية، عاش عمانويل طفولته في كاليفورنيا، وهو الآن متقاعد يسكن في بيت ريفي في أورليان، كرّس حياته لتحسين النباتات وراثياً، يصفه البروفيسور ج. بأنه مستدق الأنف، تشبه أذناه جناحي خفاش، مات في عمر التاسعة والثمانين.^(١)

إيرين لبيف: زوجة عمانويل لبيف.^(٢)

بول برادان: شغل منصباً وزارياً، كان من المساهمين في الصحيفة التي تعمل بها كلارنس، ومشيراً للصحيفة، كان رجلاً نافذاً وأحد صانعي الرأي العام.^(٣)

الطبيب فولبو: اشترى العقار الذي صنعه فريق من العلماء والأطباء، وهذا العقار يؤثر على الرجل لإنجاب الذكور، واشترى فولبو شركة في التسعينات في إحدى دول الجنوب على مرفأ البحر الأحمر؛ لصناعة هذا العقار.^(٤)

حاضنة بياتريس: أرملة، وجدة لها الكثير من الأحفاد، تسكن في الدور الأرضي في إحدى المنازل بباريس، وكانت تهتم ببياتريس عند ذهاب والديها إلى العمل.^(٥)

فيتسيا: مبشّر مسيحي، أمريكي من أصل أوكراني، رجل طويل القامة براق اللحية، له حاجبان صهبوان كثّان، دعا إلى نقل عشرة آلاف مولود معظمهم من الإناث من البرازيل والفلبين ومصر إلى دول الشمال، لتحسين حياتهن، وبالفعل استقدم لأول مرة ألفي رضيع لتبنيهم أسر من باريس ولندن وفرانكفورت وكوبنهاغن وأمستردام.^(٦)

^(٧) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ٢١-٢٢.

^(١) المصدر نفسه، ص: ٥٦، ٥٩، ١٣٧.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ٦١.

^(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٤.

^(٤) المصدر نفسه، ص: ٨٢.

^(٥) المصدر نفسه، ص: ٨٦.

^(٦) المصدر نفسه، ص: ١١٧ - ١٢١.

البروفيسور جيم كريستوبال: عضو في شبكة العقلاء التي أسسها البروفيسور ج. وآخرون.^(١)

نانسي أوهورو: صاحبة فندق في نايوتو، كانت تنزل به كلارنس.^(٢)
الجنرال عبدان: حاكم منطقة رمال، وطاغية حكم إحدى بلدان الجنوب ستة عشر عاماً، ثم قتل في انقلاب عسكري.^(٣)
وهناك شخصيات ثانوية في الرواية:

كلارنس: عالم حشرات اسكتلندي، بحثة مرموق، متقدم في السن، التقى به البروفيسور ج. مرة واحدة، وليس له دور في الرواية.^(٤)
الصديقة المغربية: التي أهدت في الصيف الماضي لصديقتها الصحافية كلارنس علبة من فول الجعران.^(٥)

بائع صغير السن: صاحب بسطة يبيع الأشياء البسيطة، في شارع ماردين في مدينة بومباي، اصطدمت به الصحافية كلارنس، ووقعت بسطته على الأرض وسط الزحام البشري.^(٦)

المرأة العجوز: متغضنة البشرة فمها دون أسنان تبدو كالعرافة، في غوجارات (كجرات) بالهند.^(٧)

ممرض ذو شارب كث: يعمل بدار التوليد في بومباي، التقت به الصحافية كلارنس.^(٨)

(١) القرن الأول بعد يياتريس، ص: ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٩-٣٠.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٣٨.

(٧) المصدر نفسه، ص: ٣٨.

(٨) المصدر نفسه، ص: ٣٩.

الفصل الثاني

السرد والحوار والأسلوب في روايات

أمين معلوف التاريخية

السرد والحوار والأسلوب في روايات أمين معلوف التاريخية

هذا الفصل يشتمل على النقاط التالية:

- السرد والحوار والأسلوب في رواية "التائهون".
- السرد والحوار والأسلوب في رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب".
- السرد والحوار والأسلوب في رواية "صخرة طانيوس".
- السرد والحوار والأسلوب في رواية "سمرقند".
- السرد والحوار والأسلوب في رواية "ليون الإفريقي".
- السرد والحوار والأسلوب في رواية "حدائق النور".
- السرد والحوار والأسلوب في رواية "سلام الشرق".
- السرد والحوار والأسلوب في رواية "القرن الأول بعد بياتريس".

السرد والحوار والأسلوب في رواية "التائهون"

أهمية السرد في الأدب العربي:

السرد في اللغة تقديم شيء إلى شيء، تأتي به متسقاً بعضه في إثر بعضٍ متتابعاً، سرد الحديث ونحوه يسرده سرداً إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له.^(١)

والسرد الروائي: حكايةٌ بمعنى أنه يثير واقعةً، أي حدثاً وقع، وأحداثاً وقعت، وبالتالي يفترض أشخاصاً يفتعلون الأحداث، ويختلطون بصورهم المروية مع الحياة الواقعية.^(٢)

يطلق كثير من الباحثين مصطلح السرد بوصفه مرادفاً لمصطلح القصّ، ومصطلح الحكّي، ومصطلح الخطاب.^(٣)

والسرد كلام الروائي والعبارات العادية ليس فيها حوارٌ قد يقص عن نفسه، قد يرى الروائي عن غيره وقد يسمع عن أحد، وهذا يكون غالباً في الروايات والقصص. وهو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية، والسرد الفني لا يكتفي عادةً بالأفعال كما يحدث في كتابه التاريخ، بل نلاحظ أن السرد الفني يخدم العنصر النفسي، وهو أن يكسب السرد الحيوية، ويجعله لذلك فنياً.

خلاصة القول: إن السرد هو الأسلوب أو الطريقة التي يصف أو يصور بها الكاتب الحدث، أو الشخصية، أو جانباً من جوانب الزمان أو المكان، بشكلٍ متسقٍ ومتتابعٍ.

(١) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، ٧ / ١٦٥.

(٢) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، بمنى العيد، ص: ٢٧، دار الفارابي — بيروت لبنان، ط/ ١، ١٩٩٠م.

(٣) السرد في الرواية المعاصرة، عبد الرحيم الكردي، ص: ١٠٥، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط/ ١، ١٩٩٢م.

السرد في رواية التائهون:

نجد الصراع الحضاري بين الشرق والغرب وأيضاً اليهودي / الفلسطيني، يقول على لسان إحدى الشخصيات:

"وكان بوسع الأمور أن تحدث خلاف ذلك لو كنا نعيش في عالم مثالي، لكن اليهود قدموا إلى فلسطين موضحين أن أسلافهم عاشوا في هذه الأرض منذ ألفي عام، وأنهم قد طردوا منها بأمر من الإمبراطور تيتوس، وأنهم قرروا العودة إليها؛ لكان العرب الذين يعيشون في ذلك البلد قالوا لهم: بالتأكيد، تفضلوا، أنتم على الرحب والسعة، سنترك لكم نصف البلد، ونذهب للعيش في النصف الباقي".^(١)

من خلال هذا الشاهد: يتضح البحث عن عالم مثالي، تختفي فيه كل تلك الصراعات بين الدول أو الحضارات، فإشارته إلى الصراع العربي اليهودي، أو بين فلسطين كحضارة إسلامية أو عربية، كل منهما يعتقد بأنها أرضه وميراثه الذي ترك أسلافه. هناك شاهد سردي آخر فيه دلالة التعايش حينما يشبه هذا العالم بالواحة: (يقول الأخ باسيل لآدم: العالم هو واحة أمامنا فنحن موجودون في الفضاء الشاسع الذي يحيط به. في الواحات، يمضي المرء وقته في تحميل القوافل وتفريغها أما من هنا، فالقوافل تلوح كالحاليات عند خط الأفق، لا شيء أجمل من القافلة حين تتأملها من بعيد أما حين تقترب منها، فالضجيج يعلو منها، والقذارة تفوح منها، والجمّالون يتشاجرون، والجمال تساء معاملتها).

كأن الروائي يريد أن يبعث من خلال هذا الشاهد أن هذا العالم صار يملك مقومات كبيرة، يمكن أن تجعل منه عالماً زهرياً، بعيداً عن الصراعات والحروب والكراهة، وغير ذلك.

(١) التائهون، أمين معلوف، ص: ٣٠٩ - ٣١٠.

الحوار في رواية التائهون:

آدم بطل الرواية، والمؤرخ والأستاذ في مدينة باريس، في يوم الخميس اتصلت به دولوريس زوجة صديقه مراد، وأبلغته أن صديقك يريد أن يراك، كما قالت: (صديقك يحتضر، وهو يناديك، ليس بوسعه الرد، اذهب إليه، صديقي؟ أي صديق، لا أحد منا يكلم الآخر منذ عشرين عاماً.

في الواقع ومنذ سنوات عديدة كلما ذكر أحدهم أمامه اسم مراد وسأله: إذا كان يعرفه؟ أجاب على الدوام: إنه صديق قديم، وغالباً ما ظن محدثوه أنه يريد القول: قديم العهد، ولكن آدم لم يكن يلقي الكلام على عواهنه، فقد كانا صديقين، ثم افترقا درهماً، ولذا فعبارة صديق قديم من وجهة نظره كانت الصيغة الوحيدة الملائمة، وعندما يستعملها أمام دولوريس عادة تكفي بابتسامة متعاطفة، ولكنها لم تبتسم في ذلك الصباح.

لو تخاصمت غداً مع شقيقي هل ستصبح شقيقي القديمة، و(شقيقي) شقيقي القديم؟ الأمر مختلف مع الأهل، فنحن لا نملك الخيار.

وأنت كذلك لا تملك الخيار في هذه الحالة، إنه صديق الصبا.^(١)

كان بوسع آدم أن يشرح لها مطولاً ما يجعل روابط الدم من طبيعة أخرى، ولكنه سيغامر بالخوض في أرض موحلة فلا رابطة دم تربطه بصديقه في نهاية المطاف.

هنا المشهد الآخر للحوار:

ثم سألتني بلال: ألا تظن أننا ولدنا في الزمن الردي؟ ومتى كنت تريد أن تولد؟

بعد قرن أو قرنين، البشرية تتحول، وأرغب بمعرفة ما سيؤول إليه مصيرها.

شعرت أمام نزقه الصبياني بأني شيخ حكيم.

أتظن أن هناك خط وصول يمكنك أن تذهب وتنتظرنا عنده؟ لا تنخدع ففي سيرة الزمن، سيكون هناك دوماً وأينما كنت، قبل وبعد، أشياء صارت خلفك، وأشياء سترتسم عند خط الأفق، ولن تأتي إليك إلا ببطء، يوماً بعد يوم، ليس بوسعك أن تشمل بنظرتك كل الأمور، إلا إذا كنت الله ...

قفز بلال من مكانه عندما سمع هذه الكلمات، ثم ذهب ووقف مباشرة تحت وابل المطر،

(١) التائهون، ص: ١٦.

وهو يصرخ كالممسوس: الله! الله! يا لها من مهنة جميلة^(١).

الأسلوب في رواية التائهون:

هذه الرواية كتبها الروائي الفرنسي اللبناني أمين معلوف باللغة الفرنسية وترجمتها نهلة بيضون إلى العربية، وتقع الرواية في حوالي ٥٥٥ صفحة الغلاف: فارس غضوب، إن ترجمتها لم تكن بمستوى مضمونها، فالترجمة (نهلة بيضون) بدت غير ذات خبرة في الترجمة... وارتكبت الكثير من الأخطاء اللغوية والتصيغية، وربما في مجال الترجمة ذاتها، بحيث يفهم القارئ اللبيب أنّ المقصود عند معلوف لا يمكن أن يكون كما تسجله المترجمة... حتى أن بعض الأخطاء والسقطات طالتها ذاتها معرفياً حين ترجمت بعض الكلمات كما قرأتها في اللغة الفرنسية من دون أن تعرف أصلها التاريخي، مثل: عقاد...!!! أكاد!!!

في كل الأحوال ... يمضي الكاتب الروائي أمين معلوف في سرده الروائي على طريقته الواضحة والشيقة، لكن القارئ يتلمس الفضاء الروائي للعمل زمانياً ومكانياً، ويعرف أن حدود الرواية هذه تستنزل بها إلى ما دون المستويات السابقة في رواياته الأولى، فالتحديد الشديد للمكان والزمان هو قيد يربط به الكاتب نفسه، وما كان لخبرة أمين معلوف أن توقعه في هكذا مطب^(٢).

المكان عند معلوف كان ضيقاً جداً، فالجزء الأكبر والأهم من أحداث الرواية كان في فندق تملكه إحدى شخصيات الرواية الأبرز (سمي)... أو سميرائيس.

قد اتخذ الراوي أسلوب المذكرات في ستة عشر يوماً، تأتي الرواية كمنعطف فني بصيغة سيرة عامة، لجأ معلوف إلى تقنية ضمير الغائب بصيغة الماضي، مثلاً:
"كانا يخشيان أن يكون قد عدل عن مرافقتهما للبقاء مع شلة أصدقائه، ويتساءلان: إذا كانا سيضطران للرحيل بدونه؟ أم سيؤجلان رحيلهما إلى موعد

(١) التائهون، ص: ٣٠.

(٢) قراءة في رواية (التائهون) للروائي أمين معلوف، علم الدين عبد اللطيف، مجلة الموقف الأدبي سوريا الصادرة من اتحاد الكتاب العرب، ص: ١١٤-١١٨، مجلد: ٤٣، العدد: ٥٢٥.

لاحق؟، وعندما عاد إلى البيت لم يوجه إليه أي فرد من أفراد أسرته الكلام، ولكنه رحل أخيراً مع أهله، وإلى الأبد، الهروب الأول في صفوفنا".^(١)

وجاء أيضاً إلى تقنية ضمير المتكلم بصيغة الحاضر في بناء وسرد الأحداث من بين عديد التميزات والتصنيفات كخيارات مطروحة، الأنا المشارك وهي حالة الراوي بضمير المتكلم حيث يتساوى السارد والشخصية الرئيسية:

"افترقنا مع طلوع الفجر، كنت قد اشتريت سيارتي الأولى وهي خنفساء، لوئها بيع، ولقد أوصلت نعيم إلى بيته، لم يصارحني بمشاريعة، وحتى عندما كنا وحدنا، نمضي في طرقات قليلة الإنارة وخالية من المارة، لم يقل لي شيئاً".^(٢)

وفق أسلوب تأملي بسيط، بطيء متراكم؛ لأنها تنتقل من متابعة الأحداث إلى إعادة ترتيبها روائياً. بدأ الكاتب يعتمد ضميرين اثنين في القص: (الهو) و(الأنا) المتكلم، وعملياً لم يقدم اعتماد الضميرين أية فائدة تذكر في السرد الفني الروائي من حيث الانتقال والتواجد الحكائي زمانياً أو مكانياً، ولو اقتصر الكاتب على ضمير (الهو) الغائب وحده^(٣) مثلاً لما كان ثمة كبير فرق في خط السرد، ومن المعروف أن مهام السارد وقدراته تتحد وفق طبيعته كمتكلم أو غائب متعال على الحدث، وهنا لم يستفد معلوف من تنوع ضمير السارد بهذا الخصوص، فلم يقدم ضمير الغائب (هو) افتراقاً أو اختلافاً، فيما يتعلق بحكم القيمة الذي يجب وبالضرورة أن يكون في ضمير المتكلم غيره في ضمير الهو، يكون لازماً اللجوء إلى ضمير المتكلم إلا إذا كان سيضيفي المصدقية التي تنهض بوجود الحواس: دأبت.. سمعت..، وحتى مسألة تقديم الشخصيات في الرواية، فلم يكن من المفترض أن يقدمها المؤلف المتواري خلف ضمير الهو، إذ إن الكاتب المتمكن يترك للحوار أو للسارد - في أضعف الإيمان - أن يقدم الشخصيات وحتى إن الزمن لم يكن يحتاج في تقطيعه / العودة إلى الماضي، ثم متابعة خط السرد إلى التنقل بين

(١) التائهون، ص: ٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٨.

(٣) قراءة في رواية (التائهون) للروائي أمين معلوف، علم الدين عبد اللطيف، مجلة الموقف الأدبي سوريا الصادرة من اتحاد الكتاب العرب، ص: ١١٤-١١٨، مجلد: ٤٣، العدد: ٥٢٥.

الضميرين، فبدت العملية وكأنها تقنية بدائية يعتمد عليها الكاتب، لا أكثر...!! تناولت الرواية موضوع الحضارة، وليس المجتمع والأشخاص، سبب هذا لأن الرواية سيرة عامة. الموضوعات الحساسة التي ذكرت في الرواية مثلاً: السياسة والدين والتجارة، أشار الراوي في روايته إلى الديانات الثلاثة: الإسلام / المسيحية / اليهودية. وذكره لهذه الديانات من خلال الشخصيات، أي أن كل شخصية في هذه الرواية حملها ديانة معينة، وقد أظهرت كل شخصية موقفها من ديانتها، والديانات الأخرى دافعت عنها إذا تطلب الأمر ذلك، لكن ما تميزت به بعض الشخصيات أنها كانت محترمة للديانات الأخرى، فالكثير من الشخصيات في هذه الرواية أظهرت احتراماً كبيراً للديانات الأخرى.

"اعذري آدم، لا أنتقد الدين، لا أدري ما هي معتقداتك الدينية، ولا أريد أن أجرح مشاعرك، قال الضيف: خذي راحتك يا دنيا أمامي، بوسعك أن تنتقدي كل أديان العالم، ديانتني مثل ديانات الآخرين، لا تظني أنني سأشعر بالهانة في كل الأحوال، أنا لا أنتقد أبناء ديانتك فأبناء ديانتني أسوأ منهم بكثير".^(١)

قد أشار معلوف إلى تأثير الثقافة الغربية من خلال بعض الشواهد السردية التي أظهرت تأثير بعض شخصياته. يقول رامز:

(سنطلب أولاً صحنين كبيرين من المقبلات الإيطالية، وصحني بدون لحم خنزير، وما اخترت يا آدم كطبق رئيسي؟ أرغب بتذوق سلطان إبراهيم على فرشة من الريزوتو، اختيار ممتاز سأتذوقه بدوري، أترغب به ببعض النبيذ الأبيض مع هذا الطبق؟ لا، شكراً، فأنا لا أشرب على الغداء).^(٢)

يظهر من خلال هذا الشاهد السردية: ذلك التأثير الثقافي الغربي (الإيطالي) الذي طبع على شخصيات الرواية. هنا شاهد آخر في أسلوب أمين معلوف مزيج من التنوع الثقافي واللغوي،

(١) التائهون، ص: ٢٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٤٦ - ٢٤٧.

الشخصيات في الرواية تتميز من الخصائص اللغوية والثقافية كذلك؛ لأن أبطالها تنوعت ثقافتهم ولغاتهم أيضاً، آدم - على سبيل المثال - يتحدث العربية، ولغته الأم الفرنسية والإنجليزية، وهناك شخصيات أخرى تتميز بهذه الخاصية. فلما عاد آدم المغترب من باريس لرؤية صديقه مراد قبل وفاته، وعندما كان يتجول في البلد وهو تحت مخدر الذكريات والأفكار حتى تفتن على بوق سيارة أجرة:

(أذكر للسائق اسم الفندق الذي أنزل فيه، يخاطبني الرجل بالإنجليزية، فأبتسم وأتضايق في آن واحد، أجيبه بلغتي التي هي لغتي الأم، إنما بلكنة خفيفة دون شك، ولكي يعتذر؛ لأنه جرح كبريائي كمغترّب، يروح يشكو أحوال البلد وزعماءه، وينطلق في مدح استفزازي للأشخاص الذين تحلوا بما يكفي من الذكاء لكي يرحلوا).^(١)

من خلال هذا الشاهد في الرواية، الراوي يخاطب السائق باللغة الفرنسية أو العربية بدون الإنجليزية، لكن اللغة الإنجليزية هي لغة العصر، كان أمين معلوف يريد أن يقول اللغة الإنجليزية أصبحت لغة العلم والثقافة والسياحة أيضاً، لكن رأيه هياه كمغترّب. ومن خلال دراستنا لمتن الرواية نلاحظ أن أمين معلوف قد تناول قضية الشرق والغرب، وعمل على تشليلهما بعدة صور مختلفة، سواء فيما تعلق بصورة الذات (الأنا) أو صورة الآخر (الغرب) التي كانت أكثر تمثلاً، هنا الغرب العسكري والاستيطاني، وهناك تمثيل آخر لعلاقة عكسية بين الذات والآخر، الإسرائيلي واليهودي في شكلها السلبي.

(١) التائهون، ص: ٢٩.

السرد والحوار والأسلوب في رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب"

صدرت الرواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب" في عام ١٩٨٣م، هذه الرواية حقيقية عن الحروب الصليبية وعن هذين القرنين المضطربين اللذين صنعا الغرب والعالم العربي، ولا يزالان يحدّدان حتى اليوم علاقتهما.

الكتاب يشمل أربعة عشر فصلاً، مقسمة إلى ستة أقسام، ثم ينتهي بخاتمة، ثم المصادر والحواشي، فجدول زمني لتسلسل الأحداث، ففهرس الأعلام. ويحاول الراوي أن يبين ما أثرت به هذه الغزوات على علاقة الشرق بالغرب، وعلاقة السنة بالشيعية، فضلاً عن وضع مسيحيي الشرق، ودورهم المهم في هزيمة الفرنجة من خلال تعاونهم مع جيوش المسلمين.

السرد في الرواية:

أجمل صفات السرد في هذه الرواية هو "الوصف" يعني وصف الأحداث التاريخية، لأن الراوي يكتفي بسرد تاريخي في كتابة الرواية وفيما يلي نموذج منها:
سرد "أمين معلوف" امتلاك "العادل" لمصر ودمشق بعد نفي أخيه صلاح الدين الأيوبي، له إلى بلاد ضفة الأردن الشرقية خشية منه في طمع بامتلاك امبراطورية، ومع مرور الوقت "العادل" استولى على دمشق، وبعدها بلاد مصر، وذلك بعد نصب المكائد لهم وقلة خبرتهم.^(١)

إن "المؤلف" سرد أحداث استيلاء الفرنج على بيت المقدس، بعد خسارة في الاستيلاء على مصر، وذلك بدهاء وحيلة الإمبراطور "فريدريك" حيث دخل القدس مسالماً فقط، وجاء بثلاثة آلاف رجل، على تقدير أن امتلاك القدس ليس سوى أمر

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٧٣.

شكلي، وهكذا لم يكن في وسعه الاندفاع في سياسية تخويفية، وسعى إلى إلانة الكامل^(١).

- سرد أمين معلوف أحداثاً تاريخية قوله: والواقع أن معظم الأهالي بيعوا عبيداً، وتُهبّت أملاك الآخرين وطُردوا، وسوف يذهب كثيرون منهم نحو ثغر صور، ويقضي فخر الملك بقية أيامه في نواحي دمشق^(٢).
- من هذه الأحداث التاريخية استيلاء الفرنج على مدينة طرابلس، بالقتال وبالسيف، سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٩م حيث خرب وأحرق مئة ألف مجلد من الكتب التي كانت في مكتباتها.
- ومن الأحداث التاريخية التي سردها "المؤلف" يقول: وانسحب افتخار في ذلك اليوم المهول من تموز / يولييه ١٠٩٩م إلى برج داود، وهو حصن مئمن الأضلاع لحمت أسسه بالرصاص، ويعد أقوى نقطة من نقاط السياج، وكان في وسعه الصمود عدة أيام آخر. ولكنه يعلم أن المعركة قد خسرت، فلقد اجتبح الحي اليهودي، والشوارع ملاءى بالجثث، والعراك دائر منذ وقت عند أطراف المسجد الجامع، ولن يلبث أن يحاصر هو ورجاله من كل صوب، ومع ذلك فإنه مستمر في القتال^(٣).
- من هذه الأحداث في استيلاء الفرنج على بيت المقدس وقتل أهله وانتشار الجثث في كل مكان، يسرد المؤلف: (أن الفرنج هدموا كذلك مسجد عمر الذي شيد تخليداً لذكرى استخلاص ثاني خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب مدينة القدس من أيدي الروم عام ٦٣٨م)^(٤).

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١١-١١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٧٧.

الحوار في الرواية:

أغلب الحوارات السردية تجري على لسان الشخصيات التاريخية، هم مشاركون في أحداث الرواية وشهود عليها، وكذلك الشخصيات الأخرى المساندة في الأحداث التاريخية، كما نلاحظ في الحوار التالي:

(التفت عمي "شيركوه" إليّ، فقال لي: تجهز يا يوسف، فقلت: والله لو أعطيت مُلك مصر ما سرت إليها، إن الرجل الذي يتحدث هكذا ليس سوى صلاح الدين، وهو يقصّ البدايات التي أقلّ ما يقال فيها إنها جولة لمغامرة سوف تجعل منه واحداً من أكثر الملوك شهرة وهيبة في التاريخ، ويحتز يوسف بالصدق الرائع الذي يتسم به حديثه من أن ينسب إلى نفسه فضل الملحمة المصرية، فأسمعه يضيف قائلاً: "فسرت معه (أي مع عمه) وملكها (أي مصر) ثم توفي، فملكني الله تعالى ما لا كنت أطمع في بعضه"، والحق أنه وإن كان صلاح الدين سرعان ما برز على أنه المستفيد الأكبر من الحملة على مصر فإنه لن يؤدي فيها ولا حتى نور الدين الذي فتحت بلاد النيل باسمه، الدور الرئيسي).^(١)

من خلال هذه الأقوال في الحوار بين "شيركوه" و"يوسف"، يتبين لنا أن الروائي أخذ أفكاره لتأليف روايته من كتب قد سبقته في التأليف في نفس الموضوع، غير أنه أضاف أشياء جديدة، إلا أنه قد فصل فيها مثلما هي موجودة في هذه الأقوال التي اعتمد عليها "أمين معلوف".

(لست أدري إذا كان هذا مسرح وحشٍ، أو كان منزلي ومسقط رأسي ليست صيحة التفجع هذه، وهي لشاعر من المعرة لا يُدرى من هو، مجرد صورة بلاغية، ونحن مضطرون ويا للأسى إلى التقيّد بحرفية كلماته والتساؤل معه، ما الذي جرى من حوادث هائلة في مدينة المعرة الشامية في أواخر عام ١٠٩٨م؟).^(٢)

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٠٣، وأيضاً: الكامل في التاريخ، ٩/ ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦١.

لويس يقول: "كنت قد وجهت إليك عدة إنذارات فلم تحفل بها، وقد اتخذت الآن قراري، سوف أهاجم بلادك، ولن أعود عن رأيي حتى وإن أبديت ولاءك للصليب، وإن الجيوش التي تدين لي بالطاعة تملأ الجبال والسهول... لقد طاردنا جماعتكم أمامنا كقطيع من البقر، وقتلنا الرجال، ورقلنا النساء، وسبينا البنات والصبيان، أليس في ذلك عبرة لك؟ جواب أيوب من المعين ذاته: أنسيت أيها الأحق الأراضى التي كنتم تحتلوها ففتحناها في الماضي وحتى من عهد قريب؟ أنسيت ما أنزلنا بكم من فواجع؟".^(١)

الأسلوب في الرواية:

تنطلق رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب" من فكرة بسيطة، لسرد قصة الحروب كما نظر إليها وعاشها وروى تفاصيلها في المعسكر الآخر "أي في الجانب العربي"، وكانت الحروب الصليبية مجال جدل تاريخي وديني بين المؤرخين والعلماء العرب والمستشرقين والمؤرخين الغربيين.

يتحدث أمين معلوف خلال روايته إلى المجتمعات الأوروبية، مناقشاً المفاهيم الأساسية للحضارة ذاتها.

فالحروب الصليبية في نظر الأوروبيين فعلٌ إيجابي، لكن عند العرب المسلمين تعتبر استعماراً. يكتفي المؤلف في كتابة الرواية بسرد تاريخي تحليله بعض تعليقات الكاتب، وهو عكس ما اتبعه في رواياته اللاحقة، مثل: "ليون الإفريقي" و"سمرقند" وغير ذلك، بسبب ذلك نشعر بأن الرواية خالية من اللمسة الفنية؛ لأن هذه الرواية اتخذها المؤلف من الكتابات التي مزج منها بين التاريخ والرواية، وينطلق المؤلف زمن صدورها، وتجمع تسلسل الأحداث، ويمكن القول بأن الرواية لم تكن إلا شبه نسخةٍ عصريةٍ من كتاب "تاريخ دمشق" أو "الكامل في التاريخ".

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٩٦.

وقال عبده وازن: تتحدث روايات "أمين معلوف" عن مفهوم الرواية التاريخية، معتبراً أن الأساس هو الفن الروائي الذي يحتوي على المادة التاريخية، ويصف نفسه بأنه "هاوٍ للتاريخ لديه شغف بالرواية".

وينتقد ويزيد أن أعماله روائية بمقدار ما هي أعمال تاريخية، واستطاع الكاتب اللبناني الفرنسي أن يفتح من خلالها على الحضارات والثقافات والشعوب، فيما يشبه الحوار الحقيقي الذي لا يلغي الخصوصيات والاختلافات والهويات الأصلية. وكان لا بد لهذه الروايات من أن تشهد رواجاً عالمياً لم يتطلب الكثير من الوقت فهي تخاطب الإنسان حيثما كان، وتتوجه إلى الذاكرة والمخيلة في وقت واحد^(١). نجد "آلية التناص" عند أمين معلوف في تأليف روايته: "الحروب الصليبية كما رآها العرب". والتناص هو الأخذ من نصوص قديمة سابقة، مع إضافة طابع جديد لها، أي سياق جديد؛ لكي يحدث تقاطع وتكامل بين النص السابق والنص اللاحق.

وآليات التناص ثلاثة:

١. الشرح.
٢. التكرار.
٣. الإيجاز.

الشرح:

إنه أساس كل خطاب، وخصوصاً الشعر، فالشاعر قد يلجأ إلى وسائل متعددة تنتمي كلها إلى هذا المفهوم^(٢). وظف أمين معلوف في روايته آلية الشرح، وهذه الآلية تعد المحور التي تنتج منه النصوص، فيأخذ المؤلف جزءاً من نصٍ ما ويقوم بشرحه، فإن كانت جملة فهو يضيف إليها الكثير، حتى تصبح فقرة، لكن بشرط أن لا يغير المعنى، مثلاً:

(١) أمين معلوف العابر للتخوم، لعبده وازن، ص: ٢٢، الناشر: مجلة دبي الثقافية الإمارات، ٢٠١٢م.

(٢) تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، محمد مفتاح، ص: ١٢٦، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط/٣، ١٩٩٢م.

(وقد كان فيروز وهو مسلم من أصل أرمني زمناً طويلاً من حاشية "ياغي سيان" ولكن هذا اتهمه بالانتحار في السوق السوداء، وغرمه غرامة كبيرة. وإن كان فيروز يسعى للانتقام، اتصل بالمحاصرين، وقال لهم إنه يتولى حفظ شباك يطل على الوادي جنوبي المدينة، وأبدى استعداداً لتسهيل دخولهم).^(١)

نجد ذكر "ذرار" في نفس العنوان من كتاب "الكامل في التاريخ"، دون تفصيل فيه، لكن أمين معلوف أخذ الفكرة من هنا، وقام بالتفصيل فيها.

التكرار:

التكرار: ذكر نفس الألفاظ في أكثر من موضوع، والغرض منه التأكيد، ونجد بأن التكرار مفيدٌ أحياناً، وأيضاً غير مفيد أحياناً، ويكون على مستوى الأصوات والكلمات والصيغ، متجلياً في التراكم أو في التباين.^(٢) ونجد آلية التكرار أيضاً في رواية الحروب الصليبية كما رآها العرب، يقول المؤلف:

(أيكون في مقدوره أن يدخل هذا المكان المقدس بلا تدمير ولا سفك دماء على غرار ما فعل الخليفة عمر؟ وأرسل إلى أهل القدس رسالة يدعوهم فيها إلى إجراء محادثات تتناول مستقبل المدينة، وجاء وفد من الأعيان لمقابلته في عسقلان، وكان عرض المنتصر معقولاً، تسلم إليه المدينة بلا قتال، وفي وسع من يرغب من الأهالي في تركها أن يذهب بسلام، آخذاً معه كل أمواله، وسوف تحرم أماكن العبادة المسيحية، ولا يتعرض بسوء لمن يريد القدوم للحج في قابل الأيام).^(٣)

هذه آلية التكرار، فأمين معلوف كرر أحداثاً ذُكرت قبله، وهو أعاد ذكرها.

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٥٤.

(٢) تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ص: ١٢٦-١٢٧.

(٣) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٤٥-٢٤٦.

الإيجاز:

والذي له علاقة بآلية الاختصار هو إحالة التذكرة لأنها لا تنقل من الخبر إلا نتائجه.^(١)

بعد انتصار الفرنج واستيلائهم على عكا، فصل في مفاوضات بين صلاح الدين والفرنج حول تحرير الأسرى الموجودين في عكا.

يقول "أمين معلوف" في إيجاز هذه الأحداث التي ذكرها ابن الأثير في كتابه: "الكامل في التاريخ": الفرق الوحيد هو أن صلاح الدين لم يكن يريد إثقال نفسه بالأسرى، فكان في الكتاب يطلق سراحهم، بينما يفضل ريكاردوس إبادتهم. وجمع ألفان وسبعمئة جندي من حامية عكا عند الأسوار، ومعهم ثلاثمئة امرأة وطفل من أسرهم... وإذا حل ريكاردوس هذه المعضلة على عجل، فقد غادر عكا على رأس عساكره، وتوجه صوب الجنوب بمحاذاة الساحل، يتبعه أسطوله عن كثب، في الوقت الذي كان صلاح الدين يسلك طريقاً موازياً داخل البلاد.^(٢)

والروائي اتخذ هنا "التناص" مع كتاب "الكامل في التاريخ" في سرد هذه الأحداث التاريخية، معتمداً على آلية الإيجاز والاختصار، دون ذكر التفاصيل.

الأسلوب الديني:

نجد التناص الديني أو الأسلوب الديني في هذه الرواية مثلاً في القسم الثاني من الرواية، عنوانه: الاحتلال (١١٠٠-١١٢٨) وفي الفصل الرابع بالضبط عنوانه: أيام طرابلس الألفان، يقول المؤلف: وإذا رأى صاحب القاهرة أنه كان قاب قوسين من النصر، فقد قرر أن يرسل حملة جديدة في السنة التالية، ثم في السنة التي بعدها.^(٣)

(١) التناص في شعر العصر الأموي، بدران عبد الحسين محمود، ص: ٥٥، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط/

١، ٢٠١٢م.

(٢) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٢٦٣-٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩٧.

نجد قول الله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾^(١).

وأيضا في الفصل الخامس وعنوانه "مقاوم بعمامة" حيث يقول المؤلف: (ثم انتشر المسلمون زمراً صغيرةً، وصافوا ليلاً عساكر سرجال)^(٢). (لفظ زمرا) نجد قوله عز وجل: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٣).

وفي القسم السادس من الرواية عنوانه: "الطرد"، وفي الفصل الرابع عشر وعنوانه "لا قدر الله أن تطأ أقدامهم بلادنا بعد اليوم" يقول المؤلف: (لكن هبت ذات ليلة رياح صرصر، فأخذت السفينة تترجح فوق اللجنة، تتقاد في الأمواج، حتى إن المنجنيق تكسر قطعاً)^(٤).

نجد لفظتي "رياح صرصر" في قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِّنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٥).

وفي الفصل الثالث من الرواية: أكلة لحوم البشر في المعرة، حيث يقول المؤلف: (وكان في وسعه الصمود عدة أيام أخر)^(٦) "عدة أيام أخر" نجد في قوله عز وجل: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾ الآية^(٧). من خلال سرده لروايته ألفاظا من القرآن الكريم، يتبين لنا أن له ثقافة دينية، ربما راجعة إلى المحيط الذي يعيش فيه.

(١) سورة النجم، الآية: ٩.

(٢) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ١٢٨.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٤) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٧٣.

(٥) سورة فصلت، الآية: ١٦.

(٦) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٧٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

السرد والحوار والأسلوب في رواية "صخرة طانيوس"

السرد في الرواية:

يسرد معلوف الأحداث في رواية "صخرة طانيوس" على لسان أكثر من راو، فيقول الراهب إلياس صاحب (أخبار الجبل) إن القدر يمر عبر حياتنا، ويعاود المرور مثل مسلة الإسكافي في الجلد الذي يصنعه، وفي موضع آخر: "القدر الذي تحدد معابره المحيضة حياتنا وترسم معالمها" ... يقول أمين معلوف على لسان السارد:

(العبور في هذه الحالة إشارة جلية من القدر، أو تسلل قد يكون قاسياً أو ساحراً، أو من صنع العناية الإلهية، ومعلم في آن أي مرحلة حياة فريدة، وبهذا المعنى كان إغواء لمياء في مصير طانيوس^(١). الأمر الذي مكّن الإنجليز فيما بعد من مقاومة الدولة التي طمح محمد علي إلى إنشائها في مصر؛ لأن على طريق الإنجليز وجود دولة عصرية قوية إلى مستعمراتهم في الهند لم يكن أمراً محموداً، وكأي دولة حديثة ناشئة سعى محمد علي إلى القضاء على النظام الإقطاعي في الجبل اللبناني، وإحكام سيطرته عليه، إلا أن أهالي قرية (كفر بيدا) رغم معاناتهم من النظام الإقطاعي الذي يمارسه الشيخ في القرية؛ استشعروا الهيمنة التي يسعى إلى فرضها محمد علي باشا وجنوده، بسبب ذلك لم يفرح الأهالي بالقضاء على النظام الإقطاعي^(٢). وهكذا كان الخلاف بين البطريك والشيخ حاسماً في صراع القرية مع جيوش محمد علي باشا، وكذلك في صراع الإنجليز الذين ثبتوا أقدامهم في القرية مع الفرنسيين).^(٣)

الحوار في الرواية:

أغلب الحوارات السردية تجري على لسان الراوي، تأخذ الشخصيات الأخرى المساندة للشخصية الرئيسية مكاناً من السرد والحوارات.

(١) صخرة طانيوس، أمين معلوف، ص: ٤٥-٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٢-١٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٨-١٠٩.

الحوار الأول:

(راح طانيوس يراقب الموكب منبهراً، ويستمتع بعلامات النعيم والسلطة، ولما وصل بمحاذاته هتف بنبقة مرحية: صباح الخير، يا خواجا روكز! فتى من كفر يبدأ يخاطبه بهذا الاحترام، وبابتسامة عريضة، أمر الوكيل السابق رجاله بالتوقف.

من أنت أيها الشاب؟

اسمي طانيوس، ابن جريس.

جريس، وكيل القصر؟

أوما الفتى برأسه، وكذلك فعل روكز مراراً، مذهولاً، ارتعش تأثراً وجهه الذي اجتاحتته لحيّة غزاها الشيب وآثار الجدري، فأهالي الضيعة لم يلقوا عليه التحية منذ سنوات عديدة...

إلى أين تذهب؟

لا مكان بالتحديد).^(١)

الحوار الثاني:

(لن يفطن شيخنا قط إلى ما روى لي أحد الفرنسيين الأسبوع الماضي أفرغ ما في جعبتك يا نادر!

كان والد ملك فرنسا الجديد من أنصار الثورة، بل لقد صوّت لصالح إعدام لويس السادس عشر!

كان "البغال" واثقا من تسجيل نقطة في سجلهما الذي لا ينتهي، وكان وجهه السمين الحليق يملح فرحاً، ولكن الشيخ لم يأخذ المسألة بمرح، بل نهض وصرخ.

لا تلفظ في داري مثل هذا الكلام، اغرب عن وجهي، ولا تعد إلى هذا البيت ثانية!).^(٢)

(١) صخرة طانيوس، ص: ٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٩١.

الحوار الثالث:

(لم يرغب رعد قط بالدراسة، كان يذهب إلى المدرسة على مضض، مرغماً بسبب والده، وهو مسرور لعدم اضطراره للذهاب إليها بعد اليوم، أما أنا فسوف أذهب إليها للدراسة، ولقد تعلمتُ أموراً كثيرة، وأرغب بمتابعة دراستي. ما تعلمته يكفي صدقني، لو درست كثيراً، لن تطيق العيش وسط أهلك، يجب أن تتعلم بالقدر الكافي لتشغل منصبك تماماً، هذا هو الصواب، سوف تساعدني في عملي، وسوف أعلمك كل شيء).^(١)

الحوار الرابع:

يقول الأمير وهو حاكم الجبل " لقد نعم الجبل بالأمن والازدهار، حين كان السلام مستتباً حوله، ولكننا لا نملك القرار متى تناحر الكبار، فنسعى للتخفيف من أطماع هذا، وتجنب أذية ذاك. ومنذ نحو سبعة أعوام تنتشر قوات الباشا في كل أنحاء البلاد^(٢).

- قدوم رجل إنجليزي، سواء كان قساً أم لا، ليعيش في الضيعة ليس حدثاً عادياً، وكان الشيخ يرغب بالاستفسار دون أن يسمع القس الحديث، فألصق رأسه برأس سعيد بك، وتسنى للجالسين أن يتحققوا من عمق صداقة الرجلين.
- قيل لي أنه يعتزم إنشاء مدرسة.
- أجل، لقد منحته مقراً، فليس لنا مدرسة في السهلين، وكنت أرغب بإنشاء واحدة منذ بعض الوقت، سوف يرتادها أبنائي، فقد وعد بتعليمهم الإنجليزية والتركية إلى جانب الشعر العربي والبلاغة، لا أريد أن أتحدث بالنيابة عنه، ولكنني أعتقد أنه يتمنى أن يرتاد ابنك أيضاً مدرسة.
- ألا يسعى إلى حمل أبنائنا على تغيير دينهم..
- لا، لقد تناقشنا في الأمر، وقد قطع لي وعداً.
- أنت تثق به إذن.
- أثق بكائه فلماذا يرتكب هذه الحماقة؟

(١) صخرة طانيوس، ص: ١٣٠-١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٦٢.

- لن يجرؤ على تغيير دين أبنائك وابني، هذا صحيح، ولكنه قد يرغب بالتبشير في أوساط الفلاحين.^(١)

الأسلوب في الرواية:

هذه الرواية كتبها الروائي الفرنسي اللبناني أمين معلوف باللغة الفرنسية وعنوانها: Le Rocher de Tonios وترجمتها الأستاذة "نهلة بيضون" إلى العربية في عام ٢٠٠١م، ونشرتها دار الفارابي. وهي من أشهر روايات معلوف التي نال بسببها جائزة غونكور الأدبية الفرنسية عام ١٩٩٣م.

قسم المؤلف الرواية إلى تسعة فصول، وأطلق على كل فصل معبر، مثل: المعبر الأول، والثاني ... إلخ.

وكان يفتتح كل معبر بعبارات مقتبسة أحياناً وأخرى من تأليفه، يقول المؤلف إن هذه الرواية مستوحاة تصرف من قصة حقيقية، اغتيال بطريك في القرن التاسع عشر على يد شخص يسمى أبو كشك معلوف، وكان القاتل قد لجأ إلى قبرص، فأعيد إلى البلاد بحيلة من أحد عملاء الأمير ثم أعيد، أما باقي الرواية، فليست سوى تخيل محض. يجب أمين معلوف عن السؤال حول الأسباب الكامنة وراء نشر رواية تاريخية عن لبنان "من أين أتت هذه الرواية":

(أعتقد من رغبتني في كتابة شيء عن جو لبنان ... إنها عبارة عن جريمة قتل حدثت أوائل القرن التاسع عشر، وفي قرينتنا نفسها، فلا بطريك الرواية هو البطريك التاريخي، ولا القاتل هو القاتل الحقيقي... الحادثة... الجريمة وقعت سنة ١٨١٢م، لكنها في الرواية وقعت في العام ١٨٣٨م، بفارق ربع قرن بينهما).^(٢)

وهي رواية مستوحاة من قصة حقيقية، مع التصرف من قبل الروائي في أحداثها، في زمنٍ تستعد فيه لبنان للتقدم نحو العصر الحديث، والخروج من التسلط الإقطاعي على

(١) صخرة طانيوس، ص: ٩٦.

(٢) الفكر التاريخي في صخرة طانيوس مراجعة كتاب، مسعود ضاهر، مجلة الآداب، العدد: ٥ - ٦، ٠١ مايو ١٩٩٦م.

جبل لبنان، وينتقل أمين معلوف بين ثلاث أزمنة مختلفة: زمن ولادة طانيوس، وزمن رواية المؤلف، وزمن ينتظر من خلاله طانيوس مصيراً زacherاً بالمعاناة.

اللغة:

اللغة التي اعتمدها معلوف في الرواية ساعدت في إثراء معارف الشباب العربي لا سيما اللبناني بالمعلومات الجغرافية والثقافية والتاريخية لبلاده، فلغة الرواية رائعة ومدهشة، مع البناء الدرامي المتين، والعمق في تكوين الشخصيات.

الأسلوب:

إنها رواية عن الشرق، وهي على مستوى آخر تسجل لتاريخ ولوج الغرب في الشرق، في الرواية "الصراع" بين القيم الجديدة (الحرية) مع القيم القديمة، كما تصور أيضاً صراع القوى الكبرى (الإمبراطورية العثمانية) و(مصر وإنجلترا) في منتصف القرن التاسع عشر للسيطرة على الجبل اللبناني.

رغم قيام حكاية صخرة طانيوس على خطة ثنائية (غرب / شرق) فلا شك أن أمين معلوف هو من طينة الكتاب الساعين إلى استكشاف ثقافات وشعوب يمكن أن تقوم العلاقات فيما بينها على الوحدة والحوار^(١). يعتمد الروائي على الطريقة السينمائية في عرض الرواية، الرموز والجميل في الرواية تحكي عن الماضي، كأنها تشير للحاضر، وإذا سعينا، الآن إلى تعريف أكثر دقة للتخييل التاريخي المعاصر، نقول: إنه سرد قصة تجري أحداثها في عالم ذي مرجعية ماضوية. إن العلاقة بين التاريخ والتخييل هي علاقة متجددة، وقد استندت هذه التخيلات الأدبية التاريخية إلى تغيير في صيغ الخطاب والانتقال من ضمير الخطاب الغائب أو المخاطب إلى ضمير المتكلم^(٢).

(١) التخييل التاريخي في صخرة طانيوس، المغامرة الفردية الذاكرة الجماعية والتخييل الاجتماعي، عثمانى الميلود، ص: ٩٣-٧٦، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية لبنان، العدد ٤١، مايو ٢٠١٨م.

(٢) الرواية والتخييل التاريخي، هيثم حسين، صحيفة العرب لندن بريطانيا، تاريخ النشر: الجمعة ٢٣ سبتمبر ٢٠١٦م الموافق ٢١ ذو الحجة ١٤٣٧هـ، السنة: ٣٩، العدد: ١٠٤٠٣.

نجد في الرواية المغامرة منذ بداية القصة، وهذه المغامرة ولدت لدى البطل منذ أن منعه جده من الصعود على إحدى الصخور التي تحيط بالقرية والجلوس فوقها.

يندرج في سياق الرواية في شكل مزدوج جزء لا يتجزأ من بنية الرواية:

١. الثنائية الفضائية: الشرق والغرب.
٢. الثنائية الثقافية: التقليد والحداثة.
٣. الثنائية العصرية: الماضي والحاضر.
٤. ثنائية القيم: العبودية و الحرية.
٥. ثنائية السلطة: الخضوع والاستقلال.

السرد والحوار والأسلوب في رواية "سمرقند"

رواية سمرقند للروائي اللبناني أمين معلوف، المكتوبة بالفرنسية عام (١٩٨٨م)، وترجمت إلى العربية من قبل: (عفيف دمشقية)، وهي روعةً من روائع "أمين معلوف"، تحكي قصصاً شخصيةً سالفَةً مهمةً، وتضيف أحداثاً وشخصياتٍ خيالية، تضيفي جمالاً وقيمةً على هذه الرواية.

السرد في الرواية:

يسرد المؤلف حياة (عمر الخيام)، وتأليفه الرباعيات، ورحلاته في بلاد فارس، خاصة "سمرقند"، وتقربه من ملوك الإمبراطورية السلجوقية، فعمد إلى تخيل حادثة غير موثقة تاريخياً، كانت سبباً في تعيينه فلكياً خاصاً عند ملكشاه حاكم دولة آل سلجوق، وعند وصوله إلى سمرقند اقتيد إلى قاضيه بتهمة تعاطيه الكيمياء، وتأليفه الرباعيات، إذ كان هذا الرجل كيميائياً حقاً.^(١)

لكن (أبا طاهر) قاضي القضاة تعرف عليه، فالخيام كان عالماً ذائع الصيت في تلك الأيام، فأكرمه وقربه إلى (ناصر خان) حاكم (سمرقند)، فكانت تلك بدايته، نهض الخان أخيراً، وسار بخطى ثابتة نحو عمر، فعانقه بقوة، وأخذ بيده ومضى به، ونقل الأخباريون أنه كان من تقدير صاحب طبرستان لعمر الخيام أن دعاه الجلوس بقربه على العرش.

أجمل صفات السرد في هذه الرواية: الوصف، قدم السارد "مدينة أصفهان"، حيث وصف مظاهرها الطبيعية وبعض ميزاتهما.

نموذج وصف المكان:

يقول: أصفهان نصف جهان "أصفهان نصف الدنيا، حجارها من غالينة "كبريت الرصاص" وذبابها نحل، وعشبتها زعفران، هواؤها شديد النقاء، مفعم بالعافية، وأهراؤها لا تعرف السوس، وما من لحم فيها يفسد. والحق أنها

(١) سمرقند، ص: ١٩.

قائمةً على ارتفاع خمسة آلاف قدم، تحوي على ستين فندقاً، ومئتي صيرفي وصراف، وعدد لا يحصى من الأسواق المسقوفة، ومحترقاتها تغزل الحرير والقطن، وسجادها وأقمشتها وأقفاها تصدر إلى أبعد المناطق، وورودها تفتح ألف نوع ولون، وغناها مضرب الأمثال، وتجتذب هذه المدينة أوفر مدن العالم الفارسي سكاناً، جميع الساعين إلى النفوذ والثروة والمعرفة.^(١)

"أصفهان" يرمز للراحة أو هو مكان يلجأ إليه الزوّار أو السوّاح قصد الراحة والاستجمام. وصف الراوى قاشان واحة من البيوت الواطئة على الطريق الحريري عند طرف صحراء الملح، تتجمع فيه القوافل وتلم أنفاسها قبل أن تحاذي "قرغاز كوه" جبل العقبان، محباً قطاع الطرق الذين يبتزون نواحي أصفهان.

قاشان إنها مبنية بالطين والوصل وعبثا يبحث الزائر فيها عن جدران تبهج النفس أو أطناف مزخرفة، ومع ذلك فإنه يُصنع هنا أجود الطوب المصقول الذي سيزخرف بالأخضر والذهبي، آلاف المساجد والقصور والمدارس من سمرقند إلى بغداد. وخارج المدينة خانٌ للقوافل في ظلّ أشجار النخيل، وله سورٌ مستطيلٌ بأبراج صغيرة للمراقبة، وفناءٌ خارجيٌّ للبهائم والبضائع، وفناءٌ داخليٌّ تحيط به غرفٌ صغيرةٌ للنزلاء.^(٢)

مثال على وصف المظهر الخارجي:

نظر السارد على أنها (مجرد حجرة واطئة السقف، رديئة الإنارة، وكانت أرضيتها الترابية لزجة، ومقاعد مقلقة، وموائدها مبللة).^(٣)

فالروائي هنا ركز على وصف المظهر الخارجي لها، مما جعلها مفرغة من دلالتها.

الحوار في رواية سمرقند:

(لقد فكرت لك بمشروع، مشروع كتاب، لننس لحظة "رباعياتك"، ففي نظري أنها ليست سوى نزوات عبقرية، لا سبيل إلى دفعها، فالحقول الحقيقية التي

(١) سمرقند، ص: ٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩٤.

تبدع فيها هي الطب والفلك والرياضيات والفيزيكا والميتافيزيكا، أأكون مخطئاً إذا قلت: إنه ما من أحدٍ يعرفها منذ وفاة ابن سينا خيراً منك؟^(١)

في الشعر: فإن الخيام يؤكد أزليته للأبد.

"ماذا الذي يبقى بعد من أعمال العلماء؟ يبقى فقط السوء الذي نالوا به من تقدمهم، ويذكر ما هدموه من نظريات الآخرين. بيد أن ما كدّسوه هم سوف يهزأ به من يأتون بعدهم، ذلكم هو قانون العلم، وأما الشعر فإنه لا يعرف مثل هذا القانون. إنه لا ينكر قطّ ما سبقه، وهو يجتاز العصور في دعةٍ تامةٍ.^(٢)

الدين: عمر الخيام ليس ملحداً أو جاحداً، لكن ليس بالمتدين.

"إني أحاذر تفاني الأتقياء، لكني لم أقل يوماً أن الواحد الصمد اثنان".^(٣)

ويناجي الله سبحانه وتعالى، أغلق الكتاب، ونادى أهله ليملي عليهم وصية، ثم تلقّظ بدعاءٍ ينتهي بهذه الكلمات: أنت تعلم يا رب أني سعييت لأدركك، لأدركك جهد استطاعتي، فسامحني على إن كانت معرفتي بك طريقي الوحيد إليك، ثم إنه لم يفتح بعد ذلك عينيه.^(٤)

(أما في العبادات فيقول عمر الخيام: أذهب أحياناً إلى المساجد حيث الظلّ مواتٍ للنوم. وحده الإنسان المسلم لخالقه يجد إلى النوم سبيلاً في مكان العبادة.

وعلى الرغم من برطمة أبي طاهر المرتابة فقد زادت حماسة عمر، واستطرد: لست من أولئك الذين لا يعدو إيمانهم أن يكون خوفاً من يوم الحساب، ولا تعدو صلاتهم أن تكون سجوداً، طريقي في الصلاة؟ أتأمل وردةً، أعدّ النجوم، أتدله بجمال الخليفة، بكمال نظامها وترتيبها، بالإنسان أجمل ما أبدع الخلاق، بعقله المتعطش إلى المعرفة، بقلبه المتعطش إلى الحبّ، بحواسه، كل حواسه، متيقظةً كانت أو مترعةً).^(٥)

(١) سمرقند، ص: ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٨٥.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٤ - ٢٥.

بعبارة أخرى تكونين أنت الوزير الحقيقي، ومولاتك السلطان الحقيقي، هذا هو الأمر، أليس هذا ما تسعين إليه؟ وما الذي يمكن أن يزعجك في ذلك؟ ستكون لك الأعجاد من غير أن تساورك الهموم، فماذا يمكن أن ترجو خيراً من هذا؟ وتدخّلت "تركن خاتون" لتلوين الحديث وتنويع أفكاره، وأخذت "جهان" تترجم:

تقول مولاتي: إن سوء حكمنا راجع إلى أن رجالاً مثلك يشيحون بوجوههم عن السياسة، وهي ترى أن فيك جميع المزايا لتكون وزيراً ممتازاً. قولي لها: إن المزايا المطلوبة للوصول إلى سدة الحكم فلكي يحسن المرء تصرف الشؤون عليه أن ينكر ذاته، ولا يهتم إلا بسواه، ولا سيما بأكثر الناس شقاء، ولكي يصل إلى سدة الحكم ينبغي أن يكون أشد الناس طمعاً، وألا يفكر إلا في ذاته، وأن يكون مستعداً لسحق أقرب أصدقائه إلى قلبه، ولن أسحق أنا أحداً.

الأسلوب في رواية سمرقند:

بين الروائي أمين معلوف نفسه باعتباره كاتب الرواية، وراوي القصة عمر الخيام، وحسن الصباح ونظام الملك والسلاجقة، بأسلوب بلاغي محكم، ورواية "سمرقند" رسالة حكمة ومحبة، وتاريخ وتسامح، وحب وسياسة. ترجمة د. عفيف دمشقية لرواية سمرقند، بلغت حداً جمالياً رائعاً، ترجمة موفقة كأن الراوي كتبها بالعربية، ولغة الرواية المترجمة سهلة.

سمات أدبه في الرواية هي: ثنائية الشرق والغرب، التسامح، وشخصيات روايته متمردة، وهو يمزج التاريخ بالأدب، توغل فيه عميقاً أثناء حكم السلاجقة في فترة حرجة من التاريخ الإسلامي، خلال الألف الميلادي الأول وانحيار الدولة العباسية، وهذه الفترة كانت حافلة بأحداث تركت بصماتها لوقتنا الحالي، فيلقى الضوء على الإمكانيات المجهولة وغير المتوقعة، التي هي الأزمنة الهادئة الجامدة التي لا تظلل، تظلّ محتبئة غير مرئية.^(١)

(١) ندوة الرواية والتاريخ، عبد الواحد إبراهيم، تعليق: كمال رياحي، ص: ٢٩، مجلة عمان، عدد: ١٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥م، الصادرة عن أمانة عمان الكبرى.

هي تعبير عن عالم ثقافي، اجتماعي، سياسي وتاريخي، وجدلية هذه الرواية بين التاريخ والشعر، قبل السياسة والحكمة والمستقبل.

استخدم الكاتب الأسلوب المباشر في سرد أحداث هذه الرواية، الراوي هنا هو الكاتب نفسه، وليس شخصية من شخصيات القصة، بالإضافة إلى السرد نجد أن الحوار طغى على الوصف، ويحذف عدة أحداث لتسريح السرد، فالفرق بين القصتين الأساسيتين أكثر من (٦٠٠) عام، وتمر بعض السنوات دون ذكر تفاصيلها. نتعرف على الدولة السلجوقية ونشأتها، وظهور فرقة الحشاشين وتطورها، وأخيرا الثورة الدستورية الفارسية في القرن العشرين.

المذاهب الدينية التي وردت في رواية سمرقند:

الإسلام (السنّي والشيعي)، المسيحية، الإلحاد، الإسماعيلية، السلاجقة، اليهودية، الحشاشين، وغير ذلك.

الأسلوب البلاغي المحكم والشاعري:

نماذج من الأسلوب البلاغي المحكم والشاعري في رواية سمرقند:

١. أخشى ما يخشاه هم عامة الناس، وهدمهم جدار الوقار في ذات نفسه.^(١)
 هذه العبارة من مكنونات نفس الخيام، لما رأى في سوق سمرقند وقد تجمهر الناس بهراواتهم يضربون رجلاً يُدعى جابر، وهو من تلاميذ أبي علي بن سينا، وهو عجوز هزيل القامة طويل الأطراف، حاسر الرأس شعث الشعر، وكان جابر قد تعرض مراتٍ للسجن، والجلد أمام الملأ؛ بسبب أفكاره التي نقلها عن أستاذه ابن سينا، ثم طراً الجنون على جابر بعد وفاة زوجته، فصار الصبيان يطاردونه ويقذفونه بالحجارة، حتى يُجرَح ويَبْكِي، وهنا أدرك الخيام أنه إن لم يتدارك نفسه فستكون حاله يوماً ما خرقاً مثل حال هذا العجوز، لا بسبب الخمر والسكر، فهو معتدل في الشرب، بل بسبب فكره

(١) سمرقند، ص: ١٥.

الفلسفي، الذي لا يعرف العامة قدره، فقد يهدمون في لحظة ما بناه من مجدٍ، ولا قيمة للجوهرة في يد الجاهل.

٢. إن للزمن لوجهين، إن له لبُعدين، فطوله بمعدّل الشمس، وارتفاعه بمعدّل الأهواء والشّهوات.^(١)

هذه العبارة البلاغية طرأت على ذهن الخيام عندما أنشدت الشاعرة جهان شعرها في بلاط حاكم سمرقند، فأمر بأن يمتلئ فمها ذهباً، فراحت جهان تُدخل في فمها الدنانير الذهبية من صينية أمامها، والحضور في القاعة يضحكون قهقهةً، لكن الخيام يفكر في هذه المكافأة المخزية، وما الذي أجبر هذه الشاعرة الحسنة، الأرملة الشابة المشبوبة بالعواطف أن تقبل بها؟! ورفعت جهان نقابها لتلقي نظرةً على الحضور قبل أن تسدله، وهذه اللحظة كانت قاتلةً للعاشق الخيام، الذي ارتوت عيناه بجمالها، وقال هذه العبارة الفلسفية في سره. فالحاكم الذي أذلّ الشاعرة في بلاطه بمكافئتها بطريقة مخزية، ليضحك الحاضرون، ويتسلوا بالمنظر، والشاعرة المجيدة التي ربما أُلجأها الدهر لتقبل بهذا الذلّ والخزي، وهذه معادلة الزمن، الطويل مثل الشمس، والمرتفع بمعدل الهوى والشهوة.

٣. وأما عمر فالحياة عنده مختلفة، إنها لذة العلم وعلم اللذة.^(٢)

عقد معلوف موازنةً بين جهان والخيام، فجهاًن تمضي وقتها في الموسيقى والشعر، وترقّب أحوال جناح الحريم الملكي في قصر سمرقند، أما عمر الخيام فحياته منصرفة إلى العلم ونيل لذته، فهو يكتب في النهار في رباعياته، ويهتم بمرصده الفلكي، فعلمه ولذة حياته متلازمان.

٤. هي تتصرف بوحى فرط الطموح، وهو بوحى فرط الزهد.^(٣)

هذه الجملة من الروائي في معرض المقارنة بين الشاعرة جهان، والشاعر عمر الخيام، فكلاهما عاشا قصة حب عدة سنوات ثم تزوجا، وتجمعهما صفات مشتركة،

(١) سمرقند، ص: ٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١١٦.

فهما شاعران، ولا يريدان الإنجاب، ولكن نمط حياة كلٍ منهما مختلفٌ عن الآخر، فجehan تعيش في القصر، وتختلط بالنساء، وهي غارقة في ملذات حياة قصر سمرقند، وانشغالها بالموسيقى والشعر والغناء، ولكن الخيام مشغولٌ بمرصده الفلكي، والتأليف في كتابه الرباعيات، واهتمامه بالفلسفة والحكمة، وبذلك نستطيع القول بأن جهان لديها طموح كبير في أن تعيش حياتها برفاهية القصر، لكن الخيام مع علمه الغزير يعيش حياة الزهد.

٥. وآخرون مثلي يبحثون عن ملاذ في الكتب.^(١)

هذه العبارة جزء من حوارٍ بين عمر الخيام وصديقه حسن الصباح الذي زاره سرّاً في سمرقند، ولامه على ملازمة الحكماء، فأوضح الخيام بأن الفرس مغلوبون على أمرهم، وللاّترك القوة، والوزير نظام الملك يدهن الطرفين، أما الخيام فملاذه العلم والكتب، ولا يهمله أمر السياسة كثيراً.

٦. ولقد كتب عمر الخيام في تلك الحقبة يقول: "ما من سلطانٍ أسعد حالاً مني، ولا سائلٍ أشدّ بؤساً".^(٢)

انقطع راتب الخيام بموت صديقه الوزير نظام الملك، وصار الخيام يتقاضى الأموال من الوزراء والساسة وأرباب التجارة والمال بتوفير طوالعهم الشهرية، وكان محترفاً في كسب المال دون أن يظأطى رأسه ويخنع لهم، وقد تعجب أحد الوزراء لما طلب منه الخيام خمسة آلاف دينار مقابل خدماته، لكن الخيام قال له باستعلاءٍ بأن الزمان لا يجود بأمثاله من العلماء إلا قليلاً، بينما الوزراء بالملئات، ولكن مع ذلك كله يصف الخيام حاله بصورة بلاغية، بأنه في ظاهره سلطانٌ يحصل على ما يريد من زبائنه، لقاء خدمات تنجيمه لهم، لكنه في الحقيقة سائلٌ بائسٌ، يستجدي الأموال بفضل علمه بالنجوم والفلك.

(١) سمرقند، ص: ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧٥.

السرد والحوار والأسلوب في رواية "موانئ المشرق"

رواية "موانئ المشرق" لأمين معلوف التي كتبها باللغة الفرنسية، وقد قامت السيدة "هالة بيضون" بترجمة هذه الرواية إلى العربية، كانت تطلق تسمية موانئ المشرق Les Echelles De Levant في العهد العثماني على الموانئ والمدن الواقعة على ضفاف البحر المتوسط، التي كانت ملتقى التجار من أنحاء العالم، وخاصة أوروبا. ويرى المؤلف في مدن المشرق ملتقى الحضارات والديانات وحوار الثقافات منذ ذلك العصر، وهذه الرواية كروايات أمين معلوف الأخرى تنقل القارئ إلى الأجواء التي أوغل فيها في البحث في أعماق التاريخ، القارئ ينسى اللحظات الحاضرة، ويعيش مع أحداث الرواية في ذلك الزمن الذي تدور فيه الحكاية. قال الروائي سلطان فيصل الرميثي: "إن الرواية أخلاقية بامتياز، وترجمت إلى لغة راقية، إلا أنه لوحظ أن الشخصيات لم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأماكن، وتداخل القصص في الرواية أخلّ بها".^(١)

السرد في الرواية:

تتجلى جمالية السرد في الرواية كلها في سمة "الحزن"، فهناك لقاءً يعقب التيه في شوارع باريس التي تحمل أسماء أبطال الحرب القدامى، لقاء كأول لقاء في نفس المكان بين باكو وكلارا، نهاية الرواية سعيدة على الرغم من مشقة الأيام وطول الحزن.

• وصف المناظر:

والذي كان نادراً ما يخرج وعادةً، عندما يستيقظ صباحاً يكتفي بإطلالة من نافذته المفتوحة، في الطابق الأول يستنشق هواء الصباح، ويجيل الطرف على البحر والمدينة والصنوبر، لا شيء سوى نظرة سريعة، كما لو أنه يتحقق من أنها لا تزال موجودة، ثم يهبط السلام ويعود ليجلس في البهو، وسرعان ما كان يتوافد الزائرون الأول بل ربما ينتظرونه أحياناً.^(٢)

(١) ندوة الثقافة والعلوم تسير أعماق "موانئ المشرق"، صحيفة نبض الإمارات، ١٤ فبراير ٢٠١٨ م.

(٢) موانئ المشرق، ص: ٥٢.

• وصف الشخصيات:

فكيف للزوج الطبيب الذي لا يفارق زوجته، ويلبسها ثيابها، ويخلعها عنها، ويحتمها كل مساء، وهي المرأة الشابة والجميلة التي يعشقها بكل جوارحه، لدرجة أنه كرّس لها كل لحظة من حياته، كيف له أن يتأملها دون أن تحرفه عاطفته الجياشة، وكيف يتلمّس جسدها الأسيل، ويرمقه بعينه دون أن تتأجج في أعماقه الرغبة المشبوبة.^(١)

يسرد معلوف من خلال بطل الرواية "عصيان"، الشاب الذي عاش في لبنان، وهو ينتمي لأسرة تركية عريقة المجد، تمتد جذورها إلى حكام الدولة العثمانية.

في ذلك الصيف، اندلعت الحرب العالمية الأولى، وسوف يعتبرها الذين عايشوها بالحرب العظمى دائماً، لم نشهد لا خنادق ولا إراقة دماء، ولا غاز خردل، ولم نقاس من المعارك بقدر ما قاسينا من المجاعة وانتشار الأوبئة، ثم الهجرة التي أفرغت القرى من سكانها، فمنذ ذلك، سوف تنتشر في الجبل ولفترة طويلة من الزمن، بيوت كثيرة اختفت سحب الدخان من مداخنها.^(٢)

الحوار في رواية موانئ المشرق:

إن الحوار هو الفنية السردية الوحيدة التي يتساوى فيها من القصة مع زمن الحكيم، فالواقع التاريخي الذي ينقله لنا الراوي كما حدث في الماضي، وسنورد بعض الأمثلة لنقف عند هذه المعادلة المتساوية بين الزمن الواقعي القصصي والزمن الحكائي.

الحوار الأول:

■ لقد أكدوا لي أنه يوجد في باريس تسعة وثلاثون شارعاً أو جادة أو ساحة تحمل أسماء مقاومين، زرت منها واحداً وعشرين قبل هذا الشارع، وبقي سبعة عشر أو ستة عشر، إذا استثنيت ساحة شارل ديغول التي عبرتها فيما مضى، عندما كان اسمها ساحة النجمة...

■ وهل تنوي زيارتها كلها؟

(١) موانئ المشرق، ص: ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٣.

- خلال أربعة أيام، لديّ متسع من الوقت.
- لماذا أربعة أيام؟ لم أجد لذلك سوى تبرير واحد!
- ومن ثمّ، تعود إلى بلادك؟
- لا أعتقد ...
- بدا فجأة ساهما في بحرٍ من الأفكار، نائياً عني وعن شارع هوبير هوغ، هل أخطأت إذ ذكرت له الوطن والعودة؟
- ولكن قد يكون الحديث عن هذه الأيام الأربعة هو الذي جعله ساهماً متأملاً.
- لم أعد قادراً على اقتحام روحه أكثر مما فعلت، ولذا فضلت تغيير الحديث.
- لم تعرف إذن هوبير هوغ، ولكنك لست مهتما بالمقاومة بمحض الصدفة ...
- لم يجب على الفور، وجاءت صحوته متأخرة.
- ماذا قلت؟
- اضطرت لتكرار ملاحظتي.
- هذا صحيح، كنت قد سافرت إلى فرنسا لمتابعة دراستي خلال الحرب؛ وعرفت بعض رجال المقاومة.^(١)

الحوار الثاني:

- يقال إن جبل لبنان كان بدوره أرضاً عثمانية، غير أنه اكتسب منذ نصف قرن، وضعاً مستقلاً مضموناً ومراقباً عن كثر، من قبل السلطات العظمى؛ ولئن كان ملاذاً مثالياً للأرمن، فهو يبقى وجهة السفر الأقل خطراً، والأكثر مناعة.
- فكر نوبار ملياً طوال يومين، وما أن حسم أمره حتى أعلم صديقه.
- فقال له والدي: هكذا، أنت تنوي مفارقتي إذن، هل صار بيتي يضيق بك؟
- بيتك يتسع لي، ولكن البلاد هي التي أصبحت تضيق بي.
 - إذا كانت البلاد تضيق بأعز صديق لدي، فلماذا تتسع لي؟
- لم يكن نوبار بمزاج ليفهمه اختلاف الآفاق بين مدرس آرميني وأمير تركي.. ولم ينتظر والدي جواباً أصلاً، فقد خرج يتنزه في الحديقة تحت شجر الجوز، نافثاً

(١) موانئ المشرق، ص: ١٢-١٣.

دخان سيجارته، وراح نوبار يراقبه من النافذة بين الفينة والأخرى، ثم قرر موافاته
إذ شعر به تأثهاً.^(١)

إن الحوار القائم بين النصوص التاريخية والرواية تحفز الكاتب على الانغماس في
عمق الأحداث الماضية، وذلك الصدق الفني الذي يساعد القارئ على التمسك
بالنص، وفهم مدلولاته، ويواصل السارد من الأحداث التنوع في آليات التصوير، ونقل
الأحداث؛ ليخبرنا عن الآلام والمصادفات من صفحات الرواية.

الأسلوب في الرواية:

يقدم الكاتب روايته بأسلوب مختلف، مثلاً: كما يقول في روايته في أوقات مختلفة:

- ما قلته منذ قليل، لو أردت أنا التعبير عنه، لقلته بالأسلوب نفسه
حرفياً، وأشرق وجهه بابتسامة مشعة، سرعان ما اختفت "ولكنني أفضل التزام
الصمت".^(٢)

- اتخذت تارة "أسلوب المسامرة" والتواصل الحقيقي وإن كنت لم أسئلني إلا
نادراً، وفي أغلب الأحيان كان هو يملئ عليّ، فأقوم بتدوين نصّ مكتوب أصلاً
في ذهنه.^(٣)

- قلت لتوي، إنه يستعد للخروج، ولكنه أسلوب في الكلام، فوالدي كان
نادراً ما يخرج، وعادة عندما يستيقظ صباحاً يكتفي بإطالة من نافذته
المفتوحة.^(٤)

- وسوف يفلت شقيقي الأصغر، مثلها من سطوة والدي، "بالأسلوب
مختلف، أكثر حنية"، فقد بذل قصارى جهده ليشبط عزيمة والدنا، ويثنيه عن
محاولاته للارتقاء به نحو الأسمى، كان مقتنعا أن والده يمقته منذ مجيئه إلى هذا
العالم؛ لأنه تسبب بوفاة والدتنا.^(٥)

(١) موانئ المشرق، ص: ٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٦٣-٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

الرواية مليئة بالمصادفات والصراعات بين انتماءات ومعتقدات وهويات عديدة، في الصراع في الشرق عبر مصير عائلة كتبدار وأيضا في الخلافة العثمانية، والصراع بين الأتراك والأرمن والحرب العالمية الثانية والمقاومة الفرنسية، والصراع الإسرائيلي الفلسطيني، والصراع في العائلة الواحدة بين الخير والشر، وقضية التعايش المشترك والصراع من أجل الوصول إلى التسامح والبقاء.

ننظر في الرواية انعكاساً نفسياً ووجهة نظر ذاتية طاهرة، بنزعة أمين معلوف للتصالح بين الشعوب، مثلاً بين التركي والأرمن وبين اليهود والمسلمين وغير ذلك. حيث جعل "كلارا" رمزاً لليهود، و"عصيان" مسلم من لبنان ليثبت بأن العداوة القائمة لا طائل منها، وأن السلام في المحبة.

هذه الرواية لا تقدم خطاباً سياسياً أو فكرياً، بل تتناول الإنسان فقط، الإنسان الذي يشعر بالحب والحزن، والإنسان الذي يتألم ويفرح... دون أن تختلف مشاعر الحب والألم، أو مشاعر الحزن، أو بين أصحاب دين مع دين آخر.

يكتب أمين معلوف روايته بأسلوب قصصي خالٍ من العواطف إزاء مصير الإنسان، وهذا ما يميزه عن غيره، ويحيط شخصياته بهالة من الجدية والرزانة في صراعاتهم من أجل الهوية والسعي الدؤوب للانتماء، والتسامح والعدالة والبقاء، رغم الجدران والحدود السياسية والجغرافية، ويكتب بأسلوب شيق من التحليل النفسي.^(١)

لا توجد رواية تعطي التاريخ حقه، وتستوحي التاريخ بشكل موضوعي، فالأحداث التي شهدتها هذه الحقبة ليست إلا محطات ومفاصل يتكئ عليها، للولوج منها إلى الحيات التي عاصرتها وتعاملت معها.

اللغة:

يخرج معلوف في كل مرة بعمل أدبي غاية في الإتقان والروعة، ويستخدم لغة سهلة ممتعة غير متكلفة، بعيدة عن المصطلحات المعقدة، ويعتمد على الرومانسية لمجريات

(١) موانئ المشرق لأمين معلوف والصراع بين الهوية والانتماء، د. سامي مسلم، ملاحق صحيفة المدى العراقية، ٠١

الحكاية، ولا يبالغ في عنصر التشويق، بل يصوغه بترؤّ دون أن يدخل في متاهات الملل لدى القارئ، ويتعد في الوقت ذاته عن المفاجآت الصادمة في أحداث الرواية.

"موانئ المشرق" يقدم فيها الروائي قراءاته الخاصة لتاريخ المشرق العربي الحديث منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى نهايات التاريخ القرن العشرين، لكنها ليست رواية تاريخية كاملة.

السرد والحوار والأسلوب في رواية "ليون الإفريقي"

السرد في رواية ليون الإفريقي:

يمكن تمثيل حالاتٍ من السرد في حديث الشيخ أستغفر الله فيما يتعلق بالوضع الذي ستؤول إليه الأندلس، في حال ظلت ترتكب فيها وعلى أرضها تلك الممارسات الخاطئة كشرب الخمر، والإسراف في ملذات الدنيا، وانتشار الغناء في القصور، وغير ذلك.

وأيضاً ما ذكره أبو مروان خال الوزان في الرواية نفسها عن غرناطة، حين زار بيت أخته في ذلك اليوم الذي احتفل فيه بمرور سبعة أيام على ولادة الوزان، وذكر الحاضرين بيوم من أيام السلطان أبي الحسن علي، هو يوم العرض الملعون، حيث قال متنبئاً بالنفي عن غرناطة: هذه المدينة يحميها لصوصها بالذات، ويحكمها أعداؤها بالذات، وسيكون علينا أن ننفي أنفسنا عما قريبٍ خلف البحار.^(١)

كانت سلمى وحسن يتحدثان عن مصائبهما، والحروب التي نزلت عليهما بعد دخول فرديناند إلى قصر الحمراء، لو أن السؤال كان صادراً عن أبي لكان جواب سلمى غامضاً، وأما خالي فكان الرجل الوحيد الذي كانت تعرفه، كيف تكشف له عن مكنون قلبها، وهي تكشف في حضرته عن شعرها.^(٢)

وصف الأحداث:

استخدم الراوي تقنية الوصف التي تستخدم في إبطاء السرد، وذلك عندما يقوم الكاتب بتقديم الشخصيات والأماكن بطريقة وصفية، تجعل القارئ يتعرف على أجزائها شيئاً فشيئاً، ومن المشاهد الوصفية ما جاء في وصف الأم لسارة المبرقشة التي كانت في العام الأول الذي ولد فيه الحسن الوزان.^(٣) وما جاء في وصف الشيخ أستغفر الله في

(١) ليون الإفريقي، أمين معلوف، ص: ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤.

عام (١٤٩١م) موضحاً من خلال الوصف مدى تأثير الشيخ بما كان يجري حول غرناطة،^(١) كما يمكن الوقوف على وصفٍ لحوادث عاصرها الرواة في ذلك الزمان، مثل: طوفان غرناطة، وأحوال يوم المهرجان، وغير ذلك.

الحوار

من أمثلة الحوار:

فيم كنت تفكرين؟

لو أن السؤال كان صادراً عن أبي لكان جواب سلمى غامضاً، وأما خالي فكان الرجل الوحيد الذي كانت تعرف كيف تكشف له عن مكنون قلبها، وهي تكشف في حضرته عن شعرها.

كنت أفكر في مصائبنا، في يوم (العرض)، في هذه الحرب التي لا تنتهي، في مدينتنا المقسمة، في الناس الذين يموتون كل يوم.^(٢)

عندنا هاجر المسلمون إلى مكان آخر مغادرين غرناطة، وكانوا يتحدثون عن أحوال غرناطة والجنود الذين يقيمون فيها، خاطب أسْتَغْفِرُ الله سعداً قائلاً:

لقد خالطت طوال حياتي أسرى لم يكونوا يحملون بغير الحرية، وليس في وسعي أن أفهم أن يختار رجلٌ حرٌّ سليم العقل الأسر بملء إرادته.

أجاب سعد: "إذا رحلنا جميعاً اجثت الإسلام من هذه الأرض إلى الأبد، وعندما يصل الأتراك بعون الله لمقاتلة الروم فلن تكون هنا لمدهم بالمساعدة".

وفرض صوت أسْتَغْفِرُ الله الوقور الصمت على البستاني بالقول: البقاء في بلدٍ استولى عليه الكفار يحرمه الدين تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل الناس".

وأضاف وهو ينوء بيده على كتف سعد: "كل مسلمٍ يلبث في غرناطة يزيد عدد سكان دار الكفر، ويسهم بذلك في تقوية أعداء الله ورسوله".

وانحدرت دمعاً على خد العجوز قبل أن تتغلغل في شعر لحيته، وقال: "لقد بلغت من الكبر عتياً، ونال مني المرض والفقر، فلا أقدر على التجول في الطرقات وركوب البحار، ألم يقل النبي: {افعل ما تقدر عليه، ولا تبحث عبثاً عن

(١) ليون الإفريقي، ص: ٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨.

الصعب}. (١).

ورق قلب حامدٍ لحال البستاني، ورتل مجازفاً بمعارضة الشيخ آيتين مطمئنتين من سورة النساء: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١٩﴾. (٢).

فبادر سعد إلى القول: "الحق ما قاله الله العلي القدير".

ولم ينكر أستغفر الله ما لا يحتاج إلى دليل، وقال: والله واسع حلیم، ولا يطلب الأمور نفسها من القادرين ومن غير القادرين، فإذا كنت راغباً في طاعته بالهجرة ولكن لا تستطيع ذلك؛ فإنه يقرأ ما في صدرك، ويحكمك على نيائك، ولن يندرك للجحيم، ولكن قد تكون جحيمك على هذه الأرض، وفي هذا البلد، وستكون جحيمك الدلّ اليومي، لك وللنساء من أهلك.

وإذ ألصق بعتة راحتيه بالتراب الحار؛ فقد التفت بكل جسده إلى أبي والحلاق محدقاً النظر فيهما، وقال:

وأنت محمد؟ وأنت يا حمزة؟ أتكونان أيضاً فقيرين وعاجزين؟ ألستما من الأعيان؟ ألستما مرموقين من الجماعة؟ وما عذركما في عدم التقيد بتعاليم الإسلام؟ لا تأملا في أي مغفرة ولا في أي رحمة إذا أنتما اتبعتما سبيل يحبي الجاحد؛ لأن الله تعالى لا يتسامح مع الذين يغمرهم بنعمه.

وأقسم الرجلان بشيء من الحرج على أنهما لا يفكران قط في البقاء إلى الأبد في دار الكفر، وأنهما يرغبان فقط في ترتيب أمورهما للرحيل في ظروفٍ حسنة.

وصاح أستغفر الله: "ويل لمن يسترخص الجنة، ويستغلي متاع الدنيا! منذ أن سقطت هذه المدينة في أيدي الكفار وهي محلّ عارٍ لكل واحدٍ منا، إنها سجنٌ بابه آخذٌ في الانغلاق على مهلٍ، فكيف لا تنتهزان هذه الفرصة الأخيرة للهرب؟".

ولم تفلح لعنات الواعظ، ولا توبيخات الفكاك في حمل أبي على مغادرة المدينة.

(١) ليس بحديث، وله شواهد بنفس المعنى، مثل حديث: (يسرّوا ولا تعسّروا). أخرجه البخاري في صحيحه، تحقيق: د.

محمد مصطفى ديب البغا، ٣٨ / ١، رقم: ٦٩، دار ابن كثير دار اليمامة دمشق، ط/ ٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٩٧-٩٨.

قالت سلمى: كنا قد دخلنا في قيظ الأيام الأولى من الصيف، بيد أن المتنزهين في حدائق غرناطة كانوا قلة قليلة، وقد خلت الأزهار من كل رونق، وكانت أجمل منازل المدينة قد أخليت، وخلت دكاكين الأسواق من معارض بضائعها، سكن صخب الشوارع حتى في الأحياء الفقيرة، ولم يكن الجنود القشتاليون يحاذون في الساحات العامة غير المتسولين؛ لأن جميع المسلمين الحريصين على شرفهم ومكانتهم كانوا يشعرون بالخزي إذا وقعت عليهم الأنظار إن هم لم يرحلوا بعد. وأضافت بصوتٍ ملؤه الحسرة: "وإذا ابتلي المرء بمعصية الله تعالى فمن الخير له أن يفعل ذلك في الخفاء؛ لأنه يكون قد عصى مرتين إذا هو تبختر بمعصية". وكانت تردد ذلك على مسمع أبي بلا انقطاع من غير أن تغلح في زحزحته. والعيون الوحيدة التي تراقبني في شوارع غرناطة هي عيون الناس الذين لم يرحلوا بعد، فأية مأخذ يجروون على أخذها علي؟^(١)

قام الكاتب بأسلوب الحوار الطويل الذي يدور بين سعد وأستغفر الله وحامد البستاني، ويدل على أن المسلمين حينما هاجروا من غرناطة بعد سقوطها كانوا يتحدثون عن أحوال غرناطة والجنود، وهو سبب حقيقي لزوال المسلمين وسقوط الدولة المسلمة.

الأسلوب في رواية ليون الإفريقي

كتب أمين معلوف روايته "ليون الإفريقي" عام ١٩٨٧م واستمد مرجعيتها من كتاب "وصف إفريقيا" للحسن بن محمد الوزان الزياني "الزناقي" نسبة إلى قبيلة بني زيات الزناتية، الجغرافي، الرحالة العربي المسلم الذي ولد في غرناطة عام (٨٩٠هـ - ١٤٩٠م) قضى حياته كلها في الحلّ والترحال، ومبعوثاً دبلوماسياً في المفاوضات السياسية والتجارية، وتعد هذه الرواية سيرة ذاتيةً خياليةً عن هذه الشخصية، كتبها معلوف ليجسد الطابع الذي كان قائماً في الواقع لبناء قصة طويلة، ورحلة خيالية جميلة.

(١) ليون الإفريقي، ص: ٨٠-٨٣.

يمثل ليون الإفريقي في التاريخ الحقيقي شخصية الحسن بن الوزان، الرحالة المقدم، المستكشف الشاهد على أحداث قرنه.^(١)

تبدأ رواية "ليون الإفريقي" من النهاية، فهي تنتهي حيث تبدأ، وتعدّ بدايتها تكملة للنهاية. وفي تحديد الرؤية الشمولية لأحد أهم أقطاب التاريخ في صورة جديدة.^(٢) هيكل الرواية "ليون الإفريقي" بموضوعها المتمثل بسقوط غرناطة، وهو هيكل ينهض على عمودين رئيسين:

الأول: التاريخ، وهذا يتمثل بعنصر التابع الزمني المثبت بالتاريخ لأحداث الفصول الستة التي بدأت بعام ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م، وانتهت تبعاً بعام ٨٩٩هـ / ١٤٩٤م، وفي هذا إحالة وثائقية تاريخية ثابتة تشكل في الرواية عمودها الأول.

الثاني: الفن، وهذا يتمثل باستدعاء شخصية حسن بن محمد الوزان، وهو الشخصية الأساسية في العمل الروائي، وقد استحضره الكاتب ليكون راوياً لعصره، وناقلاً لأحداث سمعها من أمه وأبيه وخاله الذين عايشوا سقوط المدينة والخروج إلى المنفى، حين كان الحسن في سنوات طفولته الأولى، وهو شخصية منتحلة في سياقها السردى الروائي، رغم كونها حقيقية في سياقها التاريخي الواقعي.^(٣)

الراوي الشخصية المحورية في الرواية التي كتب سيرتها بضمير المتكلم، الذي سرد من خلاله الرواية التي كان الراوي نفسه بطلها، والرواية أقرب ما تكون إلى السيرة الذاتية

(١) الهوية الثقافية المركبة المتناصة: كتاب وصف إفريقيا للحسن بن الوزان ورواية ليون الإفريقي لأمين معلوف نموذجاً، للباحثة: فتيحة عاشوري، ٢ / ٢٦٩-٢٨٨، أشغال المؤتمر الدولي السنوي لمؤسسة مقاربات: الذاكرة والبناء الثقافي، فاس المغرب، مارس ٢٠١٩م.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧٣.

(٣) الرحالة الأندلسي الحسن بن الوزان، محمد بن عبد الله عنان، مجلة العربي، ص: ٧٣-٧٧، العدد: ٤٣، ١ يونيو ١٩٦٢م.

وانظر: الحسن بن محمد الوزان رحالة عربي ومصنف فرنجي، جمال زكريا قاسم، مجلة العربي، ص: ٩٤-٩٩، العدد: ١٦٢، ١ يونيو ١٩٧٢م.

التاريخي والروائي في ليون الإفريقي لأمين معلوف، نجمة عبد الله إدريس، مجلة حقول، كتاب دوري، النادي الأدبي في الرياض - السعودية، يونيو ٢٠٠٤م.

أو المذكرات، حيث سرد الراوي قصة حياته منذ ولادته وحتى بلوغه سن الأربعين، وقد اعتمد على ضمير المتكلم؛ للإيهام بواقعية الأحداث.

قام الراوي بالسرد على لسان أمه في أحداث السنة الأولى من عمره، وتولى خاله سرد أحداث السنة الثانية من منظوره الخاص، ثم قام أبوه بسرد أحداث السنة الثالثة، ثم تشارك الأب والأم كل على حدة في سرد أحداث السنة الرابعة وفق رؤية كل منهما، ولخص الراوي قصة حياته بضمير المتكلم.

كما يقول: خُتنت أنا حسن بن محمد الوزان يوحنا ليون دومديتشي، بيد مزين، وعُمدت بيد أحد البابوات، وأدعى اليوم الإفريقي.^(١)

يعني اعتمد السرد في الرواية على أسلوب الكلام المباشر، واعتمد الكاتب على المادة التاريخية، واستطاع أن ينوّع في صيغ السرد، كما اعتمد على أسلوب تعدّد الرواة، الذي قدم خدمةً فنيةً للرواية، وساعد في خلق جوٍّ من تعدد صيغ السرد ما بين التذكر والوصف والارتداد والاستشراق، مما كان له اتصالٌ بالزمن. استلهم الكاتب آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والشعر العربي، ووظف ذلك في روايته.

ضمن عام الرحيل، داعيا الناس إلى الرحيل والهجرة من بلدٍ تُنتهك فيه تعاليم الدين الحنيف، ويُشتم فيه الكتاب، والنبي صلى الله عليه وسلم، مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

﴿٩٧﴾. (٢)

وقد أورد الروائي في روايته حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً). (٣)

(١) ليون الإفريقي، ص: ٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ٢/ ٨٦٣، برقم: ٢٣١١ و ٦/ ٢٥٥٠، برقم: ٦٥٥٢. ليون الإفريقي، ص: ١١٦.

فسر الناس هذه الكلمات كما فسرهما الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه عندما قيل له: كيف ننصر الظالم؟ وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: تنصرونه بالتغلب عليه، ومنعه من الضرر.^(١)

وقد ساق الكاتب هذا الحديث في سياق عدم الاعتداء على الحمالين في أسواق فاس.
مثال الشعر:

في وصف مدينة غرناطة التي قال فيها الشاعر:^(٢)

غرناطة ما لها نظير ما مصر ما الشام ما العراق
ما هي إلا العروس تجلّى وتلك من جملة الصداق

(١) هذه رواية بالمعنى، ونص الحديث: (أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: (تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ). أخرجه البخاري في صحيحه، ٦ / ٢٥٥٠، رقم: ٦٥٥٢.

(٢) لا يعرف قائله، انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ١ / ١٤٨، دار صادر بيروت، لبنان، ط / ١، ١٩٠٠ م.

السرد والأسلوب والحوار في رواية "حدائق النور"

تقع رواية "حدائق النور" المترجمة في (٢٨٨) صفحة من الحجم المتوسط والأنيق، وهو شكل ملائم للقراءة الروائية، مع تصميم الغلاف لفارس غضوب، بطريقة مثيرة ومديدة، كانت ترجمات عفيف دمشقية لأعمال معلوف مميزة وخاصة.

السرد في الرواية:

الإخبار السردى: وهو الحب الحقيقي في العمل الروائي بكل وظائفه وفنياته وأشكاله ومكوناته المتباينة. نوع الجمل المستعملة وشعرية اللغة وطرق تركيب العبارات تلعب دوراً أساسياً في ذلك، مثلاً:

"يسخر المتعلمون مخاوف العامة، فهم الذين يحبون المعرفة أكثر من حبهم القوة أو الثروة، بل حتى العادة يفاخرون بتقديس "نبو" أكثر من أي إله آخر، يجتمعون يوم الأربعاء، اليوم المخصّص لوثنهم في حرم العبيد فيشكلون، بوصفهم ناسخين أو تجاراً أو موظفين ملكيين، حلقاتٍ صغيرة نشطة وبليغة، تتسكع كل منها تبعاً لتقاليدها. فبعضها يسلك الممشى المركزي، ويطوف حول المحراب، وصولاً إلى الحوض البيضوي الذي تسبح فيه الأسماك المقدسة..."^(١)

الوصف:

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى صعوبة الفصل بين الوصف والسرد، إلا من باب منهجيٍّ أو تحليليٍّ، فالتمييز على المستوى العملي ليس بسيطاً.^(٢) هو الأمر الذي دفع بالباحث "جيرار جنيت" إلى دراسة طبيعة كل منها على حدة، وتوصل في دراسته إلى أن القانون الذى يحكم السرد هو غير قانون الوصف. إنه من الصعب أن نجد سرداً دون أن يكون متلبساً أو متبوعاً بوصف، وبسبب ذلك قد يكون المقطع السردى نوعاً من أنواع الوصف. وبغض النظر عن وظائف الحكى، سواء أكانت جمالية أم تعبيرية، تشرح

(١) حدائق النور، ص: ٩.

(٢) بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، حميد حمداني، ص: ٢٨، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،

مواقف وأفكاراً وسلوكاً. اخترت هذا المقطع الدالّ على وصف الشخصية وتقديم فكرة عنها من زاوية واحدة، وهو (اللباس) كما جاء في العبارة:

(كان ماني يلبس سراويل فضفاضة، بساقين مصبوغتين بالأصفر المحاكي لون "الكراث"، هذا ما نقله خبرٌ مدوّنٌ مغرّقٌ في القدم، وكان على كتفيه قباء أزرق سماوي، وكان قميصه، على الرغم من بياض لونه مرصعاً بأزهارٍ رسمها الرسام بنفسه، في مواسم انتظارٍ كثيفةٍ، وهو يحلم، كما يطرز جهاز العروس).^(١)

نلاحظ هذا المقطع غنياً من حيث دلالة الوصف وارتباطه بثقافة معينة، والموحية بجملة من العناصر انطلاقاً من نوعية اللباس، والألوان المتعلقة بالبيئة، والحالة وغير ذلك مما يتعلق بعادات وتقاليد مميزة بجنس معين، وفي زمن محدد، وعليه فإن الترجمة في هذه المقاطع لا تعطي نفسها بسهولة للأسباب المذكورة.

الحوار في الرواية:

وهو على تنوعه في الرواية أسهل المستويات، الجمل المستعملة مع الحوار ثلاثة أنواع في الرواية: الحوار الخفيف، والحوار المتوسط، والحوار القصير المكثف.

نموذج الحوار:

وسأل الأمير "ماني": أية حمولة جلبت ؟

أقوالي، ولا شيء غير ذلك.

إنها لبضاعةٌ عجيبة!

واستأنف قائلاً وكأن العبارة قد أعجبته حقاً: ما أروع الكلام من بضاعةٍ، فهو لا يزن شيئاً في عنابر السفن، ويمكن أن يغنيك إن أحسنت مقايضته بالمال.

وإذا خشي أن يلتبس أمر تلميحاته على أخصائه، فقد شرح قائلاً: هذا الرجل رواية! وسوف أستدعيه من أجل أمسيات القوَاد...

ويشعر الشاب اليربقي أنه في أرض صديقة، اسمي "ياتيغ وأصلي من (أيكبتان)، هي اليوم (همدان) في (إيران).

وأنا "سيتابي، من (تدمر).

لباسك ليس لباس أبناء مدينتك، وأحاديثك ليست أحاديث أبناء طبقتك.

(١) حدائق النور، ص: ٨٠.

أدفع الرجل ردهً بحركة انزعاج. وتابع "باتيغ" الذي لم يلاحظ شيئاً.
 (تدمر) أصبح أنه أقيم فيها محرابٌ بلا صنم، مهدىً إلى "إله مجهول".
 وترك الآخر لحظةً طويلةً تمرّ قبل أن يجيب بفتورٍ متعمدٍ: على هذا فأنت لم تزر قطّ ذلك
 المكان، لا بد أنك تركت مدينتك منذ زمن طويل، حينما جاء مايني إلى بيت مالكوس.
 قال مالكوس: "أهلاً بك هنا، فهذا البيت بيتك، وأنت تعرف ذلك. إذا كان هناك من بيتٍ
 في الدنيا يمكن أن يكون بيتي فسيكون هذا، بيد أني لن أكون سوى عابر سبيل.
 إلى أين أنت ذاهب؟

هذا الأمر ما زلت أجهله، وبانتظار ما سيكون، فهل تمنحني المأوى لهذه الليلة؟
 هذه الليلة، واللييلة القادمة، وكل ليالي حياتي من أجل غدٍ أطلب إليك ذلك غداً.
 لقد ودّ "مالكوس" لو يحتجّ، بيد أنه عرف لدى صديقه تلك النبرة البعيدة المنقطعة بغتةً،
 وكأنها صادرة عن مريضٍ، وما كان إلاّ الحاح ليجدي، والأفضل تغيير الموضوع.^(١)

الأسلوب في رواية "حدائق النور"

أولاً - اللغة:

ارتباط أمين معلوف باللغة الأم وعلاقته الخاصة بها، واللغة هي الكل من الرصيد
 الثقافي، والطاقت التخييلية والمرجع الحضاري العربي بكل حمولته التاريخية، وكأن الكتابة
 هي أصلاً كتابته باللغة العربية لكن ترجمت إلى اللغة الفرنسية. ينفرد أمين معلوف عن
 باقي الكتاب الفرنسيين بذلك التعبير العربي، واستعمال أدوات السرد المستمدة من
 الثقافة العربية بكل مرجعياتها، انطلاقاً من ابن المقفع، أشكال القصة والراوي، ووصولاً
 إلى الكتاب الكبار في عصري النهضة والحديث، لكنه من حيث الأسلوب يعود إلى
 عمقٍ تاريخيٍّ أبعد من ذلك حيث نجده يقتبس من التراث الإسلامي.

الصورة الروائية: الأساليب العربية:

بعض الأمثلة التي وردت في الرواية بالروح العربية:

- كانت البنية تغشى هذه الأطلال المؤلفة من مخابئ لا تنضب، ونبوءات من
 الغبار والحجارة، كانت تدوسها من غير ما حنين.^(٢)

(١) حدائق النور، ص: ١٣٦-١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

كانت كلّوية تلك الفتاة المراهقة التي تعلق بها مالكوس صديق ماني، وهي تعلقت ماني أيضاً، وكانت تسكن مع والدها العجوز في جناح منزل قديم متهالك، كان يوماً ما من أجمل القصور التي ينزل بها الناس، وقيمون فيها الحفلات، وأصبح الآن مهجوراً، مليئاً بالتراب والغبار.

● (تحفّف فوق هذا الثرى، سر من غير أن تشدد الوطاء، تجنب الحركات الفظة، لا تقتل الأشجار ولا الأزهار، تظاهر بجرث الأرض، ولكن لا تجرحها، بل اكتفِ بمداعتها، وعندما يرفع الآخرون عقائرهم حرك شفتيك، ولا ترفع عقيرتك).^(١)

هذه بعض أفكار ماني، رسول المحبة والسلام، ولعل القارئ بادئ الأمر لا يدرك كنه هذه العبارات، قبل أن يقف على تاريخ ماني، الذي ألحقه والده بأصحاب الملابس البيضاء في البستان، ليتلقى منهم التربية والدين والسلوك، لكنه كان يداريهم، لا يمشي على نهجهم ولكن لا يخالفهم جهراً، وهذه العبارات جزء من فكره الذي صرّح به لزميله مالكوس، وماني كان يخطط لنهج جديد مستقل خاص به.

هذه العبارة جاءت على السليقة العربية، وأيضاً أدبيات التربية والنهج والإرشاد كلها على الطريقة العربية في النص الفرنسي، ألا يكون بذلك أمين معلوف باح بمشاعره العربية الروح في اللغة الفرنسية؟ وكأنه هو المترجم الأول لأعماله.

أمثلة أخرى للأساليب العربية:

● ولم يكن جلاده "سيتايي" ليريد أن يقدم للقرويين المجاورين مشهداً كفيلاً بأن يغذّي شكوكهم.^(٢)

مالكوس وصديقه ماني كانا يترددان على أهل القرية خارج البستان، ويزوران بعض الوثنيين من اليونانيين، ولذلك عاقب سيتايي (مرشد أصحاب الملابس البيضاء) الشاب مالكوس، وقام ثلاثة أشخاص بجلده وضربه بشدة، وكان يعرف أن مالكوس

(١) حدائق النور، ص: ٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٤.

سيهرب، ولكنه لم يعاقبه مرةً أخرى حتى لا يثير شكوك القرويين بأن المرشد يضرب أعوانه في البستان.

● من سيتولى إذن نصب الخيام وإعداد الطعام لنا؟^(١)

وجه هذا السؤال مالكوس لصديقه ماني، لما أراد المسير لنشر دعوة ماني، وأجاب ماني بأن الحكماء لا يحملون من الزاد في أسفار دعوتهم سوى فكر الدعوة والحكمة، فالناس محتاجون إلى حكمتهم، ولا بأس بأن يأكل الحكيم من زاد الشعب.

● فقد أسهمت بقدر ما أسهم والدي في بناء هذه "الإمبراطورية"، وقد أشركني أثناء حياته في العرش...^(٢)

هذه الجملة من كلام الإمبراطور شاهبور وهو يخاطب ماني الذي جاء بدينه الجديد ودعوته، وشاهبور يميل إلى قبول دعوة ماني، ويدرك خيرها، لكنه يخشى سطوة الكهنة، كما يعترض على إلغاء الطبقات في المجتمع، وينصح ماني بعدم الاصطدام بطبقة الكهنة وطبقة المحاربين.

إن هذا الشكل من الكتابة، وبهذه الطريقة الإبداعية المتأصلة نشعر كأن النص كتب في الأصل باللغة العربية.

ثانياً: الأساليب المختلفة:

"الأساليب القرآنية والدينية"، ومثال ذلك: أيها الناس احذروا النار فإنها ليست سوى خيبة وخداع، ترونها قريبة في حين أنها بعيدة، وبعيدة في أنها قريبة.^(٣) نفهم من هذه الفقرة أن هذا أسلوب قرآني، فما أكثر الآيات التي تحذر الناس من نار جهنم، وهم غافلون عنها، لكنها قريبة للمجرمين.

بعض الأحيان الفكرة التي يتضمنها الأسلوب الديني، مثلاً:

"إنه هو (الرب) الذي يطلق الأسماء والكلمات، ومن أجله حطمت الأصنام؟".^(٤)

(١) حدائق النور، ص: ١١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٨.

هذا الحوار جرى بين باتيغ والد ماني، وبين سيتايي، الذي كان يدعو إلى جماعته أصحاب الملابس البيضاء، ويبين له بأن ربه هو الذي يمنح الأشياء أسماءها، وهو الذي يطلق كلماته في الخلائق، ومن أجل هذا الإله الرب الحق سبحانه تحطم الأصنام كلها. والسرد بمستوياته الثلاثة من الإخبار والوصف والحوار مستعملة في رواية "حدائق النور".

(٤) حدائق النور، ص: ١٤.

اللغة والحوار والسرد في رواية

”القرن الأول بعد بياتريس“

هذه الرواية كتبها الروائي الفرنسي اللبناني أمين معلوف باللغة الفرنسية، وعنوانها: (Le Premier siècle après Béatrice)، وترجمتها نخلة بيضون إلى العربية، ولها ترجمة أخرى أيضاً لروز مخلوف، وتقع الرواية في ستة وعشرين فصلاً، رمز الروائي لكل فصلٍ بحرفٍ من الألف إلى الهاء، وتقع الرواية في حوالي ١٨٩ صفحة، ويتصدر الغلاف صورة فتاةٍ شقراء خضراء العينين. وأهدى أمين معلوف عمله الروائي هذا قائلاً: (إلى أُمي).^(١) ثم اقتبس فقرةً للروائي غيوم أبولينير^(٢) من ديوانه الشعري (كحول) قائلاً: (أنت جالسٌ في حديقة نزلٍ بضواحي براغ، تغمرك السعادة، وأمامك وردةٌ على الطاولة، وبدلاً من كتابة قصتك المنشورة تتأمل الحشرة الراقدة في قلب الوردة).^(٣)

عنوان الرواية (القرن الأول بعد بياتريس): بياتريس هي ابنة البروفيسور ج. التي أنجبها بدون زواج من صديقه الصحافية كلارنس، وكان الأب ينتظرها قبل ولادتها بسنوات، وأحبها حباً عظيماً، حتى أنه بدأ يؤرخ للأشياء منذ ولادتها، ويقول: (... بولادة بياتريس لقد بدأ عصر جديد بالنسبة إلى قبيلتي الصغيرة، وربما سائر البشرية).^(٤) ويقول كذلك: (هل يلومني أحدٌ على تأريخ الأحداث حسب ولادة ابنتي؟! فلديّ أسبابي التي لن يفوت القراء المتساحون اكتشافها، ومن ثم فبياتريس ولدت بطبيعة الأحوال في بداية القرن تقريباً).^(٥)

(١) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ٦.

(٢) غيوم أبولينير: بولندي الأصل فرنسي الجنسية، شاعر وروائي وقاص وكاتب مسرحي وناقد فني، ولد ١٨٨٠م، وتوفي ١٩١٨م.

(٣) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ٧.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٨٠.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٠٥.

أصل الرواية باللغة الفرنسية، ولدنا ترجمة بالعربية، قامت بها الأستاذة نهلة بيبزون، وهي ترجمة جيدة الصياغة اللغوية، سليمة التراكيب، سلسلة وممتعة، لا يحس القارئ بأنه يقرأ رواية مترجمة، بل يشعر كأنه أمام الرواية بلغتها الأم العربية، وتوجد بعض الأخطاء النحوية في الترجمة، مثل: لم يتهاوى، وبعض التعبيرات اللغوية غير السليمة، مثل: في سلة المهملات خاصتي،^(١) أما كلارنس خاصتي.^(٢)

السرد في الرواية:

ومن أجمل صفات السرد في هذه الرواية الوصف، أي وصف الشخصيات، ووصف الأحداث، ووصف الأماكن. وفيما يلي نموذج لكل منها:

وصف الشخصيات:

يصف معلوف إحدى شخصيات الرواية على لسان بطل الرواية البروفيسور ج. قائلاً: (هكذا دخلت كلارنس حياتي ... هذا الحضور غير المفتون، هذا الحضور غير المتسامح الذي كنت أتمناه بكل جوارحي، سوف أملكه طوال حياتي دون تسامح، ولكن دون ازدراء ودون سأم ... كانت أقل درايةً وأصغر سناً، وكانت أنثى بكل ما للأنوثة من معنى. أذكر أن نظري وقع للوهلة الأولى على شفيتها اللتين تشبهان زورقين ورديين داكنين يبحران بعيداً كما نرى على بعض الجداريات الفرعونية، وأني تأملتُ كتفيها طويلاً ... كانت زائرتي ترتدي كنزةً من صوف الأنغورا الأبيض، متألفة ومتحفظة معاً، تتهدل من كل طرف على أعلى الذراعين، وتلتف حول كتفين يانعين، شامخين ناعمين، سمراوين وعاريين ... جلست كلارنس أمامي مضمومة الركبتين، كأكثر طالباقي خفراً ... كانت ابتسامتها مشعة ... نفضت شعرها الكستنائي ... كانت عائلتها المتحدرة من مولدافيا قد تنقلت بين سالونيك والإسكندرية وطنجة ثم سبت حيث أبصرت كلارنس النور ... وهي في التاسعة والعشرين).^(٣)

(١) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣٣.

وصف الأحداث:

(بعد دقائق معدودة، لاحظني فتیان من الباعة، ودسّ أصغرهما على الفور علبة في يدي، لوحت بورقة العشرة دولارات، مصمما على التظاهر بالاستهجان الحقيقي لو طالبني بالمزيد، وكم فوجئت عندما وضع يده في جيبه ليعيد لي الفكة، حاولت إفهامه بأنه يستطيع الاحتفاظ ببقية النقود، ولكنه أصر على أن يرجع لي حقي حتى آخر مليم، فلماذا أثنيه عن نواياه الحميدة؟! وانتظرت راضيا وسط زحمة خانقة، أن يجمع في راحة يده المبلغ الذي يريد إرجاعه لي، لم تكن سوى قطع نقدية خفيفة، ولكن الأعمال بالنوايا، أليس كذلك؟ شكرته مرتباً على كتفه، وقفلت عائداً إلى الفندق، باحثاً عن الزميل الدانمركي).^(١)

وصف الأماكن:

يصف الراوي البروفيسور ج. حديقته قائلاً:
(مزرعة أرافيس الواقعة في جبال الألب بمنطقة سافوا العليا، حيث تملك عائلتي، منذ أربعة أجيال، جزءاً من جبل، وحظيرة مواشٍ، ومغارة وكوخاً للرعيان، وكلها مهملة، ولا درب يؤدي إليها، وكانت المزرعة مهجورة).^(٢)

الحوارات في الرواية:

أغلب الحوارات السردية تجري على لسان الراوي، البروفيسور ج.، وهو راوٍ مشارك في أحداث الرواية وشاهدٌ عليها، وكذلك تأخذ الشخصيات الأخرى المساندة للشخصية الرئيسية مكاناً من السرد والحوارات، مثل: صديقة الراوي الصحافية كلارنس، وصديقه أندريه فالوريس.

ويمهد الراوي بالتعريف والوصف لحالة الشخصيات الرئيسية والثانوية في عدة مواضع من الرواية قبل وجود الحوارات فيما بينها على النحو التالي:

أولاً- يقدم نفسه للقارئ في عدة مواضع قائلاً: (كنت مجرد شاهد على الأحداث التي أدونها على هذه الصفحات، شاهد من بين الشهود... فقد احتفظ

(١) القرن الأول بعد يياتريس، ص: ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.

طلابي عني بأجمل الذكريات... أمضيت كل حياتي إلى طاولة عملي، واقتصرت أسفاري على التنقل بين حديقتي ومخبري... في شقتي الفسيحة الكائنة في شارع جوفروا سانت هيلار مقابل حديقة النباتات).^(١)

ثانياً- يقدم صديقه الصحافية كلارنس: (هكذا دخلت كلارنس حياتي... ثم تلاقينا وتحادثنا وهامسنا وتعانقنا وتلاصقنا وتحاببنا دون عجلة ودون موعد... كنت وقتئذٍ في الواحدة والأربعين من العمر، وهي في التاسعة والعشرين).^(٢)

ثالثاً- يقدم صديقه أندريه فالوريس قائلاً: (كان صديقي الحميم... كانت صديقتنا قديمة قدم الطفولة، فهو كان أصلاً صديقاً لوالدي، وبمناوبة عرابي... اعتدنا اللقاء مرتين في العام... كان طويل القامة ملتحيًا وبدينًا).^(٣)

رابعاً- أما عمانويل لبيف فيقدمه على لسان صديقه أندريه فالوريس: (إنه صديقٌ قديمٌ جداً، وقد لجأت أسرتانا في الفترة نفسها إلى جنيف إبان الحرب العالمية الثانية).^(٤)

خامساً- يقدم بياتريس: (أبصرت بياتريس النور في الليلة الأخيرة من شهر آب... كانت تلميذة ذكيةً إنما مشاغبة، قليلة النوم وشرهة).^(٥)

سادساً- يقدم مرسى: (كان والده مصرياً وأمه فرنسية... عاش دائماً في فرنسا أو سويسرا، وزار القاهرة مرتين فقط).^(٦)

وهكذا مع بقية الشخصيات الثانوية في الرواية، يقدمها الراوي البروفيسور ج. ويقدم معلومات عنها، في عدة مواضع من صفحات الفصل، وأحياناً تتعدد المعلومات عن الشخصية الواحدة في عدة فصول.

(١) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ٩-١٠، ١٣، ٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣، ٢٨، ٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٣-٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٧٢.

الأسلوب في الرواية:

وبما أن جزءاً من الرواية يتناول الحشرات؛ فقد أورد الروائي كثيراً من المصطلحات اللغوية الخاصة بالحشرات، مثل: الذبابة، يرقانة، حشرة الفيلوكسرا، القمل الياباني، بعوضة الملاريا، حشرة تسي تسي، العث، الجعران، الجراد، الجنادب، الفراشات، أربع وأربعين، رتيلاء، الدودة.

وفي الرواية بعض الألفاظ العامية العربية، مثل: الفكّة (صرف النقود)، البرشان، كما أوردت المترجمة بعض الألفاظ الأجنبية كما هي، مثل: الفيزيولوجية.

وفي الرواية بعض التشبيهات البليغة أو الساخرة، مثل:

- أجبت متلعثماً كوالد تلميذٍ مشاغِبٍ.^(١)
 - إنها أشبه بوكيل عمالٍ بدينٍ يلبس تنانير مجمدةً.^(٢)
 - لقد انهالت عليّ رسائله كالسيل الجارف.^(٣)
 - هناك بعض الكلمات يكون التلفظ بها أشبه بسكب قطرةٍ من الحامض في كوب من الحليب الساخن، فسرعان ما يتخثر الحليب، وينفصل اللبن عنه.^(٤)
- وأسماء الشخصيات في الرواية أسماء غريبة، مثل:

(عمانويل ليف، أندريه فالوريس، كلارنس، بياتريس، موريل فاست، دون غريشوين، إيمي راندوم، هويير فافر بوني، بول برادان، كريستنسن)، سوى اسم مرسى المصري (صديق بياتريس)، وعبدان (الجنرال الأفريقي)، وأوهورو صاحبة الفندق في أفريقيا.

(١) القرن الأول بعد بياتريس، ص: ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٤٩.

الباب الرابع

الدراسة الفنية لروايات

عنايت الله التمش التاريخية

فيه فصلان:

الفصل الأول

الحدث والشخصيات في روايات

عنايت الله التمش التاريخية

الفصل الثاني

السرد والحوار والأسلوب في روايات

عنايت الله التمش التاريخية

الفصل الأول

الحدث والشخصيات في روايات

عنايت الله التمش التاريخية

الحدث والشخصيات في روايات عنايت الله التمش التاريخية

هذا الفصل يشتمل على النقاط التالية:

- الأحداث والشخصيات في رواية (حكاية الخونة باعة الإيمان).
- الأحداث والشخصيات في رواية (السيف المسلول).
- الأحداث والشخصيات في رواية (عاصفة الحجاز).
- الأحداث والشخصيات في رواية (ولادة محطم التماثيل).
- الأحداث والشخصيات في رواية (أفعى الأندلس).
- الأحداث والشخصيات في رواية (الأمير تيمور).
- الأحداث والشخصيات في رواية (وظل النيل يجري).
- الأحداث والشخصيات في رواية (في سجن دمشق).

الأحداث والشخصيات في رواية

داستان ایمان فروشون کی = حکایة الخونة باعة الإيمان

الأحداث في الرواية:

في رواية: داستان ایمان فروشون کی = حکایة الخونة باعة الإيمان: بيان لقصة الحروب التي خاضها السلطان صلاح الدين الأيوبي، ضد الجواسيس الصليبيين، وفرقة الاغتيالات التابعة للحسن بن الصباح، ويفيد الروائي بأنه استقى معلومات الرواية من المؤرخين والمؤلفين: هيرالد ليم، لين بول، وليم أف تاير، قاضي بهاء الدين شداد، محمد فريد أبو حديد، الواقدي، الجنرال محمد أكبر خان، أسد الأسدي، وغيرهم.

وأكثر الحكايات في هذه الرواية حكايات وقصص جاسوسية، إذ لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي شبكة من الاستخبارات، يعمل فيها علي بن سفيان جاسوساً، ومعه مساعدان: زهران وحسن بن عبد الله، وفي الطرف المقابل الجاسوس (هرمن) الذي يعمل لصالح الصليبيين، ومعه شبكة من الجواسيس تتكون من الفتيات الجميلات، أو أئمة المساجد الذي يظهرون التقوى، ويحصلون بالرياء على المكانة في قلوب الناس، وتعمل هذه الشبكة على استمالة الحكام والأمراء والقادة العسكريين المسلمين لمصلحة الصليبيين، عبر إغرائهم بالمال والفتيات الجميلات، وشراء ذممهم وضمايرهم الرخيصة.

وتبدأ أحداث الرواية من تعيين صلاح الدين الأيوبي قائداً، وإرساله إلى مصر، في ٢٣ مارس سنة ١١٦٩م.^(١)

عندما عين صلاح الدين الأيوبي قائداً وذهب إلى مصر، استقبله القادة في الجيش ورحبوا به في الظاهر، وأقاموا حفلة صاخبة في الليل، وشرب فيها الجنود الخمر وسكروا، ولكن في الباطن كانت المؤامرات تحاك ضده، وكان من المتآمرين ضده ناجي، وهو قائد عسكري، يقود خمسين ألفاً من الجنود السودان، وأظهر الولاء والطاعة لصلاح

(١) داستان ایمان فروشون کی = حکایة الخونة باعة الإيمان، عنايت الله التمش، ص: ١٢.

الدين الأيوبي، ولكن كان يخطط للتآمر ضده في الخفاء،^(١) إذ اشترى جارية ذكية، ورباها على استمالة صلاح الدين الأيوبي، وأرسلها إلى خيمته في الليل، ولكن الفتاة (زكوئي) أفشت أسرار ناجي وكل ما سمعته منه، إلى علي بن سفيان وصلاح الدين الأيوبي،^(٢) لأنها في الحقيقة كانت من جواسيس شبكة علي بن سفيان.

وفي اليوم التالي أصدر صلاح الدين الأيوبي قراراً بضم الجنود السودانيين إلى الجيش المصري، وطلب ناجي للعمل في القيادة المركزية للجيش، وتجريده من رتبة القيادة، وهذا القرار أغضب ناجي، فقام بمراسلة الصليبيين وطلب المدد منهم ضد صلاح الدين الأيوبي، وحاول ناجي أن يحرض الجيش السوداني على الثورة والعصيان، ولكن لما جاء المدد من الصليبيين كان لهم صلاح الدين الأيوبي بالمرصاد على ساحل البحر، فقام برميهم بالمنجنيق، واحترقت سفنهم وتحولت رماداً، ووقع الصليبيون على هزيمتهم، وأدوا ثمن الخسارة، في ١٩ ديسمبر سنة ١١٤٩ م.^(٣)

وفي نفس الوقت الذي هجم فيه الصليبيون على مصر؛ قام نور الدين زنكي بالهجوم على الصليبيين من جهة أخرى، فانشغل الصليبيون بالقتال في جبهتين في آن واحد، وواجهوا الهزيمة في كلتا الجبهتين.

قام ناجي باغتيال وزير المالية؛ لأنه كان من الأوفياء لصلاح الدين الأيوبي، وحاول ناجي مراراً تحريض الجيش السوداني ضد صلاح الدين الأيوبي، ولهذا تخلص صلاح الدين الأيوبي من ناجي في الخفاء.^(٤)

وقسم صلاح الدين الأيوبي الجيش إلى نصفين، وأشغل بعض الجنود السودانيين بالزراعة، وهكذا وأد صلاح الدين الأيوبي فتنة ناجي.^(٥)

(١) داستان ايمان فروشون كى = حكاية الخونة باعة الإيمان، ص: ١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ١ / ٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ١ / ٦٥ - ٦٦.

وفي أواخر سنة ١١٧١م هجم صلاح الدين الأيوبي على قلعة شوبك، وحاصرها،^(١) وعندما أدرك الصليبيون أنهم لا يستطيعون هزيمة صلاح الدين الأيوبي عسكرياً في ميدان الحرب؛ اتجهوا إلى أسلوب آخر، وهو استمالة القادة والأمراء العسكريين في مصر، وإغرائهم بالمال والجنس عن طريق الفتيات الساقطات،^(٢) وعندما علم صلاح الدين الأيوبي بمخطط الصليبيين؛ دعا نور الدين زنكي لمواصلة حصار كرك وقلعة شوبك، وتحرك صلاح الدين الأيوبي بجيشه إلى مصر، وحرص قادة الجيش هناك على الجهاد، وأرسلهم إلى حصار كرك وقلعة شوبك مع نور الدين زنكي، وبقي بنفسه والجيش الذي جاء به للدفاع عن مصر، وإفشال مخططات الصليبيين.^(٣)

وفي الربع الأخير من سنة ١١٧٣م، فتح نور الدين زنكي قلعة شوبك، وفتحت الكرك، واتجهت أنظار المسلمين لفتح بيت المقدس.^(٤)

وفي سنة ١١٧٤م، حصلت شبكة الاستخبارات في جيش صلاح الدين الأيوبي على معلومات مفادها بأن الصليبيين يعتزمون الهجوم على شمال مصر من ناحية الإسكندرية، وقد تحركت السرايا من جيش الصليبيين للاستيلاء على الإسكندرية، واتخاذها مقراً لهم في مصر.^(٥) واجتمعت السفن العسكرية من بلدان أوروبا للهجوم على الإسكندرية، من: أسبانيا، وألمانيا، وبريطانيا، وبلجيكا، وويسلي، وفرنسا، واليونان.^(٦)

(١) داستان ایمان فروشوں کی = حکایۃ الخونۃ باعۃ ایمان، ١ / ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه، ٢ / ١٥. انظر: صلاح الدين الأيوبي وعصره، محمد فريد أبو حديد، ص: ٤٠، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م.

(٣) المصدر نفسه، ٢ / ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ٢ / ١٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ٢ / ٢٢٣.

(٦) المصدر نفسه، ٢ / ٢٢٣.

وكان القائد الصليبي ريجنالد يريد الهجوم من جهة مصر على بيت المقدس، ولكن نور الدين زنكي كان يترصد جيش ريجنالد، فلما وصل باغته المسلمون بالهجوم، ودمر جيشه، وصار ريجنالد أسيراً لدى نور الدين زنكي.^(١)

وفي الأسبوع الأول من مايو ١١٧٤م توفي نور الدين زنكي، وتواطأ الخونة على تنصيب ابنه الملك الصالح - وعمره أحد عشر عاماً - خليفة بعده؛ حتى يستعملوه كما يريدون، ولكن أرملة نور الدين زنكي كانت امرأةً صالحةً مجاهدةً، وكانت تخبر صلاح الدين الأيوبي بكل ما يجري وراء الستار.

تحرك صلاح الدين الأيوبي ومعه سبعمائة من رجاله إلى دمشق؛ لتهنئة الخليفة، والاحتياط في حال الفوضى، وتعرض صلاح الدين الأيوبي للمواجهة وصدد طريقه في حدود دمشق،^(٢) ولكن سمحت له أرملة نور الدين زنكي، وسهلت دخوله إلى دمشق، وهرب القادة والأمراء الخونة إلى حمص؛ لطلب المدد من الصليبيين والحشاشين.^(٣)

وفي مصر كان العادل (أخو صلاح الدين) هو الحاكم النائب على مصر، وبدأ الجنود السودانيون في الجيش العصيان بقيادة (القند)، الذي كان من عملاء الصليبيين، ولكن العادل أحمد فتنة الثورة، وانتحر (القند) خوفاً من وقوعه في يد العادل.^(٤)

وفي دمشق اجتمعت الجيوش في مستهل رمضان من حلب وقيزان والموصل للقتال ضد صلاح الدين الأيوبي، ولكن حملات جيش صلاح الدين استمرت عليهم متتاليةً وزعزعت أماكنهم.^(٥)

لما فرغ صلاح الدين الأيوبي من المعارك العسكرية رجع إلى القاهرة، وبدأ في التجهيزات لتحرير بيت المقدس، واتحد الصليبيون ضد جيش المسلمين، وأمر صلاح

(١) داستان ایمان فروشوں کی = حكاية الخونة باعة الإيمان، ٢ / ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ٢ / ٢٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ٢ / ١٠.

(٤) المصدر نفسه، ٣ / ٣٥٦ - ٣٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ٣ / ٤٤٦.

الدين الأيوبي جيشه بالمسير والتقدم، وبدأ بفتح القلاع واحدةً تلو الأخرى، وتراجع الجيش الصليبي، ووصل صلاح الدين الأيوبي بجيشه إلى رملة، لكنه أدرك متأخراً أنه قد حوصر، ثم تلقى هزيمة نكراء، في أكتوبر ١١٧٧م.

وتقدم الجيش الصليبي بقيادة بالدون، بنشوة الانتصار إلى مدينة حماة، التي كانت فيها حامية عسكرية للأمير العادل، وظن بالدون أنه سيهزم هذه الحامية، وسيعتقل العادل، ثم يملي شروطه على صلاح الدين الأيوبي، ولكن جنود العادل قلبوا موازنة القتال، عن طريق حرب العصابات، وألحقوا الهزيمة بجيش بالدون.

ثم أحرق جنود السلطان مستودعا للأسلحة للصليبيين بقرب الموصل، وبدأ السلطان المسير نحو الموصل، وفتح قلعة سنجر، ثم توجه صلاح الدين الأيوبي نحو حلب، وفتح ديار بكر في طريقه، ثم حاصر حلب، وفي ١١ يونيو ١١٨٣م رحل أمير حلب عماد الدين عنها، وسلم الأهالي مدينة حلب إلى صلاح الدين الأيوبي.

واتحد الصليبيون مجدداً ضد صلاح الدين الأيوبي، ومنهم: كاي من لوزنيان، وريموند من طرابلس، وأرناط حاكم كرك، وغيرهم من ملوك الصليبيين وسلاطينهم، ونجح صلاح الدين الأيوبي في جرّ هذه الجيوش الصليبية إلى ميدان حطين، الذي اختاره ليكون أرضاً لمعركته مع الصليبيين، الذين اصطحبوا معهم أكبر قساوسة (عكرة) وصليبيها الأكبر (الصبوت)، الذي يعتقد النصارى بأنه الصليب الذي صُلب عليه عيسى عليه السلام، وتجمعت جيوش الصليبيين في حطين في يوليو ١١٨٧م، وأسر حكام الجيوش الصليبية الستة، ولم ينج من الأسر سوى رينالد، واستسلم الجيش الصليبي، وقُتل القس الأكبر، وقتل السلطان أرناط حاكم الكرك، أما البقية فقد تحقّظ عليهم بما يليق بمقامهم الملكي.

وعزم صلاح الدين الأيوبي على فتح المدن والقلاع من الصليبيين قبل تحرير بيت المقدس، فاتجه أولاً إلى عكره، وحررها بعد مقاومة وقاتل شديداً، وأسر الجاسوس (هرمن)، وفي ٢٠ يوليو ١١٨٧م فتح مدينة بيروت، وفي ٢ سبتمبر فتح مدينة عسقلان، وبدأ السلطان بمحاصرة مدينة القدس في ١١ سبتمبر ١١٨٧م.

وبعد عدة أيام من الحصار خرج زعماء الصليبيين إلى صلاح الدين الأيوبي للمباحثات، وفي هذه الأثناء فتحت بيت المقدس، ودخل السلطان بيت المقدس فاتحاً ومنتصراً يوم الجمعة ٢ أكتوبر ١١٨٧م، وسمح للنصارى بالخروج من المدينة والرحيل بعد دفع الجزية، وحرر الملك العادل كثيراً من النصارى الذين عجزوا عن دفع الدية، ودفع الجزية عوضاً عنهم.

وهاجت أوروبا بفتح المسلمين لبيت المقدس، واتحدت جيوش ألمانيا وبريطانيا وفرنسا لاستعادته من المسلمين، واتجه الجيش الألماني في مائتي ألف مقاتل، ولكن لما وصل إلى عكرة لم يبق منهم إلا عشرين ألف مقاتل، أما الباقون فقتلوا أو أسروا، أو ولوا هارين.

أما جيش بريطانيا فنزل ساحل قبرص، بقيادة الملك ريتشارد، وحاصر عكا، في ١٣ أغسطس ١١٨٩م، واستمر الحصار سنتين، خاض فيها الجيشان عدة معارك، وسعى الملك ريتشارد للصلح، لكن بعد تعرضه لخسائر فادحة.

وأثرت هذه الحروب بصورة سلبية على صحة صلاح الدين، الذي أعلن في موسم الحج بالسماح لمن أراد بالسفر لأداء فريضة الحج، ولكن كان قاصراً عن القيام بنفقات الحج، فبقي حلمه ناقصاً، وتدهورت صحته حتى توفي في دمشق في ٤ مارس ١١٩٣م.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

الصراع الدائر في هذه الرواية يصف الجهد العظيم الذي قام به السلطان صلاح الدين في الدفاع عن الأراضي الإسلامية ضد الزحف الصليبي، وكانت أعظم إنجازاته تحرير القدس بعد أن كان في قبضة الصليبيين نحو قرن من الزمن، وكذلك محاربة الخونة الداخليين المندسين في الصف الإسلامي.

والأحداث في هذه الرواية متواصلة على وتيرة واحدة، حين قام صلاح الدين بسلسلة من الحروب والمعارك، وبالتالي لا يمكن أن نصنف العقدة في الرواية في موضع

واحد بصورة فنية، نظراً لتعدد الأحداث وتشابحها، وإن كان حدث تحرير القدس هو الأبرز في الرواية، وكذلك على أرض الواقع، في سلسلة البطولات التي قام بها صلاح الدين الأيوبي، وهكذا يأتي الحل أيضاً بعد كل عقدة، متكرراً بتكرر الحدث قبله.

الشخصيات في رواية حكاية الخونة باعة الإيمان

الشخصيات: الشخصيات - عادةً في أي قصة أو رواية أو حكاية - تكون

عبارة عن سلسلة تربط حبكة القصة وصورها في شكل حوارات.

وهناك نوعان من الشخصيات:

١. دور الشخصية الرئيسية.

٢. دور الشخصية العادية أو الجانبية (الثانوية).

الشخصيات في الرواية:

السلطان صلاح الدين الأيوبي: من أهم الشخصيات الرئيسية، وهو بطل

الرواية، المنتصر في الحروب الصليبية، وهو من أصل كردي، أرسله نور الدين زنكي قائداً للجيش إلى مصر.

وضع السلطان صلاح الدين الأيوبي حداً للمؤامرات والثورات الداخلية إضافة

إلى مواجهة المؤامرات الخارجية والمعارك ضد العدو. بالإضافة إلى كونه مسلماً متديناً،

فهو أيضاً محارب شجاع، أخرج المسلمين من الظلمات إلى النور، ووضع نصب عينيه

مهمة فتح بيت المقدس حاملاً راية الإسلام، وكان أمراء مصر وقادتها العسكريون ناقلين

عليه؛ لأنه كان عقبة أمام حياة الترف والرفاهية التي كانوا يعيشونها، وكان الجندي والقائد

الذي أيقظ الأمة من سباتها، وصرف الشباب عن حياة اللهو والخمر، وسار بهم لفتح

بيت المقدس، وكان هذا الفتح هديته للأمة الإسلامية.

نور الدين زنكي: كان نور الدين زنكي هو الذي منح السلطة للسلطان صلاح

الدين الأيوبي وعينه أميراً. وظل نور الدين زنكي يرى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم

ثلاثة أيام، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بقلقه من أن الكفار (الإفرنج) يحفرون نفقاً

تحت الأرض، ويخططون لإخراج جسده الشريف من الروضة المباركة، فذهب نور الدين

زنكي بنفسه؛ لإفشال هذه المؤامرة، وصبّ النحاس المذاب حول الأطراف الأربعة للقبر

المبارك، وبنى سوراً نحاسياً حوله، وعاقب المجرمين الذين خططوا لتلك الجريمة عقوبة صارمة، كانت عبرة لكل من تسوّل له نفسه بفعلٍ مماثلٍ.

علي بن سفيان: كان قائدا لوحدة التجسس في جيش صلاح الدين الأيوبي. كان الذراع الأيمن لصلاح الدين الأيوبي، ورجلاً ذكياً للغاية.

بهاء الدين شهزاد: كان بهاء الدين شهزاد وفيًا مخلصًا لصلاح الدين الأيوبي مثل الذراع الأيمن له علي بن سفيان، وكان يدون في اليوميات كل الفتوحات والأمور الأخرى التي قام بها صلاح الدين الأيوبي، فمكأنته كمؤرخ لذلك الزمان، ومنه استوحى الروائي.

نجم الدين أيوب: والد صلاح الدين الأيوبي، وكان من الموالين الأوفياء لنور الدين زنكي، ويتمتع بصفات نبيلة جدًا.

أسد الدين شيركوه: كان العم الحقيقي لصلاح الدين الأيوبي، ولعب دورًا مهمًا في تدريب صلاح الدين الأيوبي وتربيته العسكرية، وظل صلاح الدين الأيوبي في رعاية عمه أكثر من رعاية والده.

حسن بن صباح: كان زعيم الفدائيين والحشاشين. خلق جنة في الدنيا وخدع الشباب للانضمام إلى جماعته، وقتل ظلماً وعدواناً كثيراً من علماء المسلمين الذين وقفوا في طريقه.

نظام الملك: كان وزيراً لإحدى الدول في العالم الإسلامي، وأسس مدرسة دينية تسمى نظام الملك، درس فيها صلاح الدين الأيوبي، اغتيل الوزير نظام الملك على يد الحشاشين عام ١٠٩١م بأمر من الرومان.

شخصيات الطابع الجانبي أو العام:

ليس من المجازفة القول بأن عناية الله التمش قد صور الشخصيات الداعمة الثانوية أيضاً مثل الشخصيات الأساسية في الرواية بطريقة جيدة جداً، وتشمل الشخصيات المشتركة الثانوية ما يلي:

ناجي: كان قائداً مهماً في الجيش المصري، وكان على ارتباط بالخونة والصليبيين.

زاكوي: كان جندياً في قوة مخبرات علي بن سفيان، لكنه كان جاسوساً للصليبيين وخائناً.

سيف الله: جاسوس مسيحي، جاء بنية قتل صلاح الدين الأيوبي، لكنه تأثر بالسلوك الحسن لصلاح الدين الأيوبي واعتنق الإسلام، وكان وفيًا لصلاح الدين حتى آخر حياته. وبالمثل، كان هناك جواسيس مثل: روبن، وهيرمان، وموجي، ولوزينفنا، الذين نشرهم المسيحيون في زوايا القاهرة ومصر لشراء ذمم المسلمين. بالإضافة إلى ذلك، بعض أمراء المسلمين وقادتهم العسكريين، الذين تأمروا ضد صلاح الدين الأيوبي، وكانوا أدوات فعالة بأيدي المسيحيين.

خادم الدين أبرق: كان على علم بأسرار صلاح الدين الأيوبي وخططه السرية بعد علي بن سفيان. كانت رتبته تساوي رتبة جنرال وقائد. لكن وقع ضحية لجاسوس مسيحي، وصار أداةً له، ومات لاحقاً.

الخليفة العاضد: كان خليفة مصر، عاشق الترف والخمر والنساء، كان حاكماً لا يهتم بالإسلام ولا بالرعيّة.

أم عرارة: مربية الخليفة العاضد، التي كانت تملأ مسامعه بالتحريض ضد صلاح الدين دائماً، وقد اختُطفَتْ وحررها من أيدي الخاطفين صلاح الدين الذي كانت ضده.

رجب: كان قائدا لقوات حرس الخليفة العاضد، كانت رتبته مثل نائب القائد. كان من خصوم السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن أنصار الخليفة العاضد المتزلفين إليه، وهو الذي قتل السلطان صلاح الدين الأيوبي.

فيض الفاطمي: خائن مصري آخر، لم يشك السلطان صلاح الدين الأيوبي قط فيه، لكنه كان متنكراً، وكان في طليعة المؤامرة لاغتيال صلاح الدين الأيوبي.

الشخصيات

هيرمان قائد وحدة التجسس في قوات الصليبيين.

- ريماند حاكم طرابلس الصليبي، وكان في طليعة المؤامرات ضد السلطان صلاح الدين الأيوبي.
- خضر الحيات ناظم القاهرة، كانت تحت إشرافه جميع حسابات النظام، وكان رجلاً تقياً ورعاً.
- صلح الدين نائب ناظم القاهرة، قتل خضر الحياة.
- محمد فريد أبو حديد مؤرخ مصري، استفاد من كتاباته معظم المؤرخين، ومنهم مؤلف النص.
- تقي الدين شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي أصبح أمير مصر خلال معركة بوك وكيرك.
- حسن بن عبد الله عضو مهم في جيش علي بن سفيان.
- زاهدان نائب، قام ببطولات كثيرة في الخطوط الأمامية.
- ريجينالت القائد الأعلى للصليبيين، رجل نافذ وجاسوس مخضرم.
- فيليب أوغسطين العدو الأكبر للمسلمين الذي كان في طليعة كل مؤامرة.
- سعدي بن سعد أدميرال البحر، القائد الأعلى للبحرية الذي انتصر في المعركة البحرية بالإسكندرية.
- لمشتكين صاحب أحد الحصون والقلاع، وكان خائناً.
- الملك الصالح نجل نور الدين زنكي الأصغر، الذي كان يبلغ من العمر ١١ عاماً فقط وقت وفاة والده.
- سيف الدين أمير الموصل الذي توج الملك الصالح نجل زنكي الأصغر.
- أرملة نور الدين لم يذكر اسمها، ولكنها كانت تدعى أرملة نور الدين زنكي.
- زنكي
- شمس الدين أمير حلب الذي تسبب في مشاكل لصلاح الدين بعد وفاة نور الدين زنكي.

صاحب حصن ممات، الذي كان في السابق مع الملك الصالح،
 لكنه كان في الواقع صديقاً للسلطان صلاح الدين لأيوبي.
 كلاهما من مسلمي الهند، وكانا من بين رجال لمشتكين، الذي
 كان يثق بهما بسبب ذكائهما وقدرتهما القتالية.

جور ديك

شمس الدين

وشاد بخت

الأحداث والشخصيات في رواية

شمشير بن نيام = السيف المسلول

الأحداث في الرواية:

في أواخر سنة ٦٢٨م، توجه خالد بن الوليد - وهو لم يسلم بعد - بمقاتليه وعددهم يتراوح بين ثلاثمائة وأربعمائة مقاتل؛ لاستطلاع خبر قافلة المسلمين القادمين إلى العمرة، بغرض السلم لا الحرب، وكانت الحراسة مشددةً حول خيمة النبي صلى الله عليه وسلم.^(١)

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثه عثمان بن أبي عفان رضي الله عنه إلى قريش للسماح للمسلمين بالعمرة، وأنهم جاؤوا مسلمين، ثم عُقد صلح الحديبية،^(٢) وكان سهيل بن عمرو مبعوث قريش، وأعجب خالد بن الوليد يومئذٍ بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبوفد المسلمين ورسالة دينهم، وعزم على الدخول في الإسلام، فهدده أبو سفيان بالقتل، ولكنه لم يلق بالاً لتهديده.

وفي اليوم التالي توجه خالد بن الوليد إلى الصحراء وسلك طريقه مهاجراً نحو المدينة، ورافقه في الطريق عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، وفي ٣١ مايو سنة ٦٢٨م التقى القرشيون الثلاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم، فرحب بهم، وعانقهم، وأدخلهم في الإسلام.^(٣) أمضى خالد بن الوليد رضي الله عنه وقته بقرب النبي صلى الله عليه

(١) شمشير بن نيام (السيف المسلول)، عنايت الله التمش، ١/ ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٢٩. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، ٢/ ٢٠٧، حققه

وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط/ ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٢٩. انظر: المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ٢/ ٧٤٦، دار

الأعلمي - بيروت، ط/ ٣، ١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ.

السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ٢/ ٢٧٧، مطبعة

مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط/ ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

السيرة النبوية، لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ٣/ ٤٤٩ - ٤٥٣، دار المعرفة - بيروت لبنان، ١٣٩٥هـ -

١٩٧٦م.

وسلم؛ ليتعلم تعاليم الدين الجديد، ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغساسنة بالشام والأردن، يدعوهم إلى الإسلام، فقتل المبعوث في الطريق، ورجع حراسه الثلاثة إلى المدينة، وتجهز جيش المسلمين للمسير، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم على الجيش زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، فاستشهد الثلاثة، وآلت قيادة الجيش إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي قاتل جيش الغساسنة، ورجع بجيش المسلمين سالماً إلى المدينة، ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم بسيف الله المسلول.^(١) وفتحت مكة، ودخل جيش المسلمين مسلماً دون قتال إلى مكة، في ٢٠ رمضان سنة ٨هـ - ١١ يناير ٦٣٠م، وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه على رأس سرية من جيش المسلمين.^(٢)

ثم شارك خالد بن الوليد رضي الله عنه في معركة هوازن، في شوال سنة ٨هـ - يناير ٦٣٠م، التي انتصر فيها المسلمون على قبيلتي هوازن وثقيف، وأسلم مالك بن عوف رئيس قبيلة ثقيف.^(٣)

وفي أكتوبر سنة ٦٣٠م، توجه النبي صلى الله عليه وسلم بالجيش إلى تبوك، وكان القصد استعراض المسلمين بالقوة لتخويف هرقل ملك الروم، وراسل النبي صلى الله عليه وسلم القبائل حول تبوك، ودخل الكثير في الدين أو أدوا الجزية، ودخلوا في الطاعة، ورجع جيش المسلمين سالماً إلى المدينة.^(٤)

ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى قبيلة بني حارثة بن كعب في نجران شمال اليمن، يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا.^(٥)

(١) شمير بے نیام = السيف المسلول، ١ / ١٣٩. انظر: المغازي، للواقدي، ٢ / ٧٦٣. السيرة النبوية، لابن هشام، ٢ / ٣٧٩. السيرة النبوية، لابن كثير، ٣ / ٤٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ١٥٧. انظر: السيرة النبوية، لابن كثير، ٣ / ٥٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ١٨٠. انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ٢ / ٢١٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) المصدر نفسه، ١ / ١٩٧. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٥ / ٢، دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٥) المصدر نفسه، ١ / ١٩٧. انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ٥ / ٥٩٢. السيرة النبوية، لابن كثير، ٤ / ١٨٨.

مدّعو النبوة الكذابون:

ظهر في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم كذابون يدعون النبوة، ومنهم: مسيلمة الكذاب من بني حنيفة في نجد، وطليحة الأسدي، والأسود العنسي الذي استولى على حضرموت والبحرين والأحساء، وعدن، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة قيس بن هبيرة، فقتلوا الأسود وهو نائم، وكان ذلك سنة ٦٣٢م، وبعدها توفي النبي صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع الأول ١١هـ - ٥ يونيو ٦٣٢م.^(١)

وتولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتكالب الأعداء على المسلمين، ولكن رغم هذه الظروف الحرجة أمر بإنفاذ وتسيير جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، فتحرك الجيش في الأول من ربيع الثاني سنة ١١هـ - ٢٤ يونيو ٦٣٢م، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جهز هذا الجيش في حياته، وأمر عليه أسامة بن زيد رضي الله عنه، وفيه كبار الصحابة، ورجع الجيش سالمًا، مكلاً بالنصر.^(٢) كما حارب الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين، وسير الجيوش لقتالهم، فسار خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال سجاح وطليحة الأسدي، فهرب طليحة، وانتهت فتنته.^(٣)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر مالك بن نويرة على البطاح، فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم منع مالك الزكاة وردها إلى قومه، وانضم إلى سجاح، وخرب ديار المسلمين، وارتد عن الإسلام، فتبعه خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقتله، ثم عرس بزوجته، وغضب عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه أقره على ذلك.^(٤) وفي شوال سنة ١١هـ - ديسمبر ٦٣٢م، قاد خالد

(١) ثمثيرة نيام = السيف المسلول، ١ / ٢٠٦. انظر: البداية والنهاية، ٦ / ٣٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ٢١٨. انظر: الصديق أبو بكر، لمحمد حسين هيكل، ص: ٧٩، الناشر: كلمات عربية - مصر، ٢٠١٣م.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ٢٢٠. انظر: الصديق أبو بكر، ص: ٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ١ / ٢٣٥. انظر: سير أعلام النبلاء، ١ / ٣٧٨.

بن الوليد رضي الله عنه الجيش المكون من ١٣٠٠٠ مقاتل ضد المرتدين، في الإمامة، وعددهم أربعون ألف، وكانت معركة ساخنة أليمة، استشهد فيها من الصحابة سبعون من حفظة القرآن الكريم، في معركة (حديقة الرحمن)، التي سميت بحديقة الموت، وقتل مسيلمة الكذاب، وانتهت فتنة الردة.^(١) في الأسبوع الأول من فبراير سنة ٦٣٢م طلب المثنى بن حارثة رضي الله عنه المدد ضد الفرس، من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وفي الأسبوع الثالث من محرم سنة ١٢هـ - مارس ٦٣٣م، ارتحل خالد بن الوليد رضي الله عنه من الإمامة، ومعه عشرة آلاف مقاتل.^(٢) وكانت أول معركة بين المسلمين والفرس في منطقة تدعى كاظمة، سنة ٦٣٣م، وسميت ذات السلاسل؛ لأن الفرس قيدوا مقاتليهم كل بضعة مقاتلين في سلسلة، وصارت هذه السلاسل نقطة ضعفهم في الهزيمة، فقتل منهم الكثير، أو ولّوا هارين.^(٣) وكانت الجبهة التالية (أليس) التي وصلها جيش المسلمين، وقد جهز الفرس أنواعاً وأصنافاً من الأطعمة، فهاجموا على الفرس، الذين لم يصمدوا، وهربوا تاركين الميدان، وكانت المؤن والأطعمة غنيمة للمسلمين.^(٤)

وفي يوليو سنة ٦٣٣م فتح المسلمون مدينتي عين التمر والأنبار،^(٥) ثم أرسل الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى دومة الجندل، مدداً إلى عياض بن غنم، فوصلها خالد بن الوليد رضي الله عنه في جمادى الآخرة ١٢هـ - أغسطس ٦٣٣م، بعد أن قطع مسافة ثلاثمائة ميل في الصحراء في عشرة أيام، وقتل جودي بن ربيع، وأعوانه، وفتحت دومة الجندل.^(٦) ولما علم الفرس برحيل جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه عن فارس؛ بدؤوا في التحرك ثانية، وجهزوا جيشاً وصل منطقتي

(١) شمشير بن نيام = السيف المسلول، ١/ ٢٣٩ - ٢٥٥. انظر: الصديق أبو بكر، ص: ١٠٣ - ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٩٢. انظر: الصديق أبو بكر، ص: ١٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٢٩٥. انظر: الصديق أبو بكر، ص: ١٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ٣٩٨. انظر: سير أعلام النبلاء، راشدون/ ٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ٢/ ٣٦ - ٤٨. سير أعلام النبلاء، راشدون/ ٦٢. انظر: الصديق أبو بكر، ص: ١٩٨.

(٦) المصدر نفسه، ٢/ ٥٦. انظر: الصديق أبو بكر، ص: ١٨٣.

(حصيد) و(الخنافس) لملاقاة المسلمين، ولما وصل الخبر إلى مسامع خالد بن الوليد تحرك فوراً بجيشه وهجم مباغتاً على الفرس، ولم يترك لهم فرصة وصول المدد، فوصل الخبر بهروب جيش الفرس في الحصيد، والخنافس.^(١) وفي الأسبوع الأول من صفر سنة ١٣هـ - أبريل ٦٣٤م تلقى الجيش الحكم بالرحيل إلى الشام، وفي ربيع الآخر ١٣هـ - يونيو ٦٣٤م، فرجع المثنى بن حارثة رضي الله عنه إلى الحيرة، وسلك خالد بن الوليد رضي الله عنه طريق الصحراء ومعه (٩٠٠٠) مقاتل، مات بعضهم من الحر والعطش، وكانت قلعة (أرك) الأولى التي استسلمت وقبلت بدفع الجزية، وبعدها دفع الجزية النصارى من أهل (سخنة) و(قدمة).^(٢) تقع مدينة مرج راهط على بعد عشرة أميال من دمشق، فوصل الخبر إلى مركز حكومتها في بصرى بوصول المسلمين، فأراد الغساسنة هزيمة المسلمين بالخدعة، ولكن باءت خطتهم بالفشل، وهزم الجيش الرومي.^(٣) وفتحت بصرى في يوليو ٦٣٤م.^(٤) وفي ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣هـ - ٢٩ يوليو ٦٣٤م، هزم جيش المسلمين في أجنادين جيش الروم النصارى.^(٥) وفي ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ - ٢٠ أغسطس ٦٣٤م، وصل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى دمشق، وحاصرها، وكتب إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه رسالة طويلة، يبشره فيها بفتح دمشق، في شعبان سنة ١٣هـ - أكتوبر ٦٣٤م.^(٦) ولكن توفي أثناء ذلك الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وجاء الجواب من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعزل خالد بن الوليد رضي الله عنه، وتولية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أميراً على

(١) شمشير بے نیام = السيف المسلول، ١١٧ / ٢. انظر: تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، ٣ / ٣٨٠، دار التراث - بيروت، ط / ٢، ١٣٨٧هـ.

(٢) المصدر نفسه، ١٣٤ / ٢. انظر: سير أعلام النبلاء، ١ / ٣٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ١٣٦ / ٢. انظر: سير أعلام النبلاء، راشدون / ٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ١٥٠ / ٢.

(٥) المصدر نفسه، ١٥٦ / ٢. انظر: البداية والنهاية، ٣ / ٤١٧.

(٦) البداية والنهاية، ٧ / ١٩.

الجيش.^(١) وفي آخر أسبوع من ذي الحجة سنة ١٣هـ - فبراير ٦٣٥م فتح المسلمون نيسان.^(٢) وفي صفر سنة ١٥هـ - مارس ٦٣٦م فتح المسلمون مدينة حمص.^(٣)

معركة اليرموك:

جهّز هرقل جيشاً قوامه مائة وخمسون ألف مقاتل، من الروم وقبائل النصارى العرب، بقيادة ماهان، وكان جيش المسلمين أربعون ألف مقاتل، وسعى الروم للصلح، ولكن القائد أبا عبيدة وخالد بن الوليد رضي الله عنهما سعيا للقتال، فقاتل المسلمون، واشتركت النساء في المعركة، وانهمز الروم.^(٤) ثم اتجه جيش المسلمين لفتح بيت المقدس، وحاصره، لكن الأسقف سفرينوس طلب الصلح وأن يحضر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتوقيع معاهدة الصلح، فسافر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتوقيع معاهدة الصلح، ووقع على شروط المعاهدة مع الأسقف، وتسلم مفاتيح بيت المقدس، ومكث فيها عشرة أيام، ثم رجع إلى المدينة، وكان ذلك في ربيع الأول سنة ١٦هـ - أبريل ٦٣٧م.^(٥) وفي ٥ شوال سنة ١٦هـ - أكتوبر ٦٣٧م، فتح المسلمون أنطاكية،^(٦) ومع نهاية سنة ٦٣٧م أتم المسلمون قبضتهم الكاملة على الشام، وأخرجوا منها الروم.^(٧) ثم أرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالة إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بيد بلال بن رباح رضي الله عنه، يأمره أن ينزع العمامة من رأس خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويكبّل بها يديه خلفه، ويسأله: هل أعطى الشاعر الأشعث بن قيس الجائزة من ماله أم من مال بيت المسلمين؟ ففعل ذلك، وأجاب خالد

(١) المصدر نفسه، ٢/ ١٨٣ - ٢٢٣. انظر: سير أعلام النبلاء، راشدون/ ٦٧.

(٢) شمشير بن نيام = السيف المسلول، ٢/ ٢٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ٢/ ٢٧١. البداية والنهاية، ٧/ ٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ٢٩٢. انظر: الصديق أبو بكر، ص: ٢١٦.

(٥) المصدر نفسه، ٢/ ٣٣٩، ٣٤٣. انظر: البداية والنهاية، ٧/ ٥٥.

(٦) المصدر نفسه، ٢/ ٣١٧.

(٧) المصدر نفسه، ٢/ ٣٣٩.

بن الوليد رضي الله عنه بأنه أعطاه من ماله الخاص، ثم عُزل الخليفة خالد بن الوليد رضي الله عنه من إمارة قنسرين.^(١)

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

الصراع في هذه الرواية هو مسيرة حياة سيف الله المسلول خالد بن الوليد، التي تبدأ بالتمرد على قومه من كفار قريش، واتجاهه لاعتناق الدين الإسلامي، ومن ثم توظيف قدراته العسكرية والقتالية وقيادة الجيش والحنكة العسكرية في خدمة الجيش الإسلامي، فكانت مشاركاته في معركة مؤتة، واليرموك، وهوازن، وفتح مكة، ثم قتال المرتدين، ومعركة ذات السلاسل، وفتوحات الشام.

لا تشتمل هذه الرواية التاريخية في سبكها الفني على عقدة تتوسط الأحداث، ثم يتبدى الحل لها، نظراً لتتابع الأحداث في حياة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وعدم تناول الرواية لحدث رئيسي يحمل عقدة وحلاً، فليست هذه الرواية التاريخية - في صياغتها الفنية - مثل الروايات التقليدية الأخرى التي تشتمل على حدث رئيسي أو عدة أحداث، تتوسطها العقدة، ويتبعها الحل.

انتهت حياة خالد بن الوليد بعزله من الإمارة العسكرية، من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي رأى من الحكمة عزله، حتى لا يُفتتن الناس بفتوحاته العسكرية، وكان موت خالد بن الوليد بعيداً عن ميادين القتال وساحات المعارك، على الرغم من إقدامه وشجاعته وبسالته في خوض عشرات المعارك.

(١) المصدر نفسه، ٢/ ٣٥٥ - ٣٥٦. انظر: سير أعلام النبلاء، ١/ ٣٨٠.

الشخصيات في رواية "السيف المسلول"

لم يكن الروائي عنايت الله التمش بحاجة ماسة إلى التفكير في رسم ملامح الشخصيات لروايته، لأن أوصاف الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأخبارهم متوفرة في المراجع، وهو تدرب جيداً على معرفتها من خلال رواياته، كما أن الشخصيات في هذه الرواية لها أدوار مهمة قامت بها، سواء كانت الشخصيات الرئيسية أو الثانوية.

الشخصية الرئيسية: محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يعجز القلم

عن الوفاء بكتابة صفاته، إذ بين الروائي عنايت الله التمش الوقائع والأحداث في العهد المكي والمدني، وأخبار الغزوات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما ألقى الروائي الضوء على النواحي المتنوعة والمختلفة للنبي صلى الله عليه وسلم. ويتصف رجال هذا العصر الذي تناوله الروائي مسرحاً لأحداث الرواية بالعظمة والبطولة، ومن هذه الشخصيات العظيمة:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الخليفة الراشد الأول، صاحب المصطفى ورفيقه في الغار، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والد أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها، صاحب الطبع اللين، الرحيم بالمسلمين، صاحب التدبير للخلافة، قام بمحاربة المرتدين ومانعي الزكاة، ومحقق فتنة الارتداد.^(١)

عمر الفاروق رضي الله عنه: الخليفة الراشد الثاني، صاحب المبادئ والقوة، العادل، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والد أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، اتسعت في عهد خلافته رقعة الدولة الإسلامية بفتح الروم وفارس.^(٢)

علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الخليفة الراشد الرابع، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصهره زوج فاطمة الزهراء رضي الله عنها، أول من أسلم من الصبيان، والد الحسنين رضي الله عنهما.^(٣)

(١) شيربنيام = السيف المسلول، ١ / ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه، ٢ / ٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ٣١.

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد الشهداء، استشهد في غزوة أحد.^(١)

خالد بن الوليد رضي الله عنه: سيف الله المسلول، القائد العسكري العظيم من الصحابة، لم يهزم في معركة قطّ، خاض الكثير من المعارك، ثم عزله عمر رضي الله عنه.^(٢)

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: من خوؤلة النبي صلى الله عليه وسلم، قائد عسكري، من أمهر الرماة.^(٣)

أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه: أمين الأمة، وقائد عسكري عظيم، مات بطاعون عمواس بالشام، وفي غزوة أحد نزع بشنيتيه حلق الحديد من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكسرت ثنيتاه.^(٤)

أبو دجانة رضي الله عنه: مقاتل عسكري، كان يحمي النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من السهام.^(٥)

عبد الله بن جبير رضي الله عنه: أمير الرماة الذين عينهم النبي صلى الله عليه وسلم على جبل الرماة في غزوة أحد.^(٦)

مصعب بن عمير رضي الله عنه: من أكثر الصحابة شبهاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، واستشهد في غزوة أحد.^(٧)

(١) شمشير بـ نيام = السيف المسلول، ٤٨/١.

(٢) المصدر نفسه، ٥٥/١.

(٣) المصدر نفسه، ٣٥/١.

(٤) المصدر نفسه، ٧٠/١.

(٥) المصدر نفسه، ٣٢/١.

(٦) المصدر نفسه، ٢١/١.

(٧) المصدر نفسه، ٣٦/١.

خبيب بن عدي رضي الله عنه: كان ضمن وفد ستة صحابة ذهبوا لتبليغ الدين، فغدر بهم من ذهبوا معه، واستشهد منهم أربعة، وأُسروا اثنين، خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فباعوهما واستشهدا.^(١)

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، استشهد في غزوة مؤتة.^(٢)

زيد بن حارثة رضي الله عنه: تبناه النبي صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام ثم نُسخ التبني، استشهد في غزوة مؤتة.^(٣)

سلمان الفارسي رضي الله عنه: أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب.^(٤)

أسامة بن زيد رضي الله عنه: قائد عسكري من الصحابة، أمره النبي صلى الله عليه وسلم على رأس جيش من الصحابة وهو دون العشرين، لغزو الروم، ثم توفي النبي صلى الله عليه وسلم، فسيّر أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذلك الجيش.^(٥)

المثنى بن حارثة رضي الله عنه: كان زعيماً لقبيلة بني بكر، بعد حروب الردة بدأ المثنى بن حارثة في جنوبي العراق بقتال الفرس.^(٦)

الشخصيات الثانوية (الأدوار الشريفة):

الشخصيات الثانوية لها أهميتها في الرواية؛ فبدونها لا تكتمل أحداث الرواية، ومن أهم الشخصيات الروائية الثانوية في هذه الرواية:

الوليد بن المغيرة: والد خالد بن الوليد، كان من زعماء قريش، ولم يسلم.^(٧)

(١) شمشير بن عام = السيف المسلول، ١ / ٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ١٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ٦٢-٦٣.

(٤) المصدر نفسه، والصفحات نفسها.

(٥) المصدر نفسه، ١ / ١٥٧.

(٦) المصدر نفسه، ١ / ٢٧٩.

(٧) المصدر نفسه، ٢ / ١٥.

أبو هب: عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أشد المعادين لدعوته، ولم يسلم، نزلت فيه سورة المسد، قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ۚ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ﴾ (١).

أبو جهل: من زعماء قريش، اشتهر بعدائه للإسلام، وقُتل في غزوة بدر.
أبو سفيان: من زعماء قريش، والد معاوية رضي الله عنه، ترأس جيش قريش في بدر وأحد الأحزاب، ثم أسلم في فتح مكة. (٢)

ركانة بن عبد يزيد: كان مصارعاً، لم يسلم، ومات كافراً. (٣)
هند: زوجة أبي سفيان، ممن أسلمت في فتح مكة، والدة معاوية رضي الله عنه، أرسلت الغلام وحشياً لقتل سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، ثم مثلت بجسده، انتقاماً لمقتل أبيها وأخيها في بدر. (٤)

أيي بن خلف: من أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم، مات بعد رجوعه من أحد. (٥)

هرقل: ملك الروم. (٦)

خسرو برويز (كسرى): ملك فارس. (٧)

مسيلمة الكذاب، طليحة من بني أسد، والأسود العنسي باليمن: كذابون ادعوا النبوة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. (٨)

(١) سورة المسد، الآيات: ١-٥.

(٢) شمشير بـ نيام = السيف المسلول، ١٥ / ٢.

(٣) المصدر نفسه، ١١ / ٢.

(٤) المصدر نفسه، ١٥ / ٢.

(٥) المصدر نفسه، ٣٣-٣٤ / ١.

(٦) المصدر نفسه، ١٣١ / ١.

(٧) المصدر نفسه، ١٩٧ / ١.

(٨) المصدر نفسه، ١٩٨ / ١.

سجاح: كانت نصرانية، ادعت النبوة، ويقال لها أم سادرة.^(١)

مالك بن نويرة: ممن ارتد واتبع سجاح، وقام بقتل المسلمين، ثم قتله خالد بن

الوليد رضي الله عنه.^(٢)

وهناك شخصيات أخرى في الرواية اتخذت الأدوار الشريرة، منهم: عتبة بن

وقاص، وعبد الله بن شهاب، ابن قم،^(٣) يوحاوة (امرأة يهودية)،^(٤) ليث بن موشان

(ساحر يهودي)،^(٥) مالك بن عوف،^(٦) دريد بن الصمة، نهار الرجال،^(٧) هرمز

(حاكم السلطنة الفارسية)،^(٨) أردشير،^(٩) ازدابه.^(١٠)

^(١) شمشير بـ نيام = السيف المسلول، ١ / ٢١٠.

^(٢) المصدر نفسه، ١ / ٢٣٠.

^(٣) المصدر نفسه، ١ / ٣٥.

^(٤) المصدر نفسه، ١ / ٤٧.

^(٥) المصدر نفسه، ١ / ٩٥.

^(٦) المصدر نفسه، ١ / ١٦٤.

^(٧) المصدر نفسه، ١ / ٢٠٩.

^(٨) المصدر نفسه، ١ / ٢٨٨.

^(٩) المصدر نفسه، ١ / ٣٠٧.

^(١٠) المصدر نفسه، ٢ / ٧.

الأحداث والشخصيات في رواية حجاز كى آندهى = عاصفة الحجاز

الأحداث في الرواية:

تبدأ أحداث هذه الرواية حين أوصى الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل وفاته بعدة أيام، بالخلافة بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأكد على تسيير الجيش إلى العراق بقيادة المثنى بن حارثة رضي الله عنه.

تجهّز هذا الجيش وبدأ المسير لملاقاة الفرس المجوس، الذي انهزموا هزيمة ساحقة، حيرت المؤرخين الأوروبيين، ولهجوا بالمديح للمسلمين.

وخاض القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عدة معارك ضارية في هذه الجبهة، وسطرّ تاريخ الإسلام، منها: معركة القادسية، فخاض بخيوله نهر دجلة، وفتح مدينة المدائن المجوسية.

وقاتل في هذه الجبهة القائد الفارسي الشهير في التاريخ (رستم)، الذي كان آنذاك نموذجاً للشجاعة والقوة؛ وقُتل على يد أحد المجاهدين.

وكان عمر رضي الله عنه ينتظر بفارغ الصبر تحقق أمله في فتح بلاد فارس (إيران)، وتوطيد دعائم حكم الله تعالى في أرض عبّاد زرداشت المجوسي.^(١)

وعندما وصلت إلى فارس رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام؛ كان جيش المسلمين قد دخل العراق، وعدده أقل من نصف جيش الفرس، ولكن مجاهدين الإسلام هزموا الفرس، ورفعوا راية الإسلام فوق القلاع والحصون، وتقهقر الفرس تاركين الجرحى وجثث القتلى، وكان قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد رضي الله عنه وساعده الأيمن المثنى بن حارثة رضي الله عنه.

(١) حجاز كى آندهى = عاصفة الحجاز، عنایت الله التمش، ص: ٨٤.

وفتح المسلمون المدن والقرى الواقعة على ضفاف نهر الفرات، وتقدموا نحو المدائن عاصمة فارس، ودبّ الهلع والذعر في الفرس، وبدؤوا في الهروب إلى المدائن، كما وصل المدائن جنود الفرس الهاربون من ميدان المعركة.

وكان خسرو برويز وابنه شيرويه على خلاف بينهما، بسبب فتاة، ولهذا تولى شيرويه الحكم، وعمل على التخلص من أبيه، ومن إخوته الستة عشر، حتى لا تبقى في طريقه عقبة إلى الحكم.

وعندما اهتزت أرجاء سلطنة فارس على هذه الأحداث؛ اتجهت أنظار الفرس إلى البحث عن قائد عسكري ليتولى مقاليد الحكم، فاتفقوا على اختيار أردشير، وبايعوه ملكاً، فلم يكن قائداً عسكرياً فقط، بل ملكاً لمملكة فارس، فتوجه كالشهاب إلى أرض المعركة، لكنه عجز عن التصدي للمسلمين، ووقف هزيمة الفرس.^(١)

ومرض أردشير إثر فتح المسلمين لمدينة الحيرة الفارسية، التي كانت تُدعى جوهرة فارس، وكانت المعركة التالية دموية، وأريق دماء الفرس والمسيحيين على ضفاف نهر خسيف، وتغير لون ماء النهر إلى الحمرة، لكثرة الدماء التي أريق في النهر، وكان يسمى نهر الدم.^(٢)

وبعدها تلقى أردشير صدمةً عنيفة، خسر بسببها حياته، إذ عزم جيش الفرس على التجمع في منطقة سقاطية (كسكر) ما بين دجلة والفرات، فسبقهما إلى هناك أبو عبيدة والمثنى رضي الله عنهما بجيش المسلمين، وحاصروا جيش الفرس، وألحقوا به هزيمة نكراء.^(٣)

وكانت المرحلة التالية هي (بار سماء) التي كانت تمد الجيش الفارسي بالعتاد والمؤنّة، وكان قائدها جالينوس، المشهور بأنه إله الحرب، فنقل الأشهر بن أمانة (من عيون الجيش) الأخبار، التي في ضوئها قام أبو عبيدة بالإجراءات اللازمة.

(١) تاجزكي آندهي = عاصفة الحجاز، ص: ٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٦.

وكان الجيش الفارسي ينتقل من هزيمة تلو أخرى، فضعف عن القتال، وكانت فتوحات المسلمين في بار سماء بعد سقاطية، وهزيمة جيش الفرس.^(١)

وعندما تبع أبو عبيدة جيش الفرس، وعبر النهر قريباً من قس الناطف؛ دفع جيش المسلمين الثمن باهظاً، إذ كان جيش العدو أمامهم، والنهر وراءهم، ومع جيش الفرس الفيلة، التي أرعبت المسلمين، وزادت من هياج القتال، وشعر أبو عبيدة بالخطأ الفادح الذي ارتكبه بعبور الجيش للنهر، ولكن بعد فوات الأوان، فتقدم جيش المسلمين ليقاتل الفرس، وتعرض أبو عبيدة للسحق تحت أقدام الفيلة، فرفع الراية آخر من المسلمين، واستشهد منهم سبعة، وتراجع المثنى بن حارثة بالجيش بصعوبة بالغة حتى اجتازوا النهر.^(٢)

وبعد عبور جيش المسلمين للنهر، قطعوا حبال النهر، وعطلوا الجسر، حتى لا يتبعهم جيش الفرس، وكان قوام جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، فعسكر بهم المثنى بن حارثة في منطقة (أليس) قرب الحيرة، وخلد الجنود إلى الراحة، لكن وصلت الأنباء بأن جيش الفرس بقيادة جابان قادم في تتبع المسلمين، فكمن لهم جيش المسلمين في الطرقات، وانقضوا بالهجوم عليهم، وأسر جابان قائد الفرس، وقُتل بين يدي المثنى، وقُتل من جيش الفرس الكثير، وفر الباقيون.^(٣)

وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدد من المدينة، كما أرسل رستم المدد إلى جيش الفرس مائة وعشرين ألف مقاتل ومعهم الفيلة بقيادة مهران، ووصل جيش المدائن قريباً من بويب، وعبروا النهر، وأشار المثنى بن حارثة لجيشه بالإفطار من الصيام لتقوى الأجساد على القتال، كان ذلك في رمضان عام ١٤ هـ - ٦٣٥ م، والتحم

(١) المصدر نفسه، ص: ١٢٨.

(٢) حجازي آندهي (عاصفة الحجاز)، ص: ١٤٣ - ١٥٨.

الفاروق عمر، لمحمد حسين هيكل، ص: ٤٨، دار المعارف - مصر، ط/ ١٠، ٢٠٠٠ م.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٣ - ١٥٨.

الجيشان، وقتل من جيش الفرس أعداد غفيرة من الجنود، وسميت تلك المعركة، بويب، أو يوم الأعشار.^(١)

وجاء المدد من المدينة إلى المثنى، ومعهم سعد بن أبي وقاص أميراً على الجيش، الذي تجمع عند عين (صرار)، وتوفي المثنى بن حارثة في منطقة ذي قار.^(٢) وأرشد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه القائد سعد بن أبي وقاص بمراصلة يزيدجرد ودعوته إلى الإسلام، لكن يزيدجرد لم يقبل الإسلام، بل حمل التراب فوق رؤوس رسل جيش المسلمين، وكان بذلك يمنح أرضه للمسلمين.

وسير يزيدجرد جيشاً كبيراً بقيادة رستم إلى منطقة ساباط، ثم لحق بنفسه بالجيش، وأمر الخليفة جيش المسلمين بالانتقال إلى القادسية، وتبعهم جيش الفرس من ساباط إلى القادسية، وكان رستم يؤخر القتال حتى يصاب المسلمون بالقحط في المؤنة، فانتقل من ساباط إلى القادسية في ستة أشهر.^(٣)

وأوصى الخليفة قائد الجيش سعد بن أبي وقاص بأن لا يعبر بالجيش النهر، بل يجعل النهر أمامه والصحراء خلفه، وفي حال الهزيمة يلجأ إلى الصحراء، وإذا تبعه جيش الفرس إلى الصحراء فسيكون مصيره الهلاك والته في الصحراء.

واختار المسلمون ميدان المعركة في القادسية، وتقاتل الجيشان في اليوم الأول والثاني دون نتيجة، وفي اليوم الثالث عزم سعد بن أبي وقاص على حسم النتيجة، وهبت عاصفة قوية، واضطربت صفوف جيش الفرس، ورجعوا هاربين لعبور النهر، وقُتل نصف جيش الفرس، ومنهم القائد رستم، قُتل على يد هلال بن علقمة، في صورة دراماتيكية.^(٤)

(١) مجازكي آندهي = عاصفة الحجاز، ص: ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٣٨٢.

واجتمع فلول جيش الفرس في منطقة برس، وعزموا على القتال، وكان عدد المسلمين أقل منهم، فاختر المسلمون أن يهجموا من الميمنة والميسرة بدلاً من المواجهة المباشرة، فانهزم الفرس، وفروا إلى بابل.^(١) ولما وصل خبر الهزيمة إلى يزيدجرد، قام مذعوراً للنجاة بملكه، ولكن دون فائدة.^(٢)

وحاصر سعد بن أبي وقاص بابل ثم بھرشير، ثم اتجه إلى المدائن، ويفصل بين بھرشير والمدائن نھر دجلة، وأخلی يزيدجرد مدينة بھرشير في يومين وعبر الناس النھر، وقطعوا الجسر وأبعدوا السفن عن النھر حتى لا يجتازہ المسلمون إليهم، ولكن المسلمين بقيادة عاصم بن عمرو اجتازوا النھر بخیولهم، واتجهوا إلى القلعة البيضاء في المدائن، ولما خاض الفرس بخیولهم نھر دجلة غرقوا، وانسحب الفرس بأمر يزيدجرد من المدائن، وتركوها غنيمة للمسلمين.^(٣)

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

تختص هذه الرواية التاريخية ببيان المعارك التي خاضها الجيش الإسلامي ضد الفرس ودولة كسرى، وتحكي الصراع الدائر بين الجهتين، بدءاً من سير جيش المثنى بن حارثة، وحتى معركة القادسية، ثم فتح المدن في فارس، واحدةً بعد الأخرى، على يد الجيش الإسلامي، بقيادة الصحابة الكرام، كما تحكي الرواية في ضمنها أسباب انهيار الجيش الفارسي الذي كان قوياً بما يكفي لقتال الروم، وهزيمتهم، ولكنه لم يصمد أمام الجيش الإسلامي، وكانت الخلافات الداخلية والصراع على الحكم بين أولاد كسرى، وقتل بعضهم لبعض، للتفرد بالحكم؛ من الأسباب القوية التي أدت إلى انهيار إمبراطورية الفرس، وتفكك جيشها، وهزيمته. وإذا تتبعنا العقدة في هذه الرواية التاريخية فسنجد بأنها متعددة بتعدد الأحداث والوقائع، فكل واقعةٍ أو حادثةٍ أو معركةٍ تمثل وحدة مستقلة، لها

(١) مجازي آندھی = عاصفة الحجاز، ص: ٤١٥. وبرس هو المكان الذي سجن فيه نمرود إبراهيم عليه السلام، وبالقرب منه منطقة (كوئي) المشهورة ببئر بابل، وكان في بابل قصر نمرود.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٢٩.

أحداثها الفرعية، وعقدتها وحلها. وعلى سبيل المثال نلاحظ: معركة القادسية وفتح المدائن، وفتح سقاطية وبار سماء، ومعركة بويب (الأعشار)، كل هذه المعارك أوردتها الروائي، بطريقة فنية.

الشخصيات في رواية

حجاز کی آندھی = عاصفة الحجاز

تكثر الشخصيات التي تقوم بأدوار متنوعة ومختلفة في أحداث الرواية، وأورد هنا بعضاً من أهم الشخصيات الرئيسية في الرواية:

عمر الفاروق - رضي الله عنه -: الخليفة الراشد الثاني، أمير المؤمنين، أوصى به خليفة على المسلمين الخليفة الأول أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في حال مرضه، بعد أن استشار كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكان عمر - رضي الله عنه - شديداً؛ فتخوّف بعض الصحابة، فأوضح لهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أن عمر حادّ الطبع والمزاج؛ لأن الخليفة أبا بكر الصديق لئن هين، ولو آلت الخلافة بعده إلى عمر الفاروق رضي الله عنه فسيغير طبعه ومزاجه إلى اللين مع المسؤوليات التي يتولاها.

توسعت رقعة الدولة الإسلامية في ظل خلافة الفاروق - رضي الله عنه -، وتوسع في الفتوحات الإسلامية التي ابتدأها أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -، ومنها: العراق، وفارس، والشام، والروم.

وكان رأي عمر الفاروق - رضي الله عنه - حول فارس بأن خسرو برويز مزق رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - ورمّاها؛ وأصدر حكماً - والعياذ بالله - بسجن النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلما بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك تبسم، وقال ما معناه: سيمزق الله ملكه كما مزق رسالتي، وسيصل الإسلام فارس. وبناءً على ذلك فقد كان عمر الفاروق - رضي الله عنه - يريد تحقيق هذه النبوءة على يديه، وتمزقت مملكة فارس والروم، ووصلها الإسلام.

خالد بن الوليد - رضي الله عنه -: فاتح دمشق، لقبه النبي - صلى الله عليه وسلم - بسيف الله المسلول، وأرسله الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لقتال المرتدين، وخاض عدة معارك ضدهم، واستأصل هذه الفتنة، وقتل من المرتدين مالك بن

نويرة، ثم تزوج بأرملته، فاعترض على ذلك بعض الصحابة ومنهم عمر الفاروق - رضي الله عنه -، وقاتل خالد بن الوليد في فتوحات العراق والشام، وأرسله الخليفة من الشام مدداً إلى العراق.

أبو عبيد: أرسله الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه أميراً على الجيش الذي أمد به العراق، استشهد في مروحه على شاطئ الفرات في معركة مع الفرس.

المثنى بن حارثة: من بني بكر بن وائل، الشخصية الرئيسية في الرواية، وهي شخصية تاريخية حقيقية، وكان من القادة العسكريين الشجعان من أولي العزم والقوة وبعد النظر، وكان قد حث الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه على غزو فارس، كما شارك في معارك الروم تحت قيادة خالد بن الوليد - رضي الله عنه -، وكان النصر حليفه في معارك الشام والعراق.

أبو عبيدة بن الجراح: رضي الله عنه، لقبه النبي - صلى الله عليه وسلم - أمين الأمة، وكان من القادة العسكريين في الشام، قرره الخليفة عمر الفاروق - رضي الله عنه - أميراً على الشام، بعد أن عزل خالد بن الوليد - رضي الله عنه -.

سعد بن أبي وقاص: - رضي الله عنه -، من بني وهب، من أخوال النبي - صلى الله عليه وسلم -، قرره الخليفة عمر الفاروق - رضي الله عنه - أميراً على الجيش إلى فارس، وقبل المسير بلغه موت المثنى بن حارثة، فسار إلى فارس، وخاض معارك القادسية وجلولاء والمدائن والقلعة البيضاء أميراً على الجيش.

سليط بن قيس - رضي الله عنه -: من الصحابة، من قادة جيش المثنى بن حارثة، وقاتل مع خالد بن الوليد في معارك الروم.

ومن الشخصيات الثانوية في الرواية:

القعقاع بن عمرو التميمي: شجاع مقدام، لما طلب خالد بن الوليد - رضي الله عنه - مدداً من الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أرسل إليه القعقاع بن

عمرو فقط، وقال له إنه يساوي ألف رجل، ويساوي جيشاً كاملاً، وكان يهجم على الأعداء ويحترق صفوفهم.

سلمى: زوجة المثنى بن حارثة، وبعد وفاته تزوجت سعد بن أبي وقاص.
عبد الله بن حذافة - رضي الله عنه -: حمل رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى خسرو برويز.
أشعر بن أسامة: من الجواسيس والعيون لجيش المسلمين.

الشخصيات من الفرس:

خسرو برويز: كسرى فارس وامبراطورها، وصلته رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقطعها ومزقها ورمها على الأرض، فبلغ الخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فدعا عليه أن يمزق الله ملكه، ووعد بأن الإسلام سيبلغ فارس، وكان كذلك، في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر الفاروق - رضي الله عنه - فتحت فارس، وتمزقت مملكة كسرى.^(١)

شيرويه: ابن خسرو برويز، قتل أمام ناظري أبيه سبعة عشر من إخوته؛ ليحوز الملك من بعد أبيه، وحبس أباه خسرو برويز خمسة أيام، ثم أمر بقتله.^(٢)
أردشير: جد خسرو برويز، كان قائداً عسكرياً شجاعاً، وهو حفيد نوشيروان عادل، الذي رأى في المنام أن أربعة عشر ركناً من أركان قصره قد انهدت وتحطمت، وهكذا انهدت مملكة فارس، وجلس على عرش المدائن اثنا عشر ملكاً، وقُتلوا.^(٣)
 وكانت لأردشير ابنتان: آرميدخت، وبوران، تعاقبتا على الملك بعد أبيهما واحدة بعد الأخرى، ولكن فشلتا.^(٤)

^(١) مجازكي آندهي = عاصفة الحجاز، ص: ٨٤.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ٨٦.

^(٣) المصدر نفسه، ص: ٩٦.

^(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٣٣.

رستم: شخصية تاريخية، وهو ابن حاكم خراسان فرح زاد، الذي قتلته أميرة فارس آزرמידخت، وجاء رستم إلى المدائن عاصمة فارس، لينتقم لمقتل أبيه، فصار قائدا عسكريا بمرتبة وزير عند الملكة بوران، وكان يؤخر معركة القادسية، حتى وقعت، وقُتل فيها.^(١)

يزدجرد: آخر ملوك فارس من بني ساسان، ابن خسرو برويز، أخذته أمه نورين، وأخفته وربته بعيدا؛ لأن شيرويه كان يقتل جميع أبناء أبيه خسرو برويز، حتى لا تبقى أي عقبة في سبيل نيله للملك بعد أبيه، لكن بعدما ساءت أحوال فارس، وشبت النزاعات والخلافات الداخلية فيها؛ قام أحد قادة الفرس واسمه ساران وكان على علم بحال نورين وابنها يزدجرد، وكان يزدجرد قد شبّ حينها؛ فأقنع نورين ويزدجرد، وأحضرهما إلى المدائن، وباعه الجيش كله ملكاً لفارس.^(٢)

وقد حاول أن يحمي مملكته إلى آخر لحظة، وكان يبحث دائما عن ملجأ، وظل يتخلى ويتراجع مدينة بعد أخرى، بدلا من المواجهة والقتال، ثم عبر نهر جيحون بأسرته، وخرج من حدود مملكته.

ومن الشخصيات الأخرى في الرواية: شخصيات المرتدين، مثل: مسيلمة الكذاب، وطليحة، ومالك بن نويرة.

ومن جواسيس اليهود: ابن داود، وأبو سلمى، وإسحاق النصراني.

ومن قادة الفرس: جالينوس، جابان، نرسي، بندوبه، بهمن جادوبه، فيروزان، مهران، ساران، وغيرهم.

^(١) مجازي آندهي = عاصفة الحجاز، ص: ١١٠.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٢٣.

الأحداث والشخصيات في رواية ايك اور بت سكن پيدا ہوا = ولادة محطّم التماثيل الأحداث في الرواية:

في العاشر من محرم عام ٣٥٧هـ، الأول من نوفمبر عام ٩٧١م ولد في الأمة الإسلامية ذلك المجاهد الذي لقبه التاريخ بـ (محطّم التماثيل)، وهو السلطان محمود الغزنوي.^(١)

حوالي سنة ٩٤٠م تقريباً، عندما انقضى العصر الذهبي للحاكم نوشيروان عادل، ووطئ الملك الجديد في إيران العدالة تحت قدميه، وقطع جذور نوشيروان عادل، في تلك الأثناء؛ خرج شاب من هذه الأسرة، يدعى قرار الحكم، واتصل بأسرة تركية؛ لغرض العمل والسكنى لديهم، وهناك تزوج منهم بفتاة طيبة عابدة، أنجبت له بعد سنة ابناً سماه سبكتكين.

سئم الزوجان من حياة البداوة، فخرجا مع ابنهما، وكابدا المشاق في الحياة، وتنقلا في أماكن متنوعة، ثم توجها في قافلة إلى بخارى؛ بغرض تعليم ابنهما وتربيته تربية حسنة، وكان الابن قد تلقى سابقاً التعليم الابتدائي للقرآن الكريم والسنة النبوية، وتتراوح سنّه بين العاشرة والحادية عشرة، وكانت القوافل تتعرض في طريقها إلى بخارى للسلب والنهب، فتعرضت هذه القافلة للنهب أيضاً، عندما خلد المسافرون إلى الراحة ليلاً، فهجم اللصوص عليهم، ونهبوا وقتلوا، ونجا من أخفى نفسه وهرب، وأخفى قرار الحكم زوجته في الغابة، ولكنه فقد ابنه، فتقدم للبحث عنه، ولكنه قُتل على أيدي اللصوص، ووقع الابن الصغير في أيدي اللصوص الذين باعوه عبداً في سوق بخارى.^(٢)

(١) اورايك بت سكن پيدا ہوا = ولادة محطّم التماثيل، عنايت الله التمش، ص: ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٤ - ٢٦.

اشترى الحاج نصر الغلام سبكتكين، وحمله إلى نخشب، وجعله عبداً لأبنائه، فتعلم سبكتكين العلوم الإسلامية والفروسية مع أبناء نصر، وكان حاكم بخارى آنذاك ألبتكين، وكان صديقاً للحاج نصر، وكان حاكم غزني الأمير عبد الملك.^(١) أعجب ألبتكين بالغلام سبكتكين فاشتراه من الحاج نصر، وبعد وفاة عبد الملك أصبح ألبتكين الحاكم وبعده سبكتكين.^(٢)

رزق سبكتكين بولد سماه محمود، وعندما بلغ محمود الخامسة عشرة من عمره اصطحبه أبوه إلى القتال ضد راجه جي بال، وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة من الهندوس في هذه المعركة، ولقب محمود الغزنوي بـ (محطم التماثيل).^(٣)

وعندما بلغ محمود الثالثة والعشرين من العمر نصبه أبوه سبكتكين أميراً على خراسان، وكانت الإمارات والدويلات المجاورة على خلافات وتنازعات بينها، وانشغل سبكتكين في حل هذه الخلافات ووآد الفتن والانشقاقات، مما أثر على تدهور صحته، وتوفي سبكتكين في أغسطس عام ٩٩٧م، في سن السادسة والخمسين، تاركا خلفه ابنه محمود الغزنوي سلطاناً على مملكته.^(٤)

وتزامنت وفاة سبكتكين مع تولد الهياج لدى الحكام والأمراء الذين قمعهم سبكتكين، فأرادوا أن ينشطوا من جديد ضد سلطنة غزني، ولكن مساعيهم باءت بالفشل، فالسلطان محمود الغزنوي كان أكثر شدةً من أبيه، وكانت سلطنة غزني منشغلة بإمارات: بخارى، وخراسان، وكاشغر، وآل زياد، وغوري، التي أرسل السلطان محمود الغزنوي إلى حكامها رسائل، يدعوهم فيها إلى الاتحاد، ولكن جهوده لم تسفر عن أي نجاح، بل ساءت الأوضاع أكثر.

(١) اورايك بت شكن پيدا ہوا = ولادة محطم التماثيل، ص: ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٧.

أرسل السلطان محمود الغزنوي أبا الحسن جمبوي مبعوثاً له إلى هؤلاء الحكام، ولكنه تفاجأ بأنه تولى الوزارة في بخارى؛ فأمر السلطان محمود الغزنوي الجيش بالتحرك فوراً نحو مدينة نيسابور مركز خراسان، وضم السلطان كلاً من: بخارى وكاشغر وبلخ وخراسان إلى سلطنة غزني.^(١)

حاول السلطان محمود الغزنوي السيطرة على الأوضاع المتردية، ولكنها كانت مستعصية على السيطرة، وكان الحل الوحيد أمامه الحرب.

واشتبك الأخوان محمود وإسماعيل في معارك طاحنة وحروب دموية، سقط ضحاياها من كلا الجانبين المقاتلون المسلمون، ثم وقع إسماعيل أسيراً في يد أخيه السلطان محمود الغزنوي، وبناءً على طلب استرحام تقدمت به أمه؛ وُضع هو وأمّه في الحجز الإجباري بقلعة جرجان، وهيئت لهما جميع تسهيلات الحياة، سوى حرية الخروج.^(٢)

وكان السلطان محمود الغزنوي مضطراً إلى القتال على جبهتين في وقت واحد، إذ تجهز راجه جي بال في الهند للحرب، وجمع العتاد والعدة لاستخدامها مستقبلاً في الهجوم ضد السلطان محمود الغزنوي، فقام عيون السلطان وجواسيسه بصبّ الزيت على العتاد العسكري، وإشعال النار فيه، وبذلك انزاح خطر الهجوم من قبل الهند.^(٣)

وأقر الخليفة العباسي القادر بالله السلطان محمود الغزنوي سلطاناً على خراسان وأفغانستان وسيستان، وخاطبه يمين الدولة وأمين الملة، وأسند إليه مهمة مساعدة المسلمين في الهند، فقام السلطان محمود الغزنوي بوضع حجر الأساس هناك لدولة الإسلام بتحطيم التماثيل فيها.^(٤)

(١) اورايك بت شكن پيدا ہوا = ولادة محطم التماثيل، ص: ٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١١٥.

وعثر السلطان محمود الغزنوي على منجمٍ للذهب قريباً من سيستان، وكان قريباً إلى سطح الأرض بعدة أشبار، فصرف ريعه على شعبه، وقام بحقوقهم.^(١)

في عام ١٠٠١م، جهز جي بال جيشه، المكون من اثني عشر ألف فارس، وثلاثين ألف من المقاتلين المشاة، ومعهم ثلاثمائة من الفيلة، وعربات تجرها الثيران، وتحرك قاصداً غزني، وأخبر جيشه بموت سبكتكين، وكان عازماً على خوض حرب فاصلة، وكان متيقناً من النصر، لكن السلطان محمود الغزنوي سبقه إلى مدينة بشاور، التي عسكر فيها بجيشه، ووقعت معركة طاحنة، يوم الخميس الثامن من محرم عام ٣٩٢هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٠٠١م، انهزم فيها جي بال رغم تجهيزاته العسكرية، وصار جي بال أسيراً لدى السلطان محمود الغزنوي، وافتدى نفسه بمائتين وخمسين ألف دينار، وخمسين فيلاً، وتعهد بعدم الهجوم ثانية، ورجع إلى الهند، وتنازل عن الحكم لابنه أنند بال، وانتحر جي بال حرقاً، واستولى السلطان محمود الغزنوي على بشاور ومنطقة دره خير (مر خير)، وما يجاورها من السلاسل الجبلية.

وبدأ أنند بال في التجهيزات العسكرية مرة أخرى، للأخذ بثأر أبيه، فخيم بجيشه في العام التالي قريباً من منطقة أتك، عند ملتقى نهر كابل بنهر السند.^(٢)

بينما أقام السلطان محمود الغزنوي معسكره خارج المدينة على بعد بضعة كيلومترات، على أرض ملائمة للمعركة، التي استمرت ثلاثة أيام، وكانت معركة دموية، كتب الله فيها النصر للمسلمين، وفتح السلطان محمود الغزنوي منطقة بهيره، وحطم التماثيل في معابد الهندوس فيها،^(٣) وولّى بجي رام فازراً من المعركة، وعندما تعقبه الجنود المسلمون، وأوشك على الوقوع في الأسر؛ انتحر بسيفه.^(٤)

(١) اورايبك بت شكن پيدا ہوا، عنايت اللہ التمش، ص: ١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢١٠.

وأراد راجه أنند بال أن يقطع الطريق على جيش السلطان محمود الغزنوي إلى بشاور، ولكنه فشل في ذلك، وفرّ راجه أنند بال بعد هزيمته إلى كشمير.

وفي لاهور كان الحاكم هو سكه بال ابن راجه أنند بال، وكانت أمه تريد تنصيبه حاكماً بدلاً من أبيه، فجهزت جيشاً وسيّرتة إلى بهيره، ووصل خبر مسيره إلى السلطان محمود الغزنوي الذي كان على أهبة الاستعداد للقاءه، ووقعت معركة ضروساً بين الجانبين قريباً من قلعة بهيره، ووقع سكه بال أسيراً في أيدي المسلمين، لكنه أعلن إسلامه، فوثق به السلطان محمود الغزنوي، وأوكل إليه قلعة بهيره، ولكنه خان العهد وارتدّ، وثار على السلطان محمود الغزنوي، الذي اضطر لضمّ ملتان وبهيره إلى سلطنته في غزني.^(١)

وفي غياب السلطان محمود الغزنوي عن غزني؛ هجم ملك كاشغر إيلك خان على غزني؛ فرجع السلطان محمود الغزنوي إلى غزني، ودحر جيش إيلك خان، ثم رجع إلى بهيره، وألقر القبض على سكه بال، وألقاه في السجن مدى الحياة.^(٢)

في عام ١٠٠٧م قام الزعيم الهندوسي رادهاكشن في منطقة نگر كوت، بعد أن علم بأنباء فتوحات المسلمين على الهندوس في بشاور ولاهور وبهيره، قام بدعوة زعماء المدن والمناطق الهندية في أوجين، وقنوج، وكواليار، وكالنجر، وأجمير، إلى مؤتمر عقده في نگر كوت، للبحث بشأن الاتحاد العسكري ضد السلطان محمود الغزنوي، كما دعا إلى هذا الاجتماع راجه أنند بال، الذي حضر من كشمير.^(٣)

وفي العام التالي ١٠٠٨م، اجتمعت الجيوش من هذه المدن والإمارات الهندية، للهجوم على سلطنة غزني، وتحرك الجيش المشترك نحو بشاور، ووصلت أنباء تحركه إلى السلطان محمود الغزنوي، الذي قلق بادئ الأمر، وكانت لديه مخاوف من أن يعسكر الهندوس على ثلاث جبهات: بهيره، وملتان، وبشاور، ولكن الجيش الهندوسي لم يفعل ذلك، بل سار متحداً إلى بشاور للمسير نحو غزني، فكانت هذه الخطة في صالح جيش

(١) اورايك بت شكن پيداهوا = ولادة محطم التماثيل، ص: ٢١٩، ٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٤١ - ٢٤٥، ٢٦٥.

السلطان محمود الغزنوي، الذي خيّم على ضفاف نهر السند، وهجم على جيش الهندوس في ٣١ ديسمبر عام ١٠٠٨م - ٣٩٩هـ، فتقهقر الجيش الهندوسي وفرّ جنوده، وكان جيش السلطان محمود الغزنوي يتعقبه حتى وصل إلى نگر كوت، وضمها إلى سلطنة غزني، وغنم منها الغنائم الكثيرة.^(١)

وفي عام ٤٠٠هـ - ١٠٠٩م، اضطر السلطان محمود الغزنوي للمسير إلى غزني، وإخماد فتنة حرب أهلية، فقد عسكر رجلٌ اسمه (محمد سوري) في منطقة غور، ومعه عشرة آلاف من المقاتلين من أهل مدينة غور وغيرها، فبعث إليه السلطان محمود الغزنوي بطلب الصلح لكنه رفض، فكانت المعركة بين الطرفين في عام ١٠١٠م، وكان النصر للسلطان محمود الغزنوي، وأخرج محمد سوري فصّ خاتمٍ مسموم، وبلعه، فكانت تلك نهايته منتحراً.^(٢)

ثم رجع السلطان محمود الغزنوي إلى الهند، وفتح قلعة تھانسر، وحطم الصنم الأكبر فيها، وألقاه من القلعة.^(٣) وفي عام ١٠١١م، رجع السلطان محمود الغزنوي إلى غزني، وضم سمرقند إلى سلطنته.^(٤)

وفي أواخر عام ١٠١٤م، وصل السلطان محمود الغزنوي بجيشه إلى كشمير، لكن بسبب تدهور أحوال الطقس، تكبد الجيش الخسائر، ورجع في مايو ٢٠١٥م إلى غزني.^(٥)

وبعد عام ١٠١٧م كانت فتوحات السلطان محمود الغزنوي لمناطق متھرا، ومنج، وقنوج، التي رجع بعدها ظافراً إلى غزني، التي شيّد فيها جامع "عروس الفلك".^(٦)

(١) اورایک بت شکن پیدایا = ولادة محطم التماثيل، ص: ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٣٢٦.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٣٧٠ - ٣٧١.

(٦) المصدر نفسه، ٣/ ٢٥، ٥٦.

لاحقاً صدّ السلطان محمود الغزنوي هجوماً كاسحاً على خراسان، من قبل قادر خان وتوغان خان وأبو منصور، ودحرهم جميعاً، كما تزوج مسعود ابن السلطان محمود الغزنوي من سمن تاش ابنة أبي منصور.^(١)

وكانت خارج غزني عصابة للصوص، يتزعمها حماد بن علي، الذي نال ثقة الخليفة العباسي القادر بالله ببغداد، وجهّز حماد بن علي عصابته من رجال القبائل، وكان يتربص لقطع الطريق على قافلة الحجيج من غزني، فبلغ خبره السلطان محمود الغزنوي، الذي كلف قاضي القضاة أبا محمد بقيادة جيش يتقدم قافلة الحجيج، ووقعت المعركة بينه وبين عصابة للصوص، وقُتل فيها حماد بن علي، وفرّ الباقيون من عصابة للصوص، وسلمت قافلة الحجيج.

وفي عام ١٠٢٠م، جرت الاستعدادات لمعركة كبيرة بين جيش السلطان محمود الغزنوي والجيش المشترك لولايات الهند ومدنها، ووقعت معركة عظيمة، وفتح السلطان محمود الغزنوي كالنجر وكواليار، ثم عبر نهر جيحون، واستضاف زعماء المدن والمناطق والإمارات الصغيرة، وخاطبهم جميعاً ليوحدتهم تحت راية سلطنته الإسلامية، فاتفقوا جميعاً على هذا الميثاق، وتمرد إيتكين والي بلخ وسمرقند، فحبسه السلطان محمود الغزنوي في سجن ملتان مقيداً بالسلاسل.^(٢)

وحسب الروايات المنقولة؛ فإن الهندوس أقاموا معبداً فيه صنم لهم يُدعى: "سومنت"، في صخرة شاهقة مستديرة، وهو مكلّلٌ بالجواهر، وقد ذبح الهندوس الكثير من الفتيات المسلمات على عتبة هذا المعبد قرباناً لصنم سومنت.^(٣)

وكان فتح هذا المعبد وتحطيم صنم سومنت هو الهدف التالي للسلطان محمود الغزنوي؛ فسار إليه من غزني في ٢٢ شعبان عام ٤١٦هـ الموافق ١٨ أكتوبر عام ١٠٢٥م، وخاض في الطريق معركة (لداروه)، ثم دخل جيش السلطان محمود الغزنوي إلى

(١) اورايك بت شكن پيراهوا = ولادة محطم التماثيل، ٣ / ٦٦، ٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ٤ / ١٤٥، ١٩٤ - ١٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ٤ / ١٩٩.

مدينة أحمد آباد، وفي السادس من يناير عام ١٠٢٦م حاصر السلطان محمود الغزنوي معبد سومنات، وهجم عليه في اليوم التالي ٧ يناير، واستولى عليه في التاسع من يناير، وارتفعت صيحات التكبير داخله، وتوسّل عبّاد المعبد إلى السلطان محمود الغزنوي بأن يأخذ الجواهر، وأن لا يحطّم صنم سومنات، لكن السلطان محمود الغزنوي رفض بشدة، قائلاً: لا أريد أن يناديني الله يوم العرض عليه بأنني تركت صنم سومنات في مقابل جواهر الهندوس، بل أريد أن يناديني بمحطّم التماثيل.^(١)

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

الصراع في هذه الرواية يدور على جبهة داخلية وخارجية، ففي الداخل عانى السلطان محمود الغزنوي من تمرد بعض أمراء الأقاليم والمناطق في خراسان وما جاورها، وكان على السلطان أن يكسب ولاء هؤلاء الأمراء ليتفرغ للعمل على الساحة الخارجية لسلطنته، كما اضطر السلطان لقتال أخيه إسماعيل الذي نازعه السلطنة، فوقع أسيراً لدى أخيه السلطان، وفي الجبهة الخارجية قاتل السلطان محمود الغزنوي الهندوس، وكما يرمز إليه اسم الرواية فإنه قام بتحطيم أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، في المدن والمناطق التي فتحها، مثل صنم سومنات الشهير، إضافة إلى أن حربه ضد الهندوس لفتح الهند لم تكن في فترة واحدة، بل كانت على فترات متقطعة، قام فيها بفتح المدن تباعاً بشكل تدريجي، وكانت بعض المدن تسقط بيد الهندوس ثانيةً فيعود السلطان لاسترجاعها، وكما عانى السلطان من نقض الهندوس لعهودهم ومواثيقهم.

نجح السلطان في فتح أقاليم الهند ومدنها، وحاز رضا الخليفة العباسي حتى أقره على سلطنته.

(١) اورايك بت شكن پيدا ہوا = ولادة محطّم التماثيل، ٤/ ٢١٠، ٢١٧، ٢٣٩، ٢٤٦.

الشخصيات في رواية "ولادة محطم التماثيل"

للشخصيات في الرواية دور كبير في أداء رسالة الرواية، ورسم معالمها، ولقد نجح الروائي عنايت الله التمش في رسم شخصيات الرواية، ووضعها في المكان والزمان اللائق بها من حيث الأحداث، فتبدأ الرواية بالسلطان محمود الغزنوي، وهو بطل الرواية، الذي هجم على الهند سبع عشرة مرة، حتى ارتفعت صيحات التكبير من معابد الهندوس، وحطم أصنامها.

ومن أهم الشخصيات في الرواية:

قرار الحكم: جد السلطان محمود الغزنوي، ووالد سبكتكين، وكان من نسل نوشيروان عادل، وكان قرار الحكم رجلاً صالحاً، وقعت عليه مصائب كثيرة، تزوج بامرأة بدوية سالحة كانت تعتبر إبراهيم عليه السلام هو مثلها الأعلى لأنه فارق دين أبيه الوثني الذي كان يبيع الأصنام، وحطم إبراهيم عليه السلام الأصنام.^(١)

الحاج نصر: تاجر من بخارى، اشترى سبكتكين من سوق العبيد.

ألبتكين: حاكم بخارى، اشترى سبكتكين من الحاج نصر، ثم زوجه بابنته لما رأى فيه الصفات الحسنة.

ابنة ألبتكين: لم يذكر اسمها في التاريخ، وهي زوجة سبكتكين، وأم السلطان محمود الغزنوي.

عبد الملك: حاكم غزني، لما كان سبكتكين شاباً.

الأمير منصور: ابن الأمير عبد الملك.

القادر بالله العباسي: الخليفة في بغداد في عهد السلطان محمود الغزنوي.^(٢)

نوح: ابن أبي منصور.^(٣)

(١) اورايك بت شكن، پيراهوا = ولادة محطم التماثيل، ص: ١٦-٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

الأمير فائق، والأمير بو علي حسن، وفخر الدولة: جماعة من الخونة المنافقين في عهد سبكتكين.^(١)

دارا: قائد عسكري من المسلمين.^(٢)

أبو الحسن خرقاني وأبو سعيد عبد الملك: من العلماء الصالحين، وكان السلطان محمود الغزنوي يجالهما.

إسماعيل: الأخ غير الشقيق للسلطان محمود الغزنوي.^(٣)

فرح زاد إبراهيم: مسؤول الخزانة.^(٤)

الفتح داود بن نصر: إمام القرامطة، وكان أميراً على ملتان.^(٥)

عاصم عمر: مبعوث أرسله السلطان محمود الغزنوي إلى الفتح داود بن نصر، فاعتنق مذهب القرامطة، وخان السلطان.^(٦)

قاسم عمر: ابن عاصم عمر، وكان مجاهداً له دور كبير في فتح بهيره.^(٧)

سعيد الله قاسمي: من العلماء، لقب نفسه بالقاسمي؛ نسبةً إلى محمد بن القاسم الثقفي.^(٨)

أبو علي شيخوري: أمير ملتان بعد فتحها من القرامطة.^(٩)

أرسلان جاذب: أمير هرات.^(١٠)

(١) اورايك بت شكن پيدا هو = ولادة محطم التماثيل، ص: ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.

(٨) المصدر نفسه، ص: ٢٠٣.

(٩) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

(١٠) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

إيلك خان، وقادر خان: من أمراء كاشغر.^(١)
 بغرا خان: قائد من قواد السلطان محمود الغزنوي.^(٢)
 أبو الحسن علي مأمون: أمير خوارزم، زوج أخت السلطان محمود الغزنوي.^(٣)
 كاه كالجي: أخت السلطان محمود الغزنوي.
 أبو العباس: الأخ الأصغر لأبي الحسن، تزوج من كاه كالجي.
 أبو الحارث: وزير أبي الحسن.
 مسعود: ابن السلطان محمود الغزنوي.
 سمن تاش: ابنة أبي منصور، وزوجة مسعود.
 ذو القرنين: قائد مسلم، من قلعة قنوج.
 شيخ الإسفند: طبيب مسلم.
 حماد بن علي: قاطع طريق، كان يسرق قوافل الحجيج.^(٤)
 ويأتي في الرواية دور كهنة الهندوس في الهند، الذين كانوا يحرضون على التعصب الديني، ويخدعون الأمراء والحكام باسم الدين، ويقومون بتحريضهم ضد المسلمين، ويتحكمون في المرأة باسم الدين.
 دور الأمراء والأميرات في الهند: توضح الرواية كيفية حياة طبقة الأمراء والأميرات في الهند، وطريقة عيشهم، ولباسهم، وكلامهم، وشجاعة الأمراء، وعلاقتهم بالدين، وجمال الأميرات وحسنهن وحبهن للثراء.^(٥)
 ومن هؤلاء الأمراء: جي بال، وابنه راجه أنند بال: أمراء منطقة البنجاب.^(٦)

(١) اورايك بت شكن پيدا هو = ولادة محطم التماثيل، ص: ٥٩، ٢١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٠٥.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٤٦-٤٧، ١١٨.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٣٧.

راج كوبال: قائد جيش الأمير راجه أنند بال.^(١)

مهارجاه بجي راي: أمير منطقة بهيره.

سكه بال: ابن راجه أنند بال، أسلم وصار اسمه نواسا شاه، ثم ارتد إلى

الهندوسية.

دور الجنود والجواسيس: بينت الرواية دور جنود الجيش وجواسيس الحكام

والأمراء، وكان أهل الهند يتصفون بالجرأة والإقدام ويحاربون بحماسة الدين، لكنهم كانوا

يضعفون أمام إيمان المسلمين، وكان في المقابل، النظام الاستخباراتي للسلطان محمود

الغزنوي قوياً جداً، وكان تخطيط السلطان محكماً مترابطاً للمعارك والحروب.

^(١) اورايك بت شكن پيدا هوا = ولادة محطم التماثيل، ص: ٢١٢.

الأحداث والشخصيات في رواية اندلس كى ناگن = أفعى الأندلس

الأحداث في الرواية:

في سنة ٨٢٥م قدم الجاسوس الأندلسي ألوكيس للقاء الملك لوئي ملك فرنسا، وبين الغرض من مجيئه، ولاحقاً اجتماعاً مع الوزير الفرنسي آنديري كيته، وفرن هارت ملك كوتك مارس، لمناقشة مخططهم للإطاحة بالأمراء والوزراء المسلمين، عن طريق الإغراء بالنساء والموسيقى، لا سيما عبد الرحمن الثاني، الأمير الحالي للأندلس، الذي بدأ بتسمية نفسه ملكاً للأندلس.^(١)

في ٧١١م ارتفعت صيحات طارق بن زياد في هذه المنطقة، وارتجت أنحائها بأصوات الأذان، وسماها أسود العرب بالأندلس، وتغيرت أسماء مدنها ووديانها، وبحيراتها وغيونها، ومنحت سكانها ثقافةً جديدةً، ونمطاً مغايراً للحياة.^(٢)

توفي ملك الأندلس الحكم سنة ٢٢٧هـ - ٨٢٢م، الذي استباح كل نوع من الظلم والجبروت في سبيل إقامة حكم ذاتي.^(٣)

وبعد وفاته تولى الحكم ابنه عبد الرحمن الثاني، في سن الحادية والثلاثين، وكان قصره مجمعاً لمحيي الأدب والعلوم، وأرباب الموسيقى والرقص والفنون، ومنهم: زرياب الإيراني، أبو الحسن علي بن نافع، وكان تلميذاً لإسحاق الموصلي، أشهر المغنين آنذاك، وكان الموصلي مطرب القصر للخليفة هارون الرشيد، فأرسل الحكم لاستقدام زرياب، ولكن قبل مجيئه توفي الحكم، ولكن زرياب لم يتردد في المجيء؛ لأن عبد الرحمن الثاني كان شغوفاً كوالده بالموسيقى والغناء.^(٤)

(١) اندلس كى ناگن = أفعى الأندلس، عنايت الله التمش، ص: ٧ - ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٦ - ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٩.

من ناحية أخرى كانت الملكة سلطانة ملكة طروب، الوريثة الوحيدة لعرش والدها بعد وفاته، وكانت فتاة جميلة، أراد الجاسوس المسيحي إيلوكيس استخدامها آلة لتنفيذ مخططة الجاسوسي، ولهذا منحها الملك الفرنسي لوئي التحف والهدايا وأطعمها بلقب الملكة، من أجل تنفيذ مخطط الجاسوس إيلوكيس، وأرسلها إلى قصر عبد الرحمن الثاني،^(١) وحرصها على التقرب من عبد الرحمن الثاني، وجعله أسيراً لهواها، حتى لا يشعر باختلال ملكه واهتزاز عرش سلطانه، وبذلك تذلل كل الصعاب أمام إيلوكيس لثورة الناس وعصيانهم في الأندلس.^(٢)

لم يكن إيلوكيس شخصية روائية خيالية مفترضة، بل كان إيلوكيس يقود الصليبيين للتخلص من الأندلس والحكم الإسلامي فيها، فتعلم العربية، وقرأ القرآن الكريم، وتجول في المدن والبلدان حتى قابل ملك فرنسا، وجعل هدف حياته ومهمته الكبرى زوال الإسلام، وتدمير سلطنة المسلمين في الأندلس.

عثر إيلوكيس على كتاب مخطوط في أحد كنائس النصارى المهتمة في مدينة بملونة في الأندلس، وهذه المخطوطة تقدح في مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وتثير الشائعات والافتراءات ضد الإسلام، فنسخ إيلوكيس منها نسخاً كثيرة، وأرسلها إلى النصارى في الدول الأوروبية، وكان إيلوكيس يقول: يحصل على الرفعة والوقار من كان وفياً لدينه.^(٣)

وكان إيلوكيس مؤسس مذهب المولدين، أي: الناس المنافقين، الذين يظهرون الإسلام ولكنهم في الباطن وفي بيوتهم على ديانتهم الأولى النصرانية، والكثير من النصارى أظهروا الإسلام لكن لم تكن لهم تلك المكانة التي للمسلمين، بل كان يعانون النظرة الدونية من الآخرين.^(٤)

(١) اندلس کی ناگن = أفعى الأندلس، ص: ٢١ - ٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٠ - ٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٤.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وكان النصارى في نواحي قرطبة، وطليطلة، وملقا، ومدثره، على أهبة الاستعداد للعصيان المسلح، وكان الوزير الحاجب عبد الكريم، وعبيد الله بن عبد الله على علم بما يجري، فاستأذنا للدخول على الأمير عبد الرحمن الثاني، ولكن زرياب والسلطانة طروب لم يسمحا لهما بالدخول، ولكن الوزيرين دخلا دون إذن، وأخبرا عبد الرحمن الثاني بما يجري، واستأذناه في القيام بالإجراءات اللازمة لردع العصيان.^(١)

وكانت قوات الكونت الفرنسي إيلوس والكونت إيسنيارس قد هجمت على مبلونة، وألحقوا الأضرار الفادحة بالمدينة، وأسروا كثيراً من المسلمين، وساقوهم أسرى معهم. وسمح الأمير عبد الرحمن الثاني للوزيرين الحاجب عبد الكريم، وعبيد الله بن عبد الله بتسيير الجيش لقتال النصارى.

وفي منتصف الليل وصل عبيد الله بن عبد الله إلى الحدود، وهجم على قلعة النصارى بالمنجنيق والسهم النارية، وكسر حصار العدو، وحرر أسرى المسلمين من قبضة النصارى، وترك القلعة كوماً من الرماد، ثم فتح الكثير من القلاع الصغيرة. تحولت الأندلس إلى مرتعٍ للعصيان والمؤامرات والثورات، التي وقف وراءها النصارى، والحكام الصليبيون للدول والمدن الأوروبية المحيطة بالأندلس.^(٢)

كان الأمير عبد الرحمن الثاني قائداً عسكرياً حاذقاً، ومقاتلاً شرساً في شبابه، لكنه غفل عن أصله وهدفه السامي، ووقع في حبال النساء الراقصات والمطربين والمنافقين الذين يعملون من أجل مصالحهم.

وهذه الأوضاع والظروف أوصلت الحكم الإسلامي في الأندلس إلى الغروب والزوال، وفي عهد عبد الرحمن الثاني غفل دعاة الإسلام عن مهامهم، وتيقظ الأعداء من أتباع حركة المولدين.

وعلى بعد بضعة أميال من قرطبة، بدأ النصارى في العمل للتجمع بخلاف الحكم الإسلامي في الأندلس، ودعوا أتباع حركة المولدين إلى نبذ الإسلام، وإظهار دينهم الأول

(١) أندلس کی ناگن = أفعى الأندلس، ص: ٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٨.

المسيحية، وحاربهم القائد العسكري عبد الرؤوف وأعوانه، وفي هذه الأثناء استشهد اثنان من مجاهدي الجيش فحمل الحاجب عبد الكريم والقائد العسكري عبد الرؤوف جثامين الشهداء إلى قصر الأمير عبد الرحمن الثاني، لكن حالت الملكة طروب والمطرب زرياب دون دخولهم، فرجعا يائسين، وعندما علم إيلوكيس بالخبر؛ زاد من وتيرة عملياته داخل الإسلام.^(١)

محمد بن عبد الجبار من الشخصيات التاريخية في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (٨٢٢ - ٨٥٢م)، كان يجي الضرائب والمكوس في (مريدة)، ثم صار من أعوان الصليبيين، بعد إغرائه بالمال والنساء، والخمر والرفاهية، وبسبب الحروب والمعارك الصغيرة زاد في الضرائب،^(٢) وقام إيليارو وإيلوكيس بحبس حاكم (مريدة)، ونصبوا محمد بن عبد الجبار حاكماً بدلاً عنه، وأمر إيلوكيس النصاري بأن لا يدفعوا الضرائب لقرطبة، بل لإقليم مريدة، وقام إيلوكيس ومحمد بن عبد الجبار بضرب جابي الضرائب القادمين من قرطبة، وأعلن إيلوكيس ومحمد بن عبد الجبار العصيان ضد قرطبة، وهذا العصيان لم يتولد دفعةً واحدة، بل استمر في الظهور على مراحل، بعد العمل له في الخفاء.^(٣)

وهذه الأخبار لم تكن تصل أسماع الأمير عبد الرحمن الثاني مباشرة، بل كانت الملكة طروب وزرياب يتحكمان في منع مثل هذه الأخبار من الوصول إلى مسامع الأمير، ويمنعان كل قائد عسكري يحاول إيصالها إلى الأمير، ولكن نجح الحاجب عبد الكريم والقائد العسكري عبد الرؤوف في إيصال أخبار حملة بمبلونة والثغور ونتائجها إلى الأمير عبد الرحمن، الذي استيقظ بداخله المجاهد المقاتل، وأمر بتقسيم الجيش إلى وحدات، فأرسل موسى بن موسى إلى المهجوم على كوتحك مارس، والقائد عبد الرؤوف للهجوم على النواحي القريبة من فرنسا، ولا يغادر الثغور، أما الأمير عبد الرحمن الثاني والحاجب عبد الكريم وعبيد الله فشنوا هجوماً على فرنسا، ووضع الأمير عبد الرحمن

(١) اندلس كي ناغن = أفعى الأندلس، ص: ٩٨ - ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٨٦ - ١٨٨.

الثاني خطة ناجحة لضم فرنسا إلى السلطنة الإسلامية في الأندلس، وتحرك الجيش من قرطبة نحو فرنسا.^(١)

تحرك زرياب وأفعى الأندلس الملكة طروب لإبلاغ إيلوكيس بتحركات الجيش نحو فرنسا، وبوصول الأمير عبد الرحمن الثاني إلى الثغور قامت الثورة والعصيان في مريدة بتحريض من إيلوكيس، فرجع الجيش إلى مريدة، وساعد أبو ريجان في وصول الجيش إلى قلعة مريدة عبر البوابة الجنوبية للمدينة، ومحق الثورة، وأعدم البغاة، أما إيلوكيس وإيليارو ومحمد بن عبد الجبار فقد هربوا إلى ناحية مجهولة.^(٢)

وانضم إلى حركة المولدين بعض الأعضاء الفاعلين، مثل: فلورا، التي ولدت لأب مسلم وأم مسيحية، وترت على تعاليم النصرانية، وشاركت في ثورة مريدة، وكانت تظهر العداء للإسلام على الملأ، ثم لجأت إلى بيت هاشم رئيس حركة المولدين، وبعد القبض عليها حكم القاضي عليها بالسجن، ولكنها هربت من السجن، وانضمت إلى إيلوكيس، أما هاشم فكان ذكياً، أظهر الإسلام، ولكن ترأس في الخفاء حركة المولدين، وكان هاشم قد نجا من حرق قريته في كتالونيا، وماتت زوجته وأولاده، وبدأ العمل للصليبيين.^(٣)

وتشجع النصارى لمخالفة الإسلام على الملأ؛ بسبب نشاطات فلورا، وبدأ القساوسة في الدعوة إلى التنصير جهراً، وحكم القضاء على أحد القساوسة بالقتل؛ بسبب تصريحاته المسيئة للإسلام، وفي ١٧ أبريل سنة ٨٥٠م، نفذ حكم القتل في هذا القسيس، بعد صلاة عيد الفطر،^(٤) وبعد هذه الواقعة قام أحد عشر قساً بتصريحات مخالفة ومسيئة للإسلام، فنفذ فيهم حكم الإعدام، وكان إيلوكيس وحكومة فرنسا وراء هذه الموجة من التعصب والاختلاف، وكانت حركة المولدين تهديداً وتحدياً للمسلمين في

(١) اندلس كى ناغن = أفعى الأندلس، ص: ١٧٠ - ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٨٨ - ٢٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٣٤٠ - ٣٤٢.

الأندلس، يدعون النصارى إلى القيام والعصيان، للتكفير عن الذنوب، ولإقامة مملكة ابن الرب.^(١)

ولذا قاموا بالثورة والعصيان في طليطلة، فطلب أميرها محمد بن وسيم المدد من قرطبة، وحارب محمد بن وسيم البغاة والثوار، ولكن تضرر جيشه ورجع دون إحراز تقدم، فوصل المدد من الأمير عبد الرحمن الثاني، وأخذت فتنة العصيان والثورة.^(٢) وقدم عدد من المسافرين إلى الأمير عبد الرحمن الثاني، للشكوى من القراصنة الألمان، الذين يخطفون الشباب والفتيات، ويخربون الزرع، ويهجمون على الحدود، فجهز الأمير عبد الرحمن الثاني السفن البحرية، وقاتل القراصنة، وأحرق سفنهم، وأنقذ الناس من شرهم، ثم أقام نقاط الحراسة على شاطئ البحر.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

يدور الصراع في الرواية في شكل التآمر على قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، والتخطيط للإطاحة بحكمه، من قبل الحكام الأوروبيين، وتولى إدارة هذا التخطيط النصراني إيلوكيس، وكان ذلك التآمر في الخفاء باستخدام عدة أساليب وطرق مخاتلة ومأكرة، دون المواجهة العسكرية المباشرة، وكانت لهؤلاء المتآمرين أيادٍ خفية عابثة داخل القصر في قرطبة، تتمثل في بعض المطربين والمطربات والجواري في القصر، الذين أوكلت إليهم مهمة التآمر للإطاحة بالأمير، كما كان هناك اتصال بالنصارى القاطنين في قرطبة، ليكونوا على أهبة الاستعداد للعصيان المسلح في الوقت المناسب، ونفذ النصارى بعض مخططاتهم الهدامة بإثارة التمرد والعصيان في مريدة وطليطلة، وعلى الرغم من غفلة الأمير عبد الرحمن الثاني ووقوعه في حبال أعوان إيلوكيس مثل: زرياب وطروب، إلا أن وزيره وحاجبه كانا مدركين للتآمر المدبر، فقاما بإفشال الكثير من المؤامرات الهدامة.

(١) أندلس کی ناگن = أفعى الأندلس، ص: ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٥٠، ٣٧٥.

ووصلت الأحداث إلى العقدة في أحداث طليطة ومريدة، التي وصلت أخيراً إلى
مسمع الأمير عبد الرحمن فهبّ لتدارك الوضع قبل فوات الأوان، كما وقف على ما يدار
في قصره من تدبير للمؤامرات وحبك للدسائس والمخططات، فقام بصدها، وتراجع
زرياب عن موقفه الهدام، وأطيح بالكثير من النصارى المتآمرين.

الشخصيات في رواية اندلس كى ناگن = أفعى الأندلس

بما أن الشخصيات في رواية أفعى الأندلس شخصيات تاريخية، كانت موجودة في الأندلس؛ لهذا لها حضور قوي في الرواية وأحداثها.

الشخصيات الموافقة:

١. عبد الرحمن الثاني: ملك الأندلس، استمر عهده ٨٢٢ - ٨٥٢ م.^(١)
٢. الحكم الأول: حاكم الأندلس، والد عبد الرحمن الثاني.^(٢)
٣. زرياب: مطرب قصر عبد الرحمن الثاني في الأندلس، وكان له دور كبير في تغيير الثقافة الإسلامية في الأندلس.^(٣)
٤. السلطانة طروب: الوريثة الوحيدة لعرش أبيها في طروب.^(٤)
٥. مدثرة: زوجة عبد الرحمن الثاني.^(٥)
٦. جارية، وشفا: من جوارى قصر عبد الرحمن الثاني.^(٦)
٧. الحاجب عبد الكريم: الوزير الأكبر لعبد الرحمن الثاني.^(٧)
٨. عبيد الله بن عبد الله: القائد الأعلى لجيش الأندلس، من سكان بلنسية.^(٨)
٩. عبد الرؤوف، وفرتون، وموسى بن موسى: من القواد العسكريين في الأندلس.^(٩)

^(١) اندلس كى ناگن = أفعى الأندلس، ص: ٧.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ١١.

^(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣.

^(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

^(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

^(٦) المصدر نفسه، ص: ٣٩.

^(٧) المصدر نفسه، ص: ٦٤.

^(٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

^(٩) المصدر نفسه، ص: ٧٦، ١٥٧، ١٥٩.

١٠. خرافي: طبيب القصر.^(١)

١١. محمد بن وسيم: حاكم مدينة طليطلة.^(٢)

الشخصيات الشريرة في الرواية:

١٢. لوئي: ملك فرنسا، الذي وقف خلف العصيان في الأندلس.^(٣)

١٣. برن هارت: ملك كوتهاك مارس.

١٤. إيلوكيس: جاسوس مسيحي، المحرك الرئيسي للعصيان.^(٤)

١٥. آذري كينته: وزير الملك لوئي في فرنسا.^(٥)

١٦. سلواس: جاسوس لدى الملك لوئي في فرنسا.^(٦)

١٧. إيليارو: جاسوس مسيحي.^(٧)

١٨. هاشم لوهار: رئيس حركة المولدين.^(٨)

١٩. فلورا: كان والدها مسلماً، تزوج من فتاة مسيحية، فربتها الأم على الديانة

المسيحية، وشاركت فلورا في نشاطات العصيان ضد الحكم الإسلامي في الأندلس.^(٩)

(١) اندلس كي ناغن = أفعى الأندلس، ص: ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٠.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٩٢.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٥٨.

(٨) المصدر نفسه، ص: ٣٤٩.

(٩) المصدر نفسه، ص: ٢٧٨.

الأحداث والشخصيات في رواية (الأمير تيمور)

الأحداث في الرواية:

كانت أوروبا آنذاك في حالةٍ مزريّةٍ يُرثى لها، وكان الأوروبيون يعتقدون بأن الأمير تيمور الأعظم، السلطان التاتاري، يتمتع بقوةٍ خفيةٍ خارقةٍ، ولما وطئت قدماه أوروبا خضع له ملوك أوروبا، وأرسلوا وفود سفاراتهم إليه.

ملك بريطانيا هنري الرابع الذي حارب غزاة بروشا الذين كانوا يمتطون الأسود، خارج حدود بريطانيا؛ هنا تيمور على فتوحاته. وأرسل ملك فرنسا مدحه وولائه للأمير تيمور الموقر، أما أهل جنيف الأذكياء فقد رفعوا راية الأمير تيمور خارج القسطنطينية، واستنجد مانيول قيصر القسطنطينية بالأمير تيمور. ودون هنري ملك قشتالة أرسل كلاويجو سفيراً له إلى تيمور، ورحل كلاويجو وراء تيمور حتى سمرقند.^(١)

الأمير تيمور لنك (الأعرج)، فتح الهند وأراضي الدولة المغلية، ودانت له أرض خورشيد (خراسان)، ودخلت مملكة خوارزم في طاعته، وكانت فارس وإيران الغربية وتبريز وسلطانية في تصرفه، وسيطر تيمور على أرض الحرير وأرض الأبواب، ونيره وأرمينيا، وكردستان والروم، وغلب شهباز الهند، واستولى على جزء من ملكه، وفتح مدن دمشق وحلب وبابل وبغداد، وخضعت له غيرها من الممالك والديار، والبلاد والملوك، وانتصر الأمير تيمور في كثير من المعارك، حتى وقف مبارزاً بإزاء با يزيد الترك، الذي كان من أعظم الملوك حينها، فحارب با يزيد، وانتصر عليه انتصاراً ساحقاً، وأسره، أما العثمانيون الأتراك الذين كانوا يحكمون منذ قرن من الزمن، فقد محا الأمير تيمور كل أثرٍ لهم في لحظات.

وبعد مرور خمسة قرون؛ لا زالت الحقيقة قائمة كالشمس في عز الظهيرة، بأن اسم الأمير تيمور لنك في قائمة الفاتحين العظام في تاريخ العالم، أقام إمبراطورية عظيمة، وانتصر في جميع المعارك التي خاضها، ولم ترسخ قدمٌ محاربٍ ضده سوى في معركة واحدة،

(١) الأمير تيمور، عنايت الله التمش، ص: ٣٢٥.

وعندما تحرك للاشتباك مع هذا المحارب لبّي الأمير تيمور نداء الأجل،^(۱) وكان ذلك سنة ۷۳۷ھ الموافق ۱۳۲۵م.^(۲)

تغلق تيمور خان كان الخان الأعظم لبلاد الشمال، فتح جميع بلاد التتار، ونصب ابنه إلياس خواجه حاكماً على تلك المناطق، لكن تيمور لم تكن علاقته جيدة بابن تغلق تيمور خان، فترك الوظيفة، ورحل بعيداً، وبعد مواجهته لكثير من المصائب رجع إلى المدينة الخضراء،^(۳) وهناك التقى ببعض الأمراء الذين خرجوا في البحث عنه، واجتمعوا به. وأمير حسين (أخو زوجته ألاجائي خاتون) انضم إلى معسكره.^(۴)

وخاض الاثنان عدة معارك، وتجاوزا كابل وقندهار وسيستان، حتى وصلا سمرقند، وسار الأمير تيمور بجيشه وعبر النهر، وترك مويدارات والأمير موسى لحماية الجسر، وكان هذا الجسر يدعى (جسر سنكين) منصوباً على نهر دخش، وحصلت المناوشات بين الجيشين على ضفاف النهر لمدة شهر، ثم أمر الأمير تيمور جيشه بأن يشعلوا النيران حول الخيام، وعندما رأى المغل النيران المشتعلة ظنوا بأن تيمور وجيشه سيحاربهم بالنيران، ودبّ الذعر والهلع إلى قلوبهم، وهربوا تاركين وراءهم ميدان المعركة خالياً. وكانت للمغول حامية عسكرية داخل المدينة الخضراء، فأرسل الأمير تيمور سرية لاستطلاع الوضع حول المدينة، فربط الفرسان أغصان الشجر بقوائم خيولهم وأثاروا الغبار، فظن أهل المدينة الخضراء أن جيشاً كبيراً قد جاء لمهاجمة المدينة، فخرجت حامية المغول هاربة من الناحية الأخرى للمدينة، ولذا كتب المؤرخون بأن الأمير تيمور هزم هذه السنة جيشاً بالنيران وجيشاً آخر بالغبار.^(۵)

(۱) الأمير تيمور، ص: ۳۳۹.

(۲) المصدر نفسه، ص: ۴۶.

(۳) المصدر نفسه، ص: ۸۰ - ۹۳.

(۴) المصدر نفسه، ص: ۱۰۱.

(۵) المصدر نفسه، ص: ۱۰۲ - ۱۰۵.

تزک تیموری بانی سلطنت مغولیه امیر تیمور گورگانی کی خودنوشت سوانح عمری = السيرة التيمورية السيرة الذاتية للأمير تيمور الكورگاني مؤسس السلطنة التيمورية، امير تیمور گورگانی، مترجم: مولوی سیدھا شمن دوی، ص: 41، ناشر: سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، پاکستان، 1965ء.

وبذلك أصبح الأمير تيمور والأمير حسين ملوكا على الرقعة الممتدة من حدود الهند إلى بحر خوارزم.^(١)

وبما أن الأمير حسين كان حفيداً للأمير قزغن؛ لذا أوكّل أمر الحكومة إليه بدلاً من جده، أما تيمور فصار أميراً، وكانت رتبته دون الأمير حسين.^(٢)

فتح الأمير تيمور بدهائه قلعة قرشي، فأرسل بعض المقاتلين إلى قمة القلعة ونفخوا صور الحرب، فظن أهل القلعة أن جيشاً كبيراً قد جاء للاستيلاء على القلعة؛ فوضعوا أسلحتهم واستسلموا، دون قتال.^(٣)

خرج الأمير حسين وعبر نهر آمو إلى بلخ، وقُتل هناك،^(٤) وبعد مقتله آلت أمور الحكم إلى الأمير تيمور، الذي حمى حدود المملكة، وطارّد (المغول الجت)، بعيداً عن جماها.^(٥)

كان ذلك عام ٧٦٨ هـ الموافق ١٣٦٦ م، لما جلس الأمير تيمور على عرش المملكة، وتولى مقاليد الحكم، وكان أول أعماله أنه هزم يوسف صوفي والي خوارزم، وملك غياث الدين والي هرات، فوسع بذلك رقعة مملكته، وأرسل الكثير من الأموال التي اغتنمها من قلعة فوشيج المنيعة في هرات إلى مركز حكومته في سمرقند.

وكانت أصغر ممالك المغل مملكة (جته مغول)، وكان جته جغتائي من أولاد جنكيز، وغضب منهم أمير قزغن سار الجزء الجنوبي من مملكتهم، وأخرجهم منها الأمير تيمور ومن جبال الماليق المحيطة بحدود مملكته التي كانوا مستولين عليها، سنة ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م.

ظفرنامه، مولانا شرف الدين علي يزدى، ص: ٨٧، ناشر: بيبست مشن پريس، كولكتا، انديا، ١٨٥٧ م.

(١) الأمير تيمور، ص: ١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٣٤. ظفرنامه، ص: ٢٠٣.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٥١. ظفرنامه، ١/ ٣١٣ - ٣١٥.

وخلال عشر سنوات ١٣٧٠م إلى ١٣٨٠م كانت ثلاثة أرباع سلطنة المغول الجنكيزخانية القديمة كانت قد انمحت من الخريطة، ولم تسلم منها سوى أهم رقعة في سلطنة المغول، وكانت تُدعى سلطنة (سروردة)، الواقعة في الحدود الشمالية والشرقية لمملكة تيمور، وصار ميزان التوازن السياسي لأوروبا الشرقية في قبضة هؤلاء المغول.^(١)

توقتمش كان حاكم كرميا، شنّ على سمرقند عدة هجمات، تصدى لها أهل سمرقند، ولكن لما هجم مجدداً بعد عدة سنوات؛ تصدّى له تيمور، وبعد اقتتال عنيف، استحوذ تيمور على سلطنة سروردة.^(٢)

ومن هناك استمر تيمور في المسير بجيشه، دون أن يتعرض لإمبراطورية الروس، وأحرق المدن الأوروبية المطلّة على بحر آصف، مثل: مدينتي فينيسيا وجنيف الإيطاليتين، ومدينة كتالونيا الأسبانية، وغيرها.^(٣)

ثم فتح تيمور قلعة (كولاو طاؤس) الواقعة على صخرة ارتفاعها ثلاثمئة قدم، ثم عبر الوديان حتى وصل ضفاف نهر حذر، وأمام الجيش سلسلة جبال البرز، الواقعة على الحدود الشمالية لإيران، وكانت هذه القلاع هي التي أعطاه تيمور الأمان دون غيرها.^(٤) وفي سن الثالثة والعشرين أصبح تيمور ملكاً على مرتفعات وسط آسيا وإيران، سنة ٧٩٠هـ - ١٣٨٨م.

وفتح قلعة سبيد في إيران، ثم توالى سقوط مدينتيها: شيراز وأصفهان في يد تيمور، واستهدف بغداد، فهدمها، ونقل ما حوته يده إلى سمرقند.^(٥)

ولم تكن الهجمة على الهند سوى مناوشات عارضة، هزم فيها جيش الهند، ونقل الأموال على الفيلة إلى سمرقند.^(٦)

(١) الأمير تيمور، ص: ١٦٥ - ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ٢٧٥ - ٢٧٩.

وبرجوعه إلى سمرقند بنى فيها مسجداً، في غضون ثلاثة أشهر، وفيه ٤٨٠ ساريةً من حجر الرخام، وكانت سمرقند - لما تولى حكمها الأمير تيمور - مدينة مبنيةً من الطوب والآجر والطين، ولكن تيمور جعلها روما آسيا، وأحضر إليها كل ما أعجبه في مدن العالم؛ فزّين بها سمرقند.

السلطان العثماني با يزيد يلدرم الذي استأصل الممالك المسيحية من جذورها، لم يصمد أمام التتاريين، الذين تقدموا واستولوا في لحظات على مدينة سواس ملطية،^(١) ثم أفنوا جيش السلطان با يزيد يلدرم، سنة ٨٠٥هـ، واستولى التتار على العاصمة العثمانية أنقرة، ثم بورصة، ونيقية.^(٢)

ثم هجم جيش تيمور على الشام، وحلب، ودمشق، في ذي القعدة ٨٥٣هـ، يناير ١٤٠١م، وركض قواد تيمور بخيولهم وجيوشهم من الهند إلى البحر الأسود وفلسطين. وكان الهدف التالي مصر، لكن حاكمها دخل في الطاعة، ودفع الخراج، وبدأ الخطاباء بالدعاء لتيمور على المنابر.^(٣)

وانشغل تيمور عن دخول أوروبا، بنقل الأموال الضخمة التي غنمها من الترك العثمانيين إلى سمرقند.^(٤)

وبعد نقل الغنائم إلى سمرقند عقد الاحتفالات فرحاً بالنصر، وشيد بعض البناءات الجديدة، ثم سار بالجيش إلى صحراء (كوبي)، استعداداً لعبور سور الصين العظيم، وبدأ فصل الشتاء، وتساقطت الثلوج، وأراد تيمور أن يتوقف عند قلعة أترار العظيمة في الحدود الشمالية، لكن تدهورت صحته، وفي تلك الرحلة التحق بالرفيق الأعلى.^(٥)

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٨٨ - ٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٠٩ - ٣٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٣٢٧.

(٥) الأمير تيمور، ص: ٣٣٩.

وبعد وفاته اندلعت الاضطرابات، وانقطعت سبل التجارة بين القارات، وانفصلت آسيا عن أوروبا ثانيةً، ويبدأ هذا العصر منذ سنة ١٤٠٥م، حتى اكتشاف البرتغال والإنجليز طرق الملاحة البحرية.

وكان رحيل تيمور تقويضاً لأساسات الدول الإسلامية، ولم يحاول أحدٌ بعد تيمور أن يحكم العالم كله، وقد اشتهر في آسيا ثلاثة فتحوا العالم كله، وهم: الإسكندر المقدوني، وجنكيز، وتيمور.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

تتحدث الرواية التاريخية عن ملاحم الأمير تيمور لنك، الذي أوشك أن يكون سلطاناً للعالم كله، حين غزا بلدان الشرق والغرب ولم يسلم من سطوته أحد. وعلى غرار حكم السلطان محمود الغزنوي فإن الأمير تيمور لنك أيضاً عانى من انفتاح جبهتين للقتال ضده في آن واحد، الجبهة الداخلية من أمراء الأقاليم المجاورة، الذي لم يصمدوا طويلاً أمام تيمور لنك، لكنهم أشغلوهم لبعض الوقت عن مهمته في بسط نفوذه على بلدان العالم، والجبهة الخارجية التي قاتل فيها تيمور لنك كانت متعددة ومختلفة في كل مرة، فكانت وجهته مختلفة في كل معركة.

وكعادة التمش في رواياته التاريخية؛ فإنه استطرد في الحديث عن المعارك التي خاضها تيمور، وانتصر فيها، وبالتالي لم تمس الحاجة إلى صياغة أحداث الرواية في صورة الرواية التقليدية التي تتوسطها العقدة، التي تنفرج بالحل.

الشخصيات في رواية "الأمير تيمور"

من الشخصيات البارزة:

١. الأمير تيمور: بطل الرواية، كان في البداية رجلاً شريفاً، قليل القدرة، ثم صار من الغزاة الفاتحين، واشتهر في آسيا الوسطى، ويسمى في أوروبا (تمرلنك).
٢. الأمير طراغائي: والد الأمير تيمور، ورئيس قبيلة برلاس.^(١)
٣. أمير قزغن: أمير وقائد عسكري.^(٢)
٤. حاجي برلاس: عم الأمير تيمور.^(٣)
٥. ألقائي خاتون: زوجة الأمير تيمور، وحفيدة أمير قزغن، من أسرة ألوس.^(٤)
٦. دلشاد آغا: الزوجة الثانية للأمير تيمور، كان زوجها الأول الأمير حسين.^(٥)
٧. جهانكير تيمور: الابن الأكبر للأمير تيمور.^(٦)
٨. شهزادي خانزاده: جاءت عروسا لجهانكير من اوركنج إلى سمرقند، وبعد وفاته تزوجت أخاه مهران.
٩. ميران شاه: ابن الأمير تيمور.^(٧)
١٠. عمر شيخ: الابن الأصغر للأمير تيمور.
١١. خليل سلطان: ابن ميران شاه.
١٢. خان أعظم تغلق تيمور خان: حاكم بلاد الشمال.^(٨)

(١) الأمير تيمور، عنايت الله التمش، ص: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٦. ظفرنامه، ١ / ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٦٦.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٦٠.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٦٩.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٩٢.

(٨) ظفرنامه، ١ / ٤٣.

١٣. بايزيد جلائر: رئيس قبيلة جلائر.^(١)
١٤. إلياس خواجه: ابن تغلق تيمور خان، حاكم التتار.^(٢)
١٥. بيك جك: نائب إلياس خواجه.^(٣)
١٦. أمير حسين: قائد عسكري للأمير تيمور، وأخو ألاجائي خاتون.^(٤)
١٧. علي بيك: أخوه حاكم طوس في إيران، وهو احتجز الأمير تيمور وزوجته ستين يوما.^(٥)
١٨. أمير جاكو: من أمراء قبيلة برلاس.^(٦)
١٩. أمير موسى: رئيس قبيلة قرشي.^(٧)
٢٠. ملك معز الدين: حاكم (والي) هرات.^(٨)
٢١. منكلي بوغا: من البدو المغول، من رؤساء القبيلة.^(٩)
٢٢. خواجه بهاء الدين: درويش صوفي مشهور في بلاد ما وراء النهر.^(١٠)
٢٣. خطائي بهادر: رئيس قبيلة خطائي.^(١١)
٢٤. حسين صوفي: حاكم (والي) خوارزم.^(١٢)
٢٥. أمير سيف الدين: أكبر وزراء الأمير تيمور.^(١٣)

(١) الأمير تيمور، ص: ٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٨٨.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٩٠.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٠٩.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٢١.

(٨) المصدر نفسه، ص: ١٢٢.

(٩) المصدر نفسه، ص: ١٢٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص: ١٣٦.

(١١) المصدر نفسه، ص: ١٤٢.

(١٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٤.

٢٦. ملك غياث الدين: ابن حاكم هرات معز الدين.^(١)
٢٧. أق بوغا: قائد عسكري للأمير تيمور.^(٢)
٢٨. أمير نور الدين شاه: القائد العسكري الأعلى للأمير تيمور.^(٣)
٢٩. الشيخ علي بهادر، ومبارك، ومويدلات، وأمير موسى: قواد عسكريون
للأمير تيمور.^(٤)

^(١٣) الأمير تيمور، ص: ١٤٨.

^(١) المصدر نفسه، ص: ١٥٠.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٤٣.

^(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٣٨.

^(٤) المصدر نفسه، ص: ١٠٢، ١٤٢.

الأحداث والشخصيات في رواية "وظل النيل يجري" الأحداث في الرواية:

ألقى جنود الله في مصر بالرومان هزيمة منكرة، أما هرقل ملك الروم الذي كان مثالا للشجاعة والقيادة العسكرية، واسمه مثير للرعب بفطرته الفرعونية؛ فقد عبر بحيرة الروم، وجلس في بيزنطة يبعث الأوامر إلى جيشه في مصر بالقتال، وكان في حالة اليأس، وسقته امرأته السم، فمات مسموماً.

ويعد فتح مصر إنجازاً تاريخياً للقائد عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولا زال المؤرخون والمحللون يتساءلون: كيف استطاع جيش مكون من عشرة آلاف أن يلحق الهزائم المتتالية في كل ميدان وقلعة بجيش الروم المكون من مائة ألف، وينجحوا في طردهم من أرض مصر؟!

وينقل المؤرخ الشهير الطبري بأن عمرو بن العاص رضي الله عنه اتجه إلى فتح بيت المقدس، فحفر أرطوبون الروم خندقاً حوله، وشدد إجراءات الحراسة حول حدوده، فبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إليه بطلب الصلح، وكان الغرض أن يأتي المبعوث بأحوال البلاد، وفي المرة الثانية ذهب عمرو بن العاص رضي الله عنه متنكراً في صفة المبعوث، ولكن الأرطوبون فطن بأنه قائد الجيش، وأراد إهلاكه، ولكن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال له: نحن عشرة من القواد جئنا من عند الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سأسئشيرهم وأرجع إليك، ففرح الأرطوبون، وانتظر إلى المساء، ثم أدرك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قد خدعه، ثم أرسل إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن لا ينتظر بيت المقدس بعد فتح أجنادين. فرد عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنا فاتح فلسطين، وأقترح عليك أن تشاور مستشاريك، فرما يشيرون عليك برأي تنجو فيه من الهلاك.

ويذكر الطبري بأن الأرطوبون لم يرتدع من رد عمرو بن العاص رضي الله عنه، ثم قال: مكتوب في التوراة اسم فاتح بيت المقدس مكون من ثلاثة أحرف، ويمكن أن يكون عمرو.^(١)

كان (فوكاس) ملك الروم، لما احتل الفرس الإيرانيون الشام ومصر سنة ٦١٤م، من قبضة الرومان.

تحمل فوكاس هذه الهزيمة الشنيعة، وكان هرقل أكبر قواد الجيش، فتواطأ مع زوجة فوكاس، فسقته سماً، وصار ملك الروم إلى هرقل، ثم استعاد الروم مصر والشام سنة ٦٢٥م من الفرس الإيرانيين.^(٢)

ولم يكن هناك تصور أو وجود لقوة ثالثة بين هاتين القوتين الكبيرتين، ولكن ظهرت نظرية الإسلام التي انبعثت وانتشرت، وأهالت التراب على إمبراطوريتي قيصر وكسرى.

وهرقل ملك الروم الذي كان يعد نفسه مركز القوة، صار يهرب يمنة ويسرة للبحث عن ملجأ في سنة ٦٣٤ - ٦٣٥م، ولكن لم يكن له مفر من قدره.

كانت مدينة أنطاكية محاطة بالقلاع والجبال المرتفعة، وفضل الروم على الخروج من المدينة للقتال؛ بدلاً من التحصن داخلها، فكانت النتيجة أن قتل منهم الكثير، وهرب قائد الجيش إلى هرقل،^(٣) وخرج الجيش من أنطاكية، واجتمع في حلب، حيث كانت قلعة مرعش، وظن الروم أن جيش المسلمين قليل العدد فنزلوا للقتال، وكانت هزيمتهم، وفتح المسلمون القلعة، واستولى المسلمون على بيروت، وانقطع المدد للروم من طريق البحر.^(٤)

(١) اورنيل بهتاربا = وظل النيل يجري، عنايت الله الشمس، ص: ٢٤ - ٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١ - ٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ٩٤ - ٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ١ / ١٠٢ - ١٠٣.

وخرج هرقل بما بقي من جيشه في رباء متجها إلى القسطنطينية، وشاهد بعض المسلمين قرب مرعش، ولما وصل بالقرب من شمشاط، شاهد جيش خالد بن الوليد رض الله عنه المتجه إلى دلوك، فأخفى هرقل جيشه ورجاله بين الجبال.^(١)

ويروي محمد حسين هيكل بأن هرقل لما خرج من حدود الشام نظر خلفه، وتأوه، وقال: سلام الوداع عليك يا أرض الشام! بعد الآن لن يتجرأ أي رومي أن يطأ بقدميه أرضك دون خوف.^(٢)

وكان الروم على درجة من الغرور، حتى بعد أن فتح المسلمون دمشق كان الروم يظنون المسلمين قراصنة ونهابين وبدواً من الصحراء.

وكانت تلك الأرض مخضرة، حيث أمر قائد الروم سكار بقطع أطراف الأنهار، ثم أرسل إلى المسلمين يطلب مبعوثاً لإجراء مباحثات الصلح والسلام.

فأرسل القائد أبو عبيدة رضي الله عنه مبعوثه معاذ بن جبل رضي الله عنه، الذي ركب فرسه وذهب إلى الروم، وكان من كبار الصحابة، فأجلّه الروم واحترموه؛ لكبر سنه وعلو مقامه، وأمره قائد الروم سكار بالجلوس على السجاد، فتردد معاذ في الجلوس، ولكن سكار طمأنه بأن العبيد فقط هم الذين لا يمكنهم الجلوس على السجاد، فقال معاذ: تفوح من هذا السجاد رائحة دماء الفقراء، ولن أجلس عليه، ثم جلس على بساط الخيمة.

فقال سكار: نحن نريد أن نقدرك ونجلّك، ولكن أنت لا تهتم بكرامتك، ولا نملك في ذلك شيئاً.

فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إن كنت تحسب الجلوس على السجاد عزةً فأنا لا أهتم لذلك.

ثم قال للمترجم: لتحدث.

(١) اورنيل بهتاربا = وظل النيل يجري، ١ / ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ١٠٨.

فقال سكار: نريد أن نسألك سؤالاً واحداً: بأن الحبشة قريبة منكم، وغيرها من البلاد، فلماذا توجهتم إلى هنا؟ ألا تعلم بأن ملكنا أعظم الملوك، وجيشنا بعدد نجوم السماء وذرات الأرض، هل ستهزموننا؟! مستحيل.

وكان القائد الرومي يريد أن يقبل المسلمون الصدقة ويرجعوا، فعرض الشام وجزءاً من الأردن، أن يأخذها المسلمون ويرجعوا، فقام معاذ بن جبل رضي الله عنه، ورفض المزيد من الحديث، ورجع.^(١)

ثم جاء مبعوث الروم، وقال: سنعطي كل جندي في جيشك قطعتين من الدنانير الذهبية، على أن ترجعوا.

فسأله أبو عبيدة رضي الله عنه: إن كان عنده كلام آخر يريد أن يقوله. فقال المبعوث: لا.

فأمره أبو عبيدة رضي الله عنه بالرجوع، فرجع المبعوث ساخطاً. وأرسل أبو عبيدة رضي الله عنه بالخبر إلى الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرد الخليفة: بالثبات في سبيل الله، والله تعالى سيمدكم بالنصر.^(٢) وكان المبعوث الرومي يتوقع أن يكون قائد جيش المسلمين على أبهة وعظمة من الجاه والجلال، وسيكون مظهره مختلفاً متميزاً عن غيره، ولكن لما جاء وسأل عن أبي عبيدة رضي الله عنه؛ رآه جالساً على الأرض، فظل ينظر إليه لبعض الوقت متعجباً.^(٣)

وفدت عدة قبائل على هرقل في بيزنطة، من غسان، وتمر، وتغلب، وعدوان، وإباد، وأكدوا لهرقل وقوفهم معه، وحثوه على الهجوم على المسلمين.

كما جاء ابن هرقل من مصر بالمدد، للأخذ بثأر أبيه، وكان الجيش الرومي ومعه قبائل العرب يفوق خمسين ألف مقاتل، وعدد جيش المسلمين أربعة آلاف مقاتل،

(١) اورنيل بهتارها = وظل النيل يجري، ١ / ١١١ - ١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١١٣.

وكانت أول مرة يقلق فيها أبو عبيدة رضي الله عنه،^(١) فأرسل لطلب المدد من الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان الخليفة قد بنى مراكز لجيش المسلمين في الكوفة والبصرة، والجنود فيها مستعدون دوماً للقتال.^(٢)

وقد أثنى المؤرخون - حتى من غير المسلمين - على التدبير والفراسة العسكرية للخليفة أمير المؤمنين، فأرسل الخليفة إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - وكان في المدائن قد طرد منها أتباع زرداشت - بأن يرسل القعقاع بن عمرو في أربعة آلاف مقاتل إلى أبي عبيدة رضي الله عنه ، فأرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المدد فوراً، كما تجهز الخليفة بجيشه من المدينة لمساعدة أمين الأمة، ولكن بلغه في الطريق نبأ الفتح والنصر، فرجع بالجيش.^(٣) ولما وصل القعقاع إلى حمص علم بانتصار المسلمين.^(٤)

مدينة حمص التي تجمع فيها جنود الجيش المنهزم في صورة العوام الفقراء، واتجه رينتهونيس (قائد هرقل)، والملكة ليزا، وابنها يوكلس، إلى حلب، وأعلنوا العصيان والثورة، وفرح المسلمون بهم؛ لأنهم قاموا بمحاصرتهم في حلب، حتى قتل رينتهونيس ويوكلس، وفتح المسلمون القلعة بعد القتال، وكانت آخر قلاع الشام سقوطاً، وبذلك فتحت الشام كلها، وصارت بأيدي المسلمين.^(٥)

كانت للأقباط في مصر عادة إذا قلّ ماء نهر النيل؛ يرمون بفتاة إلى أمواج النهر، فإذا غرقت الفتاة قالوا: قُبل قرباننا، ولن يقلّ الماء،^(٦) فلما علم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك كتب بطاقة إلى نهر النيل، يقول فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر: أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك فلا

(١) اورنيل بهتارها = وظل النيل يجري، ص: ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٩٢.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٢٨.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٢٨٨.

تجر؛ فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك
فنسأل الله تعالى أن يجريك.

وكان الاحتفال بعيد الصليب في اليوم الثاني عشر من ذلك اليوم، فقرأ عمرو بن
العاص رضي الله عنه البطاقة على الملأ، ورماها في النيل، وتجمع الناس في اليوم التالي
ليروا فيضان الماء قد زاد، وبذلك انتهت هذه العادة الشنيعة للأقباط.^(١)

وفي سنة ١٨ هـ - ٦٣٩ م كانت سنة المجاعة، وانتشر القحط، وأرسل الخليفة أمير
المؤمنين إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه والقادة الآخرين بطلب المدد، فأجاب الجميع
فوراً وأرسلوا المدد إلى المدينة، وكان الخليفة حريصاً على أن لا يبقى جائع في المدينة.
وقل الخليفة أمير المؤمنين من الطعام، فتأثرت صحته، وقبل أن تنتهي المجاعة
ويزول القحط؛ نزل بالمدينة وباء مات منه خلق كثيرون، فدبر الخليفة تكفين الموتى
وتدفينهم من بيت مال المسلمين، ثم أعلن: من استطاع الوصول إلى المدينة فليقدم لأداء
صلاة الاستسقاء، واستمر هذا القحط تسعة أشهر، ثم نزلت رحمة الله بالغيث، وانتهى
القحط.^(٢)

وفي سنة ١٨ هـ - ٦٣٩ م انتشر الطاعون بأرض عمواس من الشام وفلسطين،
واستشهد منه أناس كثيرون، ومن المجاهدين أيضاً.^(٣)
بعد زوال القحط وانحسار الوباء؛ سمح الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لعمرو بن العاص رضي الله عنه بالتحرك لفتح مصر، وعارض بعض الصحابة هذا القرار،
وكان أول موقع فتحه (العريش) دون قتال، ثم (فرما) وكانت فيها حاميات صغيرة، لم
تثبت أمام جيش المسلمين.^(٤)

(١) اورنيل بهتاربا = وظل النيل يجري، ص: ٤٥٢ - ٤٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٣١ - ٣٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٩ / ٢.

وكان الموقع التالي (بليس)، فطلب عمرو المدد من الخليفة، فأرسل إليه أربعة آلاف مقاتل، على رأس كل ألف أمير، وهؤلاء الأمراء هم:

الزبير بن العوام (القائد الأعلى)، وعبادة بن الصامت، والمقداد بن الأسود، وخارجة بن خدام رضي الله عنهم.^(١)

ولم ينتظر عمرو بن العاص رضي الله عنه المدد، فزحف للهجوم على بليس، سنة ٦٤٠م، واستمرت محاصرة بليس شهراً، وحارب الأرطبون القائد بشجاعة حتى قتل، فأرسل المسلمون جثته إلى المقوقس ملك مصر، وفتحت بليس، وأرسل عمرو بن العاص رضي الله عنه بشارة الفتح إلى الخليفة أمير المؤمنين.^(٢)

وكانت المدينة التالية التي حاصرها المسلمون أم دين، التي تبعد عن بابلون أربعة أميال، وفي بابلون يقيم المقوقس ملك مصر، وعلى الرغم من القادة العسكريين المتمرسين إلا أن جيش المقوقس هجم على المسلمين من الخلف، وكان مدد المسلمين قد وصل (هيلو بوليس) التي تسمى عين الشمس.^(٣)

واستدرك المسلمون الرومان إلى عين الشمس في ميدان اختاره المسلمون للقتال، وعندما علم الروم باستحالة النصر؛ طلبوا الصلح، ولكن رفض هرقل ذلك، وأسر المقوقس، وساقه مكبلاً.^(٤)

وهرقل الذي كان كالشمس لإمبراطورية الروم، وطرد الفرس الإيرانيين من مصر ثم الشام وهزم جيشهم الذي كان يعد مائتي ألف مقاتل؛ لكنه الآن وقف عاجزاً أمام جيش المسلمين الذي يعد بضعة آلاف.^(٥)

(١) أوريل بيهاربا = وظل النيل يجري، ص: ٢ / ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢ / ٢٩ - ٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢ / ٦٥ - ٧٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٥٩.

ومات هرقل في فبراير أو مارس سنة ٦٤٠م، ثم طال حصار قلعة بابلون ثمانية أو تسعة أشهر، وفي ١٦ أبريل سنة ٦٤١م انهزم الرومان وأخلوا المدينة، ودخلها المسلمون فاتحين. (١)

وكانت هذه المنطقة هي المفضلة والمحجوبة للفرعونيين؛ فأسوار القلعة تطلّ على أبي الهول، والأهرام، ونهر النيل، وفي هذه المدينة كسر موسى بعصاه طلاسماً سحرة فرعون. (٢)

وبعد بابلون فتح المسلمون قلعة الروضة، وهربت حامية جيش الروم من نقيوس، وانهزموا في طرنوط، وكانت كريون المرحلة الحاسمة للرومان، الذي وصلهم خبر موت هرقل، وكان القائد ثيودور يثير الحماسة في جنوده ويعلي همهم، ويحضهم على الحرية. (٣)

وكانت حالة جيش المسلمين حرجة، فتراجع عمرو بن العاص رضي الله عنه بالجيش قليلاً إلى الوراء، وأدوا صلاة الخوف، واستمر القتال بضعة أيام، وقبل عدد المقاتلين في جيش المسلمين، ووهنت قواهم الجسدية، ولكن كانت قوتهم الإيمانية في قمة الحماسة، ثم فتح الله على المسلمين، وكتب النصر لهم. (٤)

وكانت النقطة التالية هي الإسكندرية، التي دام حصارها ثلاثة أشهر، وكان الروم يخرجون للقتال ثم يعودون، وحلّ الشهر الرابع، فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتقدم القادة الأربعة بعد صلاة الجمعة للهجوم، وسيكون النصر حليف المسلمين بإذن الله، وخرج الروم بأنفسهم خارج القلعة للقتال بعد صلاة الجمعة، واقتتل الجانبان،

(١) أورنيل بيهنارها = وظل النيل يجري، ص: ٢ / ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢ / ٣٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢ / ٢٢١، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢ / ٣٥٢، ٣٧١.

وكان المسلمون قد دخلوا القلعة قبل المساء، ورفرفت راية الإسلام فوق مدينة الإسكندرية.^(١)

فتحت مصر كلها، وصار بلداً إسلامياً، وما بقي من جيش الروم عاد عابراً بحيرة الروم، وظل النيل يجري.

ولم يكن فتح مصر هزيمة للروم فقط، بل للدول المسيحية كلها آنذاك، وقد حرف المؤرخون النصارى الحقائق، وطمسوها، لا سيما المؤرخ إيلفريد بتلر، الذي قدم فتح المسلمين لمصر وخاصة الإسكندرية وكأن الروم قدموها على طبق من ذهب هدية إلى المسلمين بكل احترام، وركبوا سفنهم عائدين إلى بيزنطة.

ويختتم بتلر حديثه - محاولاً التغطية على إيمان المسلمين وشجاعتهم - بأن الروم لم يهزموا، لكنهم استسلموا ووضعوا السلاح؛ مراعاةً للمصلحة.^(٢)

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

عمرو بن العاص رضي الله عنه صاحب مسيرة تاريخية مميزة في المعارك التي خاضها الصحابة الكرام لفتح البلاد المجاورة للحجاز والجزيرة العربية، فقد توجه عمرو بن العاص لفتح مصر، وكانت تمثل قوة عسكرية لدولة الأقباط التي يعصدها الرومان، وتتمتع بقوة عسكرية واقتصادية، نظراً لجريان نهر النيل، الذي أمدّ مصر من شمالها إلى جنوبها بالوفرة الزراعية، والاكتفاء الذاتي من المحاصيل.

في هذه الظروف توجه عمرو بن العاص لفتح مصر، وحارب بجيشه لفتح مدن مصر واحدة بعد الأخرى، حتى استتبّ له الأمر فيها، وكان فتح بعض المدن المصرية بخطة الحصار، مثل: مدينة بليس التي طال حصارها شهراً، وقلعة بابليون التي طال حصارها نحو تسعة أشهر، وكانت آخر المدن فتحاً الإسكندرية. كما عانى المسلمون في هذه الفترة من طاعون عمواس بالشام، وجائحة المجاعة والقحط التي لحقت بالمسلمين،

(١) المصدر نفسه، ص: ٣٩٧ - ٤٣٨.

(٢) اورنيل بهتارها = وظل النيل يجري، ص: ٤٤٣. فتح العرب لمصر، د. الفريد ج. بتلر، المترجم: محمد فريد أبو حديد بك، ص: ٢٨٨، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط/٢، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

في السنة الثامنة عشرة الهجرية. ويظهر الحل في الرواية في هروب الرومان من مدن مصر، وإخلاء حامياتهم العسكرية فيها.

الشخصيات في رواية "وظل النيل يجري"

١. عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الخليفة الثاني أمير المؤمنين، توسعت رقعة الخلافة في عهده حتى ثلاث قارّات: روسيا شرقاً، وأوروبا شمالاً، وأفريقيا وبحر الكاهل غرباً.^(١)
٢. عثمان بن عفان رضي الله عنه: ذو النورين، خالف الهجوم على مصر؛ لانشغال جيش المسلمين في فتوحات الشام والعراق.^(٢)
٣. عمرو بن العاص رضي الله عنه: فاتح مصر.^(٣)
٤. حديد بن مؤمن حزر: الأسير المسلم، حرّته ابنة هرقل، التي أسلمت، وتزوجت به.
٥. يزيد بن أبي سفيان: القائد العسكري للجيش.^(٤)
٦. عياض بن غنم: نائب قائد الجيش.^(٥)
٧. أبو عبيدة وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم: قادة فتوحات الشام.
٨. معاذ بن جبل رضي الله عنه: صحابي، ومجاهد، إمام العلماء يوم القيامة.^(٦)
٩. القعقاع بن عمرو: قائد جيش، اشتهر بالشجاعة والإقدام، وكان يُعد في الجيش بألف رجل.^(٧)
١٠. سهيل بن عدي: قائد عسكري.

(١) اورنيل بېتارها = وظل النيل يجري، ص: ٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٠٣.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٠٠.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١١٠.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٤٢.

١١. عبد الله بن غسان: قائد عسكري.
١٢. وليد بن عتبة: أمير جيش بني تغلب.^(١)
١٣. حاطب بن أبي بلتعة: صحابي، مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر.^(٢)
١٤. الزبير بن العوام: رضي الله عنه، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عمته، شارك في جميع الغزوات، أرسله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدداً إلى جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر.^(٣)
١٥. عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: كان مع أبيه في فتح مصر.^(٤)
١٦. أسامة بن أظهري: من جواسيس المسلمين وغيوثهم.^(٥)
١٧. أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: من قواد الصحابة.^(٦)
١٨. حجرة بن شعبة: المترجم بين الخليفة عمر بن الخطاب، والهرمزان.^(٧)

الشخصيات السلبية الشريفة في الرواية:

١. هرقل: ملك الروم، وكانت مصر والشام في قبضته، وتتبعه مملكة غسان من العرب.^(٨)
٢. فوكاس: ملك الروم قبل هرقل.^(٩)
٣. اطربون: أمير بيت المقدس، قائد رومي.^(١٠)

^(١) اورنيل بهتاربا = وظل النيل يجري، ص: ١٤٤.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨٣.

^(٣) المصدر نفسه، ٢ / ٢٣ - ٢٦.

^(٤) المصدر نفسه، ٢ / ٣٥٠.

^(٥) المصدر نفسه، ٢ / ١٩٧.

^(٦) المصدر نفسه، ٢ / ٣٧٣.

^(٧) المصدر نفسه، ٢ / ٣٨٠.

^(٨) المصدر نفسه، ١ / ٣٨.

^(٩) المصدر نفسه، ١ / ٥٨.

- ٤ . راستين: قائد عسكري رومي، كان في مدينة أنطاكية.^(١)
- ٥ . تذارك: كان قائد الروم في معركة اليرموك.
- ٦ . شاه مردين: منجم هرقل، وكان يتنبأ قبل الحرب.^(٢)
- ٧ . سكار: قائد عسكري رومي.
- ٨ . قسطنطين: ابن هرقل.^(٣)
- ٩ . يوكلس: ابن هرقل، وكان معاقا في ذراعه منذ ولادته.^(٤)
- ١٠ . هرقليوس: ابن هرقل وكان أحد الملوك بعد وفاة هرقل في بيزنطة.^(٥)
- ١١ . الملك كونستانس: ابن هرقل، وكان أحد الملوك بعد وفاة هرقل في بيزنطة.^(٦)
- ١٢ . ثيودور: قائد عسكري رومي.^(٧)
- ١٣ . حنا: قائد عسكري للمقوقس.
- ١٤ . الملكة مرتينا: أم هرقليوس، وزوجة هرقل.^(٨)
- ١٥ . جورج: قائد عسكري رومي في قلعة كريون.
- ١٦ . قيرس: الأسقف الرومي الأعظم، في عهد هرقل، وكان يجبر الناس على التنصّر بالظلم.^(٩)
- ١٧ . بنيامين: الأسقف الأعظم للأقباط في مصر.^(١٠)

^(١٠) المصدر نفسه، ١ / ٢٥.

^(١) المصدر نفسه، ١ / ٩٦.

^(٢) اورنيل بهتارها = وظل النيل يجري، ١ / ٣٨.

^(٣) المصدر نفسه، ١ / ١١٧.

^(٤) المصدر نفسه، ١ / ١٥١.

^(٥) المصدر نفسه، ١ / ٣٨.

^(٦) المصدر نفسه، ١ / ٣٨.

^(٧) المصدر نفسه، ١ / ٣٦٠.

^(٨) المصدر نفسه، ١ / ١٣٩.

^(٩) المصدر نفسه، ١ / ٢٨٥.

^(١٠) المصدر نفسه، ١ / ٣٢٧.

١٨. هورشيس: رميت ابنته إلى نهر النيل قرباناً، في طقوس المصريين آنذاك؛ حتى يفيض
ماء نهر النيل.

الأحداث والشخصيات في رواية دمشق کی قید خانے میں = فی سجن دمشق أحداث الرواية:

استمد الكاتب أحداث روايته من فترة تاريخ الأندلس، الذي ارتبط بديار الأندلس ودمشق، حين قاد المسلمون الفتوحات الإسلامية في بلاد الأندلس بعد معارك كثيرة. نجد أحداثاً مهمة عن الأندلس منذ الفتح إلى وفاة موسى بن نصير في الرواية، وسمى المؤلف الرواية: "في سجن دمشق" بدلاً من فتح الأندلس؛ للإشارة إلى الشخصيات التي سجت في سجن دمشق في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، مثل: الفاتح الإسلامي محمد بن القاسم الثقفي، والقائد الإسلامي قتيبة بن مسلم الباهلي، والقائد الفدّ موسى بن نصير، إنهم لم يرتكبوا جريمة سوى حب الشعب، وبسبب قيادة المعارك الكبرى التي خاضوها، وفتحوا تلك البلاد، وحرّروها من سلطة الكفار، ولعلّ ذلك الحب جعل الخليفة حاقداً عليهم، ثم لم يستطع الخليفة أن يتغلب على ضغينته فقام بقتلهم، وفيما يلي سأذكر بعض الأحداث التي تتعلق بالقتل والطرّد للقادة المحترمين من المنحى التاريخي.

تبدأ الرواية بإهانة سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير، حيث فُرض على القائد العظيم من الخليفة أن يدفع غرامة مالية؛ تأديباً أو تعويضاً، فاضطره وأجأه إلى التسول في موسم الحج، حينما جاء حجاج بيت الله الحرام، وجدوه طالب عطية وإحسان، فاستغربوا ذلك، ثم جاء رجالان للحج من إفريقيا، فسألاه عن السبب؟! أجابهما موسى بن نصير بالإشارة إلى السماء: تُعزّ من تشاء وتُذل من تشاء. وبعد ذلك مات الخليفة الوليد بن عبد الملك، وتولى الخلافة أخوه سليمان بن عبد الملك ... فكانه أشار إلى ما كان الخليفة سليمان بن عبد الملك يكرّ له من الضغينة والحقْد.^(١)

(١) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، عنايت الله التمش، ص: ١٥ - ٥.

يقول محمد عبد الله عنان:

(إن سليمان سخط على فاتح الأندلس ونكبه، وذلك أن موسى وصل إلى الشام والوليد في مرض موته، وأرسل قاصداً إليه سليمان - ولي العهد يومئذ - أن يتمهل في السير حتى يموت الوليد، فيقدم عليه في صدر خلافته، مما يحمل من جليل التحف والغنائم، فأبى موسى، وجدّ في السير حتى قدم والوليد حي، فسلم إليه الأخماس والغنائم، ثم توفي الوليد بعد ذلك بقليل، مستخلفاً سليمان على كرسي الخلافة، فغضب سليمان على موسى، وبالغ في إهانته وتعذيبه، ثم ألقاه إلى ظلام السجن، وتوفي موسى بعد ذلك بقليل، في سنة سبع وتسعين، وقيل: في سنة تسع وتسعين، وهو في نحو الثمانين من عمره).^(١)

لكن ابن خلكان قال:

(ولما وصل موسى إلى الشام، ومات الوليد بن عبد الملك، وقام من بعده سليمان أخوه، وحج في سنة سبع وتسعين للهجرة، وقيل: في سنة تسع وتسعين، حج موسى بن نصير، ومات في الطريق بوادي القرى، وقيل: بمَرّ الظهران؛ على اختلاف فيه.

هنا نجد الاختلاف بين الروائي، وكتب التاريخ، وتصرف الكاتب تصرفاً شديداً في الوقائع التي تتعلق بهذه الأدوار، ولعله يشير إلى قلة اطلاع الروائي على تلك الأحداث التاريخية.

وذكر الروائي أيضاً: أن الرجلين قدما من أرجاء البلاد للحج، وألقيا أيضاً في المعتقل نفسه، الذي سجن فيه محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم.^(٢) لكن هذه الأحداث أو الوقائع ليست موجودة في كتب التاريخ، ولعل الروائي أطنب في الحديث عند سرد الأحداث والوقائع.

(١) تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، لمحمد عبد الله عنان، ص: ٣٧، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط/ ٢، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

(٢) دمشق کے قید خانے میں = في سجن دمشق، ص: ٢١.

تبدأ القصة "الفتح الأندلس" بقدوم جولین إلى موسى بن نصیر وعرضه عليه مساعدته في الإنقاذ، والتخلص من "رورديك" حاكم الأندلس.

سأل موسى بن نصیر عن سبب هذا الانتقام، فأجابه جولین: إنه من أجل ابنته "فلورندا"، لأنه أرسل ابنته "فلورندا" بارعة الجمال إلى قصر "رورديك" لتعلم آداب الأمراء والسادة طريقة معاشهم، وقد هجم رورديك هجوماً شنيعاً على عفافها.

لما سمع موسى بن نصیر هذه الأحوال؛ كتب رسالةً إلى خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك، حينما عرف الخليفة عن الأحداث السيئة في الأندلس؛ أذن لهم بذلك إلا أنه طلب منهم أن يقوموا بحملة استطلاعية؛ ليكتشفوا بها أحوال الأندلس قبل دخولهم البحر، استجاب موسى بن نصیر لأمر الخليفة، فأرسل أسطولا صغيراً إلى الأندلس بقيادة القائد "طريف بن مالك"، وقد عبر هذا الجيش - يحتوي على مائة جندي - البحر المتوسط مقدماً للفتح الأكبر. وتحركت تلك الحملة في شهر رمضان المبارك سنة ٩١ هـ - ٧١٠ م.^(١)

وبعد ذلك أرسل موسى بن نصیر طارق بن زياد بقيادة سبعة آلاف جندي، معظمهم كانوا من البربر، وأخبر طارق جيشه أن النصر للمسلمين وهزيمة للكفار، لأنه رأى في الرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم مبشراً إياه بالانتصار وهزيمة العدو.^(٢)

وفي ٧١١ هـ دخل طارق بن زياد مع جيشه الأندلس، أمر طارق البحارة الذين عبروا النهر بإحراق السفن، عندما غادر قائد الجيش، في وقت قصير احترقت القوارب الأربعة، بعد إحراق السفن وما دارت المعركة بينه وبين التدمير، ثم هروب التدمير من ميدان المعركة، وقدام جيش طارق، وفي الطريق عند المرور من الحي قابل عجزاً من أهل الجزيرة، فقالت له في بعض قولها: إنه كان لها زوج عالم بالحدثان، فكان يحدثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا، ويغلب عليه ويصف من لغته أنه ضخم الهامة، فأنت كذلك، وفيها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر، فإن كانت بك هذه العلامة فأنت هو،

(١) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٨.

فكشف طارق ثوبه فإذا بالشامة في كتفه، على ما ذكرته العجوز، فاستبشر بذلك هو ومن معه.^(١)

هذه القصة نفسها موجودة في مصادر التاريخ، وأيضا قصة "البرج الساحر" المقفل منذ عهد هرقل حتى الآن، لكن فتح رادريك هذا القفل، لكن العجوز الذي كان يحمل مفاتيح القفل منعه من فتح القفل، ولكن رادريك فتح الباب، فانتشر الدخان في كل مكان، وعندما رأى رادريك المنظر هرب من الدخان، وخاف وخرج من البرج الساحر.^(٢)

ذكر الكاتب عن زواج عبدالعزيز بن موسى بأرملة لذريق، وكان اسمها إيلونا، هي لم تسلم، بل اعتصمت بمذهبها القديم، فالكلام عنها مليء بالمبالغة.^(٣) يقول محمد عبد الله عنان:

(ولم تك صبح سوى إحدى كواكب هذا الثبت الحافل من النساء الفرنجيات، اللائي يقدمهن إلينا تاريخ الأندلس منذ الفتح، واللائي يتركن أثرهن في سير الحوادث أحيانا، وتستطيع أن نذكر منهن "إيلونا" القوطية أرملة لذريق ملك القوط عند الفتح، وهي التي يسميها العرب بأم عاصم، فقد تزوجها عبد العزيز بن موسى بن نصير أول حاكم للأندلس بعد الفتح، وكان نفوذها ووحيتها السيء من الأسباب التي أدت إلى مقتله على يد الخوارج عليه سنة ٩٠ هـ).^(٤)

دارت المعركة بين كادليت ورودريك وجيشه مئة ألف جندي أو أكثر، واستمرت هذه المعركة ثمانية أيام، وكان من نتائجها أن حكم المسلمون الأندلس ثمانية قرون. القائد الكبير تدمير، كان ذا بأس شديد، حارب المسلمين وقائدهم زيد بن كسادة، وقد هلك كثير من جيشه أثناء معركة غرناطة التي دارت بينه وبين المسلمين.

(١) دمشق کے قید خانے میں = في سجن دمشق، ص: ٨٥، وأيضا: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١ / ٢٤٦.

(٢) في سجن دمشق، ص: ٨٩ - ٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٦٩، وأيضا: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، ص: ٧٤، مكتبة الخانجي -

القاهرة، ط / ٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

فارتدّ تدمير إلى أريولة، وامتنع بها، وعرض النساء - حسبما تقول الرواية - على الأسوار في أثواب الرجال؛ إيهاماً بكثرة جنده، واستطاع بثباته وجلده، أن يعقد الصلح مع المسلمين بشروط حسنة، أنقذ بها مدينته من السبي والجزية، وتناول التاريخ حيلة تدمير هذه أيضاً، ودخل طارق بن زياد بلاد الأندلس، فافتتح قرطبة وقتل ملكها رورديك وكتب رسالة إلى موسى بالفتح.^(١)

أمر موسى بن نصير طارق أن لا يجاوز قرطبة، لكن طارق لم يتوقف حينما جاء موسى مع ثمانية آلاف جندي، فغضب على طارق؛ لأنه خالف أوامره بأن لا يجاوز قرطبة، أو يتوقف حيث تتم هزيمة القوط، ولكن طارق لم يفعل ذلك، بل تعدى تلك الأوامر.^(٢)

وقال الحافظ ابن كثير:

(دخل طارق في بلاد الأندلس، فافتتح قرطبة، وقتل ملكها أدرينوق، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح، فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يشره بالفتح وينسبه إلى نفسه).^(٣)

لكن ذكر المؤرخون الآخرون بواعث عديدة وأسباباً كثيرة أدت إلى إيقاف موسى بن نصير لتقدم طارق بن زياد، وحملته على إصدار قرار حاسم تجاه وقوفه من الفوز. وفي نفح الطيب: (قال المؤرخ: فكتب إليه ألا يتقدم حتى يلحق به، ويتوعده بالعقاب إذا توغل بعد بغير إذنه).^(٤)

وقصة أخرى:

^(١) في الروايات الأردنية جاء اسم رادريك حسب حالة النطق الإنجليزي: (Rodrick) وقال ابن الأثير: "زريق"، وفي موضع آخر: "أدرينوق". انظر: الكامل في التاريخ، ٤ / ٥٥٦، ٢٠٠٩ م.

^(٢) دمشق کے قید خانے میں = في سجن دمشق، ص: ١٦٠.

^(٣) البداية والنهاية، ٩ / ٨٣.

^(٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١ / ١٢٦.

(سافر موسى إلى دمشق، وكان في رفقته طارق بن زياد ومغيث الرومي وغنائم كثيرة للخليفة، ثمّة مائدة ذهبية كانت أراد طارق بن زياد إهداءها للخليفة، ولكنّ موسى بن نصير أخذها منه كرهاً؛ ليهدّيها بنفسه إلى الخليفة).^(۱)

قال المؤرخ:

وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة فأصابها المسلمون هنالك، وطار النبا الفخم عنها، وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذي فعله من غيرته على ما تهيأ له، ومطالبته له بتسليم ما في يده إليه، فاستظهر.

هذه الأحداث موجزة من الرواية، مقارنة بينها وبين ما ورد في المصادر التاريخية، معظم تلك الأحداث التي وردت في الرواية تتوافق مع القصص التي وردت في تلك المصادر وشخصيات الرواية، لم يبتكرها الكاتب، بل إنها مستعارة من التاريخ.

الصراع والعقدة والحل في الرواية:

اختار الروائي لروايته التاريخية اسماً يدل على الصراع الذي عاشه قادة فتح الأندلس بعد أن سخط عليهم الخليفة، وأياً كانت الأسباب وراء ذلك فإن القادة موسى بن نصير وطارق بن زياد ألقيا في سجن دمشق، وفرضت عليهما غرامات مالية باهظة، على الرغم من محاولتهما نيل رضا الخليفة، وتقديمهما الهدايا إليه، وكان هذا مصير القائد فاتح السند محمد بن القاسم الثقفي أيضاً، الذي حيكت ضده المؤامرات والدسائس للإيقاع به؛ ربما لعلاقته الأسرية بالحجاج بن يوسف الثقفي، فأودع السجن حتى مات.

كما شملت الرواية الأحداث التي سبقت فتح الأندلس، والأحداث التي أعقبت الفتح، من النزاع بين بعض أمراء الإشبان، مما مهّد لدخول جيش المسلمين إلى الأندلس.

(۱) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۲۷۵.

الشخصیات فی روایۃ فی سجن دمشق

أبرز الشخصیات فی هذه الروایة:

۱. الولید بن عبد الملک: الخلیفة الأموی فی دمشق.^(۱)
۲. سلیمان بن عبد الملک: الخلیفة الأموی بعد أخیه الولید.^(۲)
۳. موسی بن نصیر: أمیر أفریقیا من قبل بني أمیة، وفاتح الأندلس.^(۳)
۴. طارق بن زیاد: القائد فی فتح الأندلس، ینتمی لقبیلة البربر، وعندما عبر بحر الروم أحرق السفن.
۵. قتیبۃ بن مسلم: فاتح الصين والسند.^(۴)
۶. محمد بن القاسم الثقفی: فاتح السند، وكان قبل مقتله یتمثل بالبيت:^(۵)
أضاعوني وأي فتی أضاعوا لیوم کریهة وسداد نغر
۷. عقبۃ بن نافع الفهري: قائد فتح بلاد البربر، ولم یتغلب علی البربر قبله أحد.^(۶)
۸. عبد الله بن موسی، ومروان بن موسی: أبناء موسی بن نصیر، كانا مع أبیهما فی فتح الأندلس.
۹. عبد العزيز بن موسی بن نصیر: والی الأندلس، قتله سلیمان بن عبد الملک.^(۷)
۱۰. یوسف بن الحارث وخضر بن الغیاث: من قبیلة البربر، جاء لأداء فريضة الحج، وعرفا موسی بن نصیر وهو یطلب الصدقة ویتسول، فأودعهما سلیمان بن عبد الملک سجن دمشق.^(۸)

(۱) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۱۵.

(۲) المصدر نفسه، ص: ۱۵.

(۳) المصدر نفسه، ص: ۱۰.

(۴) المصدر نفسه، ص: ۲۵.

(۵) المصدر نفسه، ص: ۹.

(۶) المصدر نفسه، ص: ۱۰.

(۷) المصدر نفسه، ص: ۲۰.

۱۱. **کلثوم:** كانت ضمن حريم سليمان بن عبد الملك قبل توليه الخلافة، وليس لها ذكر في التاريخ، ولا يُعرف هل كانت أمة؟ أم زوجة للخليفة؟^(۱)
۱۲. **أبو حنيف:** المستشار الخاص لسليمان بن عبد الملك.^(۲)
۱۳. **أبو النصر:** من الموظفين المعتمدين بقصر الخلافة، وأُرسل إلى الأندلس في مهمة سياسية.^(۳)
۱۴. **حبيب بن عبيدة:** قائد عسكري في جيش الأندلس، أُرسل إليه سليمان بن عبد الملك بقتل موسى بن نصير، فلما بلغته الرسالة بكى.^(۴)
۱۵. **زيد بن نابه:** من قتلة موسى بن نصير.
۱۶. **مغيث الرومي، وأبو زرعة طريف بن مالك المعافري:** قادة عسكري مع موسى بن نصير.
۱۷. **إدريس أبو القاسم:** القائد العام للجيش.
۱۸. **جوليان:** أمير سيوسته في الأندلس، ساعد موسى بن نصير، وطلب منه المدد في الهجوم على لذريق الذي انتهك عرض ابنة جوليان.^(۵)
۱۹. **رادريك:** سمته المصادر العربية (لذريق)، ملك الأندلس، وكان جوليان يؤدي الضريبة إليه.^(۶)
۲۰. **فلورندا:** ابنة جوليان.^(۷)
۲۱. **هنري:** كان أبو سائساً في الاصطبل الملكي.

(۸) دمشق کے قیدخانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۱۰ - ۱۴.

(۱) المصدر نفسه، ص: ۱۹.

(۲) المصدر نفسه، ص: ۲۲.

(۳) المصدر نفسه، ص: ۴۵.

(۴) المصدر نفسه، ص: ۲۴.

(۵) المصدر نفسه، ص: ۳۲ - ۳۴.

(۶) المصدر نفسه، ص: ۳۴.

(۷) دمشق کے قیدخانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۳۴.

٢٢. وتينرا: صهر جوليان (والد زوجته)، وكان ملكاً على الأندلس قبل لذريق،
الذي تمرد عليه.^(١)

٢٣. أوباس: أخو وتينرا.^(٢)

٢٤. ثيودومير: قائد عسكري لدى لذريق.^(٣)

٢٥. مرينا: فتاة يهودية، شجعت اليهود والقوط على التمرد والعصيان.

٢٦. رجماند: ابن لذريق.^(٤)

٢٧. إيلونا: كانت تعيش في قصر لذريق في مريدة، ثم صارت زوجة عبد العزيز
بن موسى بن نصير.

^(١) المصدر نفسه، ص: ٦٥.

^(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

^(٣) المصدر نفسه، ص: ٦٤.

^(٤) المصدر نفسه، ص: ١٨٥.

الفصل الثاني

السرد والحوار والأسلوب في روايات

عنايت الله التمش التاريخية

السرد والحوار والأسلوب

في روايات عنايت الله التمش التاريخية:

هذا الفصل يتضمن النقاط التالية:

- السرد والحوار والأسلوب في رواية (حكاية الخونة باعة الإيمان).
- السرد والحوار والأسلوب في رواية (السيف المسلول).
- السرد والحوار والأسلوب في رواية (عاصفة الحجاز).
- السرد والحوار والأسلوب في رواية (ولادة محطّم التماثيل).
- السرد والحوار والأسلوب في رواية (أفعى الأندلس).
- السرد والحوار والأسلوب في رواية (الأمير تيمور).
- السرد والحوار والأسلوب في رواية (وظل النيل يجري).
- السرد والحوار والأسلوب في رواية (في سجن دمشق).

السرد والأسلوب والحوار في رواية

داستان ایمان فروشون کی = حکایة الخونة باعة الإيمان

وهي رواية تاريخية مستوحاة من عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي، لم تتناول حروبه ضد الصليبيين وفتوحاته فحسب، بل فيها أيضاً ذكرٌ للأحداث والمواقف الداخلية والخارجية، ويمكن القول بالأحرى بأن العنوان هو عن بعض القادة العسكريين والأمراء، الذين اعتبروا السلطان صلاح الدين الأيوبي عقبةً في طريق حياة الترف والرفاهية التي كانوا يعيشونها، وبالتالي أصبحوا منتظمين في سلك الشبكات والمؤامرات المتتالية من المسيحيين والصليبيين، وأدواتٍ بأيديهم.

حبكة الرواية:

حبكة رواية "حكاية الخونة باعة الإيمان" حبكة عالية ومحكمة إذا تم فحصها من وجهة النظر الفنية. قدم المؤلف ثمانية قصص تاريخية في قالب روائي، وطريقة السرد بسيطة للغاية ومتصلة الحلقات، تمثل للقارئ حكاية واحدة من مجموع هذه القصص الثمانية.

الوقائع والأحداث معروضة بطريقة منهجية وممتازة، والروائي بيده التحكم التام في حبكة الرواية، وتلوية أعناق الأحداث لصالح الرواية، بطريقة تشوّق القارئ، وتثير كوامن نفسه لمعرفة أحداثها المستقبلية. وقد دونت الأحداث بطريقة متكاملة، بحيث لا تسمح للقارئ أن يسرح ذهنه بعيداً عن أحداث الرواية أثناء قراءته للرواية، ويضفي طابع التشويق والإثارة حتى النهاية.

السرد في الرواية:

وصف المناظر الطبيعية في الرواية:

وصف المناظر في الرواية بصورة فعالة يزيد من روعة الرواية وجمالها، وتشوق القارئ لقراءتها، وقد اهتم الروائي بهذا الجانب في روايته (حكاية الخونة باعة الإيمان)، ويمكننا القول بأن الرواية ارتقت بسبب جمال الوصف فيها، فقد عرض الروائي فيها

الأحداث والوقائع وكأن الرواية عرض مرئي لفيلم سينمائي، والقارئ لا كأنه يقرأ الرواية بل يشاهد هذا الفيلم السينمائي، وهو شاهد عيانٍ على هذه الأحداث والوقائع.

وهنا على سبيل المثال جملة من التعبيرات الوصفية:

لقد حان مساء الاحتفال، كانت ليلة مقمرة، الليلة المقمرة في الصحراء واضحة لدرجة أنه حتى حبات الرمل يمكن رؤيتها، ثم أُلْفان من المشاعل جعلت ليل الصحراء نهاراً، مع تراحم الحرس الذين وقفوا منتصبين على الأطراف الأربعة لميدان فسيح. من ناحية، وُضع مقعدٌ لصالح الدين الأيوبي بدا وكأنه عرش للملك عظيم، عن يمينه وعن يساره كانت مقاعد الضيوف ذوي الرتب العالية، وعلى بعد من هذا المنظر نُصبت الخيام للضيوف، كما نُصبت خيمةٌ كبيرةٌ لصالح الدين الأيوبي، حيث كان يبيت الليل فيها، ذهب علي بن سفيان إلى هناك قبل غروب الشمس ونصب الحراس حول هذه الخيمة.^(١)

وبنفس الطريقة يصف أجواء مهرجان أقيم في أحد الأماكن:

(مرت الخيول أمام المتفرجين، ثم جاءت الجمال، وكانت الجمال قد زُينت بأرديةٍ ملونةٍ تشبه الخيول، في يد كل فارسٍ رمحٌ طويلٌ تحت طرفة الأساور، وتحتها قطعٌ من القماش تتدلّى مثل الأعلام الصغيرة، كانت ترفرف في الهواء فتبدو جميلةً جداً، كان لكل راكبٍ قوسٌ على كتفيه، وجعبةٌ ملونةٌ للسهم معلقةٌ بسرج الجمل، وكانت أعناق الإبل مرتفعةً متطاولةً من الزهو والفخر، والفرسان ينظرون إلى الأمام، ولا يلتفتون يمنةً أو يسرةً، وكان جمال الفرسان فريداً من نوعه، وكانت هذه الجمال التي يركبها الفرسان مثل الجمال التي يركبها المشاهدون، لكن بدت هذه الجمال التي يركبها الفرسان وكأنها من عالمٍ آخر بترتيبها العسكري، وقيادة الفرسان لها، وسيرهم بها).^(٢)

(١) داستان ايمان فروشون کی = حكاية الخونة باعة الإيمان، ص: ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٣.

الحوارات في الرواية:

الحوار الأول:

في الأراضي المحتلة، بدأ الصليبيون سلسلةً من نهب القوافل، كما تورط بعض أمراء المسلمين في هذه الجريمة، من حكام الدول الإسلامية الصغيرة، حيث كانت قافلةً من التجار المسلمين تمر على بعد أميال قليلةٍ من كرك، نهبها الصليبيون بعد قتل الشباب وأسرههم، وكانت من بينهم فتاتان صغيرتان وأخوهما آفاق الذي حث المشاهدين مراراً وتكراراً على الدفاع عن المسلمين، بمجرد دخول القافلة إلى دولة كرك الإسلامية، ثم تحمل الكثير من تعذيب الصليبيين.

وكان من بين الحضور المشاهدين للقافلة عثمان صارم، كان قلبه وقلوب رفاقه تكاد تنخلع، لكنهم لم يستطيعوا فعل أي شيء، وعندما مرت القافلة، جاء عثمان صارم إلى الإسكافي وجلس أمامه ليرقع نعليه، ولم يرفع الإسكافي رأسه بل ظل منهمكاً في عمله، وهمس للإسكافي: يجب إطلاق سراح هاتين الفتاتين الليلة؟ هل تعرف أين ستكون هاتان الفتاتان الليلة؟.

عثمان: أنا أعلم، سيكون الصليب مع الملك، لكن لم ير أحدٌ منا المكان من الداخل.

الإسكافي (برجيس): لقد رأيت المكان من الداخل، ولكن لا يمكن للفتيات الخروج من هناك.

قال عثمان غاضباً: وما الجدوى منك؟ أرشدنا. إذا وصلنا إلى الفتيات، إذا تم القبض علينا فسنقطع رقاب الفتيات، لن نتركهن للصليبيين الصبيان أيامهم ولن نتركهن للصليبيين.

الإسكافي: كم عدد الشباب الذين يمكنك التضحية بهم؟

عثمان: أي عدد تريده من الشباب.

الإسكافي: ليلة الغد.

قال عثمان غاضباً: بل الليلة، ليلة اليوم يا برجيس.

الإسكافي: اذهب إلى الإمام.

عثمان: كم عدد الشباب؟

فكر برجيس وقال: ثمانية، والسلاح والخناجر والمادة المشتعلة.
أخذ عثمان صارم حذاءه وغادر.^(١)

الحوار الثاني:

طرد ناجي مفهل على الفور، وأخذ الفتاة إلى جانبه وأخرج الجميع.
سأل ناجي الفتاة عن اسمها، فقالت: اسمي زكوئي.
فقال لها ناجي: زكوئي! أخبرني الشخص الذي أحضرك إلى هنا أنه يمكنك تحويل
الحجر إلى ماء، أريد أن أرى مهارتك هذه.
فقالت زاكوي: من هو هذا الحجر؟
ناجي: أمير مصر الجديد، وهو أيضاً القائد الأعلى.
زكوئي: هل هو صلاح الدين الأيوبي؟
ناجي: نعم صلاح الدين الأيوبي، لو نجحت في تحويله إلى ماء؛ فسأضع في
قدميك وزنه ذهباً.
زكوئي: هو حتماً سيشرب الخمر؟
ناجي: لا، هو يمتنع الخمر والنساء، والغناء واللهو، مثلما يمتنع أيّ مسلم
الخنزير.
زكوئي: سمعتُ بأن لديك طلسماً ساحراً للنساء، يوقف جريان النيل، فهل تعطل
ذلك الطلسم؟
ناجي: أنا لم أجربه، يمكنك فعل ذلك، وسأخبرك كثيراً عن عادات صلاح الدين
الأيوبي.
زكوئي: هل تريد أن تسممه؟
ناجي: ليس بعد، ليس لديّ عداوة معه، أنا فقط أريده أن يقع في فخ فتاة مثلك
مرة واحدة ثم أجلسه بجانب، وأسقيه الخمر، لو كان القصد قتله لفعلت ذلك
بواسطة الحشاشين.^(٢)

(١) واستان ايمان فروشون كي = حكاية الخونة باعة الإيمان، ص: ٨١/١-٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨.

الحوار الثالث:

بنغ فجر الصباح، لذلك كان القائد الأعلى للصليبيين ريجنالد يقف سجيناً أمام نور الدين زنكي، وكان زنكي يملي عليه شروطه، وكان هذا القائد الصليبي مستعداً لقبولها باستثناء القدس، قال زنكي لريجنالد: سلم إلينا القدس وأنت حر.

وبحلول المساء كان السلطان الأيوبي قد جاء أيضاً.

وُضع ريجنالد في السجن مع كامل الاحترام، واحتضنه السلطان الأيوبي.

قال ريجنالد للسلطان الأيوبي: أنت جندي عظيم.

السلطان الأيوبي: قل إن الإسلام دينٌ عظيمٌ، والجندي العظيم من كان دينه عظيماً. قال نور الدين زنكي لصلاح الدين الأيوبي: كان ريجنالد يسأل عن أسطوله البحري.

صلاح الدين الأيوبي: أسطولك البحري جاء من جميع أنحاء طمطراق، لكنه عاد أيضاً، ستكون العديد من سفنك في قاع البحر، وهياكل بقية السفن المحترقة تطفو على البحر، لم يستطع الجيش الذي نزل من السفن العودة، لقد دفنا كل جثثكم بكل الاحترام.. بقيت عينا ريجنالد مفتوحتين في أحداقها، لم يستطع تصديق ذلك، بأن هذا الخبر صحيح.^(١)

الإجراء أو الأسلوب:

أسلوب الرواية بسيط للغاية وسهل الفهم. استخدم فيها الروائي التعبيرات الأدبية والأمثال بقلّة، ولم يعقّد أسلوب التحرير باستخدام الكلمات الصعبة والدقيقة، كما هي الحال في الأردية المتحدث بها في لكهنو بالهند، وبالعكس فقد اختار الروائي عنايت الله التمش أسلوباً بسيطاً سلساً، كما كانت حال العرب الذين كانوا محاربين أشداء، لكن ألسنتهم وكلامهم صار أكثر سهولةً وليناً بعدما أسلموا، ولذا يمكن للقارئ العادي للأردية أن يقرأ الرواية ويفهمها.

(١) داستان ایمان فروشوں کی = حکایة الخونة باعة الإيمان، ص: ٨١/١-٨٢.

التشبيهات والاستعارات:

تستخدم الرواية أيضاً التشبيهات والاستعارات في الأماكن التي تمس الحاجة إليها، ولكن بطريقة سهلة لا تعتربها المبالغة، لا سيما التشبيهات والاستعارات المستخدمة في الحوارات اليومية، وهذه الاستعارات والتشبيهات تهدف إلى ترصيع الوصف بها بطريقة مميزة، وفي هذه الرواية استخدم الروائي عنايت الله التمش التشبيهات والاستعارات حيث يقتضي المقام، كما جاء في تقرير علي بن سفيان الذي رفعه للسلطان صلاح الدين الأيوبي عن ناجي: هو ثعبانٌ متربصٌ في كمٍّ إمارة مصر.^(١)

أنت تريد توسيع رقعة الإسلام عبر توثيق الدولة وتقويتها، لكن ناجي يعدّ لأن يجعل حلمك حلم شخصٍ مجنون".^(٢)

وبنفس الطريقة يقول في موضع آخر: (أجاب علي بن سفيان: سأخبرك تدريجياً بكل ما سأفعله، وقد بنيت حوله سوراً من الجواسيس، سوراً متحركاً له أعينٌ وآذان، وكأنني قيده في حصن جاسوسي).^(٣) ثم يذكر في مكان آخر قائلاً: (أولئك الذين تصدّوا لغزو الكفار قد غرقوا في صهاريج الخمر).^(٤)

كما استخدم التشبيهات في بعض المواضع، على سبيل المثال: كانت ملابس الفتيات الفضفاضة تتطاير وكأنها أغصان مزهرة تسبح في الفضاء. ثم في مكان آخر استخدم التشبيه بهذا الشكل: (كل السكارى اختفوا مثل الثيران الهائجة التي ترغي وتزبد).

وفي مكان آخر يقول: (كانت آخر ليلة في المهرجان، وكان الجو الصحراوي صافياً كالزجاج).^(٥)

(١) داستان ايمان فروشون کی = حكاية الخونة باعة الإيمان، ص: ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩/١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٩/٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٦/٣.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٥٢/٢.

وهناك استخدام للتشبيهات والاستعارات المماثلة في جميع أنحاء الرواية، حتى أن القارئ العادي، إذا قرأها، لا يحتاج إلى استخدام أي قاموس، لأن الاستعارات والتشبيهات المستخدمة في الرواية بطريقة بلاغية سهلة وسلسة، أضفت على الرواية الجمال.

أسلوب الإثارة والتشويق الدرامي:

من أهم جوانب الإثارة في هذه الرواية وتشويقها أنها تستهوي فضول القارئ بحيث لا يستريح حتى يقرأ الرواية كاملة، إن أسلوب الرواية الدرامي لا يقلل من اهتمام القارئ - ولو للحظة - بقراءة الرواية ومعرفة أحداثها المستقبلية. على سبيل المثال:

(لم يبق ثمت مجال للشك بينهما، إذ تعارف الاثنان كلاهما فيما بينهما بكلمات سرية. فخرج العالم من الغرفة ثم عاد وبرفته فتاتان جميلتان، وكان قد أخبر الناس بشأهما أنهن زوجاته، اللاتي يغطيهن الحجاب من رؤوسهن إلى أخمص أقدامهن، ولكن جاءتا أمام هذين الرجلين عاريتين.

قال الرجل ذو العصابة الخضراء: نتحدث عن العمل أولاً، علينا أن نقتل رجلين. قال الآخر: صلاح الدين الأيوبي وعلي بن سفيان، وعجزنا الوحيد أننا لم نراها كليهما، أرنا كلا الرجلين، هل رأيتهما؟

قال العالم: لقد رأيتهما مرات كثيرة حتى أنني أستطيع التعرف على الاثنين حتى في الظلام، وكان من الضروري بالنسبة للمهمة التي بدأتها أن أعرف على كليهما بشكل أفضل. علي بن سفيان ذكي ومتيقظ جداً، لدرجة أنه يستطيع القدوم إلى هنا بمفرده بدلاً من إرسال أحد جواسيسه. حتى لو جاء أمامي متخفياً، فسوف أعرف عليه. وضع صاحب العصابة الخضراء يديه على وركيه، وقبض على لحيته وجذب يديه إلى الأسفل، فانفصلت لحيته الطويلة وشاربه الكثيف عن وجهه، وبقيت تحتها حية صغيرة مشدبة، وشوارب محفوفة، وكانت اللحية الطويلة والشوارب الكثيفة مصطنعة. كما انتزع العصابة الخضراء عن عينيه وألقى بها

بعيداً. فتسمر العالم مندهشاً في مكانه كصنم لا يتحرك، وبقي فمه فاغراً على مصراعيه، وحدقت عيناه، وصاح فجأة بغير اختياره: صلاح الدين الأيوبي.^(۱)

^(۱) داستان ایمان فروشوں کی = حکایۃ الخونة باعة الإيمان، ص: ۱ / ۱۹۲.

السرد والحوار والأسلوب في رواية

شمشير بن نيام - السيف المسلول

الحبكة في الرواية:

هذه الرواية (السيف المسلول) تتناول حياة قائدٍ عسكريٍّ عظيمٍ من جنود الإسلام وهو الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه، الذي لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بسيف الله المسلول، وقد استفاد الروائي عنايت الله التمش لتحرير هذه الرواية من كتابات المؤرخين والكتّاب العرب، وفي الجزء الأول من هذه الرواية تناول الروائي عنايت الله التمش أحوال حياة خالد بن الوليد قبل اعتناقه للإسلام، وفيها نشاطاته ضد الإسلام، بينما بعد اعتناقه للإسلام تحولت حياته إلى مقاتلٍ عسكريٍّ ومجاهدٍ في سبيل الله، يشارك في المعارك والفتوحات، ويثبت جدارته العسكرية بهذا اللقب (سيف الله المسلول)، كما تناولت الرواية في ثنائها أجزاء من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من العهدين المكي والمدني، وكل ذلك بأسلوبٍ سلسٍ وشيقٍ.

وتتصل الوقائع والحوادث فيما بينها بسلسلةٍ متصلةٍ تجمع بينها، وتبين الرواية الحروب التي خاضتها الأطراف المختلفة والحوادث السياسية، عبر الترتيب الزمني.

وتبين الرواية مشاركة خالد بن الوليد في الحروب والغزوات والمعارك، ثم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم اشتعال فتنة المرتدين، ومعارك أبي بكر الصديق رضي الله عنه ضد المرتدين، حتى استئصال فتنهم أو رجوعهم إلى الإسلام، وكانت فارس في ذلك الوقت إمبراطورية عظمى قوية، وكانت المعركة الفاصلة في محوها عن الوجود، وحصول الفتح الإسلامي في أرض فارس، وهكذا أيضاً الحال مع إمبراطورية الروم، وفتحها لنشر الإسلام، كل هذه الوقائع جاءت بالترتيب الزمني كسلسلةٍ تتواصل حلقاتها، ولهذا تشوق القارئ وتستهويه لقراءتها، وبذلك يمكننا الحكم بأن حبكة الرواية قوية عميقة الجذور.

وقد استفاد الروائي عنايت الله التمش في صياغة هذه الحبكة لروايته التاريخية من المؤرخين والكتّاب:

- ١- ابن هشام. (١)
- ٢- ابن الأثير. (٢)
- ٣- ابن سعد. (٣)
- ٤- ابن خلدون. (٤)
- ٥- الإمام محمد بن جرير الطبري. (٥)
- ٦- ابن رشد. (٦)
- ٧- أبو يوسف. (٧)
- ٨- محمد حسين هيكل. (٨)
- ٩- الإنجليزي السير والتر. (٩)

السرد في الرواية:

الوصف:

يعدّ الوصف من أهم أجزاء الرواية، وهذه الرواية (السيف المسلول) تجذب القارئ بسبب الوصف الممتاز والرسم البديع للشخصيات فيها، ويبين الروائي الوقائع والأحداث في هذه الرواية ويقدمها للقارئ كما لو أنه شاهدها عياناً على أرض الواقع، فيتصور وقع حوافر الخيل على ميدان المعركة، وتراشق السهام، وصليل السيوف.

(١) شمشير بے نیام = السيف المسلول، ١ / ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ١٣.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ١٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ١ / ٢٨٦.

(٥) المصدر نفسه، ١ / ٣٠٧ و ٢ / ٤٠.

(٦) المصدر نفسه، ١ / ٣٠٧.

(٧) المصدر نفسه، ١ / ٣٣٠.

(٨) المصدر نفسه، ٢ / ١٨.

(٩) المصدر نفسه، ٢ / ٣٩.

مثلاً: في غزوة أحد رشق المسلمون أبا عامر الفاسق بالحجارة، وبعدها مباشرة بدأ جيش قريش برمي السهام على جيش المسلمين، ورد المسلمون أيضاً بالمثل برمي السهام وتصويبها على مقاتلي قريش، فتقدم خالد بن الوليد مع مائة من مقاتلي قريش للهجوم على من يليه من جيش المسلمين، ولم يكن خالد يعلم بأن مجموعة من الرماة يجلسون متخفين على أعلى جبل الرماة، فسار مسرعاً بمائة مقاتل، ونظراً لضيق الطريق تقدم بعض الفرسان وتأخر الآخرون، وكان خالد واثقاً من أنه سيهجم مباغتاً جيش المسلمين، ويقتل المقاتلين أو يسحقهم تحت حوافر الخيول، ولكن المسلمين صوبوا سهامهم على مقدمة مقاتلي قريش فلم يستطيعوا التقدم ولا الرجوع، وأصيب كل مقاتل بعدة سهام، كما أصيبت الخيل بالسهام وهاجت واثارت، وتأخر المقاتلون في المؤخرة ورجعوا منهزمين، بينما بدأت نساء قريش بضرب الدفوف وقرع الطبول وإنشاد الشعر لإثارة حماسة مقاتلي قريش.^(١)

وهكذا في فتح مكة خاطب النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة أن يحددوا مصيرهم بأنفسهم، وسألهم ماذا يتوقعون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل بهم، فقالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ، وابن أخٍ كريمٍ. فسامحهم النبي صلى الله عليه وسلم، وعفا عنهم، وأمرهم بدخول بيوتهم.^(٢)

وهكذا مع جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه مع جيش الفرس، إذ لم تكن طريقته في الهجوم أن يباغتهم بطريقة وحشية غير منظمة، بل أرشد وحدات القتال في صدر الجيش أن يهجم، وأن لا يتوغل في جيش العدو، وأن لا يخترقوا صفوف جيش العدو، بل يستدرج العدو إلى خارج الجيش، ووزع خالد بن الوليد رضي الله عنه وحدات الجيش بأن تهجم على جيش الفرس من كل ناحية، وعندما قتل اثنان من قادة جيش الفرس وطفتها الخيول تحت حوافرها، وبذلك دُفن كبرياء الإمبراطورية الفارسية تحت التراب، وماتت هم الفرس، ودبّ الرعب في قلوبهم، وبدأت أقدامهم تضطرب بسبب

(١) شمشير بن عامر = السيف المسلول، ١/ ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٥٧.

شعارات المسلمين ونداءاتهم وصيحاتهم: الله أكبر، التي ارتفعت من جميع الأرجاء، وكان رجال المثنى بن حارثة رضي الله عنه لهم دور خاص في إثارة حماسة المسلمين بأشعارهم، وهجومهم على جيش الفرس، وأدرك خالد بن الوليد رضي الله عنه أن همم الفرس قد ضعفت، وقواهم وعزائمهم قد خارت؛ فهجم عليهم هجمة واحدة قوية.^(١)

الحوارات في رواية (السيف المسلول)

الحوار الأول:

من الحوارات بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وصاحب القلعة عبد المسيح الذي كان قد عاصر عهد أنوشيروان العادل:

عندما رأى خالد بن الوليد أن هذا العجوز عبد المسيح عجيبٌ في كلامه وطريقة تفكيره أراد أن يضحك أصحابه، فحادثه قائلاً:

خالد: إلى أين ستذهب؟

عبد المسيح: إلى الأمام.

خالد: ما الذي أمامك؟

عبد المسيح: الآخرة.

خالد: هل تعلم أين تقف؟

عبد المسيح: على الأرض.

رأى خالد بن الوليد منه اللامبالاة فأراد أن يعرفه بأنه يقف أمام القائد الأعلى.

خالد: في داخل ماذا أنت؟

عبد المسيح: في لباسي.

فغضب خالد بن الوليد، ولما علم أن العجوز عبد المسيح لن يترك مذهبه فرض

عليه الجزية التي قبل عبد المسيح بأن يدفعها فوراً.^(٢)

وبعد أن أتم المسلمون قبضتهم على الحيرة، عاهد جميع أصحاب القلاع

والحصون وزعماء القبائل والأمراء أن يطيعوا خالد بن الوليد رضي الله عنه.

^(١) شمشير بن نيام = السيف المسلول، ١ / ٣١٤.

^(٢) المصدر نفسه، ٢ / ٢٣.

وعندما فرغ خالد بن الوليد رضي الله عنه قام بإلقاء خطبة في الجيش قائلاً:
 تكسرت في يدي يوم مؤنة تسعة أسياف، لكنني سأذكر كيف قاتل المجوسيون
 بشجاعة، لم أر في حياتي قتالاً كقتالهم لنا، يا جنود الله! النصر والهزيمة بيد الله، فاجعلوا
 في قلوبكم الله ونعمه، ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحيرة نعمة عظيمة أنعم الله بها
 علينا، ولن ينتهي الجهاد ما دامت فتنة الكفر باقية.^(١)

الحوار الثاني:

وفي موضع آخر هناك حوار بين الصحابين رافع بن عميرة رضي الله عنه وخالد
 بن الوليد رضي الله عنه، فالطريق التي أرشد إليها رافع بن عميرة رضي الله عنه كانت -
 كما روى المؤرخون - مائة وعشرين ميلاً، وبطيّ هذه المسافة كان الجيش يصل إلى هدفه
 ويختصر المسافة عدة أيام، وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه هو القائد الذي يحتمن
 ويقيس ليس بسماع المشكلة فقط، بل بدخول المشكلة نفسها.

أراد خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يركب الجمل، فجاء رافع بن عميرة رضي
 الله عنه مسرعاً، ووضع يديه على كتفيه، وقال له: يا ابن الوليد! فكّر الآن وغير الطريق،
 لا تلقِ بهذه الأنفس إلى الهلاك. فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه غاضباً: ويحك، لا
 تمنعني من السير في سبيل الله، دلني على الطريق المختصر إلى جيش المدينة، أنت لا
 تعلم، تنحّ عن طريقي وأطع الحكم. فتنحى رافع بن عميرة رضي الله عنه عن الطريق،
 وسار خالد بن الوليد رضي الله عنه بالجيش، وفي مقدمته رافع بن عميرة رضي الله عنه،
 ووقف المثنى ينظر، فقال المثنى رضي الله عنه لأصحابه: قال أمير المؤمنين رضي الله عنه:
 لن تلد أمّ مثل خالد بن الوليد.

الأسلوب في الرواية:

اتخذت الرواية الأسلوب القصصي القديم، كما كان في الأزمان القديمة، يمشي
 الراوي لمسافات بعيدة، ويقابل الناس، ثم يروي القصص والروايات على ألسنتهم، ويبين

(١) شمشير بـ نيام = السيف المسلول، ٢ / ٢٣.

للقراء والسامعين ما شاهد وسمع، وكان هذا هو المعمول به في الأقطار العربية، وكانت العرب في الجاهلية تتخذ منحى الاعتداد بالنفس والغرور والتكبر في أحاديثها، وكان الغالب على طبائعهم وأمزجتهم الشدة والغلظة، لا يراعون أحداً، ولهذا سلكت هذه الرواية في أسلوبها الروائي هذه الصفة على ألسنة الشخصيات وحواراتهم فيما بينهم، وأولئك الناس كانوا مثلاً للشدة والغلظة، لكن بعد اعتناقهم للإسلام أصبحوا أرق الناس أفئدةً وأطيبها كلاماً، وأحلاها ألسنةً، وصاروا أكثر تحملاً وأناةً ورويةً، وفي الوقت نفسه انقلبت شدتهم وغلظتهم لأجل الإسلام والغيرة على حِمى الدين. وهذا المثال التالي يدل على الشدة والغلظة والأنانية في كفار مكة: لما أرسل الوليد ابنه عمارة بن الوليد (الأخ الأصغر لخالد بن الوليد) إلى أبي طالب، وبعث إليه على لسان صناديد قريش رسالةً مفادها: خذ ابني عمارة، وأعطنا بدلاً منه ابن أخيك محمد (صلى الله عليه وسلم).^(١) وهذا يدل على أن كفار قريش كانوا يلقون بأولادهم إلى التهلكة في سبيل الحفاظ على أنانيتهم وإرضاء غرورهم وعنجهيتهم. وقد بين الروائي عنايت الله التمش تقاليد العرب وشعائهم وعاداتهم القبلية، وكيف كانوا يحلفون الأيمان المغلظة على كل شيء، ويصلون في عداوتهم مع الأعداء والخصوم حتى النهاية، ويعدون البر بأيماهم هدفهم الأول، كما أقسمت هند زوجة أبي سفيان على الانتقام لمقتل أبيها وأخيها وابنه، فأرسلت وحشياً لقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في أحد، ثم التمثيل بجسده الشريف، وكانت جائزة وحشي نيله للحرية.

اهتم الروائي عنايت الله التمش بالشعر في بعض المواضع من الرواية، فالعرب عشقوا إنشاد الشعر وكان مبتغاهم وهوايتهم، لا سيما في الحروب والمعارك؛ لإغاظة العدو، وإثارة الحماسة في الجنود والمقاتلين ليقاتلوا، كما في غزوة أحد كانت هند زوجة

(١) شمشير بـ نيام = السيف المسلول، ١ / ١٥.

أبي سفيان تنشد وتترنم بالشعر، وتثير مقاتلي قريش للانتقام لمقتل أبيها وأخيها في بدر،^(١) وكانت هذه الأشعار مبتذلةً بذينة فاحشة.^(٢)

ومن عادة العرب الغلو والإفراط والمبالغة في الخيال الشعري في المدح والهجاء، لكنهم في أحاديثهم العامة يتوخون الصدق والحقيقة، وقد اختار الروائي عنايت الله التمش هذا الأسلوب المباشر لسرد أحداث الرواية دون مبالغة وتضخيم. وكان من عادة العرب أنهم إذا أرادوا ذمّ إنسان وهجاءه وقدحه وتوهينه وصبّ الغضب عليه فينسبونهم إلى أمّه بدلاً من أبيه، وكأنهم يشكّكون في نسبه، أو أنه لم يرث صفات أبيه، كما دعا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عكرمة رضي الله عنه بعد هزيمته من مسيلمة الكذاب، دعاه (ابن أم عكرمة) بدلاً من عكرمة بن أبي جهل.^(٣) كما أن من عادة العرب أنهم لا يدعون الشخص باسمه المجرد، بل بكنيته أو باسمه الكامل (فلان بن فلان)، أو بصفاته وخصاله الظاهرية، أو بعلامة بارزة من علامات شخصيته، وكان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قد سقطت ثنيتاه وهو ينزع بهما حلق الحديد التي وقعت في جسد النبي صلى الله عليه وسلم، فبدأ الناس ينادونه بالأثرم، وهو الذي سقطت أسنانه الأمامية، ثم اشتهر أبو عبيدة بهذا اللقب.

لم يستخدم الروائي عنايت الله التمش في هذه الرواية التشبيهات والاستعارات؛ لئلا يتسلل عنصر الخيال إلى أحداث هذه الرواية، التي جرت ووقعت على أرض الواقع، فاتجه الروائي إلى أن هذه الوقائع التاريخية الصادقة لا يناسبها الخيال ولو في الألفاظ والتعبيرات. ولم يستخدم الروائي الألفاظ المعقدة الصعبة من اللغة الأردية، كما لم يستخدم الألفاظ الأجنبية من اللغات الأخرى، بل سلك أسلوباً سهلاً لسرد أحداث الرواية بألفاظ يفهمها عامة القراء من أول الرواية حتى آخرها.

(١) شمشير بے نیام = السيف المسلول، ١ / ٤١.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ٢٤٠.

السرد والأسلوب والحوارات في رواية

حجاز کی آندھی = عاصفة الحجاز

السرد في الرواية:

اهتم الروائي عنايت الله التمش بالوصف في هذه الرواية غاية الاهتمام، وبنى شبكة من الوصف يحار فيها القارئ ويغرق في التفكير، فعلى سبيل المثال يقدم الروائي خريطة لواحةٍ في وسط الصحراء فيقول:

(تكثر الواحات في هذه الصحاري، لكن لم توجد منها كمثل هذه الواحة، فتقع على مشرق الشمس منها جبال شاهقة، وكذلك جهة مغيب الشمس منها جبال شاهقة، وبسبب موقع الواحة بين هذه الجبال من جهة الشرق والغرب فإنها كانت بعيدة عن حرارة الشمس الشديدة أغلب ساعات النهار، وكانت في هذه الواحة عدة أنواع من الأشجار الأخرى غير أشجار النخيل. وبمجرد غياب الشمس قبيل الغروب وراء الجبال الواقعة غرب الواحة؛ يبدأ محيط الواحة بالبرود تدريجياً، أما بعد غروب الشمس فإن الجالس في الفضاء الطلق تحت السماء يرتعش من البرد).^(١)

وفي موضع آخر يقدم الروائي وصفاً لإحدى مناظر الرواية قائلاً:

(في اليوم التالي كانت الشمس في وسط السماء، ولأشجار النخيل وغيرها شبكة متداخلة من الظلال، وكأنها صدر متماسك. وربطت ستارة بين الأشجار من جهة هبوب الريح، حتى تمنع هواء الصحراء الحار، وتسدّ ذرات الغبار المتطايرة التي تثيرها، وتحت هذه الراية فرشت سجادة جلس عليها أبو سلمى، وابن داود إسحاق وأصحابهم، والخدم يعرضون المأكولات أمامهم. وجاء الراعي الذي ذهب لتسريح الإبل مسرعاً، وقال: هناك على بعدٍ منا فارسٌ يتجه نحونا مسرعاً، فقام الجميع ينظرون ويتطلّعون من وراء الستارة، ولم يكن منظر الفارس وفرسه واضحاً، وقال أبو سلمى: ربما يكون واحداً منا، فمن سيمرّ من هنا؟!)^(٢)

(١) حجاز کی آندھی = عاصفة الحجاز، ص: ٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٦.

وهكذا يصور الروائي ميدان المعركة بروعةٍ بالغة، فيقول:

(هجم المجاهدون من بني أسد بقيادة طليحة كالطوفان العارم، وكان أغلب تركيزهم على الفيلة، وكان أغلب المهاجمين على الفيلة من المشاة، وهم أيضاً أكثر من غامروا بحياتهم، وكان المهاجمون يقتربون من الفيلة، ويحاولون جرحها، لكنهم كانوا يتعرضون للسهم من سائس الفيل أو الطعن بالرمح، فيسقط المجاهدون جرحى، ونظراً لقرب المسافة بينهم وبين السائس فإن الجراح كانت مثخنة ومهلكة، والمشكلة الثانية أمام المجاهدين أن سلاسل الحديد كانت تتدلى من أرجل الفيلة، فتمنع ضربات السيوف، فقد نجح بعض المجاهدين في الوصول إليها، وطعنوا الفيلة بالسيوف مثل طعن الرماح، ورفع بعضهم تلك الرماح التي رماها السائسون ورموا بها الفيلة).^(١)

الحوارات في الرواية:

من الضروري معرفة ما يدور بين شخصيات الرواية من حوارات وأحاديث، وما تتمتع به هذه الحوارات من الحيوية، ومدى الاتحاد في الحوارات المتبادلة بين شخصيات الرواية من الناحية الاجتماعية.

وهنا حوار بين اثنين من قادة الفرس، بعد هزيمتهم النكراء على يد جيش المسلمين الذين انتصروا، فيتحاور رستم وملكة الفرس (بوران) بقلقٍ حول هزيمتهم، وانتصار المسلمين:

بوران: أظن أن قيادة المسلمين متماسكة الشكيمة قوية العزيمة، وسمعت أن خليفتهم الجديد صاحب فكر ثوريٍّ، ما اسمه؟

رستم: عمر بن الخطاب. جواسيسنا موجودون في المدينة من اليهود، وبعض النصارى حوالى المدينة، وهم يرسلون الأخبار بانتظام.

بوران: ماذا استنتجت من هذه الأخبار؟

(١) تاجزكى آندهى = عاصفة الحجاز، ص: ٣٢٧.

رستم: قلتُ من قبل بأن المسلمين متمسكين بعقيدتهم، وقد استعمل اليهود الفتيات الجميلات لاستمالتهم، ولكن فشلوا في ذلك، والحال هنا أن الجيش من قائده إلى جنوده لا يفوتون أيّ فرصة للفسق والفجور، وقد نمتُ إلى علمي أن المسلمين يعتقدون بأن كسرى برويز مزق رسالة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وقطّعها ورماها، وهكذا ستمزّق دولة فارس قطعةً قطعةً، وأظن أن خليفتهم الجديد ينتقم لتوهين رسالة نبيهم - صلى الله عليه وسلم -.

وهكذا في حوار آخر أبلغ سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - بأن مبعوث رستم قد جاء للقائك، فدعاه سعد إلى خيمته، ودعا سعد قادة جيشه، ودعا مترجماً اسمه بلال الحجري، كان يتقن العربية، ويفهم لغات العجم ويتحدثها بطلاقة، وكان قد جاء من المدينة مع الجيش، ودخل المبعوث إلى الخيمة بمنظر أرعن، وهو يرتدي لباساً ملكياً، تلمع خوذته الحديدية على رأسه كالمرآة، ولو كان اللباس معياراً للعلوّ فإن قادة جيش المسلمين كانوا يبدون أمامه كالخدم، وقد نظر باستعلاء واحتقار إلى سعد وقادة جيشه.

فقال سعد بن أبي وقاص: يا مبعوث فارس، لقد رأينا منظرَك الفاخر، ألا تخبرنا بسبب مجيئك؟

مبعوث فارس: جئتُ لأرى ما عندكم، رأيت أسلحتكم، كيف ستقاتلوننا بهذه الأسلحة البالية المهترئة؟

سعد بن أبي وقاص: هل أنت ملك فارس؟

مبعوث فارس: لا.

سعد بن أبي وقاص: هل أنت رستم؟

مبعوث فارس: لا.

سعد بن أبي وقاص: إذن فأبلغ رسالتك التي جئتُ لإيصالها.

أجاب مبعوث فارس متلعثماً: نعم، قائدنا الأعلى يريد عقد الصلح معكم، فأرسل اليوم مبعوثاً لإجراء مباحثات الصلح.

سعد بن أبي وقاص: سيصل مبعوثنا إلى قائدكم الأعلى اليوم قبيل المساء.
ورجع مبعوث فارس، وبعد صلاة الظهر اختار سعد بن أبي وقاص أحد أصحابه
الحكماء ربعي بن عامر مبعوثاً إلى رستم، وأعطاه بعض الإرشادات.^(١)

الأسلوب في الرواية:

لغة الرواية عامة الفهم، يمكن لأي قارئٍ فهمها وقراءتها بسهولة، وأسلوبها سهلٌ
وسلسٌ، فهذه الرواية أُلِّفت في العصر الحديث للغة الأردية، مما يعني ابتعاد الروائي عن
استخدام الألفاظ الهندية أو الفارسية، وكعادة عنايت الله التمش في رواياته فقد ابتعد في
أسلوب هذه الرواية (عاصفة الحجاز) عن الصنعة البلاغية، والإكثار من ألوان البديع،
وقد سلك لبيان أحداث الرواية الأسلوب القصصي والروائي، المبني على الحكي المباشر،
على سبيل المثال:

قال حبيب: رأيي أن أسمعهم هذا الكلام ليلاً ونهاراً، فقد عيّن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - أميراً على الجيش، وأرسله
لفتح الحصنين، وكنتُ مع هذا الجيش، كم كان عدد الجيش؟! ألف وأربعمائة راجل،
وفارسان، جُرح بعض الجنود واستشهد آخرون من الجيش، وخرج رجال غطفان إلينا
للمبارزة، فهُزِمْنَا، ورجع قائد جيشنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بالجيش...،
فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -،
وعيّنه أميراً على الجيش، وقاتلنا يومين في إمرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -،
ولكنني أمدح شجاعة رجال غطفان حيث لم تثبت أقدامنا، ورجع بنا عمر بن الخطاب
- رضي الله عنه - ونحن منهزمون.

ابن داود: كان عمر شجاعاً جداً، أجبر المسلمين على التراجع.

(١) حجازكي آندهي = عاصفة الحجاز، ص: ٢٩٥.

حبيب: نعم كان شجاعاً ومقداماً حقاً، ولكن نحن كنا قلة في العدد، وكنا مجتهدين من القتال قبل ذلك، وكان أصل قوتهم مرحب، قال قائدنا: إذا قُتل مرحب فسيفتح الحصان.^(١)

ويبرز الروائي عنايت الله التمش في رواياته كيد المرأة ودهاءها، وهنا في هذه الرواية يذكر دور بنت يامين وهي فتاة يهودية، استعدت لتكون زوجة أحد المجاهدين المسلمين.^(٢)

كما أظهرت الرواية حب العرب للشعر، فيقول مثلاً: (كان الشعر عامّاً في العرب، وكان العرب يظهرون دعاواهم بلغة الشعر، ومنع سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ابن معدي كرب من حصته في الغنيمة؛ لأنه لم يحفظ شيئاً من القرآن الكريم، فأنشد ابن معدي كرب شعراً معناه: عندما كنا نُقتل لم يكن ليبيكي علينا أحدٌ، وقالت قريش هذا قدر وقسمة، وكنا شركاء لهم عندما تلقت صدورنا الرماح، ولكن لما جاؤوا ليقسموا الدنانير لم يجعلونا شركاء لهم.

سكت عمرو بن معدي كرب، فأنشد بشر بن ربيعة شعراً معناه: أنخت راحتي على باب القادسية، وكان سعد بن أبي وقاص أميراً علينا، وسعد أمير تغلب حسناته على سيئاته، وهو أفضل أمير على العراق، فاذكر - جزاك الله خيراً - وقع سيوفنا على باب قصر القديس، وكان الهجوم والتزاحم، حيث لا يستطيع أحد الهرب والخروج.

لم يهمل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - هذا الكلام والشعر، بل كتب هذه الأشعار وأرسلها مع أحوال وقعة القادسية إلى الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وشفع لهما بأنهما أبليا بلاء حسناً في المعركة، وكانت لهما شجاعة، وأنا أنتظر حكم أمير المؤمنين: هل أعطيتهما مالاً إضافياً أم لا؟.^(٣)

(١) حجازكي آندهي = عاصفة الحجاز، ص: ٣٢ - ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٩٠ - ٣٩١.

السرد والحوار والأسلوب في رواية اورايك بت سكن پيدا هوا - ولادة محطّم التماثيل

(ولادة محطّم التماثيل): رواية تاريخية تقع في مجلدين من أربعة أجزاء، يضم المجلد الأول الجزئين الأول والثاني، ويضم المجلد الثاني الجزئين الثالث والرابع، ويختلف غلاف المجلد الأول عن المجلد الثاني، فغلاف المجلد الأول يتضمن باللونين الأسود والأخضر صورة ليدٍ تحمل سيفاً وهناك فارس على الفرس، وربما صورة هذا الفارس المتخيلة هي للسلطان محمود الغزنوي، وصورة الغلاف للمجلد الثاني تشمل صورة لمعبد هندوسي ربما هو معبد سومنات، وصورة يدٍ تحمل سيفاً، وكلتا الصورتين جذابة ومثيرة، وتحت عنوان الرواية على الغلاف تعريف مختصر بالحكايات التي تشتمل عليها.

ألف الروائي عنايت الله التمش روايته (ولادة محطّم التماثيل) بناءً على المنام الذي رآته جدة السلطان محمود الغزنوي، وكانت امرأة بدوية صالحة، تزوجها قرار الحكم (جد السلطان محمود الغزنوي)، وكانت عادة قبيلتها وأسرقتها أنها تباع بناتها، أي أنهم يأخذون المال عوضاً عنهن، وكانت جدة السلطان محمود الغزنوي معارضةً لهذه العادة ومخالفةً لها بشدة، وكانت تريد أن تقضي حياتها بعد الزواج بسعادة، ثم رأت في المنام أن رجلاً عجوزاً يبشرها بولادة ابنٍ يحطّم التماثيل، وصدقت هذه الرؤيا وتحققت فيما بعد، وقد اقتبس عنايت الله التمش عنوان روايته من هذا المنام.

وكان من تحقق هذه الرؤيا أن السلطان محمود الغزنوي فتح الهند وحطّم التماثيل التي كانت تُعبد فيها، وأصبح لقباً للسلطان محمود الغزنوي، وصار التاريخ يذكر السلطان محمود الغزنوي لا كملكٍ على البلاد، بل بأنه حقق هذه البطولة، وحطّم التماثيل، وفتح الهند، وأمضى حياته على ظهور الخيل في طريق الجهاد، وكان الطوفان الذي ارتفع من أرض غزني قد وصل إلى الهند، ورسخت فيها كلمة الحق، وارتجت الهند بصيحات التكبير.

ولم يكن السلطان محمود الغزنوي بائعاً للأصنام يتاجر بها ويربح من أثمانها، بل اشتهر بأنه حطمها، ليصرف الناس عن عبادتها إلى عبادة الله وحده، وتصبح الهند بلداً إسلامياً. هذه الرواية امتزاج جميل لقصص وحكايات ووقائع وأحداث قصيرة، وهي نموذج رائع لروايات عنايت الله التمش التي تحتوي على الإثارة والخيال والتجسس والغموض. وتتناول الرواية بالتفصيل حياة السلطان محمود الغزنوي في مدينة غزني بأفغانستان، تلك الحياة التي قضاها في الحرب والجهاد ضد الكفر والباطل، حياته التي كانت مليئة بنور الإيمان.

قرار الحكم (جد السلطان محمود الغزنوي) وكان من نسل نوشيروان عادل، وخرج من إيران لينقذ حياته، والتجأ إلى قبيلة للبدو، وتزوج بامرأة صالحة من هذه القبيلة، ووُلد له منها ولد، وتوالت المصائب على قرار الحكم وأسرته، وكان مسافراً فتعرضت القافلة للنهب في طريقها، كما أسر قاطعو الطريق سبكتكين بن قرار الحكم، وباعوه عبداً في السوق، ووصل إلى ألتكين الذي رَوجّه بابنته، فولدت له السلطان محمود الغزنوي. وتناولت الرواية هجوم السلطان محمود الغزنوي على الهند، وحالات حياة السلطان ووقائعها وأحداثها، ولكن لا يمكننا الحكم على حبكة الرواية بأنها كاملة وتامة؛ لأننا نلاحظ في كثير من المواضع بأن هناك نقصاً في بعض جوانب الحكى وإيراد الأحداث، وكأن الراوي يتخطاها أو ينساها أثناء الكتابة، على سبيل المثال: تحدث الراوي بالتفصيل عن حياة والد السلطان محمود الغزنوي وجده، ولكنه لم يورد شيئاً حول إخوته وأخواته وزواجه وأولاده إلا باختصار، ولم يذكر الروائي عنايت الله التمش القادة العسكريين في جيش السلطان محمود الغزنوي، وقد اشتهر منهم في التاريخ أياز، الذي يقول عنه شاعر المشرق العلامة محمد إقبال:

ایک ہی صف میں آکھڑے ہوئے محمود وایاز
نہ کوئی بندہ رہا، نہ کوئی بندہ نواز

الترجمة: اصطف محمود وایاز في صف واحد، دون تمييز للسيد والغلام.

وعلى الرغم من الإحساس بالنقص في بعض مواضع الرواية؛ إلا أن الرواية تشكّل للقارئ تاريخاً جميلاً وممتعاً للهند، وهي على العموم رواية تاريخية ممتازة.

السرد في الرواية:

الوصف:

الوصف من أهم أجزاء الرواية، فالروائي يصف الشخصيات والأماكن والأحداث، وبالفعل قدم الروائي عنايت الله التمش شبكة من الأوصاف والخطط العسكرية في الرواية، وكأنه كان موجوداً على أرض تلك المعارك، أو قائداً حربياً فيها، يأخذ بيد القارئ، ويطلعه على أحوال الحروب والمعارك في غزني والهند.

ومن أفضل أنواع الوصف في الرواية وصف ميدان القتال، كما يصف الروائي الحرب بين السلطان محمود الغزنوي وأخيه إسماعيل، إذ يحكي بأن السلطان قسم جيشه إلى أربع حصص، وجعل حصّة تحت قيادته، وقسم حصتين من الجيش على الأطراف، وأمر الرابعة أن تكون أمام جيش العدو إسماعيل، وعرف السلطان بأنه يجب عليه أن يحارب بطريقة المباغتة، لأن عدد مقاتلي جيشه قليل، لا يكفي للقتال المباشر، فأمر قواد الجيش بأن يتفرق الجنود عن ميدان القتال بعد ابتداء القتال بقليل، فيتبعهم جيش إسماعيل، ويتفرق أيضاً فتسهل محاربته، وكانت في هذه المنطقة صخور كبيرة، وبالفعل نجحت هذه الخطة، وتفرق جيش إسماعيل بين الصخور.

كما أمر السلطان قواد جيشه بإطالة وقت القتال؛ ليتعب جنود جيش العدو، وكانت الهجمات الليلية مستحيلة تقريباً والظروف لها غير مواتية؛ لأن كلا الجيشين في الأصل كان جيشاً واحداً، يعرف كل منهما القتال الليلي، وطرق الدفاع فيه، وكل من الجيشين كان يشعل المشاعل الكبيرة أمام الخيام وداخلها ليلاً، ويقوم أفراد من الجيش من الرماة بالحراسة ليلاً.

وفي موضع آخر يصف النار التي اشتعلت: كان الهواء سريعاً، وانتشرت ألسنة اللهب في كل مكان، واستيقظ الحراس، وبدؤوا في الهروب من النار، وبسبب صياح الناس وضجيج أصواتهم صار صوت النار أكثر قبحاً، واستيقظ جنود الجيش جميعاً في

المدينة لإطفاء النار، التي امتدت لميل ونصف، وانتشرت في أكثر أماكن المدينة، واحتترقت الأشجار، وكان من المستحيل للجيش إطفاء النار، ولم يجرؤ أحد من الجنود أن يقترب من شعل النار المرتفعة، وتلقى الجنود حُكماً بإنقاذ الأمتعة التي لم تصلها النار بعد.

استيقظ أهل المدينة كلهم، وكان المسلمون فرحين، لكن الهندوس كانوا مذعورين، وكانوا يعتقدون بأن هذه النار هي قهر إلههم (ديوتا) وغضبه، وبدأت الأجراس تُقرع، والأبواق تُزمر في المعابد الهندوسية، وبدأت النساء بالركض إلى المعابد، وبدأ جنود الجيش يسوقون الرجال في صفوف، وكان الناس يستقون المياه من الآبار، ويحضرون الماء من النهر في القرب والدلاء في عربات الخيل، لكن ألسنة اللهب كانت مروعةً ومرتفعةً، لا تطاق حرارتها من مسافة نصف ميل. كان راجه جي بال يصيح ويصرخ ويشتم ويقول: (أحرقوا جميع الحراس، وألقوهم أحياء في النار).

الحوارات في الرواية:

للحوارات أهميتها الكبيرة في الرواية، فهي تنقل للقارئ المشاعر والأحاسيس التي تحملها الشخصيات، ولذا يجب أن تكون مناسبة للزمان وللمناسبة التي تقال فيها. ومن اللازم للحوارات أن تكون لهجتها وألفاظها قوية، وطبيعية، ومتوازنة، بعيدة عن التصنع.^(١)

ونستطيع القول بأن الحوارات قوّت وعضدت مواطن الضعف في أسلوب الرواية، وصارت سبباً لجمال الرواية.

وعلى الرغم من استعمال الروائي عنايت الله التمش للتشبيهات والاستعارات في بعض الأماكن؛ إلا أنه ابتعد عن التصنع في الحوارات بدون حاجة، واتباع أسلوب الإصلاح في الحوارات مما تجذب القارئ، وابتعد عن استعمال الأمثال اليومية.

(١) اردوناؤل کی ابتدائی دور کا فکری و فنی مطالعہ مشمول اردوناؤل تفہیم و تنقید = دراسة فكرية وفنية للعصر التمهيدي للرواية الأردنية، دكتور محمد هارون، مرتبة: دكتور نعيم مظهر، دكتور فوزية اسلم، ص: 164، ادارہ فروغ اردو زبان اسلام آباد، 2012ء.

وفي حوار بين السلطان سبكتكين وابنه:

قال السلطان محمود يائساً: فأنت تريد أن تقول بأنه لم يكن ينبغي لي أن أبني مثل هذا البناء الجميل؟

السلطان سبكتكين: يجب أن تبني، أريد أن أقول لك: كل من لديه الثروة يستطيع بناء مثل هذا البناء، ولهذا بيني الناس مباني عالية حتى يُذكروا بها بعد موتهم وتكون ذكرى لهم، لكن ذكريات الآجر والحجارة تزول، لذا اعمل عملاً تبقى ذكراه حية في جميع العصور، ولا تقيد اسمك بين حيطان المباني، بل انقشه على وجه الزمن، نقشاً لا يُمحى أبداً.

السلطان محمود: نعم، لن ترى ذلك في هذا البناء، وأنا لم أنس أنني رجل الميدان. السلطان سبكتكين: لو استشهدت في القتال مع الكفار، فسأدفنك في هذا المكان، وسيكون مقبرة لروحك، وستبقى هذه الحديقة خضراء مليئة دائماً.^(١)

وهكذا في حوار آخر بين صالح وهو مجاهد مسلم، وكاهن هندوسي:
صالح: أين الخزانة؟

الكاهن: هي هنا، إذا أردت الوصول إلى الخزانة من النفق، فيجب أن تضع ألواح الخشب على الحفرة حتى تمشي عليها وتصل، وهناك طريق مأمون.
صالح: لا تخبرني عن الطريق، حتى لا أنحرف عن طريقي.

الكاهن: اسمع جيداً يا صديقي، أنا أخبرك بكلام قيم، لأنك لست طامعاً، يقال: حيثما يوجد مدفن الخزانة توجد الثعابين لحراستها، وهذا لا يصح، بل الخزانة مثل الثعبان السام، ومن وجد الخزانة صار ثعباناً يلدغ كل من يخاف منه، أن لا ينتزع الخزانة منه، والثعبان الذي في هذه الحفرة هو ذنوب الإنسان، أحدها الشره، والثاني: الهوس، والثالث: الرياء، وكل ثعبان في الأصل ذنب من الذنوب، وعندما يظن الإنسان أنه إذا حاز الألباس والجواهر فسيحكم الدنيا؛ حينئذ يصير الإنسان أعمى العقل.^(٢)

(١) اورايك بت شكن پيدا هو = ولادة محطم التماثيل، ص: ٤٠-٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٢/٣.

وفي حوار بين السلطان محمود الغزنوي والشيخ الخرقاني، حول العلاقات بين المسلمين والهندوس سأل السلطان قائلاً: بعض أفراد جيشي أحياناً يتزوج بفتاة هندوسية بعد أن تُسلم، فهل أسمح بهذا أم لا؟

الشيخ الخرقاني: هل ستسمع مني حكاية؟ كان لوالدي المرحوم مريد من التجار الأثرياء، أحضر شبلاً صغيراً من أحد البلدان، وكان يشبه القطه، ورباه أحسن تربية، وأطعمه لحوم الطيور والغزلان، وكان يسقيه الحليب، وينام في فراش التاجر. جاء التاجر إلى والدي يوماً ويده ملفوفةً بالقماش، وقال: عضني النمر، فقال الوالد: هو يحبك، فأجاب التاجر: نعم، ولكن سقط لحمي في أنيابه، وسقط جلدي، وسال الدم، وتوقف بصعوبة.

فلما ذهب التاجر قال لي والدي: هل فهمت يا حسن؟ الحيوانات المفترسة متوحشة حتى في محبتها، والنمر مجبورٌ بفطرته أن يعتبر الإنسان عدواً له، وكذلك الهندوس واليهود حيواناتٌ مفترسة، حتى في محبتها متوحشة، وهم مجبورون بطبيعتهم أن يعتبروا المسلمين أعداء لهم، فكر بنفسك: هل يمكن للمسلمين أن يتزوجوا من الهندوس؟ أم لا؟ الهندوس أعداء للمسلمين في كلتا صورتين.^(١)

الأسلوب في الرواية:

ألفت هذه الرواية (ولادة محطم التماثيل) في العصر الذي أصبحت فيه اللغة الأردنية في غاية سلاستها وسهولتها، ولهذا اتخذ الروائي أسلوباً حكاياً سلساً سهلاً لروايته، وليس في الرواية ألفاظٌ صعبة الفهم أو نادرة الاستعمال، وعلى الرغم من أن موضوع الرواية هو التاريخ المعاصر إلا أن الجو العام لأسلوب الرواية لا يوحي بأن (ولادة محطم التماثيل) كتابٌ تاريخي ينقل الوقائع والأحداث فقط، بل بسبب الأسلوب اتصفت الرواية بالجمال الأدبي، وتوجد الحوارات في الرواية لكنها ليست حواراتٍ طويلة جداً، وبما أن زمن أحداث الرواية كان زمن الحملات على الهند؛ فلهذا توجد في الرواية

(١) ادراكك بت شكمن پيدا هو = ولادة محطم التماثيل، ص: ١٣٤/٤.

بعض الألفاظ من اللغة الهندية، ويمكننا القول بأن الأسلوب اللغوي الذي اتخذه الروائي عنايت الله التمش في هذه الرواية - لا سيما في الحوارات - لا يعكس اللغة والألفاظ التي كان يتحدث بها الهنود وأمراؤهم وعامتهم في ذلك الوقت، وكذلك كان السلطان محمود الغزنوي من غزني بأفغانستان، ولكن الحوارات في الرواية عن تلك المنطقة وأهلها بلغة سلسة سهلة، ولا تعكس لغة تلك المنطقة أو لهجتها.

التشبيهات والاستعارات:

استخدمت في الروائي بكثرة التشبيهات والاستعارات، مثلاً: قرار الحكم عندما يتحدث مع أحد الرجال من قبيلة البدو يستخدم في حوار له لفظ (أشرف المخلوقات) ولفظ (حشرات الأرض)، فيقول: إذا وُجد العدل والإنصاف فالإنسان يصبح أشرف المخلوقات، وإلا فإن الإنسان يصير مثل حشرات الأرض والدواب والهوام^(١). وفي موضع آخر يشبه السلطان محمود الغزنوي بالأسد عندما يهجم غاضباً، أو بكرة النار وشعلته، وعندما يتم الفتح ويندحر العدو يقول الروائي بأن رأس الأفعى قد قطعت^(٢).

ويشبه في موضع آخر الطيور الجارحة مثل الصقر والباز التي تصطاد الطيور الصغيرة مثل العصافير، التي تضطر أحياناً لمقابلة الطيور الجارحة؛ للدفاع عن نفسها، فيشبهها بإبراهيم عليه السلام لما أُلقي في نار الملك نمرود، وكان إبراهيم عليه السلام في الظاهر ضعيفاً لا يقوى على النار، ولكنه نجا بفضل الله، فكذلك العصافير التي تدافع عن نفسها أمام الطيور الجارحة^(٣).

(١) اورايك بت شكن، بيدرا هو = ولادة محطم التماثيل، ص: ١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٦.

السرد والحوار والأسلوب في رواية اندلس كى ناگن = أفعى الأندلس

عنوان الرواية:

على غلاف أصفر للرواية، صورةً لفتاة راقصة حسناء، ترفع يديها في حركة رقصٍ استعراضيةٍ، وكأنها إشارة إلى السلطانة طروب، وصورة أخرى لفتاة فارسة تركب الحصان، الذي يرفع قوائمه الأمامية، وفوق الصورتين اسم الرواية بالأحرف العريضة، وتحت تعريفٍ بها في سطرٍ واحدٍ، وتحت العبارة اسم المؤلف عنايت الله.

السرد في رواية أفعى الأندلس:

يظهر السرد في هذه الرواية من خلال عدة صور، منها:

وصف الشخصيات:

(كانت السلطانة ترتدي اللباس الشفاف من الحرير، لم تكن فيه كاسيةً بل عاريةً، شعرها المسترسل على كتفيها، أكثر نعومةً من الحرير، يشرق حسنهما أكثر في ضوء الفوانيس، لم تكن السلطانة امرأةً، بل فتاةً شابةً، في صوتها نغمٌ موسيقيٌّ، وفي مشيتها طلسمٌ سحريٌّ، وحركاتها سَمٌّ قاتلٌ، ودلالها يكسر الزهد، في ابتسامتها ثمالة الخمر، وقد وهبها الله من حصافة العقل والذكاء أضعاف ما منحها من الجمال والحسن، كانت لعوباً، يلمع في عينيها بريق الحب والعشق، لكنها كانت ماهرةً مخادعةً، كانت تدرك مكانتها ونصيبتها، وتعرف نظرات الأمراء والأثرياء، وكانت تعرف كيف تسحر الناس بحسنها، وكيف تستغل ضعف الرجال بسهولةٍ كشرب الماء).^(١)

وصف الأحداث:

(يجب أن تدركوا بأن مثلكم في هذه الجزيرة، كالأيتام على مائدة اللئام، وأدنى إهمالٍ منكم سيحولكم إلى الضياع والهلاك، لدى عدوكم جيشٌ كبيرٌ، وأسلحةٌ وافرّة، وليس عندكم من السلاح إلا السيوف، ولدى العدو ألف وسيلةٍ

(١) اندلس كى ناگن = أفعى الأندلس، ص: ٣٣٢ - ٣٣٣.

للحصول على المدد، وإذا لم تلتزموا الشجاعة والهمة، فستزل أقدامكم، وستزل عظمة المسلمين إلى التراب، وسترتفع همة العدو، وهناك وسيلة واحدة لإنقاذ كرامتكم وعزة الإسلام أن تستحوذوا بالهيبة على عدوكم القادم إليكم للقائكم، وأن تمحقوا قوته، ولم أنبهكم لأمرٍ أتخاشاه أنا، ولم أدعكم إلى القتال على أرضٍ لا أقاتل عليها أنا بنفسي، فقد اختار أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك الشجعان من أمثالكم، ولو غلبتم فرسان العدو هنا؛ فسيكون دين الله وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا سارياً نافذاً^(١).

(ألهب النشيد في الجيش تلك الحماسة التي أرادها عبد الرحمن، وانبعث الخيل بنشاطٍ، ونشط عبد الرحمن نفسه، وكأن الدم الفاسد قد فُصد من عروقه، وأبدل بدمٍ صالحٍ، وكان ينظر إلى الراية في يد صاحبها ترفرف، وكأن نشيد الجنود وصدى الأصوات قد بعث فيها الروح والحياة، وتيقظ الإحساس في هذه القطعة من القماش، حتى يدك جبل الكفر، وتفتطر أكباد الأعداء، إلى فتاتٍ صغيرة متناثرة.

وقال عبد الرحمن: يا عبيد الله! متى ما أشاح المسلمون وجوههم عن الأناشيد العسكرية؛ فذلك اليوم بداية لزوال المسلمين^(٢).

الحوارات في رواية أفعى الأندلس:

تتزين الرواية بالحوارات الجميلة المثيرة بين شخصياتها، ومنها:

الحوار الأول:

(يبدو أن المسيحيين يتجنبون القتال مباشرةً في ميدان الحرب، ولذا هم سيهجمون علينا من تحت الأرض، ولذا عانيتُ أثناء عودتي، واستعلمت أحوال المنطقة إلى حدودٍ بعيدةٍ بواسطة العيون والجواسيس وفرق التجوال، ويظهر من الأخبار التي تصلني باستمرارٍ بأن هناك فتنةً في الداخل يتم التحضير لها، وقد أحضرت معي السجناء الذي أُسروا في القتال على الحدود، ومنهم اثنان أو ثلاثة من القواد من الرتب العالية، الذين أفشوا لي السر بأن لوئي ملك فرنسا يحرض

^(١) أندلس كي ناغن - أفعى الأندلس، ص: ١٦.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩٦ - ١٩٧.

على العصيان والثورة في الأندلس، وجيشه على علاقة بالمسيحيين هنا، وسمعت ثلاث مرات اسم إليارو وإيلوكيس، وتبين لي بأنهما مسيحيان خالصان، وعلمان، وذكيان جداً، وهما نشيطان في المؤامرات والتخريب^(١).

الحوار الثاني:

(قالت مدثرة: لإيقاظ الأسد، وإخراجه من عرينه؛ يجب إشعال النار أمام عرينه، سمعت الكلام الذي قاله لك القائد الأعلى للجيش لفظاً لفظاً، ولا أستطيع أن أتوسل إليك بالحب؛ لأنك قسمت الحب بين أكثر من امرأة، ولكني أتوسل إليك بهذين الولدين الذي أنجبتهما أنا، فاعتبرهما أمام ناظريك، وأولادهما من بعدهما، علّمهما العادات التي لم يكن عليها آباؤك وأجدادك، فقد لقّب بنو أمية بقتلة القواد والفاحين، فلا تكرر عاداتهم تلك.

وضعت مدثرة السيف في حجره، وحملت في عينيه، وقالت: كونه تتحول إلى قوة، وملك فرنسا لوئي يساعدها، وفي إقليمك مريدة تتقد شرارة العصيان^(٢).

الحوار الثالث:

(قال زرياب في حالة من الذهول: أحيانا يسحرنى صوتي وصوت بربط، وتتحول نغمات هذه الأوتار وشجن صوتي إلى خيال يتمثلك.

ابتسمت سلطنة وقالت: هل أنا أفعى حتى أحضر بأنغام الموسيقى؟! قال زرياب: أنت أفعى يا سلطنة، أفعى الأندلس، حتى في سمك يوجد الجمال، الثمالة، السكر... سلطنة، أنا ذلك الإنسان الذي تغلب حتى على حاكم عالم وشجاعٍ مثل ملك الأندلس عبد الرحمن، وأنت ترين بأن الأمراء والأثرياء يذهبون إلى ملك الأندلس بواسطتي، ويعرضون طلباتهم على لساني، لكن عندما تأتين أمامي، يبدو وكأنك قد لدغتنى، وطرأت ثمالة سمك علي^(٣).

الحوار الرابع:

(سألت فلورا: هل تتلقى المدد من فرنسا؟

^(١) اندلس كي تاغن = أفعى الأندلس، ص: ١٥٨ - ١٥٩.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧٦ - ١٧٧.

^(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٤١ - ٢٤٢.

قال إيلوكيس: الثورات تقوم بمساعدة فرنسا، الأمير الحالي الذي يسمى نفسه ملك الأندلس، كان ذاهباً للزحف بجيشه على فرنسا، ونحن أقمنا الثورة في مريدة، وأجبرنا الأمير وقواد جيشه على الرجوع إلى مريدة، وبهذا أنقذنا فرنسا، فرنسا هي طاقتنا الحربية، ومركزنا ومستقرنا الديني).^(١)

الأسلوب في رواية أفعى الأندلس:

أسلوب الرواية تمثيلي، يمكن أدائه على المسرح، ففيه سلاسة أسلوب البيان والاستعمال العادي للجمل، فتأتي شخصيات الرواية إلى المسرح لأداء دورها في الرواية، وتقديمه في صورة الحكيم والقصص للأحداث والوقائع التي مروا بها، ولا يوجد تعقيد في أسلوب الرواية، وتقل التشبيهات والاستعارات فيها، مثل:

١. (أثارت مشاعر عبد الرحمن، وجعلته عاجزاً كما تتمايل الأفعى السامة على عزف الناي لمروض الأفاعي).^(٢)
٢. (لإيقاظ الأسد، وإخراجه من عرينه؛ يجب إشعال النار أمام عرينه).^(٣)
٣. (حيث يوجد التزلف؛ تأتي متمثلة كالأفعى).^(٤)
٤. (أفعى الأندلس عضت الرجال الأحرار بأنبيائها).^(٥)
٥. (عبد الرحمن المسحور بنغمات الموسيقى واستعراضات الحسن كان متهيئاً ومستعداً كالنمر يجري متعقباً فريسته).^(٦)
٦. (زرياب! مقامي بين يديك كمقام الفانوس أمام الشمس).^(٧)

(١) اندلس كي ناغن = أفعى الأندلس، ص: ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٨٠.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٨١.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٢٢٠.

(٧) المصدر نفسه، ص: ٢٤٦.

السرد والحوار والأسلوب في رواية الأمير تيمور

السرد في رواية الأمير تيمور:

يصف التمش نهر آمو - على لسان كلاويجو سفير ملك قشتالة - قائلاً:
(هذا النهر أحد الأنهار الأربعة التي تنبع من الجنة،^(١) وحوالي نهر آمو
أرض مشرقة، تبهج القلب، رائعة بهيجة المنظر، السماء صافية، وتمتد السلاسل
الزرقاء بارتفاعٍ تدريجياً حتى تصل إلى القمة الثلجية التي تسمى عرش سليمان،
وسفوح الجبال خضراء، وتنبع المياه من العيون من الأعلى إلى الأسفل تتسابق
جرياً، ولا تزال هذه المياه تحمل برودة تلك المرتفعات التي نزلت منها، وترعى
الأغنام في الميادين، ويركب الرعاة على البغال كثيفة الشعر، لرعاية القطيع، وفي
الوديان قرب القرية ترعى بقية المواشي الأعشاب المرتفعة.

ويجري النهر متعرجاً ببطءٍ، في وادٍ طويل، بين الصخور البيضاء، ويعمّ
الظلام لانتشار أشجار التوت الكثيفة، وغابات الأحرش، وتتفرع من النهر
القنوات والجداول، لري حقول الذرة والأرز والبطيخ، وتمتلئ البرك والأحواض بالمياه
في كل مكان، وترفع المياه منها بواسطة السواقي، التي يسمع صوت عجلاتها من
بعيدٍ).^(٢)

الوصف في الرواية (الأمير تيمور):

يصف عنايت الله التمش القائد تغلق تمور خان، قائلاً:

(كان تغلق تمور خان جالساً تحت رايته، على بساطٍ جلديٍّ أبيض، وجهه مربعٌ
منبسطٌ، مغوليّ الملامح، عظام خديه بارزةٌ ممتلئةٌ، بينهما فاصلٌ أكثر من المعتاد، عيناه
صغيرتان، تدوران بسرعةٍ في أحداقها، على عارضيه وذقنه لحيةٌ خفيفةٌ، هذا ما يتعلق
بشكله، أما مزاجه فكثير الشكِّ سيء الظن، لصٌّ عظيم الشأن في الغارة والنهب، قهراً
إلهي في الحرب، إذا قاتل لا يتوقف).^(٣)

(١) هناك معتقد بأن الأنهار الأربعة التي تنبع من الجنة هي: نهر دجلة، والفرات، والنيل، والسند.

(٢) الأمير تيمور، ص: ٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧٦.

الحوارات في رواية الأمير تيمور:

من الحوارات في هذه الرواية:

(أنت من أسرة كوركان العالي، لكنك لست جنكيزخاني، إنها قصة قديمة حتى قبل مولدك بكثير، كانت القيادة العسكرية في فخذ جدك قاجولي خان، أما الزعامة فكانت في أولاد قبل خان، وقد نُحِتَت هذه المعاهدة الفولاذية على لوح، ووضع اللوح محفوظاً في مكتب الخانان الجنكيزي، وقد سمعتُ هذه القصة من أبيك طغرائي خان، وقد صدق فيما قال).^(١)

وبعد هذا الحوار صمت أمير قزغن طويلاً وهو يتأمل، ثم قال:
(وبعد أيها الناس! قفوا معنا، اسمنوا ومجدنا عظيم، ولم يبق إلا هذه الطريق، لا طريق سواه).^(٢)

وختم طراغائي حديثه بهذه الجملة:

(يا نور بصري، لن أتحمّل أبداً، أن تلوي عنقك عن أحكام الله تعالى الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، وعليك بطلب الدعاء لك من الدراويش، وكن ملتزماً بأركان الدين).^(٣)

وترك طراغائي ابنه تيمور على حاله، لكن أنظار الناس في الخلوة الصوفية اتجهت إليه، وسأل أحد الشيوخ السادات عن اسمه: من هذا الذي يجلس في الزاوية يتلو القرآن الكريم؟ فقال: اسمي تيمور. وفي حوار آخر لزعيم تاتاري مع تيمور:

(إذا كانت أرض الله واسعة، فلماذا حبست نفسك بين أسوار المدينة؟
قال تيمور: هذه مجرد أقوال، قل لي ماذا تريد عمله؟ هل أصبحت كالغراب والحدأة حتى تقنع بما تحصل عليه من فتات مائدة المغول الجته؟ أم ستكون كالعقاب، تهجم على فريستك وتنشب فيها مخالبك؟
فقال المبعوث وجاكو برلاس: نحن لسنا أذلة).^(٤)

(١) الأمير تيمور، ص: ٦٠ - ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٩٤.

(انحرف الأمير حسين وقال للمبعوث: هل أنا عديم الرجولة حتى أتلقى الأوامر أمام جيشي بالتقدم للقتال؟! وكأنه - بهذا الجواب - صفع المبعوث على وجهه، ولم يجب على رسالة تيمور بغير هذا الجواب.

ورغم سرعة مضي الوقت إلا أن تيمور كبح جماح غضبه، ثم أرسل اثنين من قواد جيشه، إلى الأمير حسين، وهما من أقاربه، ليقولا له: إن إلياس خواجه على وشك الهزيمة، ومن واجبنا أن نهجم عليه.

ولكن الأمير حسين أغلظ في الرد على القائدين، وقال: هل فررت من القتال حتى أدعى إلى التقدم للهجوم؟! أنا بحاجة لبعض الوقت؛ كي أعيد ترتيب جيشي.

فأجابه القائدان: هذا صحيح، ولكن تيمور يقاتل جيش العدو، الذي خصصه العدو للقتال في آخر مرحلة من الحرب).^(١)

الأسلوب في رواية الأمير تيمور

الأمير تيمور: رواية ترجمها عنايت الله التمش من الإنجليزية، للكاتب: هيرلد ليم، لكن الترجمة الأردنية بصياغة سليمة وأسلوب ممتاز، لا يشعر قارئها بأنها مترجمة عن لغة أخرى، ونمط التحرير الأوروبي يختلف عن الشرقي، فلذا قام المترجم بصياغة الرواية بأسلوب مشرق، واعترف المؤلف بقصور الترجمة عن أداء الأساليب الموجودة في اللغة الأساسية للرواية، ولكن حاول أن يؤدي مقاصد الفقرات الطويلة والمعاني المعقدة، والتعبير عنها في الترجمة بألفاظ وفقرات مختصرة، وسريعة الأداء، وإيجاد ميدان وسيع للخيال الأدبي عبر إشارات خفيفة في الرواية بالإنجليزية، وتصوير مناظر الطبيعة، وتحركات الجيوش، وساحات القتال، كل هذه الخصائص حاول المترجم أن يحاكيها ويقلدها في الترجمة. وبالإضافة إلى كتاب هيرالد ليم، فقد استفاد عنايت الله التمش من كتابين بالفارسية، وهما: ظفرنامه، وتترك تيموري، لا سيما في المواطن التي أحس فيها التمش بأن النص الفارسي أشد وضوحاً وصراحةً، وأكثر روعةً، وتمتلى الرواية المترجمة

(١) الأمير تيمور، ص: ١٢٨.

بالتشبيهات والاستعارات والحوارات الممتعة، وكأنها جواهر منظومة، ونلاحظ في الفقرة التالية طغرائي ينصح ابنه تيمور، ويبين له حقيقة الدنيا، قائلاً:

(الدنيا وعاءٌ من الذهب، مليءٌ بالثعابين والعقارب، أنا يائسٌ من الدنيا).^(١)

ومن التشبيهات والاستعارات الواردة في الرواية:

(خاض موسى عدة معارك، ولا يمكن خداعه كما تخدع تلك الظعينة التي تركب البعير).^(٢)

(فرش موسى بساط خلّاعته، وشرب من زقّ صهبائه حتى الثمالة).^(٣)

(صارت ألسنة الخلائق تلهج بقصص هزائمه وفراره، فتوحاته وانتصاراته).^(٤)

(كانت أمنيته أن يوثق العلاقات الحميمة مع تيمور).^(٥)

(جاء تغلق تيمور إلى بلاد ما وراء النهر للمرة الثانية، وكأن حجراً سقط على العصافير من مكان مجهول).^(٦)

(كان ذكياً في إدراك حقيقة كلّ أمرٍ، كالعقاب).^(٧)

(ولاة سمرقند أصيبوا بالهلع والذعر، كما تذعر طيور السمّان لرؤية الباشق).^(٨)

واهتم التمش بتصوير شخصيات الرواية، وبيان صفاتها ودورها في الأحداث، لا سيما بطل الرواية الأمير تيمور، وكذلك، ألقائي خاتون، وخان تيمور تغلق، ويستشعر القارئ تلك الشخصيات وكأنها ماثلة أمام ناظره، تتحرك في الأحداث، وتؤدي دورها المرسوم لها. ومن الناحية الفنية يساعد تصوير الشخصيات والأحداث والحبكة والوصف في رسم لوحة روائية ناصعة الجمال، مزركشة الألوان.

(١) الأمير تيمور، ص: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٠٢.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٨٠.

(٧) المصدر نفسه، ص: ٩٤.

(٨) المصدر نفسه، ص: ٧٨.

السرد والحوار والأسلوب في رواية اور نيل بهتا ربا - وظل النيل يجري السرد في رواية وظل النيل يجري: وصف الأماكن:

كانت هناك عينٌ للماء الشفاف، وقد تجمع هذا الماء في حوضٍ يمتد طوله وعرضه عدة أمتار، ويسيل من جهةٍ واحدةٍ، وحولها تلالٌ مرتفعةٌ قليلاً، عليها أشجارٌ وخضرةٌ، وبين التلال والماء أرضٌ فسيحةٌ، عليها الأعشاب الخضراء، وهذا المكان صالحٌ للمبيت ليلاً.^(١)

الحوارات في رواية وظل النيل يجري: الحوار الأول:

طلب قيرس من الأسقف الثاني بنيامين أن يرجع من منفاه خارج الوطن، وأقنعه بالعودة، وقال له: مات هرقل، ومات ابنه قسطنطين، وماتت مع هرقل نصرانيته، والآن سنقوم أنا وأنت بالدعوة إلى النصرانية الحقيقية، وقل للأقباط أن ينقدوا النصرانية من الإسلام، فمصر على وشك الخروج من القبضة، ونحن نريد أن نجعل مصر مركز النصرانية.

بنيامين: مصر ليست على وشك الخروج من القبضة، بل خرجت من قبضتنا فعلاً، أنتم جعلتم الدين ألعباً.

فقال قيرس غاضباً: اعزل الدين جانباً، واهتمّ بمصر، التي هي موطننا.^(٢)

الحوار الثاني:

قال هرقل غاضباً: فهمت كلامك، تريد أن تقول بأنك لم تتلق المدد والتعاون من المدنيين، تحدث سريعاً.

^(١) اور نيل بهتاربا = وظل النيل يجري، ص: ٧١.

^(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٦٨ - ٣٦٩.

راستين: لم نتلق المدد من المدنيين فحسب، بل وقفوا ضدنا، ولو حاربنا في الحصار؛ فإن المدنيين كانوا سيعلمون التمرد والعصيان ويفتحون أبواب المدينة.^(١)

الحوار الثالث:

قال الأب: أي مسلمين تتحدث عنهم؟! أولئك المسلمين كانوا أشخاصا آخرين، وكان غير المسلمين يتأثرون بأخلاقهم فيعتنقون الإسلام، الإسلام حرم الخمر كما حرم الخنزير، وأعرف بأن المسلمين يهرون من رائحة الخمر، ولكن هنا بعض المسلمين يشربون الخمر، ويعتبرونها حلالاً.^(٢)

الحوار الرابع:

قال القائد الرومي بابتسامةٍ منهزمةٍ: جئتُ من الشام، ورأيت المسلمين يقاتلون، وقاتلتهم، وأنت تصفهم بقلة العدد، لكن قلة العدد هي أصل طاقتهم، فهل تستطيع أن تتحكم في جيشك أن يكونوا طوع أمرك في مثل هذه الظروف؟ ألا ترى أن جيشنا يقاتل من أجل النجاة بأنفسهم من الموت؟! ويبحثون عن طرق الفرار، أما البدو فقد خانوا أيضاً. فسأل الضابط الأسفل: إذن ما هو الأمر لنا؟

قال القائد: أنت بالخيار، إن أردت القتال فقاتل، وإن أردت الفرار فاهرب.^(٣)

الأسلوب في رواية وظل النيل يجري:

اتبع المؤلف في هذه الرواية أسلوباً سلساً، يبين فيه أحوال مصر، ويحكي الوقائع فيها، وعلى الرغم من أنه يجيد عن مخطط الرواية أحياناً إلا أنه يجذب الراوي بسبب بساطة أسلوبه، وقصصه الجاسوسية.

وصاغ الروائي الحوارات بطريقةٍ ممتازةٍ، سهلة الفهم، وتكثر في الرواية المخططات والمؤامرات الحربية، ووفق الروائي في الفقرات التي ترجمها من المؤرخين العرب أو من كتاب

(١) أورنيل بهتاربا = وظل النيل يجري، ٩٧ / ١ - ٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ٣٥٨ / ١.

(٣) المصدر نفسه، ٤٤٩ / ١.

ہیروڈیم، ومع أن بداية الرواية يلفها الغموض والتعقيد؛ إلا أن ملامح الرواية وأحداثها تتضح أمام القارئ مع مزيدٍ من قراءته للرواية، التي تستجلب انتباهه بسبب الإثارة الجاسوسية في الرواية.

واستخدمت الرواية في أسلوبها التشبيهات والاستعارات، والأساليب القرآنية، ومن هذه التشبيهات والاستعارات:

۱. كان يهجم على فريسته كالنمر.^(۱)
۲. يقول كيلاش عن شارينا: إنها زهرة عطرية، تبدو كالزهرة في منظرها، ولها رائحة عطرية.^(۲)
۳. لو منحنا الفرصة لهذه الأفعى السامة أن تتراخى قليلاً، فستنشط للهجوم مرة أخرى، وستستبدل تفهقها بالإقدام.^(۳)
۴. عدد أفراد جيشنا يعادل تعداد نجوم السماء، وذرات الأرض.^(۴)
۵. هرقل: سأخلص مملكتي من قبضة المسلمين، وسأتوج يوكلس ملكاً عليها.
ليزا: معنى هذا مثل من يقول: سأكسر نجوم السماء وأحضرها، وسأعطيك نصفها أيضاً.^(۵) هجمت ليزا على ابنها؛ كما تخطف الحداة فراخ الدجاج في محالبها، وتطير به.^(۶)

من الأساليب القرآنية في الرواية:

(اور جن لوگوں نے ہمارے لئے جہاد کیا، ہم ضرور انکو اپنا راستہ دکھائیں گے، اور اللہ اپنی نیکو کار بندو کے ساتھ ہے).^(۷)

(۱) اور نیل بہتارہا = وظل النيل يجري، ۱ / ۷۴.

(۲) المصدر نفسه، ۱ / ۷۵.

(۳) المصدر نفسه، ۱ / ۸۹.

(۴) المصدر نفسه، ۱ / ۱۱۱.

(۵) المصدر نفسه، ۱ / ۱۶۵.

(۶) المصدر نفسه، ۲۵۳.

(۷) المصدر نفسه، ۱۴۶.

مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ

(۱) ﴿۶۹﴾.

ويقول التمش أيضا:

(اکثر ایسا ہوا ہے کہ ایک چھوٹی جماعت اللہ کے حکم سے ایک بڑی جماعت پر فتح یاب ہوئی ہے)۔ (۲)

مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ (۳)

(جھنوں نے شیطان سے منہ موڑ کر اللہ کی طرف توجہ کی—ان کے لئے خوشخبری ہے)۔ (۴)

مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَن يَعْْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ

الْبُشْرَى...﴾ (۵)

(تم میں سے صرف ایک سو ثابت قدم رہنے والے اور ایمان والے ہوئے تو ایک ہزار پر غلبہ کریں

گے)۔ (۶)

مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

...﴾ (۷)

(۱) سورة العنكبوت، ۶۹ / ۲۹.

(۲) اور نیل بہتارہا = وظل النيل يجري، ۱۱۲.

(۳) سورة البقرة، ۲ / ۲۴۹.

(۴) اور نیل بہتارہا = وظل النيل يجري، ۲ / ۱۷۵.

(۵) سورة الزمر، ۳۹ / ۱۷.

(۶) اور نیل بہتارہا = وظل النيل يجري، ۲ / ۱۸۴ - ۱۸۵.

(۷) سورة الأنفال، ۸ / ۶۵.

السرد والحوار والأسلوب في رواية

دمشق کی قید خانے میں - فی سجن دمشق

السرد في الرواية:

الوصف:

امتازت الرواية بالوصف، مثل: وصف الشخصيات والأحداث، والأماكن.

أولاً- وصف الشخصيات:

يصف التمش إيجيلونا قائلاً:

(راڈرک کے مرنے کے بعد ایک سے زیادہ عورتیں بیوہ ہو گئی تھیں۔ ان میں ایک یہ جوان سال بیوہ تھی جس کا نام ایجیلونا تھا۔ اس وقت اس کی عمر ستائیس اٹھائیس سال تھی۔
راڈرک کے مرنے کے بعد ایجیلونا نے بلکہ اس کے غیر معمولی حسن نے ایسی تاریخی حیثیت حاصل کر لی کہ تقریباً تمام مورخوں نے اس کا ذکر تفصیل سے کیا ہے۔ وہ لکھتے ہیں کہ اس عورت کے حسن میں کوئی خصوصی کشش تو تھی لیکن اس کے بولنے کے انداز میں اور اس کے ناز و انداز میں اور اس کی چال ڈھال میں طلسماتی سا اثر تھا۔ تاریخوں میں آیا ہے کہ وہ زبان سے کم اور آنکھوں سے زیادہ بولتی تھی اور زیادہ پُراثر وہ تبسم تھا جو ہر وقت اس کے ہونٹوں پر رہتا تھا، بعض مورخوں نے لکھا ہے کہ اس کی ماں یہودن تھی اور بعض نے اس کی ماں کو یونانی عیسائی لکھا ہے۔
بہر حال ایجیلونا کا شمار شاہی خاندان کے افراد میں ہوتا تھا)۔^(۱)

الترجمة:

بعد موت لذريق ترمّلت عدة نساء، ومنهن هذه الفتاة الشابة التي اسمها إيجيلونا، وكان عمرها آنذاك يتراوح بين السابعة والعشرين والثامنة والعشرين، بعد موت لذريق اشتهرت إيجيلونا بحسنها التاريخي كما ذكر ذلك أغلب المؤرخين بالتفصيل، فكانت في جمالها جاذبيةً فريدةً، بل في نخط حديثها ودلالها ومشيتها آثارٌ سحريةٌ، تتحدث بعينها أكثر من لسانها، وابتسامتها الساحرة على شفيتها دائماً، ويقول المؤرخون بأن أمها

(۱) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۲۰۲.

كانت يهوديةً، فيما ذهب بعض المؤرخين إلى أن أمها كانت يونانيةً مسيحيةً، وعلى كل حال فإن ايجيلونا كانت تعدّ من أفراد الأسرة الملكية.

ثانياً- وصف الأماكن: يصف التمش الأندلس قائلاً:

(اندلس قدرت کا ایک شاہکار ملک ہے، ہر طرف سبزہ اور لہلہاتے کھیت، درخت اتنے زیادہ اور اتنے خوشنما کہ مردے بھی دیکھیں تو سانس لینے لگیں۔ اندلس دریاؤں کی سر زمین ہے یہ سبز پوش پہاڑوں اور روح افزا وادیوں کا ملک ہے۔ وہاں کی زمین سونا اگتی ہے، اس زمین میں خزانے دفن ہیں۔ آپ وہاں جائیں گے تو عرب کے ریگزاروں اور افریقہ کی سنگلاخ زمین کی طرف رخ نہیں کریں گے)۔^(۱)

الترجمة:

الأندلس بلدٌ يعدّ تحفةً طبيعيةً خلقها الله، فيها الخضرة، والحقول التي ترفرف زروعها في جميع الأنحاء، أشجارها كثيرة وجميلة، تبعث الروح حتى في الموتى، والأندلس أرض الأنهار والجداول، والجبال المخضرة، والوديان التي تجذب الروح، أرضٌ ذهبيةٌ، فيها الدفائن الثمينة، إذا زرتها فلن ترجع منها إلى صحاري البلاد العربية، والأراضي الصخرية في أفريقيا.

ويصف التمش طليطلة وموقعها الاستراتيجي الحصين ضد العدو قائلاً:

(یہ شہر دریائے ٹیگس کے کنارے پر ہی آباد نہیں تھا، بلکہ یہ دریا اس شہر کے ارد گرد گھوم کر آگے جاتا تھا۔ دریا کے ساتھ ہی ایک وسیع اور گہری جھیل تھی جس میں دریا کا پانی گرتا تھا۔ اس لمبی چوڑی چٹان میں سے سرنگ نکالی گئی تھی اس سرنگ سے دریا کا پانی جھیل میں جاتا تھا... طلیطہ کو ایک تو دریائے ٹیگس دفاع مہیا کرتا تھا، دوسرا یہ کہ یہ قلعہ بند شہر خاصی بلندی پر آباد کیا گیا تھا، قلعے اور شہر کی دیواریں بہت وزنی اور زیادہ وزن والے پتھروں سے بنائی گئی تھیں۔ بعض پتھر اتنے بڑے تھے جیسے پوری چٹان اٹھا کر وہاں رکھ دی گئی ہو۔ شہر کے ارد گرد دیوار کے ساتھ ساتھ

(۱) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۳۲.

بہت چوڑی اور خاصی گہری خندق تھی۔ اس میں لکڑی کے نوکیلے کیل گرھے ہوئے تھے جو خندق میں اُترنے والے کو بری طرح زخمی کرتے اور اسے باہر نکلنے کے قابل نہیں رہنے دیتے تھے^(۱)۔

الترجمة:

لم تكن هذه المدينة قائمةً على شاطئ نهر تيكس فحسب، بل إن هذا النهر كان يلتف حوالى المدينة ثم يتجه إلى مصبه، وبالقرب من النهر بحيرة واسعة وعميقة، يصب فيها ماء النهر، الذي ينفذ إلى البحيرة عبر نفقٍ طويلٍ في صخرةٍ طويلةٍ عريضة. وكانت طليطة تتمتع بدفاعٍ محصنٍ بسبب نهر تيكس، ثم بسبب وقوعها على ارتفاع عالٍ، مع القلاع المحصنة، وكانت أسوار القلاع والمدينة مبنية من الحجارة الضخمة كبيرة الحجم والوزن، وحول المدينة خندق، مليء بالأخشاب الحادة التي تجرح من يسقط فيها، ويتعذر خروجه منها.

ثالثاً- وصف الأحداث:

يصف التمش بداية هجوم جيش المسلمين على الأندلس، قائلاً:
(آدھی رات کے بعد اُندلس کے جنوبی ساحل کے ایک قصبے میدان سبانو کے لوگ گہری نیند سوئے ہوئے تھے۔ ساحل کے ساتھ فوجی چوکیاں بھی تھیں جن میں فوجی موجود تھے جو کبھی کے سو گئے تھے۔ جن سنتریوں کو جاگے رہنا تھا، وہ کہیں کھڑے کہیں بیٹھے اونگھ رہے تھے۔ انہیں کوئی خطرہ نہیں تھا۔ وہ جانتے تھے کہ سیوستہ اُندلس کا دروازہ ہے، اور اس دروازے پر بڑا مضبوط قلعہ اور جو لئین کی فوج ہے)^(۲)۔

الترجمة:

بعد منتصف الليل، في قرية تقع في ميدن سبانو، على الساحل الجنوبي للأندلس، كان الناس مستغرقين في نوم عميق، وعلى الساحل نقاط للحراسة الأمنية، فيها الجنود، الذين خلدوا للنوم، فيما بقي الحراس يقظين وقوفاً، وبعضهم جلس ينعس، لم يكون

(۱) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۱۷۲۔

(۲) المصدر نفسه، ص: ۵۲۔

وا يحسون بأيّ خطرٍ، فقد كانوا يعرفون بأن سيوستة هي بوابة الأندلس، وعليها قلعةٌ حصينةٌ، يحرسها جنود جوليان.

الحوارات في رواية (في سجن دمشق):

أبداع التمش في صياغة الحوارات الروائية بين شخصيات الرواية، بأسلوب محكمٍ وسلسٍ، سهل الفهم، مثل الحوارات التالية:

(وہ صدالگار ہاتھ کی ایک آدمی نے پیچھے سے آکر اسے پاؤں سے ٹھوکر ماری، بوڑھے

بھکاری نے مڑکے دیکھا۔

بھاگنے کی تو نہیں سوچ رہی بڑھی؟ ٹھوکر مارنے والے نے پوچھا۔

کبھی سنا تھا کہ اندلس کی میدان جنگ سے کوئی بھاگا ہے؟ بوڑھے بھکاری نے کہا: میں نے بھاگنا ہوتا تو...

ابھی اندلس تیرے دماغ سے نہیں نکلا؟ اس آدمی نے اسے ایک اور ٹھوکر مارتے ہوئے کہا۔

اپنی خلیفہ سے کہ دینا کہ تمہاری حکومت جلدی ختم ہو جائے گی۔ بوڑھے بھکاری نے کہا، محمد بن

قاسم کی قاتل کو میرا پیغام دی دینا... اور تیری ان دو ٹھوکروں کا جواب روز قیامت دوں گا۔^(۱)

الترجمة:

كان ينادي بطلب الصدقة حين اصطدم برجله شخصٌ من ورائه، فالتفت

المتسول خلفه، فقال الرجل الذي اصطدم به: أما تفكر في الهرب أيها العجوز؟

فقال العجوز: هل سمعتَ بأن أحداً هرب من ميدان القتال بالأندلس؟ لو كنتُ

أفكر في الهرب لـ...

فاصطدم به الرجل مرةً ثانيةً وقال: ألم يخرج الأندلس من عقلك؟

قل لخليفتك بأن خلافتك ستنتهي عما قريبٍ، أبلغ قاتل محمد بن القاسم رسالتي

هذه، وسأرد على اصطدامك بي مرتين يوم القيامة.

الحوار الثاني:

(۱) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۸.

ذات یوم جاء رجلا من شمال أفريقيا لأداء الحج، فتقدما رويداً رويداً نحو المتسول الذي ينادي بطلب الصدقة، فقال أحدهما: يبدو أنه متسولٌ عاقلٌ، فقال الآخر: نعم، إنه لا يشكو فقره كالمسولين الآخرين.

وكان الرجلان يخرجان المال من والمتسول جالسٌ على الأرض وجهه إلى الأعلى ينظر إليهما، فأمسك أحدهما يده عن إعطائه المال، وجلس أمام المتسول، ورفع يده ذقن المتسول وسأله: ما اسمك؟ فقال المتسول: ليس لي اسم، وإنما أنا تفسيرٌ مجسمٌ لقوله تعالى: ﴿وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ...﴾^(۱).

فقال الأفريقي: والله، أنت موسى ... موسى بن نصير، أمير أفريقيا!

وسأله الأفريقي الثاني مندهشاً: فاتح الأندلس؟

فسالت الدموع من عيني المتسول العجوز، وسأله أحد الأفريقيين: ما هذه الجريمة

التي تعاقب عليها؟!

فرفع العجوز إصبعه إلى السماء، ولم يقل شيئاً، ورقّت حاله وتأثر.^(۲)

الحوار الثالث:

(ہاں شہنشاہ اندلس، جولن نے کھا، میں آپ کے لیے باز بھیجوں گا جو ابھی تک آپ

نے نہیں دیکھے، شکار پر ایسے چھپتے ہی کہ اسے بچنے کہ مہلت نہی دیتے).^(۳)

الترجمة:

عندما هتك لذريق عرض ابنة جوليان، ذهب هنري السائس في الاصطبل الملكي

إلى جوليان، من طليطلة إلى سيوستة؛ بطلب من فلورندا ابنة جوليان، ليخبر أباهما عما

فعله لذريق بها.

(۱) سورة آل عمران، ۳ / ۳۶.

(۲) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۸ - ۹.

(۳) المصدر نفسه، ص: ۴۶.

فذهب جولیان متنكراً إلى لذريق، وأظهر أنه لا علم له بشيء مما جرى لابنته، وطلب الإذن برجوع ابنته، فأكرم لذريق جوليان، وقال له: سمعت بأن في منطقتك صقوراً من النسل الأصيل، وأنا أريد الصقور للصيد. فقال جوليان: نعم ملك الأندلس، سأرسل إليك صقوراً لم ترها من قبل، تنقض على الفريسة، ولا تترك لها مهلة الانفضا منھا.

الحوار الرابع:

(ابن زیاد، ایک روز جولین نے اس کے چہرے پر تفکر اور پریشانی کے تاثرات دیکھ کر کہا، تجھے اپنے رسول نے فتح کی بشارت تو دی ہی ہوگی، لیکن جو دعائیں تجھی اندلسیوں سے مل رہی ہے، یہ بھی خدا تک پہنچ رہی ہے، یہ نہ کہ دینا کہ جو مسلمان نصی ان کی دعائیں خدا سنتا ہی نہیں، خدا اپنی ان بندوں کی دعائیں ضرور سنتا ہے جو اس کے بندوں کے ستائے ہوئے ہوتے ہی)۔^(۱)

الترجمة:

ذات يوم رأى جوليان آثار التفكير والقلق على وجه طارق بن زياد، فقال له: يا ابن زياد، لقد بشركم رسولكم بالنصر، وأهل الأندلس يدعون لكم، وأدعيتهم تصل إلى الله، ولا تقل إن الله لا يسمع دعاء غير المسلم، فالله يسمع حتماً دعاء عباده الذين اضطهدوا من عباد الله.

الحوار الخامس:

(راڈریک نے اپنے آپ سے کہا: کل تک میں اندلس کا بادشاہ تھا، آج کچھ بھی نہیں، عالیشان قلعوں کے دروازے میری سواری کو دور سے دیکھ کر ہی کھل جایا کرتے تھے، مگر کوئی ایسی جگہ نہ ملتی جہاں میں اطمینان سے بیٹھ سکوں، میرے لیے دنیا کے تمام دروازے بند ہو گئے ہیں، اوبد نصیب! تو سمجھتا تھا کہ ساری دنیا کی طاقت تیرے ہاتھ میں ہے... ہاں، میں بد نصیب ہوں، میں آج آخری بار سورج کو غروب ہوتا دیکھ رہا ہوں، ای موت! تو اتنی آہستہ آہستہ کیوں آرہی ہے؟ مجھی اچک لینے سے کیوں ڈر کیوں رہی ہے؟ آ... جلدی آ)۔^(۲)

(۱) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۹۸.

(۲) المصدر نفسه، ص: ۱۳۵.

الترجمة:

قال لذريق يخاطب نفسه: بالأمس كنتُ ملك الأندلس، وأنا اليوم لا شيء، كانت أبواب القلاع الشاخنة تُفتح لرؤية موكبي من بعيدٍ، واليوم لا أجد مكاناً لأجلس فيه مطمئناً، أغلقتُ في وجهي جميع أبواب الدنيا، أيها الشقي! كنتَ تظن أن قوة الدنيا كلها في قبضتك، نعم أنا الشقي، وأشهد اليوم غروب الشمس في حياتي لآخر مرة، أيها الموت: لماذا تأتي رويداً رويداً؟ لماذا تخاف من تخطّفي؟ أقبل... أقبل بسرعة.

الأسلوب في رواية (في سجن دمشق):

كعادة التمش في الكتابة الروائية؛ فإنه كتب في هذه الرواية أيضاً بأسلوب سهل وسلسٍ للقارئ الأردّي، عن فتح الأندلس، وتعرض قادة الفتح للسخط من خلفاء بني أمية الذين أودعوا كثيراً من قادة الفتوحات الإسلامية أسرى وسجناء في سجن دمشق، لعدة أسباب سياسية، وتروي الرواية ما عاناه هؤلاء السجناء من المتاعب والمشقات أثناء السجن، وتكثر في الرواية التشبيهات والاستعارات، ومنها:

(یہ تو سچ ہے کہ جولین ایک تناور درخت سے کٹے ہوئے ٹن کے مانند ہماری جولی میں آگرا ہے)۔^(۱)

الترجمة: في الحقيقة، سقط جوليان في أحضاننا كجذعٍ مقطوعٍ من شجرة ضخمة. وفي موضعٍ آخر ينقل التمش صورة الجنود في الحرب قائلاً:

(اسکے دستے سنبھل کر مقابلے میں آنے کی بجائے ڈری ہوئی بھیروں کی طرح ایک

دوسرے میں سکھڑنے اور سمٹنے لگے، انکی پوزیشن ایسے تھی، جیسے شکاری کوپر کٹی اور آرام سے

بیٹھی ہوئی بطخیں مل جائیں)۔^(۲)

الترجمة: بدلاً من الانضباط والعودة للمواجهة؛ فإن قواته انكمشت وتقلصت مثل الخراف المدعورة، وكانت حالتها مثل الصياد الذي يعثر على الإوزٍ مقصوص

^(۱) دمشق کے قید خانے میں = في سجن دمشق، ص: ۴۸.

^(۲) المصدر نفسه، ص: ۱۲۵.

الأجنحة يقف بهدوء. كما استخدم الروائي كثيراً من الأساليب المقتبسة من القرآن الكريم، مثل قوله:

(یہ تو اللہ تبارک و تعالیٰ کا وعدہ ہے، اگر تم میں سے بیس آدمی ثابت قدم رہنے والے ہوں گے، تو دوسو کفار پر غالب آئیں گے، اور اگر تم میں سے سو آدمی ثابت قدم رہنے والے ہوں گے، تو ایک ہزار کفار پر غالب آئیں گے)۔^(۱)

وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.^(۲)
ويقول التمش أيضاً:

(طارق بن زیاد اپنے لشکر کو وہ آیات سناتا جس می اللہ نے مؤمنین سے فتح و نصرت کے وعدی کئے ہیں: ایسا کئی بار ہوا ہے کہ چھوٹی جماعت بڑی جماعت پر غالب آئی ہے۔ یاد کرو وہ وقت جب ہم نے دریا کو پھاڑ دیا، اور تمہیں راہ نجات دی تھی، اور فرعون کی قوم کو غرق کر دیا تھا)۔^(۳)

الترجمة: كان طارق بن زياد يتلو على مسامع جنده تلك الآيات التي وعد الله فيها المؤمنين بالفتح والممدد، كما قال تعالى: ﴿كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾.^(۴)

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.^(۵)

^(۱) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۹۷.

^(۲) سورة الأنفال، ۸ / ۶۵.

^(۳) دمشق کے قید خانے میں = فی سجن دمشق، ص: ۱۰۹.

^(۴) سورة البقرة، ۲ / ۲۴۹.

^(۵) سورة البقرة، ۲ / ۵۰.

الخاتمة

تشمل الخاتمة جزئين:

أوجه التشابه بين الروايات والروائيين

أوجه الخلاف بين الروايات والروائيين

تتضمن الخاتمة النقاط التالية:

- أوجه التشابه بين الروائيين.
- أوجه الاختلاف بين الروائيين.
- خلاصة البحث والنتائج.

أولاً: أوجه التشابه بين الروايات والروائيين

أولاً - التشابه في الموضوعات:

تناول الروائيان موضوع الحملات الصليبية، فأمين معلوف في روايته: "الحروب الصليبية كما رآها العرب" تناول الأحداث الكبرى والصغرى، واعتمد على فكرة بسيطة، وهي جرد أحوال العالم الاسلامي أثناء الحروب الصليبية، ولم يقدم معلوف جديداً في روايته على المستوى التاريخي، بل الأحداث كلها لها إحالاتها في المراجع التاريخية القديمة، لكن التركيبة الأدبية التي ميزت العمل جعلته أكثر تميزاً، ربما حتى عمن دونوا لحقبة الحروب الصليبية؛ لأن المخاطب الأول بالرواية هو الغرب الذي غابت عنه حقائق تلك الفترة، لا سيما أن معلوف كتب الرواية باللغة الفرنسية.

أما رواية "داستان إيمان فروشون كى" = حكاية الخونة باعة الإيمان، لعنايت الله التمش فقد كتب فيها عن نشأة صلاح الدين الأيوبي، منذ أن كان ضابطاً في الجيش في عهد السلطان نور الدين زنكي، ثم تدرجه في الجيش والمناصب، وقيامه بالحملات الحربية، واسترداده مصر من الفاطميين، واتجاهه لاسترداد بيت المقدس. كما اشتملت الرواية على بعض القصص الجانبية، مثل: الجنود المجهولين الذين لم ينصفهم التاريخ، وأيضاً قصة بعض الجنود والقادة الخونة في جيوش المسلمين، ممن باعوا ضمائرهم ودينهم، ووقعوا في شباك الصليبيين وإغراءاتهم بالمال والنساء، فكانوا يتجسسون لصالح الصليبيين. والروائيان اتفقا في عرض الموضوع الأساسي، وهو فتح بيت المقدس.

ثانياً - التشابه في الشخصيات الروائية:

اتفق الروائيان في جلب الشخصيات التاريخية الحقيقية لرواياتهما، لا سيما الشخصيات الأساسية، وأعني بالشخصيات الحقيقية تلك التي كان لها وجودها الحقيقي في حقبة ما من التاريخ، وأذكر هنا على سبيل المثال بعضها:

- صلاح الدين الأيوبي، ونور الدين زنكي في رواية: "الحروب الصليبية كما رآها العرب".

- عمر الخيام والوزير نظام الملك وحسن الصباح في رواية: "سمرقند".
 - ليون الأفريقي في رواية: "ليون الإفريقي".
 - ماني في رواية: "حدائق النور".
 - وكذلك الشخصيات الأساسية في روايات عنايت الله التمش، مثل:
 - صلاح الدين الأيوبي في رواية: (حكاية الخونة باعة الإيمان).
 - خالد بن الوليد في رواية: (السيف المسلول).
 - أبو عبيدة بن الجراح، وملوك فارس وقادتها في رواية: (عاصفة الحجاز).
 - السلطان محمود الغزنوي في رواية: (ولادة محطّم التماثيل).
 - الخليفة عبد الرحمن الحكم في رواية: (أفعى الأندلس).
 - تيمور لنك في رواية: (الأمير تيمور).
 - عمرو بن العاص في رواية: (وظل النيل يجري).
 - موسى بن نصير وطارق بن زياد في رواية: (في سجن دمشق).
- أما الشخصيات الثانوية عند الروائيين فهي غالباً شخصيات مختلقة وهمية، استحدثها الروائيان لمسايرة الأحداث، وتسلسلها، وهي ضرورة فنية، ومن البدهي وجود الشخصيات الثانوية جنباً إلى جنبٍ مع الشخصيات الأساسية في الرواية، وإن كنا نجهل تاريخياً أسماءها وأدوارها التي أنيطت بها، لكن الروائيين عوضاً ذلك الغياب التاريخي لهذه الشخصيات الثانوية بصورة مجازية مستحدثة، من أجل اكتمال المشهد الروائي.
- ولا يغيب عن الأذهان أن بعض الشخصيات الثانوية حقيقية بأسمائها؛ نظراً لورود أسمائها ضمن كتب التاريخ، مثل:
- زرياب المطرب في رواية (أفعى الأندلس).

كما وقع اختيار الروائيين على شخصيات تاريخية بارزة، من أجل توظيفها للرواية التاريخية، وكانت لهذه الشخصيات التاريخية أدوار بطولية وملاحم حربية، لولا التوثيق التاريخي لها لكانت في عداد الأساطير، مثل: عمرو بن العاص الذي فتح مصر، ودحر جيش المقوقس، والأمير تيمور لنك الذي سيّر جيوشه إلى الشرق والغرب، وصلاح الدين

الأيوبي الذي استطاع صد الهجمات الصليبية، واستعاد بيت المقدس، في زمنٍ كانت القوة الاستخباراتية للصليبيين داخل الدول الإسلامية لا تقلّ عن قوتهم في الجيش والعتاد، وبذلك كان صلاح الدين الأيوبي يقاتل الجيوش النظامية للصليبيين، ويقضي على شبكاتهم التجسسية في آنٍ واحد، إضافةً إلى وقوفه في وجه المغول والعبيديين، والحشاشين.

ثانياً: أوجه الخلاف بين الروايات والروائيين

نلاحظ مظاهر متعددة للاختلاف في الروايات التاريخية بين الكاتبين أمين

معلوف وعنايت الله التمش، منها ما يلي:

أولاً - الاختلاف في الشخصيات الروائية:

ابتداءً من اختراع الشخصية الروائية وإضفاء الصفات والطبائع عليها، نرى بأن أمين معلوف استطاع في بعض رواياته التاريخية أن تكون قائمة على شخصيات مجازية، مثل: الأصدقاء التسعة في رواية (التائهون)، وشخصيات رواية (صخرة طانيوس)، وشخصية عصيان في رواية (موانئ المشرق)، وشخصية البروفيسور ج. وكلارنس في رواية (القرن الأول بعد بياتريس).

وإذا جئنا إلى الشخصيات التاريخية الأخرى، فإن اختيار معلوف وقع على عمر الخيام، وماني، وليون الإفريقي، وجمال الدين الأفغاني، وهي شخصيات مثيرة للجدل لدى الكتاب والنقاد والروائيين من الأدب والتاريخ الإسلامي، فعمر الخيام شاعر فارسي، كان يتعاطى الخمر، ولديه صداقة مع حسن الصباح والوزير نظام الملك، وماني فنان وفيلسوف ورسام، وليون الإفريقي من أصول إسلامية إلا أنه تنصر وصار سفيراً للبلاط البابوي، أما جمال الدين الأفغاني فقد تضاربت الآراء بشأن أصله، ومنهجه، وأهدافه الدينية والسياسية، حتى نسبه بعض المؤرخين والكتاب إلى انتمائه إلى الماسونية، نظراً لنشاطاته السياسية، بينما غالى البعض الآخر حتى جعله داعية إسلامياً وفيلسوفاً ومفكراً.

لكن عنايت الله التمش تناول شخصيات تاريخية قيادية، عسكرية، مثل: السلطان محمود الغزنوي، وتيمور لنك، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، وصلاح الدين الأيوبي. إضافة إلى اختيار التمش لتجسيد شخصيات الصحابة الكرام أبطالاً لرواياته، مثل: عمرو بن العاص في رواية (وظل النيل يجري)، وشخصية خالد بن الوليد في رواية (السيف المسلول).

واهتم أمين معلوف بإبراز جوهر الشخصيات أكثر من تركيزه على مظهرها الخارجي، مثلاً: جاء الوصف الخارجي مجملاً غير مفصل في رواية "ليون الإفريقي" حيث يقول:

(غير أن المترددين على البلاط البابوي أدهشهم أن يولد متأخراً واحداً من آل مدتشي أسمر، جعد الشعر، لم يلبثوا أن أضافوا إلى اسمي لقب الإفريقي..)^(١)

أما في رواية (سمرقند) فنجد أن تقديم الشخصيات فيها يتقاسمه كل من الروائي والشخصيات، عمر الخيام وحسن الصباح وجهان، والقاضي بالإضافة إلى تقديمها غير المباشر أحياناً الروائي يفسح المجال للشخصيات، لتعبر عن أفكارهم وعواطفهم واتجاهاتهم، لكن نجد الغموض في شخصيات الرواية.

وفي رواية "صخرة طانيوس" الشخصية الرئيسية "طانيوس"، وهنا يضيف الروائي من خلال افتتاحية الرواية السمات الغامضة التي تميز شخصية طانيوس، وبعد ذلك يعطى أبرز مصادر المعلومات الموثقة حول الشخصيات بطريقة مباشرة، مما يؤدي إلى تراكم نسبة كثيرة من البيانات حول تلك الشخصيات، كاشفاً عن مظهرها الخارجي وأحوالها الفكرية والثقافية، وشعورها الداخلي، حيث يصف الشيخ فرانسيس قائلاً:

(كانت الضيعة بكاملها ملكاً للإقطاعي ذاته، كان وريث سلالة عريقة من المشايخ... لم يكن أكثر الزعماء سطوة في البلاد قاطبة، فبين السهل الشرقي والبحر تنتشر عشرات المقاطعات التي تفوق مقاطعته، كان يملك كفر ييدا وبعض المزارع حولها... وشيخهم أصلاً شخص جليل المقام).^(٢)

أما شخصيات "حدايق النور" فشخصيات غامضة، لا يمكن التوصل مباشرة إلى صورة واضحة عنها من الداخل، ويفسح الكاتب المجال للشخصية للتعبير عن أفكارها وعواطفها دون أن يتدخل مباشرة في وصف هذه المشاعر والأفكار التي ترتبط مباشرة

(١) ليون الإفريقي، ص: ٣٧٤.

(٢) صخرة طانيوس، ص: ١٧.

بالحوار، ويستعين بها المؤلف؛ لأنها تركز على الذكريات والتأملات والأحلام التي تكشف الشخصية كشفاً عميقاً.^(١)

وتعدّ رواية "حدايق النور" الرواية الوحيدة التي اعتمد فيها الكاتب في تقديم شخصيتها الطريقة غير المباشرة، ولذلك فإن هذه الرواية مميزة عن الروايات الأخرى، في أغلب أحداثها اتخذت ضمير المتكلم والشخصية الواحدة أو تعدد الشخصيات أسلوباً يتم من خلاله تمرير المعلومات للقارئ.

اعتمد الروائي في رواية "موانئ المشرق" على توزيع الموصفات الخاصة بشخصية عصيان، وهذه الموصفات تبتعد بوضوح عن الوقوف عند الشخصية من الداخل والخارج، ولا نجد ملامح واضحة عن الشخصية، فعصيان ووالده من حيث الشكل، وملابسه وطريقة تفكيره، لا نعلم عن ذلك شيئاً.

نلاحظ مما سبق أن أمين معلوف في تقديم الشخصيات، يركز على الجانب الفكري والنفسي، أكثر من الجانب الفيزيولوجي، ويبتعد عن الوصف الخارجي للشخصيات مقارنة بالوصف الداخلي، فاهتمامه منصبٌّ أكثر على الوصف النفسي لباطن شخصياته، كما سيطر تقديمه المباشر في روايات "حدايق النور"، و"صخرة طانيوس"، كاشفاً عن بياناتها الداخلية والخارجية.

في رواية "ليون الإفريقي" يتجلى الوصف الذاتي في التقديم المباشر من خلال ما يسمى بالاعترافات التي أخذت حيزاً واسعاً، إذ تقوم كثير من شخصيات الرواية بوصف دواخلها، فتكشف عن سيرتها ومعاناتها النفسية التي تعيشها.

وهذه المعاناة النفسية التي تعيشها الشخصيات في روايات أمين معلوف، قد تبدو خارقة للعادة، مثلاً في رواية "سمرقند" شخصية (عمر الخيام) يحب ويبحث وينظم الشعر ويكتب الكتب، وشخصية (عصيان) في رواية "موانئ المشرق"، المولود في إسطنبول، وأبوه الذي أراد له أن يكون ثورياً متمرداً، وأخوه المهرب الوزير، وزوجته كلارا اليهودية

(١) فن القصة، د. محمد يوسف نجم، ص: ١٩٨.

الشيوعية الألمانية، وكلها شخصيات رحالة غير مستقرة، ترفض الواقع المادي، وتطلب المستحيل الذي لا يأتي أبداً.

وفي رواية "سمرقند" جاء معلوف بشخصيات وأحداث خيالية، مع الشخصيات والأحداث الحقيقية، مما أضفى الجمال والقيمة على الرواية.

شخصيات روايات عنايت الله التمش:

في الروايات التاريخية لعنايت الله التمش نجد الشخصيات الأساسية أو الجانبية مع الشخصيات المحورية، والشخصيات الحقيقية الأصلية أخذت من تاريخ الإسلام؛ لأن أوصاف الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - وأخبارهم متوفرة، وتدرّب التمش جيداً على معرفتها، ولم يكن بحاجة إلى التفكير في رسم ملامح الشخصيات من خلال رواياته، مثلاً في: "السيف المسلول" و"عاصفة الحجاز" و"ظل النيل يجري"، وفي رواية "ولادة محطم التماثيل" شخصية (محمود الغزنوي)، وفي رواية "أمير تيمور" شخصية الأمير تيمور لنك، وفي رواية "أفعى الأندلس" شخصية (عبد الرحمن) المجاهد الشجاع، القائد العظيم، الذي فتن بحبّ الغناء والموسيقى، وعشق النساء، ووقع تحت تأثيرهن.

وفي رواية "حكاية الخونة" شخصيات أساسية ومحورية، هم: صلاح الدين الأيوبي، وزوجة نور الدين الزنكي، وابنه الملك الصالح، وعلي بن سفيان. ونجد أيضاً المبالغة في تقديم الشخصيات عند التمش؛ لأن عنده شخصيات إيجابية وشخصيات سلبية، وهذه المبالغة من المآخذ على رواياته.

ثانياً - الاختلاف في الموضوعات والأسلوب:

اختار أمين معلوف الموضوعات العالمية، التي تشغل مفكري الغرب والشرق، فصاغ معلوف هذه الموضوعات ضمن حبكة روايات تاريخية، وأبدع في اختراع شخصيات وهمية، تقوم بأدوارها في الرواية، وتتفاعل مع شخصيات أخرى من أديان مختلفة، أو هويات متباينة، فعلى سبيل المثال: التقارب بين الشرق والغرب، والتعايش بين الأديان المختلفة، والهجرة إلى الغرب، والهجرة العكسية من الغرب نحو الشرق، كانت بعض الموضوعات التي تناولها ضمناً في رواياته.

بينما اختار التمش الموضوعات الإسلامية وقصص الصحابة والتابعين، وأدوارهم في المعارك والغزوات، مثل: معارك القادسية ومؤتة وفتح مصر، التي تمت على أيدي الصحابة.

وتظهر سمات الأسلوب الفني لأمين معلوف من خلال الموضوعات التي تناولها:

أولاً: التسامح: التسامح والعلاقات الإيجابية بين الأنا وذاتها، أو الأنا والآخر، ولا شك أن هذه الصفة الإيجابية جزء من التكوين الشخصي للروائي، فهو مسيحي عربي لبناني، وعلى الرغم من كونها صفة شخصية ذاتية إلا أنها تحولت إلى وصمة أدبية لأعماله الأدبية المتنوعة، مثلاً: عندما كتب عن "الحروب الصليبية كما رآها العرب" أوضح بسلاسة وبساطة بأن هذه الحروب لم تكن منطلقة من أساس ديني من أجل الصليب، بل هي حملات وهجمات من أجل الاستعمار، وهذا التصريح أو الفكر يعكس منظور العرب، وكانت المجازر التي ارتكبت خلال هذه الحروب والحملات بحق أتباع الأديان السماوية الثلاثة كلها، المسلمين واليهود، بل وحتى المسيحيين.

ثانية الشرق والغرب: أما السمة الثانية التي ظهرت في رواياته فهي علاقة المزاوغة بين الغرب والشرق، فأمين معلوف يحاول إقامة جسر حقيقي للتواصل بين الحضارات، إنه يرى العالم من خلال الأفراد وليس من خلال الكليات الفكرية، مثل الرموز الإسلامية التي تكلم عنها في روايته: "الحروب الصليبية كما رآها العرب"، ومنهم: ابن منقذ الطبيب، والشاعر، والأديب، والفقيه، وعالم اللغة، والقائد صلاح الدين القائد السياسي، محاولاً من خلالها إظهار قدرتهم على إقامة علاقات مع الغير رغم الأحقاد.

وفي رواية "ليون الإفريقي" تناول أمين معلوف فكرة العولمة وقدمها من خلال رؤية عالم لا حدود له، والمواطن الذي يعيش فيها مواطن عالمي لا يفيد بلد ولا وطن، وحسن الوزان ليون الرحالة العالم الذي تأخذه الأقدار من الأندلس للمغرب العربي وإفريقيا يتاجر ويحمل رسائل الملوك، مصر ثم إيطاليا، لا يستقر به المقام إلا عند الموت، أخذ معلوف هذه الرواية بشكل كبير من السيرة الذاتية لشخصية "الحسن الوزان".

مزج التاريخ والأدب: امتاز أسلوب أمين معلوف الأدبي بالمزج بين التاريخ والأدب، فهو في أدبه الباحث التاريخي الدقيق، كل رواية من روايات معلوف تتضمن العديد من المعلومات الموثقة من مصادر أولية وأساسية، فمثلاً في رواية: "الحروب الصليبية كما رآها العرب" اعتمد على كتب المؤرخين العرب المسلمين في عصر الحروب الصليبية لتكون مصدراً أساسياً لمعلوماته، وفي "سمرقند" اعتمد على ترجمات رباعيات "عمر الخيام"، وعلى ترجمة حياته، وعلى ما كتبه المؤرخون في عهده. وفي رواية "ليون الإفريقي" كان مصدره كتابات المؤرخين المعاصرين عن المقاومة السرية في فرنسا، وكذلك على تطور الهجرة اليهودية لفلسطين بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى ما كتبه البطل نفسه في رحلته "وصف أفريقيا"، لكنه اعتمد أيضاً على كتب المؤرخين الأخرى، مثلاً: في الحديث عن الأخوين "بارباروسا" وطومانباي، وجيوفاني دي موتشي وغيرهم.

ثالثاً - الاختلاف في المكان الروائي:

تناول معلوف بلده الذي هاجر منه (لبنان) في بعض رواياته، مثل: رواية التائهون، ورواية (موانئ المشرق)، ورواية (صخرة طانيوس). واختار معلوف في أغلب رواياته دول الغرب مسرحاً لأحداث رواياته، أو جزءاً منها، كما كان المشرق مسرحاً لأحداث روايات التمش، ولم يتطرق إلى الغرب سوى في تاريخ الأندلس وحكم المسلمين فيه حتى خروجهم من قرطبة.

رابعاً - الخلاف في أوجه الحكمة:

اعتمد أمين معلوف في رواياته على الطريقة الأولى، وبدأ جميع رواياته بتقديم وصف تاريخي وجغرافي وعلمي للمدينة التي تدور فيها أحداث الرواية. أما عنايت الله التمش فاختر الطريقة الثانية كما نرى في رواياته تبدأ قصة من حيث النهاية، ثم يعود بقارئه بمسلسلٍ لتطور الأحداث التي أدت إلى تلك النهاية التي افتتح بها القصة.

أجد كثيراً من المآخذ على روايات عنايت الله التمش حيث لم يستفد من سمة الحبك والسبك، ولهذا قد ظهر الخلل الفني في أسلوبه. لكن أمين معلوف استفاد من توظيف سمة الحبك والسبك، ولهذا نجده متميزاً من الناحية الفنية في أسلوبه، في صورة الحبكة المترابطة.

خامساً - الاختلاف في أسلوب السرد:

إن ما يرمي إليه النقاد من وراء الرؤية السردية الكشف عن الكيفية التي يتم بها إدراك القصة من طرف السارد، وبعبارة (تريفان تودوروف) Tzvetan Todorov، انعكاس العلاقة بين ضمير الغائب (هو) في القصة وبين ضمير المتكلم (أنا) في الخطاب، أي: العلاقة بين الشخصية الروائية وبين السارد.^(١)

ونحدد المستويات الثلاثة للسرد، ونقصد بها المستويات العامة للرواية، وهي: الإخبار، والوصف، والحوار، ولا بد من الإشارة هنا إلى صعوبة الفصل بين الوصف والسرد إلا من باب منهجي أو تحليلي، فالتمييز على المستوى العملي ليس بسيطاً.^(٢) وثمّت حقيقة روائية هي أنه من الصعب أن نجد سرداً دون أن يكون متلبساً أو متبوعاً بوصف، وقد يكون أي مقطع سردي نوعاً من أنواع الوصف، وبغض النظر عن وظائف الحكى سواء أكانت تعبيرية أم جمالية، تشرح مواقف وأفكاراً وسلوكاً فإننا نجد التنوع في أسلوبية السرد عند أمين معلوف، فهو يتنقل من "الأنا" إلى "هو"، كما يعتمد على فكرة اليوميات أو الحوليات أو التسجيل أو التاريخ، كما بدا ظاهراً في روايته: "القرن الأول بعد بياتريس" وكأنه يقول: "حتى المستقبل أنا أراه كتاريخ".

وفي رواية "سمرقند" يتأرجح السرد ويلتف حول المخطوط المفقود الموجود، حتى ينتهي الأمر إلى فقدانه الكامل، مع تعيين موضعه في "صندوق في قاع المحيط في حطام التيتانيك"، وسرد قصة الحب لشيرين الأميرة الإيرانية وبين الـ (هو) المبتعدة من الحدث

(١) مقولات السرد الأدبي، تريفان تودوروف، ترجمة: الحسين سبحان، وفؤاد صفا، ص: ٣٠-٥٤، مجلة آفاق الصادرة من

اتحاد كتاب المغرب العربي، العدد: ٨، ٩، ١٩٨٨م.

(٢) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص: ٧٨.

عندما يقص علينا قصة عمر الخيام وقصة الحشاشين وغير ذلك، وفي الحروب الصليبية هناك صوت الراوي المحايد البعيد المؤرخ، الذي يحاول تقديم المعلومات بحياد، ولكنه يعلن منذ البداية أنه متحيز.

التناس الديني:

نجد التناس الديني في روايات معلوف بأساليب مزيجية ومتنوعة، على حدود تلاقي الأنفاس الأدبية القديمة منها بالخصوص، كما لا نجد عناء في استخراج الأساليب القرآنية والدينية، والتناس يكون بآيات القرآن الكريم، أو الشعر، أو الأمثال، أو القصص، أو الأقوال، وغير ذلك.

يقول شكري الماضي:

"التناس ببساطة تقاطع النصوص، أو تداخلها ويعرف التناس بأنه "توالد النص من نصوص أخرى، أو تداخل النص مع نصوص أخرى، أو انبثاق النص من نصوص أخرى، أو اعتماد النص على نص آخر، أو نصوص أخرى، أو تعالق النص (أي: الدخول في علاقة) مع نصوص أخرى".^(١)

مثلاً يقول معلوف في رواية "حدائق النور":

(أيها الناس احذروا النار فإنها ليست سوى خيبة وخداع ترونها قريبة في حين أنها بعيدة، وبعيدة في حين أنها قريبة).^(٢)

وفي رواية "ليون الإفريقي" استلهم الكاتب آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧﴾.^(٣)

وقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾.^(٤)

(١) في نظرية الأدب، شكري الماضي، ص: ١٩٩، دار المنتخب العربي، بيروت، ط/١، ١٩٩٣ م.

(٢) حدائق النور، ص: ٢٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

والحديث النبوي: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً).^(١)

وفي رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب" يقول أمين معلوف في روايته: (وإذا رأى صاحب القاهرة أنه كان قاب قوسين في النصر؛ فقد قرر أن يرسل حملة جديدة في السنة التالية، ثم في السنة التي بعدها).^(٢)

أخذ أمين معلوف الأسلوب القرآني مثلاً، قال الله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.^(٣)

إن أعمال أمين معلوف غنية بالأساليب القرآنية حتى وهو يكتب باللغة الفرنسية، فما زالت آثار أساليبه اللغوية المخزنة في الذاكرة تشكل مرجعاً أساسياً لكتابة رواياته، وهي على العموم غنية بالاستعمالات المتداولة في الثقافة العربية من تركيب التفسير مع تخرجات لغوية خاصة.

ويعود نجاح الكاتب في الاستفادة من التناصات التي يقيمها بين نصه، وهذا يخدم دلالة النص.

الروايات الأردنية يتألف أسلوبها من عناصر كثيرة، يقول أحمد الشايب عن الأسلوب: (إنه طريقة الكتابة، أو طريقة الانشاء، أو طريقة اختيارات الألفاظ وتأليفها؛ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو ضرب من النظم والطريقة فيه).^(٤)

سمات الأسلوب الفني لعنايت الله التمش:

أسلوب السرد: أجمل صفات السرد في روايات عنايت الله التمش المستويات الثلاثة التي يسرد بها المستويات العامة للرواية وهي: الأخبار، والوصف، والحوار.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٨٦٣ / ٢، برقم: ٢٣١١، وكذلك ٦ / ٢٥٥٠، برقم: ٦٥٥٢.

وانظر: رواية ليون الإفريقي، ص: ١١٦.

(٢) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ٩٧.

(٣) سورة النجم، الآية: ٩.

(٤) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، ص: ٥٧، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط /

التناس: نجد الأساليب القرآنية والدينية في رواياته، مثلاً في رواية الأمير تيمور استلهم الكاتب الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١).

اللغة: اللغة قضية مهمة في الروايات التاريخية، قد برزت في روايات أمين معلوف، اللغة التاريخية التي استخدمها المؤرخون في كتاباتهم التاريخية، واستوحاها بعض الكتاب المعاصرين في رواياتهم، وحملوها قضايا عصرهم، وهي على العموم غنية بالاستعمالات المتداولة في الثقافة العربية في تركيب التعابير وتخریجات لغوية خاصة.

مثلاً في روايات أمين معلوف يضم قضايا تاريخية واجتماعية وسياسية، مستوحياً في رواياته الحكاية من هذا النوع من الأدب، حيث دقة الوصف والتوسع في ذكر تفاصيل الرواية من الناحية الأدبية، واللغة قوية جداً مفعمة بالحياة. أما لغة عنايت الله التمش فهي دقيقة ورائعة، وهو أيضاً يضم في رواياته قضايا تاريخية واجتماعية، ويستوحي الحكاية من هذا النوع من الأدب، حيث دقة الوصف والتوسع في ذكر التفاصيل.

الحوار: عبرت المشاهد الحوارية في روايات أمين معلوف عن أدق أمور الحياة وتفاصيلها وأحداثها، فأعطت القارئ إحساساً بالمشاركة الجادة بالفعل، فيرى الشخصيات تتحرك وتفكر، كما مثلت أيضاً موقع تركيز درامي، متوفر على الوصف والسرد والمفارقات الزمنية، وأظهرت براعة الروائي في تجسيد المشاعر، بدلاً من عرضها مباشرة، بطريقة مباشرة سردية.

وقد يلجأ الروائي إلى تعليق الزمن من خلال الحوار الداخلي (المونولوج) فتجد الشخصية الفرصة للكشف عن ذاتها مكنوناتها، وتمنح الفرصة للقارئ الغوص في عمق الشخصية ومعرفتها عن قرب، والانتقال من خارج النص إلى داخله، فالمونولوج نوع من أنواع الحوار ولكنه حوار داخلي، يحدث بين الشخصية وذاتها، وهو يعمل أيضاً على

(١) سورة محمد، الآية: ٧. وانظر: أمير تيمور، عنايت الله التمش، ص: ٥٦.

توقيف زمن الحكاية ليتسع ويتمدد زمن الخطاب، ويعرفه دوجاردين: بأنه وسيلة إدخال القارئ مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية، دون أي تدخل من جانب الكاتب عن طريق الشرح والتحليل.^(١)

تقول مها حسن:

(فالمولونوج: تحليل الذات من خلال حوار الشخصية معها فتتوقف حركة زمن السرد والحاضر، لتنتقل حركة الزمن النفسي في كل النواحي المختلفة، ويعبر عن تجربة البطل النفسية الداخلية تعبيراً شعورياً، دون اعتبار لتسلسل الزمن الخارجي).^(٢)

وتقول أيضاً:

(ويعطي السرد بضمير الغائب الراوي حرية الإفصاح عن مكونات الشخصيات، وتأملاتها عن طريق حوار الذات، بينما السرد بضمير المتكلم تكون حرية المونولوج للراوي فقط، وذلك لعدم معرفة ما يدور في ذهن الشخصية في كل لحظة زمنية تعيشها في النص).^(٣)

ويمكن إيجاد الحوار الداخلي سواء كان السرد فيه بضمير المتكلم أو بضمير الغائب في رواية "سمرقند"، تكثر الحوارات الداخلية التي تعمل على تعطيل الزمن السردية، وتكشف أفكارهم، ورؤى عمر لوسائج الأمريكي الفرنسي الراوي اتجاه الشرق ومشاعره لما يحدث حوله في مكانه الحاضر، مثلاً يروي عمر لوسائج حادثة ضياع زوجته ومخطوط عمر الخيام أثناء غرق السفينة، فيبحث عنها في كل مكان، يعبر عمر محاولاً ذاته، لقد انتظرت طويلاً إشارة من شيرين، ولكنها لم تجيء قط، ولم تكتب لي، ولا ذكر أحد اسمها أمامي، وأنا أتساءل اليوم: هل وجدت يا ترى؟.^(٤)

(١) نظرية الأدب، ويليك رينة وارين أوستن، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، ص: ٢٣٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط / ٣، ١٩٨٣ م.

(٢) الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصاروي، ص: ٢٤٤، المؤسسة العربية، الأردن، ط / ١، ٢٠٠٤ م.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٢٤٥.

(٤) حدائق النور، ص: ٣٩٠.

وفي "حدائق النور" يمنح السرد السارد بضمير الغائب المجال ليقدم ما يجول بخاطر ما في ذهنه، مثلاً: عندما علم ماني بعد ترميمه الرسومات الموجودة على حائط الرجل اليوناني، بأنه كان يرسم الآلهة اليونانية، أنّب ذاته واعتبر ما قام به إلحاداً وكفراً. مثلاً: ولم يفتأ يردد: ملعون! ملعون! ملعون! أو لم يعلموه منذ طفولته أن يهرب من اليونانيين.. وقال مرة جديدة: ملعون.^(١)

ويبدأ المقطع السردى الحوارى بكلمات ماني العتائية، التي جاءت بصورة مونولوج يكشف عن إجرامه في حق دينه.

وفي نهاية الرواية يأتي المونولوج كي يتوّج السرد، ويوقف مجراه، ويكون نهاية لمواقف الشخصيات، وإعلان نهاية القصة في "سمرقند" و"ليون الإفريقي" يأتي بصورة استفهام أو تعجب، نتيجة لما تثيره اللحظة الآنية من تغيرات ذهنية ونفسية تدفع الشخصية للتأمل وحوار الذات.

الحوار: في رواية "التائهون" حوارات طويلة، لكن القارئ لا يشعر بالضيق والضجر حين يقرأ، فالراوي يعرض الحوارات بسلاسة وبخفة على القارئ، رغم طول الحوارات فإن القارئ يتلذذ في كل حوار وفي كل جدل، بشكل لا ينفك عن قراءتها مرة تلو أخرى، فجمال اللغة وأسلوب الحوارات في الرواية بحذ ذاته - رغم الإسهاب فيها - كان عظيماً بلا أدنى شك.

وفي رواية "ليون الإفريقي" رحلات البطل تحقق له إعطاء نماذج مختلفة عن كيفية الحوار والتعايش بين الشعوب، وفي كل مرة يركز على عدة موضوعات مثل: "العلاقة بين الأديان" و "الهدية"، فهذه القضايا تعد من أهم الأزمات التي تقف عائقاً أمام حوار الحضارات وإمكانية تعايش الشعوب.

أما الحوار عند عنايت الله التمش منحصر ويأتي بإيجاز في رواياته، وتبعث لغة الحوارات وأسلوبها الروح المتحركة في الرواية، أما الاعتماد على الذات في الشخصيات،

(١) حدائق النور، ص: ٦٢.

والألفاظ التي يلفظونها بألسنتهم، الدالة على الهمة العالية فتقدم لنا صورة من الشخصيات، وحوارات الرواية مختصرة، مليئة بالإثارة؛ لأن الرواية كلها تناولت الحروب وميادين القتال موضوعاً وفضاءً، فلذا نجد الحوارات تتمثل المشاعر والهمة والعزم في الرواية.

الأحداث: يختصر الراوي زمن الأحداث الحكاية الممددة لفترات زمنية طويلة في

مقاطع سردية قصيرة وصغيرة. قال حمداني:

(الخلاصة (Sommaire) أو التلخيص (Resume) أو الجمل: هي

سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزلها

في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل).^(١)

إنها نوع من أنواع التشريع الذي لحق القصة من بعض أجزائها، بحيث تتحول من جراء تلخيصها إلى نوع من النظرات العابرة للماضي، مثلاً في هذه العبارة:

(هو الذي أمضى حياته في مقارعة جهل بعض رجال الدين، وغشي محافل الماسونيين في مصر وفرنسا وتركيا أن يستخدم آخر ما بقي له من سلام لإخضاع الشام مهما تكن العواقب).^(٢)

لخص الراوي في أسطر معدودة سنوات طويلة من حياة الأفغاني السياسية، ورحلاته في معظم البلدان، محارباً الملوك والسلطين الطغاة، في سبيل إصلاحهم وإصلاح مجتمعاتهم، والهدف من هذا التلخيص تنوير الماضي، الذي كان له دورٌ مهمٌ في دفع عجلة الأحداث في الرواية.

والتلخيص حدث من أحداث القصة بطرق مختلفة، بعض الأحيان يذكر الحدث لكن بطريقة تقنية الحذف، ويمكن أن نقول إن تقنية الحذف كان لها حضورٌ في روايات أمين معلوف لكنها بصورة أقل، ولجوء الراوي للحذف كان لضرورة تجاوز الأحداث الثانوية في السرد وإسقاط الفترات الميتة والمهملة تاريخياً، هذه التقنية في رواية "ليون الإفريقي" في قسم: عام العروس ضمن كتاب فاس، نجد بين مقطعين سرديين (***)

(١) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص: ٧٦.

(٢) سمرقند، ص: ٢١٤.

ثلاث نجمات ... وفي اليوم الثاني خرجت أخيراً من البيت، وتوجهت رأسياً إلى السوق لإنجاز آخر عمل في الاحتفال بالزواج الذي لا آخر له: شراء بعض السمكات وإعطائها لأمي؛ لتلقي بها عند قدمي العروس، متمنية لها الصحة والإنجاب.^(١)

هذه التقنية نجدها في رواية "صخرة طانيوس" و"حدائق النور" وفي "موانئ المشرق".

يعرف حسن بحراوي تقنية الحذف بقوله:

(إن الحذف وسيلة تعمل على إسقاط الفترة الزمنية الميتة، ويقوم الراوي بالقفز بالأحداث إلى الأمام، وإلى جانب ذلك فالراوي يقوم بحذف زمن لم يقع فيه حدث يؤثر على سير وتطور الأحداث في النص الروائي، ويكون جزء من القصة مسكوتاً عنه في السرد الكلية، أو يكون مشار إليه بعبارات زمنية تدل على موضع فراغ في الحكاية، مثل: ومرت بضع أسابيع).^(٢)

بنية الحذف تعتبر من التقنيات الزمنية المسرعة كثيراً للزمن، حيث تعمل على إسقاط وإغفال فترات من زمن الأحداث، ويلجأ إليه الراوي حين لا يكون الحدث ضرورياً لمسار الرواية.

حين يتم التلخيص لأحداث سردية لا تحتاج إلى توقف زمني سردي طويل، ويمكن تسميتها بالخلاصة الآنية في زمن السرد الحاضر.^(٣)

نجد الحذف الضمني جلياً في نصوص روايات أمين معلوف، إذ جرى تتبع التسلسل الزمني الذي تأخذه في الأحداث في القصة، فعند وضع الأحداث على خط الزمن، نكتشف الزمن المحذوف، ونتعرف على الثغرات الزمنية في كل رواية، فمثلاً في رواية "سمرقند" بعد وضع السنوات على خط الزمن نكتشف ٣٢ سنة محذوفة في الفترة

(١) ليون الإفريقي، ص: ٢٤١

(٢) بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصيات، حسن بحراوي، ص: ١٥٦، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط/ ٢، ٢٠٠٩م.

(٣) البناء السردية في روايات إلياس خوري، عالية محمود صالح، ص: ٣٩، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط/ ١، ٢٠٠٥م.

الزمنية الأولى: فترة تدوين مخطوط سمرقند، وأطول مدة زمنية حذفت في الرواية قريباً من ٩٠٠ سنة، بين الفصل الثاني والثالث: بين كتاب الحشاشين وكتاب نهاية الأعوام الألف، بعدما أوهم الراوي القارئ بحرق مخطوط الخيام في مكتبة الحشاشين سنة ١٢٥٧م ليظهر المخطوط ثانية في عام ١٨٥١م، هناك فترة زمنية مسكوت عنها، ونجد أيضاً في رواية "حدائق النور" ورواية "صخرة طانيوس" يحذف راويهما فترات زمنية كبيرة. ويقول جيرالد برنس (J.prince) بأن الحذف يحدث حين لا يكون هناك جزء من

السرد يقابل أو يعرض وقائع أو مواقف سردية ذات علاقة بما حدث.^(١)

ونجد أيضاً أسلوباً آخر في تقديم الأحداث في روايات أمين معلوف، يبرز الماضي بقعا على سطح الحاضر، يقول الروائي: (تحاشى الصوري في الأيام التالية المرور بالحديقة، وفضل أن يرغم نفسه في التفاتة كبيرة على أن ترى عيناه مجدداً مخالطات ماني الدنيئة).^(٢)

نجد التلخيصات الآتية في هذا المقطع السردى.

مها قصر اوي تقول:

(لجأ الكاتب إلى تلخيص أحداث الحكاية لتغطية حركة الشخصيات والأحداث التي لم يتبين للراوي أن يقوم بسردها، حيث يبرز الماضي بقعا صوتية على سطح الحاضر، فيلجأ الروائي إلى تسريع زمن الحكاية ليناسب إيقاعه مع سرعة السرد).^(٣)

حين يتم التلخيص لأحداث سردية لا تحتاج إلى توقف زمني سردي طويل، ويمكن تسميتها بالخلاصة الآتية في زمن السرد الحاضر.^(٤)

(١) المصطلح السردى، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بري، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر، ط/ ١، ٢٠٠٣م.

(٢) حدائق النور، ص: ١٥٥.

(٣) الزمن في الرواية العربية، ص: ٢٢٥-٢٢٦.

(٤) البناء السردى في روايات إلياس خوري، ص: ٣٩.

الأحداث:

عنايت الله التمش: لا جرم أن للأحداث الأهمية الرئيسية في الرواية الجديرة بالبقاء، فهي عنصر أساسي في القصة، فالأحداث التي تأتي في الرواية عبر ظاهرة السرد تتفرع إلى فرعين: الأحداث الكبرى والأحداث الصغرى، فللروائي أن يستوعب تلك الأحداث ويضعها نصب عينيه قبل بدء الكتابة للرواية.

قد امتاز عنايت الله بفن كتابي يبعث في روايته القوة والحركة والنشاط، وكان بارعا في استخدام هذه العصا السحرية لتحريك الشخصيات على صفحات الرواية، وتناول الحوادث تلو الأخرى، منقحة تطمئن نفس القارئ، والأحداث المعنية والتطوير هو الدافع المهم الذي يحمل القارئ قراءة بلذة وشوق حتى بلوغه نهاية الحوادث التي تشتمل عليها الرواية معظم روايات عنايت الله التمش عن التاريخ الإسلامي في تدوين وتسجيل وقائع أسفارهم وكتبهم، وارتكز الراوي على الخيال الإسلامي ارتكازا شديداً لكي يدرس أولاد المسلمين أحوال أسلافهم، وركز على السرد التاريخي لبعض المواقف والحوادث، ملاحظاً أن للشخصية دوراً بارزاً في الرواية.

خلاصة البحث

قمتُ في هذه الرسالة بدراسة مقارنة بين الأدبين العربي والأردني، خلال موضوع "الرواية التاريخية بين أمين معلوف وعنايت الله التمش دراسة مقارنة".

في البداية تحدثت عن تعريف الرواية عموماً، والرواية التاريخية ونشأتها وتطورها في الأدبين العربي والأردني، بدايتها وأعلامها وسرد تاريخي لأهم المؤلفات فيها، وأدبائها.

الباب الأول: عرض روايات أمين معلوف وفيه فصلان، في الفصل الأول ذكرت فيه: أمين معلوف: حياته وأعماله وأوصافه الأدبية.

وقدمت في الفصل الثاني عرضاً لروايات أمين معلوف التاريخية.

وفي الباب الثاني: كتبت عرضاً لروايات عنايت الله التمش من خلال فصلين، تعلق الفصل الأول بحياته وأعماله والأوصاف الأدبية، والفصل الثاني بعرض روايات مختارة لعنايت الله التمش.

الباب الثالث: ذكرت فيه الدراسة الفنية للروايات المختارة لأمين معلوف، وذلك في فصلين، يحتوي الفصل الأول على الحدث والشخصيات في روايات أمين معلوف، والفصل الثاني على السرد والحوار والأسلوب في روايات أمين معلوف.

الباب الرابع: قدمت فيه الدراسة الفنية لروايات عنايت الله التمش، وفيه فصلان، يحتوي الفصل الأول على الحدث والشخصيات في روايات عنايت الله التمش، والفصل الثاني على السرد والحوار والأسلوب في روايات عنايت الله التمش.

وفي الخاتمة قدمت أوجه التشابه والخلاف بين الروايات والروائيين ونتائج الأطروحة، ومجموعة الفهارس العامة: وهي فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأشعار العربية والأردنية، وفهرس الأعلام، وفهرس القبائل، وفهرس الأماكن، وفهرس المصادر والمراجع.

نتائج البحث

لا يسعني في ختام بحثي هذا إلا أن أحمد الله عز وجل الذي غمرني بفضله ونعمته وكرمه، فمكّني من إتمام رسالتي التي بذلت في سبيل تحقيقها وخروجها على الوجه المطلوب الوقت والجهد.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

○ يعدّ التاريخ مصدراً مهماً من مصادر الأدب، ولا سيما الرواية التاريخية التي تعتمد على المجاز والاختصار في التسمية، لأن الرواية جنس أدبي، والتاريخ جنس آخر، فالرواية تقوم على التخيل، والتاريخ يقوم على رصد الحقيقة، ومن ثم فإن البحث في الرواية التاريخية التي تستعمل التاريخ، وتتعامل مع مكوناته مادةً خاماً لصناعة رواية، وقدرة الرواية التاريخية بشكل عام من حيث كونها فناً أدبياً، واستيعاب المادة التاريخية واستلهاها، من نص تاريخي قديم، وإعادة صياغتها بأسلوب وشكل جديد، تسمى هذه العملية بالرواية التاريخية، ويمكن القول بأن الرواية التاريخية لها علاقة بالتاريخ ولكنها ليست تاريخاً محضاً، حيث يقدم الروائي القصة التاريخية في صورة جديدة وجذابة، تحث القارئ على القراءة، ولكن لا يجوز للروائي أن يغير الأحداث الرئيسية.

○ تطورت لغة الرواية التاريخية الجديدة وأساليبها السردية، بعد أن كانت اللغة التقريرية البسيطة مسيطرة على الرواية التاريخية التقليدية. وظهرت في الرواية التاريخية الجديدة أشكال متنوعة من الأنماط والتقنيات اللغوية الحديثة، مثل: لغة المناجاة، واللغة الأسطورية، ولغة الأحلام، ولغة الرمز، ولغة التناص، بأشكالها المتعددة، واللغة الصوفية، وغير ذلك، وتنوعت فيها أساليب السرد في المروحة بين استخدام ضمائر الغائب والمتكلم والمخاطب، مما أدى إلى تعدد السردية في الرواية الواحدة. كما اهتمت الرواية التاريخية بإسقاط مشكلات الحاضر على الماضي، واهتمت بإعادة صياغة الماضي في شكل روائي، بغرض تعليمي أو أخلاقي.

○ قامت الروايات التاريخية على تأسيس خطاب روائي جديد، تمثل في رواية "ليون الإفريقي"، ورواية "سمرقند"، ورواية "حدائق النور"، ففيها استلهم المادّة التاريخية القديمة، لأنّ للرواية التاريخية قيمتها التعليمية، وهي الكيفية التي ينير بها الماضي مشكلات الحاضر، وتتعلق رواية "ليون الإفريقي" بكتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، وتتفاعل معه نصياً، أي: تعلق نص جديد بنص سردي قديم.

○ جلّت الدراسة مظاهر اهتمام الروايات التاريخية بالمرأة شخصيةً روائيةً، ببيان كيفية تعاملهم معها، فأغلب كتّاب الرواية التاريخية استعانوا بشخصية المرأة في التعبير عن رؤاهم الفكرية، غير أنّهم اختلفوا في الطبيعة التي أولوها للمرأة، فمنهم من أظهرها مثلاً ورمزاً للجمال، مثل: لمياء في رواية "صخرة طانيوس" وسلطانة في رواية "أفعى الأندلس". وبعضهم ذكرها للشرف والعفة، وبعضهم وظفها مثلاً للتضحية والجهاد، مثل: في رواية عنايت الله التمش "حجاز كي آندهي" عاصفة الحجاز، وأحياناً في صورة المرأة الساقطة المنحرفة، وهناك من أبرز دور المرأة الحاكمة المتسلطة، والمرأة المثقفة الواعية.

○ تناول أمين معلوف في رواياته التاريخية قضية الشرق والغرب وعمل على تشكيلهما بعدة صور، سواء فيما يتعلق بصورة الذات (الأنا) أو صورة (الآخر) التي كانت أكثر تملكا، فهناك الغرب العسكري والديمقراطي، والاستيطاني، والأيديولوجي. كما اعتنى بجانب الرحلة والهجرة، كما في روايته: "التائهون" هجرة واغتراب الأقليات المسيحية واليهودية، في مقابل هجرة الذوات والهويات كذات "آدم البطل". كما دعا معلوف إلى الأخوة الإنسانية، أو الإنسان العالمي، ليس فقط من باب إلغاء الهوية الوطنية أو القومية، بل حالة مزج ذات أفق أكثر رحابة وعمقاً. في حين ألّف عنايت الله التمش رواياته التاريخية الأردنية؛ منبعثاً من الإحساس بالواجب القومي والوطني، ولتذكير الأمة بماضيها العريق المنير في الوقت الذي تمر فيه البلاد الإسلامية بمحن وكوارث وأزمات تهدد أمنها وبقائها وسلامتها، وحاول تصوير ما مرت به الأمة العربية والإسلامية قديماً من العصيان والاضطرابات والمشاكل والثورات الداخلية.

○ الروايات العربية لأمين معلوف من خلال دراسة رواية "حدائق النور" نلاحظ عند مقارنة ترتيب زمن القصة مع زمن الحكاية تنتج فترات زمنية كثيرة، وهذه المفارقة تترك للقارئ الحرية لتأويل الأحداث، كما نجد أن الحذف المعلن كان حاضراً في الرواية أكثر من الحذف الضمني، وأيضاً نجد هذه المفارقة الزمنية في روايتي "سمرقند" و"ليون الإفريقي"، فاهتم أمين معلوف بالواقع التاريخي وحاول إقناع القارئ بتوثيق المعلومات، ومعظم الأحداث تتوافق مع مصادره مثلاً: في رواية "الحروب الصليبية كما رآها العرب" اعتمد الروائي على مؤرخين عايشوا الأحداث، مثل: ابن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ)، وابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ). أما الروايات الأردنية لعنايت الله التمش، فقد تناولت الأحداث واحداً تلو الآخر، وذكر الأحداث في مستهل الروايات، وجرت الأحداث نحو عرض الحقائق، دون الانحراف عن الصدق، والواقع التاريخي، وحاول إقناع القارئ بتوثيق المعلومات، ولذلك يجد القارئ أن معظم الأحداث في رواياته تتوافق بجملتها مع ما ورد في بطون التاريخ ومصادره، وهذه من شمائل رواياته.

○ اعتمد الروائيان على الشخصيات الخيالية فذكرها؛ لربط حوادث الرواية فقط، مثلاً: شخصية "لمياء" في رواية "صخرة طانيوس" لأمين معلوف وشخصية "هنري" في رواية "في سجن دمشق" لعنايت الله التمش، لكن في كثير من الأحيان اعتمد عنايت الله التمش على شخصيات حقيقية؛ لأن عنده موضوعات إسلامية دينية، مثلاً: رواية "عاصفة الحجاز" ورواية "السيف المسلول" ورواية "وظل النيل يجري"، ومن الشخصيات الحقيقية في رواياته: "أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان، والمثنى بن حارثة، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، رضوان الله عليهم أجمعين، وغيرهم. لكن اتخذ الروائيان من الشخصيات التاريخية قناعاً للشخصيات المعاصرة، وهي مماثلة مقصودة؛ لأن الواقع الذي عاشته الشخصيات التاريخية كان واقعا مماثلاً للواقع المعاصر.

○ اللغة والأسلوب من عناصر الرواية وأسسها، ومن مقتضيات النسيج اللغوي أن تتناسب اللغة الشخصية والموقف، ولغة أمين معلوف في رواياته قوية الحبك والأسلوب، وعلى العموم غنية بالاستعمالات المتداولة في الثقافة العربية في التركيب والتعبير. ولغة

عنايت الله التمش، سهلة وواضحة، لا غموض ولا إبهام فيها، ولم يستخدم التشبيهات المعقدة، ولم يعضد رواياته بالأقوال والأمثال والحكم كثيراً، كما لم يكثر من الفكر الفلسفي.

○ الحوار عنصر مهم في بناء الرواية، والحوار في روايات أمين معلوف طويل في أغلب الأحيان، لكن القارئ لا يشعر بشتات التفكير والذهن حين يقرأ الروايات، على العكس من روايات عنايت الله التمش التي تتصف بالإيجاز في الحوارات عادةً.

○ الصراع هو مغزى الرواية، ويتمثل الصراع في روايات معلوف بالجانب اللغوي والثقافي، والديني والحضاري، مع دعوته إلى التنوع والاختلاف، وبند فكرة النقاء والمركزية الهوياتية الدينية العرقية الثقافية التي يؤمن بها الغرب، وأثبتت التجربة التاريخية في الحقب التي اختارها (معلوف) أن الصبغة الثقافية الدينية أو الطائفية أو العرقية التي تصطبغ بها معظم الصراعات التي تقوم بين أبناء الثقافة الواحدة أو أبناء الثقافات المختلفة؛ ليست إلا ذرائع تحاط بهالة من القدسية، وتخفي في داخلها مصالح سلطوية، بنظر الصراع الطائفي في لبنان في رواية التائهون، تمثل في صراع "آدم" و"مراد"، لكن رغم وجود هذا الصراع إلا أن تلك الذات استطاعت أن تتعايش دينياً وثقافياً، وهنا يدعو المؤلف إلى الحوار والتعايش بين الديانات والثقافات، رغم كثير من مظاهر الصراع الحضاري. بينما في روايات عنايت الله التمش التاريخية نجد الصراع يتمثل في الهوية الإسلامية، ودورها في التعامل والتعايش مع الهويات الدينية الأخرى، عبر العصور المختلفة، ومن أبرز الهويات التي سلط عليها الضوء: المشركين في عصر صدر الإسلام، والصليبيين في عصر صلاح الدين الأيوبي، والفرس في حربهم ضد الإسلام، والدسائس والمؤامرات التي حيكت ضد حكم المسلمين في الأندلس، والهندوس في شبه القارة الهندية إبان السلطنة الغزنوية، وحرب تيمور لنك لتوسيع رقعة سلطنته.

التوصيات والاقتراحات

في ختام هذا العمل العلمي - والحمد لله - لأطروحة الدكتوراه أرى من واجبي أن أقدم بعض التوصيات والاقتراحات إلى الزملاء في مرحلة الدكتوراه، وإلى قسم اللغة العربية الذي تشرفت بالدراسة فيه.

التوصيات

١ - أقدم التوصية إلى قسم اللغة العربية بالجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد أن يعتمد الروايات التاريخية المشهورة للأدباء العرب، لتكون ضمن مقرر الدراسة في السنة الأولى من مرحلة الدكتوراه، مثل: روايات نجيب محفوظ، وعبد الحميد جودة السحار، ومحمد فريد أبو حديد، وعلي أحمد با كثير، ومحمد سعيد العريان، وعلي الجارم، وجرجي زيدان، وأمين معلوف.

٢ - الكثير من الروايات التاريخية في الأدب العربي والأدب الأردني تحمل المغالطات والأخطاء التاريخية، كما تحمل الكثير من الأفكار التي بثها الروائيون فيها، مما يخالف الحقيقة وأعراف المجتمع، وهذا الموضوع بحاجة إلى الدراسة والبحث، ولذا على أساتذة القسم الكرام أن يرشدوا الطلاب والباحثين في مرحلة الدكتوراه إلى هذه الناحية.

الاقتراحات

١ - بما أن هذه الأطروحة تتناول الرواية التاريخية في اللغتين العربية والأردنية؛ لذا أقترح على الباحثين والباحثات في تخصص الأدب العربي الاهتمام بهذا الموضوع، فالمجال فيه واسع جداً، وبإمكانهم العمل على الكثير من الروايات التاريخية التي ألفها الروائيون، سواء باللغة العربية، أو باللغة الأردنية، ولا زالت الكثير من الروايات التاريخية طيّ النسيان والإهمال، وهي بحاجة إلى إجراء البحوث حولها، سواء بدراسات تحليلية، أو نقدية، أو مقارنتها بالروايات التاريخية المؤلفة باللغات الأخرى غير العربية.

٢- هناك الكثير من الروايات التاريخية في الأدب العربي، ألفت حول تاريخ العرب والإسلام في شبه القارة الهندية والباكستانية، وهذه الروايات بحاجة إلى الترجمة إلى اللغة العربية.

٣- من المواضيع التي أقترحها على الباحثين في مرحلة الدكتوراه:

- الأخطاء والمغالطات في الروايات التاريخية العربية (جرجي زيدان نموذجاً).
- الحوار بين الشرق والغرب في روايات أمين معلوف.
- الحقائق التاريخية والخيال الأدبي في الرواية التاريخية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفهارس الفنية

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

ت	الآية	السورة	الرقم	ص
١.	﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾	البقرة	٥٠	٣٩٩
٢.	﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ... الآية﴾		١٣٨	٤١١
٣.	﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ... الآية﴾		١٨٤	٢٢٧
٤.	﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا بِاللَّهِ كَمْ مِنَ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾		٢٤٩	٣٩١
٥.				— ٣٩٩
٦.	﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ... الآية﴾	آل عمران	٣٦	٣٩٦
٧.	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾	النساء	٩٧	٤١١
٨.	﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾		٩٨-٩٩	٢٤٩
٩.	﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا... الآية﴾	الأنفال	٦٥	٣٩١ ٣٩٩

٩٦	٢٧-٢٥	التوبة	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٧﴾﴾	١٠.
١٥٩	١٢٩		﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾	١١.
٣٩١	٦٩	العنكبوت	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾	١٢.
٣٩١	١٧		﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الظَّلُوعَاتِ أَنْ يَعْْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى...﴾	١٣.
٢٢٧	٧٣	الزمر	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾	١٤.
٢٢٧	١٦	فصلت	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾	١٥.
٤١٣	٧	محمد	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾	١٦.
٢٢٧	٩	النجم	﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾	١٧.
٢٨٨	٥-١	المسد	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾	١٨.

			وَأَمْرَانُهُ، حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿١٠﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴿١١﴾	
--	--	--	---	--

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث النبوي الشريف	ص
١.	أفرايت إذا كان ظالماً	٢٥٣
٢.	افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة	٦٥
٣.	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً	٤١٢
٤.	مزق الله ملكه	٤١٢

فهرس الأشعار العربية

الرقم	الشعر	ص
۱.	أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر	۳۴۹
۲.	غرناطة ما لها نظير ما مصر ما الشام ما العراق ما هي إلا العروس تجلى وتلك من جملة الصداق	۲۵۳

فهرس الأشعار الأردية

الرقم	الشعر	ص
۱.	ایک ہی صف میں آکھڑے ہوئے محمود وایاز نہ کوئی بندہ رہا، نہ کوئی بندہ نواز	۳۷۴

فهرس الأعلام

الرقم	الأعلام	ص
٠١	أبي بن خلف	٢٨٨
٠٢	ابن الأثير	١٥١
٠٣	أحمد الأعرج السعدي	١٨٦
٠٤	أحمد شاه أبداللي	٣٧
٠٥	أحمد الشايب	٤١٢
٠٦	أحمد بن طولون	٤١٩
٠٧	أردشير	٩٩
٠٨	أرطبان	١٨٧
٠٩	أرمانوسة المصرية	١٩
٠١٠	أرميد	١٠٣
٠١١	أسامة بن زيد	٩٨
٠١٢	أسد الأسدي	٢٦٦
٠١٣	الإسكندر	١٨
٠١٤	أسلم راهي	٣٧
٠١٥	إسماعيل بن محمود الغزنوي	١٠٨
٠١٦	الأسود العنسي	٩٧
٠١٧	الأشعث بن قيس	٢٨٣
٠١٨	أطريون	١٢٩
٠١٩	أكيدر بن عبد الملك	٩٧
٠٢٠	ألب أرسلان	٦٥
٠٢١	ألبتكين	١٠٦
٠٢٢	أمين ناصر الدين	١٦

١٩	الأمين	٢٣.
٢٧	إنشاء الله خان	٢٤.
١١٠	أنند بال	٢٥.
١٠٢	أنوشروان	٢٦.
٥٤	أوريان الثاني	٢٧.
٣٧	أورنگزيب	٢٨.
١٧٥	إيزابيللا	٢٩.
٣٣٨	إيلفريدت بتلر	٣٠.
١١٠	إيلك خان	٣١.
٢٩	انتظار حسين	٣٢.
٥٣	البابا أوريان الثاني	٣٣.
١٥٥	باليان	٣٤.
٣١	پريم چند	٣٥.
١٦	بطرس البستاني	٣٦.
١٥١	بغدوين	٣٧.
٩٨	أبو بكر الصديق	٣٨.
٢٨٣	بلال بن رباح	٣٩.
١٠٣	بوران	٤٠.
٥٦	بوهيموند	٤١.
٣٧	تانا شاه	٤٢.
١٥٩	تتش بن ألب أرسلان	٤٣.
٢١٤	تيتوس	٤٤.
٣٢١	تيمور	٤٥.
١٣٠	ثيودور	٤٦.

١٦	جرجي زيدان	.٤٧
٩٥	جعفر بن أبي طالب	.٤٨
٦٤	جمال الدين الأفغاني	.٤٩
٢٩	جميلة هاشمي	.٥٠
١١٨	جنكيز خان	.٥١
٣٦	جنيد البغدادي	.٥٢
٢٨٨	أبو جهل	.٥٣
٢٧	جون غل كرست	.٥٤
١٦	جورج لوكاش	.٥٥
١٣١	جورج	.٥٦
١٥٧	جوسلان	.٥٧
٣٤٠	حاطب بن أبي بلتعة	.٥٨
٣٧	الحجاج بن يوسف الثقفي	.٥٩
١٠٧	الحسن بن سنجار	.٦٠
٦٤	حسن الصباح	.٦١
٤٢	الحسن بن محمد الوزان	.٦٢
٣٣	حكيم محمد سراج الحق	.٦٣
٣٣	حكيم محمد علي طيب	.٦٤
٢٨٦	حمزة بن عبد المطلب	.٦٥
٩٢	حيي بن أخطب	.٦٦
٣٣٦	خارجة بن خدام	.٦٧
٣٤	خالد أشرف	.٦٨
٨٠	خالد بن الوليد	.٦٩
٣٧	خان آصف	.٧٠

٢٨٧	خبيب بن عدي	٧١.
١٠٢	خسرو بروييز	٧٢.
٨٩	ابن خلّكان	٧٣.
٣٦١	ابن خلدون	٧٤.
١٢٥	خليل سلطان بن ميرانشاه	٧٥.
٣٧	خوارزم شاه	٧٦.
٦٤	الخوارزمي	٧٧.
٣٧	خورشيد بانو	٧٨.
٣٠٩	داود بن نصر	٧٩.
٢٨٦	أبو دجانة	٨٠.
٩٦	دريد بن الصّمة	٨١.
١٨٩	دسيوس	٨٢.
١٥٩	دقاق بن تتش	٨٣.
١٦١	ديكاردوس	٨٤.
١١٠	راجہ بهيم بال	٨٥.
١٠٧	راجہ جي بال	٨٦.
١١١	راجہ رحيا بال	٨٧.
١١١	راجہ كول بند	٨٨.
٣٠٤	رادهاكشن	٨٩.
٣٦٤	رافع بن عميرة	٩٠.
١٥٥	راوول دي كين	٩١.
٣٧	رئيس أحمد جعفري	٩٢.
٣٧٠	ربيع بن عامر	٩٣.
٣٠	رتن نارته سرشار	٩٤.

٢٧	رجب علي بك	٩٥.
٥٦	رجنلد	٩٦.
١٠٣	رستم	٩٧.
٢٦٢	ابن رشد	٩٨.
٢٩	رشيد أختر ندوي	٩٩.
١٥٢	رضوان بن تتش	١٠٠.
٢٨٨	ركانة بن عبد يزيد	١٠١.
١٣٥	رودريك	١٠٢.
٨٧	ريتشارد	١٠٣.
١١٣	زرياب	١٠٤.
٢٠	زنوبيا	١٠٥.
٩٥	زيد بن حارثة	١٠٦.
٢٨٧	زيد بن الدثنة	١٠٧.
٩٣	زينب بنت الحارث	١٠٨.
١٢٤	ساكسمان	١٠٩.
١٠٦	سبكتكين	١١٠.
٩٧	سجاح بنت الحارث	١١١.
١٥١	السرداني	١١٢.
٩١	سعد بن أبي وقاص	١١٣.
٣٦١	ابن سعد	١١٤.
١٤	السعيد الورقي	١١٥.
٩٢	أبو سفيان	١١٦.
٣٢	سكات	١١٧.
١١٠	سكه بال	١١٨.

١٢٤	السلطان با يزيد	١١٩.
١٧٦	السلطان سليم العثماني	١٢٠.
٣٧	السلطان شهاب الدين غوري	١٢١.
١٧٦	السلطان طومان باي	١٢٢.
٢٤١	سلطان فيصل الرميثي	١٢٣.
٣٦	سلمان الفارسي	١٢٤.
٩٨	سلمى بنت مالك	١٢٥.
٢٩٧	سليط بن قيس	١٢٦.
١٣٤	سليمان بن عبد الملك	١٢٧.
١٧٧	سليمان القانوني	١٢٨.
١٦	سليم البستاني	١٢٩.
١٢٨	سهيل بن عدي	١٣٠.
٩٢	شارجة بن مغيث	١٣١.
١٩	شارل	١٣٢.
١٩	شجرة الدرّ	١٣٣.
٩٤	شرحبيل بن عمرو	١٣٤.
١٢٩	شريك بن عبد	١٣٥.
٤١١	شكري الماضي	١٣٦.
١٠٢	شيرويه	١٣٧.
١٦	شيكسبير	١٣٨.
٣٣	صادق سردهنوي	١٣٩.
٣٥	صلاح الدين الأيوبي	١٤٠.
١٥١	ابن صنجيل	١٤١.
١٣٥	طريف بن مالك	١٤٢.

١٥٢	طغتكين	١٤٣.
٩٧	طليحة الأسدي	١٤٤.
١٥١	طنكري	١٤٥.
١٧	طه وادي	١٤٦.
١٥٦	الظاهر بيبرس	١٤٧.
٢٨٥	عائشة بنت أبي بكر	١٤٨.
١٦	عادل كامل	١٤٩.
٣٣٦	عبادة بن الصامت	١٥٠.
١٩	العباسة	١٥١.
٣٠	عبد الحليم شرر	١٥٢.
١٦	عبد الحميد جودة السحار	١٥٣.
١٩	عبد الرحمن الناصر	١٥٤.
١٧٨	عبد الفتاح الحجمري	١٥٥.
٢٨٦	عبد الله بن جبير	١٥٦.
٢٩	عبد الله حسين	١٥٧.
٩٥	عبد الله بن رواحة	١٥٨.
١٢٨	عبد الله بن نيسان	١٥٩.
١٣٧	عبد العزيز بن موسى بن نصير	١٦٠.
١٢٧	أبو عبيدة بن الجراح	١٦١.
٢٣	عز الدين إسماعيل	١٦٢.
٣٤٩	عقبة بن نافع الفهري	١٦٣.
٩٣	عكرمة بن أبي جهل	١٦٤.
٣٨	عماد الدين زنكي	١٦٥.
٣٩	عمر الخيام	١٦٦.

١٢٦	عمرو بن العاص	١٦٧.
٩٣	عمرو بن عبد وّد	١٦٨.
٣٧	علاء الدين خلجي	١٦٩.
١٦	علي أحمد با كثير	١٧٠.
١٦	علي الجارم	١٧١.
١٧٥	علي بن سعد النصري	١٧٢.
٢٠	عنتر بن شداد	١٧٣.
٩٦	عوف بن مالك	١٧٤.
٢٨١	عياض بن غنم	١٧٥.
٩٨	عيننة بن مسلم	١٧٦.
١٧٠	الغزالي	١٧٧.
٣٧	غياث الدين بلبن	١٧٨.
٢٦٠	غيوم أبولينير	١٧٩.
٢٨٥	فاطمة الزهراء	١٨٠.
٣٠٩	فخر الدولة	١٨١.
١٥١	فخر الملك بن عمار	١٨٢.
١٩	فرح أنطون	١٨٣.
١٨٦	فرناندو	١٨٤.
٨٧	فريدريك بربروسا	١٨٥.
١٨٩	فليبيوس	١٨٦.
١٤٦	فورستر	١٨٧.
١٠٤	فيروزان	١٨٨.
٨٧	فيليب أوغسطس	١٨٩.
١١٠	القادر بالله	١٩٠.

٩٠	القاضي بهاء الدين شداد	١٩١.
١٣٤	قتيبة بن مسلم	١٩٢.
٣٩	القديس يوسف	١٩٣.
١٦	قرة العين حيدر	١٩٤.
١٢٩	قسطنطين بن هرقل	١٩٥.
١٥٦	قطز	١٩٦.
١٢٩	الققعقاع بن عمرو	١٩٧.
١٤٩	ابن القلانسي	١٩٨.
١٥٦	قلاوون	١٩٩.
٥٤	قلج أرسلان	٢٠٠.
١٨	قيس ليلي	٢٠١.
٩٨	قيس بن عاصم المنقري	٢٠٢.
٢٨٠	قيس بن هبيرة	٢٠٣.
١٥٢	ابن كثير	٢٠٤.
١٨٧	كركلا	٢٠٥.
١٨٦	كليمنت السابع	٢٠٦.
٢٨٨	أبو هب	٢٠٧.
١٨	ليلى	٢٠٨.
٩٠	لين بول	٢٠٩.
١٧٧	ليون العاشر	٢١٠.
٩٨	مالك بن نويرة	٢١١.
٤٣	ماني	٢١٢.
٣٤	م. أسلم	٢١٣.
١٩	المأمون	٢١٤.

٢١٥.	المثنى بن حارثة	٩٨
٢١٦.	محمد أكبر خان	٢٦٦
٢١٧.	محمد بن جرير الطبري	٣٦١
٢١٨.	محمد سعيد العريان	١٦
٢١٩.	محمد عبد الله عنان	٣٤٣
٢٢٠.	محمد عبد المنعم خفاجي	١٤
٢٢١.	محمد علي باشا	٦١
٢٢٢.	محمد فريد أبو حديد	١٦
٢٢٣.	محمد بن القاسم	٣٧
٢٢٤.	محمد بن نصر الهروي	١٥٩
٢٢٥.	محمود الغزنوي	١٠٧
٢٢٦.	مرزا سرور الملك	٣٣
٢٢٧.	المسترشد	١٥٧
٢٢٨.	المستظهر بالله	١٦٠
٢٢٩.	أبو مسلم الخراساني	١٨
٢٣٠.	مسيلمة الكذاب	٩٧
٢٣١.	مصري عبد الحميد حنورة	١٥
٢٣٢.	مصعب بن عمير	٢٨٦
٢٣٣.	معاوية بن خديج	١٣٣
٢٣٤.	معظم علي	٣٧
٢٣٥.	المقتدر بأمر الله	١٦٠
٢٣٦.	المقداد بن الأسود	٣٣٦
٢٣٧.	المقوقس	١٣٠
٢٣٨.	ملكشاه	٦٥

٨٧	الملك العادل	٢٣٩.
٩٠	الملك الكامل	٢٤٠.
٥٦	الملك الناصر	٢٤١.
٣٦	منشي مراد علي	٢٤٢.
٤٠٨	ابن منقذ	٢٤٣.
١٣٤	موسى بن نصير	٢٤٤.
٣٧	مولوي عبد الرحيم خان	٢٤٥.
٢٨	مولوي نذير أحمد	٢٤٦.
٢٠	المهلل	٢٤٧.
٣٣	موهين لال فهم	٢٤٨.
١٦	نابليون	٢٤٩.
١٦	نجيب محفوظ	٢٥٠.
٨	نسيم حجازي	٢٥١.
١٧٠	نصر خان	٢٥٢.
٦٤	نظام الملك	٢٥٣.
٩٣	نعيم الغطفاني	٢٥٤.
١٥٦	نور الدين زنكي	٢٥٥.
٣٧	نيرون	٢٥٦.
٢٦٦	الواقدي	٢٥٧.
١٦	والتر سكوت	٢٥٨.
٢٨٨	وحشي	٢٥٩.
١٣٤	الوليد بن عبد الملك	٢٦٠.
٢٨٧	الوليد بن المغيرة	٢٦١.
٢٦٦	وليم أف تاير	٢٦٢.

٢٦٣.	هارون الرشيد	٣٦
٢٦٤.	هاشم بن عبيد	١٠٤
٢٦٥.	هاشم بن عتبة	١٠٥
٢٦٦.	هامون	١٤٤
٢٦٧.	هرقل	٩٤
٢٦٨.	هرقليوناس	١٣٣
٢٦٩.	الهرمزان	٣٤٠
٢٧٠.	هرمز بن شاهبور	١٨٨
٢٧١.	هند	٩٢
٢٧٢.	هنري جيمس	١٤٦
٢٧٣.	هيرالد ليم	٢٦٦
٢٧٤.	ياغي سيان	١٥٠
٢٧٥.	يحيى حسام الدين	١٧٤
٢٧٦.	يزدجرد	١٠٤
٢٧٧.	يزيد بن أبي سفيان	١٢٧
٢٧٨.	يعقوب صرّوف	١٦
٢٧٩.	يوسف بن تاشفين	٣٧
٢٨٠.	يوسف السباعي	٢١

فهرس القبائل

الرقم	القبيلة	ص
١.	أسد	٩٢
٢.	إياد	٣٣٣
٣.	أيلة	١٩
٤.	بنو بكر	٩٥
٥.	تغلب	٣٣٣
٦.	تمر	٣٣٣
٧.	ثقيف	٩٦
٨.	جربة	٩٧
٩.	البربر	١٣٧
١٠.	بنو حنيفة	٩٧
١١.	خزاعة	٩٥
١٢.	راجبوت	٧٧
١٣.	ربيعة	٢٠
١٤.	بنو زيات الزناتية	١٨٤
١٥.	زرج	٩٧
١٦.	عدوان	٣٣٣
١٧.	غسان	١٩
١٨.	غطفان	٩٢
١٩.	قريش	١٩
٢٠.	بنو قريظة	٩٢
٢١.	بنو قينقاع	٩٢
٢٢.	مقننة	٩٧

٩٢	بنو النضير	.٢٣
٩٦	هوازن	.٢٤

فهرس الأماكن

الرقم	الأماكن	ص
١.	أبلّة	٩٩
٢.	أترار	١٢٥
٣.	أتك	١٠٩
٤.	أجمير	٣٠٤
٥.	أجنادين	٢٨٢
٦.	أحد	٩١
٧.	أرسوف	٨٨
٨.	أرمينيا	١٨٩
٩.	أزمير	١٢٤
١٠.	أسبانيا	٢٦٨
١١.	إسرائيل	٥١
١٢.	إسطنبول	٧٢
١٣.	الإسكندرية	١٢٦
١٤.	إشبيلية	١٣٨
١٥.	أصفهان	٦٥
١٦.	أصيلة	٤٦
١٧.	الأطلس	١٧٦
١٨.	الأطلسي	١٧٢
١٩.	أضنة	١٩٦
٢٠.	أغادير	٤٦
٢١.	ألترياس	١٣٧
٢٢.	ألمانيا	٨٧

٩٩	أليس	٢٣.
١٣٠	أم دنين	٢٤.
٢١٠	أمستردام	٢٥.
١٠٣	أمينشا آباد	٢٦.
٥٥	الأناضول	٢٧.
٢٨١	الأنبار	٢٨.
٨٧	إنجلترا	٢٩.
٩	الأندلس	٣٠.
٥٤	أنطاكية	٣١.
٣٢٥	أنقرة	٣٢.
٣٠٤	أوجين	٣٣.
٢١٠	أورليان	٣٤.
٩٦	أوطاس	٣٥.
٣٥	إيران	٣٦.
٨٧	إيطاليا	٣٧.
١١٨	آمو	٣٨.
٣٧	بابل	٣٩.
١٣٠	بابلون	٤٠.
٢٩١	بار سماء	٤١.
٣٩	باريس	٤٢.
٢٨	باكستان	٤٣.
١١٢	بامبلونا	٤٤.
١٠٨	بُھنڈہ	٤٥.
٢٠٤	البحر الأحمر	٤٦.

٦٥	البحرين	.٤٧
١٠٦	بخارى	.٤٨
١٢١	بدخشان	.٤٩
٩١	بدر	.٥٠
٥٠	البرازيل	.٥١
١٩٦	براغ	.٥٢
٢٩٤	برس	.٥٣
١٣٧	برشلونة	.٥٤
٦١	بريطانيا	.٥٥
١٧٤	بسطة	.٥٦
١٠٩	بشاور	.٥٧
٢٠	بُصرى	.٥٨
٩٨	بطاح	.٥٩
٤٠	بغداد	.٦٠
١٣٠	بلييس	.٦١
٢٦٨	بلجيكا	.٦٢
١٠٨	بلخ	.٦٣
٩٤	البلقاء	.٦٤
١٢٣	البندقية	.٦٥
١٠٣	بندوقية	.٦٦
٢٨	البنغال	.٦٧
١٠٤	بهرشير	.٦٨
١١٠	بهيرو	.٦٩
٧٧	پوٹھوھار	.٧٠

٣٢٥	بورصة	٧١.
٢٠٤	بوروندي	٧٢.
٢٠٣	بومباي	٧٣.
١٠٤	بويب	٧٤.
١١١	بياس	٧٥.
٣٩	بيروت	٧٦.
١٢٨	بيزنطة	٧٧.
١٢٨	بيسان	٧٨.
٣٢١	تبريز	٧٩.
٩٧	تبوك	٨٠.
٢٠	تدمر	٨١.
٤٤	تركيا	٨٢.
٨٦	تكريت	٨٣.
١٩٨	تل أبيب	٨٤.
١٥٩	تل باشر	٨٥.
١١٠	ٹله جوگياں	٨٦.
١٧٦	تمبكتو	٨٧.
١١٨	توران	٨٨.
١٧٧	تونس	٨٩.
١١٠	تھانسر	٩٠.
١٠٣	تيرويه	٩١.
٩٠	الجامع الأموي	٩٢.
١٦٢	جبل لبنان	٩٣.
١٠٧	جرجان	٩٤.

٧	الجزائر	.٩٥
١٥٧	جعير	.٩٦
١٠٩	جلال آباد	.٩٧
١٠٥	جلولاء	.٩٨
٢٨	جليانواله	.٩٩
٢٠٤	جنوب أفريقيا	.١٠٠
١٢٣	جنيف	.١٠١
١١١	جهلم	.١٠٢
٢٩٩	جيحون	.١٠٣
٣٣٣	الحبشة	.١٠٤
٣٧	الحجاز	.١٠٥
٩٤	الحديبية	.١٠٦
٢٨٢	حصيد	.١٠٧
٥٦	حطين	.١٠٨
٥٥	حلب	.١٠٩
١٠٥	حلوان	.١١٠
٢٧٠	حماة	.١١١
١٧٤	الحمراء	.١١٢
١٢٤	حمص	.١١٣
٣٣	حيدر آباد	.١١٤
١٠٣	الحيرة	.١١٥
٥٦	حيفا	.١١٦
١٠٧	خراسان	.١١٧
٢٨٢	الخنابس	.١١٨

٩٣	الخندق	١١٩.
١٢١	خوارزم	١٢٠.
١٥٣	الخواصين	١٢١.
٩٣	خير	١٢٢.
١٠٥	دجلة	١٢٣.
١٢٣	دره خير	١٢٤.
٣٣٢	دلوك	١٢٥.
٢٠٩	الدغمارك	١٢٦.
٩٧	دومة الجندل	١٢٧.
٢٧٠	ديار بكر	١٢٨.
١٠٤	ذي قار	١٢٩.
١١١	راولبندي	١٣٠.
١٢٦	رباء	١٣١.
٩٢	الرجيع	١٣٢.
١٢٩	رفع	١٣٣.
١٥٨	الرملة	١٣٤.
٦٨	روما	١٣٥.
١٦٩	الري	١٣٦.
١٠٤	السباط	١٣٧.
١٣٧	سارغاصة	١٣٨.
٢٠٨	سالونيك	١٣٩.
٤٦	سبتة	١٤٠.
١٣٧	السبيلة	١٤١.
٢٨٢	سخنة	١٤٢.

١٣٧	سرقسطة	١٤٣.
١٠٣	سقاطية	١٤٤.
٤٠	سمرقند	١٤٥.
٣٦	السند	١٤٦.
٢٠٣	السنگال	١٤٧.
٤٦	سوس	١٤٨.
١١١	سومناٲ	١٤٩.
١٢٣	سويسرا	١٥٠.
٢٠٨	سيت	١٥١.
١٣٧	سيدونة	١٥٢.
٢٠٤	سيريلانكا	١٥٣.
١٠٩	سيستان	١٥٤.
٦٨	سيسلي	١٥٥.
١٩٨	السين	١٥٦.
١٣٧	سيوستة	١٥٧.
٤٦	شالة	١٥٨.
١٨	الشام	١٥٩.
٢	شبه القارة الهندية	١٦٠.
٣٣٢	شمشاط	١٦١.
٩١	الصفاء	١٦٢.
١٥٦	صور	١٦٣.
٥٦	صيدا	١٦٤.
٧٦	الصين	١٦٥.
٩٦	الطائف	١٦٦.

٦٥	طبرستان	١٦٧.
٥٦	طبرية	١٦٨.
١٥١	طرابلس	١٦٩.
٣٣٧	طرنوط	١٧٠.
١٣٥	طليطلة	١٧١.
٤٦	طنجة	١٧٢.
١٢٠	طوس	١٧٣.
٤٦	العرائش	١٧٤.
٨٣	العراق	١٧٥.
١٢٩	العريش	١٧٦.
٥٥	عسقلان	١٧٧.
٥٥	عكا	١٧٨.
٢٨٦	عمواس	١٧٩.
٢٨١	عين التمر	١٨٠.
٨	عين شمس	١٨١.
١٣٧	غاليسيا	١٨٢.
٤٠	غرناطة	١٨٣.
١٠٦	غزني	١٨٤.
١٠٩	غور	١٨٥.
١٠٣	فارق بارما	١٨٦.
٦٧	فاس	١٨٧.
١٠٥	الفرات	١٨٨.
٢١٠	فرانكفورت	١٨٩.
١٩	فرغانة	١٩٠.

١٢٩	الفرما	١٩١.
٨٧	فرنسا	١٩٢.
٢١٠	الفلبين	١٩٣.
٧٣	فلسطين	١٩٤.
١٣٧	فيليسيا	١٩٥.
١٣٠	الفيوم	١٩٦.
٢٣٥	قاشان	١٩٧.
٨	القاهرة	١٩٨.
٦٠	قبرص	١٩٩.
١٣٧	قتلونه	٢٠٠.
٥٤	القدس	٢٠١.
٢٨٢	قدمة	٢٠٢.
١٧٨	قرطاجة	٢٠٣.
١١٣	قرطبة	٢٠٤.
١٣٧	قرمونة	٢٠٥.
٩٦	القرن	٢٠٦.
٥٥	القسطنطينية	٢٠٧.
٢٩٢	قس الناطف	٢٠٨.
١٢٣	قلاط	٢٠٩.
١٧٨	قمارت	٢١٠.
٦٥	قُم	٢١١.
١٢٠	قندهار	٢١٢.
١٥٩	قنسرين	٢١٣.
٣٠٤	قنوج	٢١٤.

١٢٣	القوقاز	٢١٥.
١٣٧	القيروان	٢١٦.
٥٦	قيسارية	٢١٧.
١٢٠	كابيل	٢١٨.
١٢٣	كاتالونيا	٢١٩.
١٠٨	كاشغر	٢٢٠.
٩٩	كاظم	٢٢١.
٣٠٤	كالنجر	٢٢٢.
٢١٠	كاليفورنيا	٢٢٣.
٩٤	كرام النعيم	٢٢٤.
١٩	كربلاء	٢٢٥.
٨٦	کردستان	٢٢٦.
٥٦	كرك	٢٢٧.
١٢٢	كريميا	٢٢٨.
١٣٢	كريون	٢٢٩.
١٠٣	كسكر	٢٣٠.
١١٠	كشمير	٢٣١.
١٦٢	كفر ييدا	٢٣٢.
٥٤	كليرمونت	٢٣٣.
١١١	گنگا	٢٣٤.
٣٠٤	كواليار	٢٣٥.
٢١٠	كوبنهاغن	٢٣٦.
١٠٤	كويتي	٢٣٧.
١١١	گجرات	٢٣٨.

٧٧	٢٣٩. گوجر خان
١٣٧	٢٤٠. لاغون
٢	٢٤١. لبنان
١٣٧	٢٤٢. لشبالية
١٣٧	٢٤٣. لشبونة
٣٠	٢٤٤. لكهنو
٢٨	٢٤٥. لندن
١٣٧	٢٤٦. لوغيو
٧٨	٢٤٧. مالايا
١٣٧	٢٤٨. مادونا
١٨٧	٢٤٩. ماردين
١٣٦	٢٥٠. ملقا
١١٨	٢٥١. ما وراء النهر
١١١	٢٥٢. متهرا
٦٩	٢٥٣. المدائن
٢٨٢	٢٥٤. مرج راهط
١٢٧	٢٥٥. مرعش
١٦٩	٢٥٦. مرو
١١٤	٢٥٧. مريدة
٨٦	٢٥٨. المدينة المنورة
٩٥	٢٥٩. مَرّ الظهران
٥٨	٢٦٠. المشرف
٨	٢٦١. مصر
٥٤	٢٦٢. معرّة النعمان

١١٠	ملتان	٢٦٣.
١٥٩	منبج	٢٦٤.
١٢٢	موسكو	٢٦٥.
٥٥	الموصل	٢٦٦.
٢٠٨	مولدافيا	٢٦٧.
١٩٦	ميونخ	٢٦٨.
٩٤	مؤتة	٢٦٩.
١٣٧	ناربول	٢٧٠.
٥٦	الناصرية	٢٧١.
٣٠٤	نجر كوت	٢٧٢.
١٠٩	نهر السند	٢٧٣.
٦٥	نيسابور	٢٧٤.
٥٤	نيقية	٢٧٥.
٧٩	النيل	٢٧٦.
٧٦	نيويورك	٢٧٧.
١٠٩	هرات	٢٧٨.
١٣٠	هليو بوليس	٢٧٩.
٢	الهند	٢٨٠.
١٢٤	هنغاريا	٢٨١.
١٤١	الولايات المتحدة الأمريكية	٢٨٢.
٩٩	ولجة	٢٨٣.
٢٨	ويلز	٢٨٤.
٩١	اليرموك	٢٨٥.
٩٨	اليمامة	٢٨٦.

٨٦	اليمن	.٢٨٧
٢٦٨	اليونان	.٢٨٨

فهرست المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية

بعد القرآن الكريم	
أ	
١.	اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، د. السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨ م.
٢.	اتجاهات الرواية العربية في مصر، د. شفيق السيد، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة مصر، ط/ ٢، ١٩٩٨ م.
٣.	الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، د. أحمد هيكل، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠١٠ م.
٤.	الأدب وفنونه دراسة ونقد، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط/ ٩، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
٥.	أركان الرواية، أ.م. فورستر، ترجمة: موسى عاصي، المراجعة اللغوية: سمر روعي الفيصل، الناشر: جروس برس بيروت، ط/ ١، ١٩٩٤ م.
٦.	الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرحية، د. مصري عبد الحميد حنورة، دار المعارف، مصر، ط/ ٢، ١٩٩٠ م.
٧.	الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية مصر، ط/ ٤، ١٩٥٦ م.
٨.	أعلام العرب جرجي زيدان، محمد عبد الغني حسن، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر مصر، ١٩٧٠ م.
٩.	الأعلام قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، دار الملايين، بيروت لبنان، ط/ ١٥، ٢٠٠٢ م.
١٠.	أمين معلوف العابر للتخوم، لعبده وازن، الناشر: مجلة دبي الثقافية الإمارات، ٢٠١٢ م.
ب	
١١.	بدايات لأمين معلوف، ترجمة نُهلة بيضون، دار الفارابي، دار الفارابي، ط/ ١، ٢٠٠٤ م.
١٢.	البداية والنهاية، لابن كثير، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

١٣.	البناء السردى في روايات إلياس خوري، عالية محمود صالح، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط / ١، ٢٠٠٥م.
١٤.	بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصيات، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط / ٢، ٢٠٠٩م.
١٥.	بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، حميد لحداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط / ١، ١٩٩١م.
ت	
١٦.	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط / ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٧.	تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط / ٢، ١٣٨٧هـ.
١٨.	التاريخي والروائي في ليون الإفريقي لأمين معلوف، نجمة عبد الله إدريس، كتاب دوري صادر من النادي الأدبي في الرياض - السعودية، يونيو ٢٠٠٤م.
١٩.	التائهون، أمين معلوف، ترجمة: نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط / ١، ٢٠٠٣م.
٢٠.	تحليل الخطاب الشعري، استراتيجيات التناس، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط / ٣، ١٩٩٢م.
٢١.	تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط / ٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٢٢.	تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط / ١، ١٩٩٠م.
٢٣.	التناس في شعر العصر الأموي، بدران عبد الحسين محمود، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط / ١، ٢٠١٢م.
ث	

٢٤.	الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، ط / ٤، ٢٠١٤م.
ج	
٢٥.	جرجي زيدان، لأحمد حسين الطماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط / ١، ١٩٩٢م.
ح	
٢٦.	حدائق النور، أمين معلوف، ترجمة: د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط / ٤، ١٩٩٨م.
٢٧.	الحروب الصليبية كما رآها العرب، أمين معلوف، ترجمة: د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط / ٢، ١٩٩٨م.
خ	
٢٨.	الخطاب الروائي عند أمين معلوف، رسالة ماجستير للباحثة: فريال محمد أحمد القضاة، إشراف: د. وليد سيف، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان - الأردن، ٢٠٠٢م.
د	
٢٩.	دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، لمحمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، ط / ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣٠.	الدراسة النفسية للأدب النقائص الاحتمالات الإنجازات، مارتن لينداور، ترجمة: د. شاكر عبد الحميد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط / ٢، ١٩٩٦م.
٣١.	دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط / ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
ر	
٣٢.	الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث نصوص تاريخية ونماذج تطبيقية من الرواية المصرية، د. قاسم عبده قاسم، د. أحمد إبراهيم الهواري، دار المعارف، القاهرة مصر،

١٩٧٩ م.	
٣٣.	الرواية التاريخية، جورج لوكاش، ترجمة: د. صالح جواد الكاظم، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط/ ٢، ١٩٨٦ م.
ز	
٣٤.	الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراري، المؤسسة العربية، الأردن، ط/ ١، ٢٠٠٤ م.
س	
٣٥.	السرد في الرواية المعاصرة، عبد الرحيم الكردي، دار الثقافة، القاهرة مصر، ط/ ١، ١٩٩٢ م.
٣٦.	سمرقند، أمين معلوف، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت لبنان، ب - ت.
٣٧.	سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٣٨.	السيرة النبوية، لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
٣٩.	السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/ ٢، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
٤٠.	سيمولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط/ ١، ٢٠١٣ م.
ص	
٤١.	صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. محمد مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة دمشق، ط/ ٥، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٤٢.	صخرة طانيوس، أمين معلوف، ترجمة: نخلة بيضون، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط/ ١، ٢٠٠١ م.
٤٣.	الصديق أبو بكر، لمحمد حسين هيكل، الناشر: كلمات عربية، مصر، ٢٠١٣ م.

٤٤.	صلاح الدين الأيوبي وعصره، محمد فريد أبو حديد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م.
ط	
٤٥.	طرائق تحليل السرد الأدبي، التحليل البنيوي للسرد، رولان بارت، ترجمة: حسن بحراوي وبشير قمري وعبد الحميد عقار، اتحاد كتاب المغرب، الرباط المغرب، ط / ١، ١٩٩٢م.
٤٦.	طرائق تحليل القصة، قسومة الصادق، دار الجنوب للنشر، تونس، ط / ١، ٢٠٠٠م.
ف	
٤٧.	الفاروق عمر، محمد حسين هيكل، دار المعارف، مصر، ط / ١٠، ٢٠٠٠م.
٤٨.	فتح الباري بشرح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية - مصر، ط / ١، ١٣٨٠هـ.
٤٩.	فتح العرب لمصر، د. الفريد ج. بتلر، المترجم: محمد فريد أبو حديد بك، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط / ٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٥٠.	الفكر الديني عند زكي نجيب محمود، منى أحمد أبو زيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، لبنان، ط / ١، ١٩٩٦م.
٥١.	فن القصة، د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٥٥م.
٥٢.	في نظرية الأدب، شكري الماضي، دار المنتخب العربي، بيروت، ط / ١، ١٩٩٣م.
ق	
٥٣.	القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط / ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٥٤.	القرن الأول بعد بياتريس، أمين معلوف، ترجمة: نحلة بيضون، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط / ١، ١٩٩٧م.
٥٥.	القصة والرواية، د. عزيزة مريدن، دار الفكر، دمشق سوريا، ط / ١، ١٩٨٠م.
٥٦.	القصة في الأدب العربي الحديث ١٨٧٠ - ١٩١٤م، د. محمد يوسف نجم، دار مصر

	للطباعة، القاهرة مصر، ١٩٥٢م.
٥٧.	قضايا النقد العربي قديمها وحديثها، د. داؤد غطاشة وحسين راضي، دار الثقافة، عمان الأردن، ٢٠٠٠م.
ك	
٥٨.	الكامل في التاريخ، لابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط / ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
ل	
٥٩.	لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت لبنان، ط / ٣، ١٤١٤هـ.
٦٠.	ليون الإفريقي، أمين معلوف، ترجمة: د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط / ١، ١٩٩٧م.
م	
٦١.	ما هي العولمة، أولريش بك، ترجمة: أبو العيد دودو، الناشر: منشورات الجمل، ألمانيا، ط / ٢، ٢٠١٢م.
٦٢.	متعة الرواية، دراسة نقدية متنوعة: د. أحمد زياد محبك، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.
٦٣.	مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط / ٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٦٤.	مذيل التاريخ الدمشقي، لأبي يعلى ابن القلانسي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
٦٥.	المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٦٦.	المصطلح السردى، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بري، المشروع القومي للترجمة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر، ط / ١، ٢٠٠٣م.
٦٧.	معجم البلدان، لشهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط / ٢، ١٩٩٥م.
٦٨.	معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، إنكليزي، فرنسي، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان

ناشرون، دار النهار للنشر، ط/ ١، ٢٠٠٢م.	
معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت لبنان ب - ت.	٦٩.
المغازي، محمد بن عمر بن واقد الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط/ ٣، ١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ.	٧٠.
المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت لبنان، ط/ ٢٩، ٢٠٠٨م.	٧١.
موائى المشرق، أمين معلوف، ترجمة: منيرة مصطفى، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط/ ٢، ١٩٩٨م.	٧٢.
الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.	٧٣.
الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، د. ياسين صلواتي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/ ١، ١٨٣٩ - ٢٠٠١م.	٧٤.
الموسوعة العربية العالمية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ ٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.	٧٥.
ن	
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٢م.	٧٦.
نظرية الأدب، ويليك رينة وارين أوستن، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط/ ٣، ١٩٨٣م.	٧٧.
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٩٠٠م.	٧٨.
النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ط/ ٢، دار نخضة مصر، ١٩٩٧م.	٧٩.
و	

٨٠.	وصف أفريقيا، الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط / ٢، ١٩٨٣م.
-----	--

فهرس البحوث والمقالات

أ	
١.	أمين معلوف.. جسر وقتطرة بين أوروبا والعرب، إميل أمين، جريدة الشرق الأوسط لندن، العدد: ١١٩٠٧، تاريخ النشر: الثلاثاء ٠٣ شعبان ١٤٣٢هـ / ٥ يوليو ٢٠١١م.
٢.	أمين معلوف مسافر بجروح كثيرة، غسان شربل، جريدة الشرق الأوسط لندن، تاريخ النشر: الإثنين - ١٧ ربيع الأول ١٤٤٥هـ / ٢ أكتوبر ٢٠٢٣م.
٣.	أمين معلوف ومصيدة المواطن العالمي من ليون الإفريقي إلى الهويات القاتلة، حسين سرمك حسن، جريدة الزمان، السنة الخامسة عشرة، العدد: ٤٣١٢، تاريخ النشر: ٢٤/٩/٢٠١٢م.
٤.	أمين معلوف والهويات القاتلة انتماءات مختلفة يجب ألا تحتزل بواحد يصبح أداة استعباد وحرب، الحسين المعطاوي، جريدة الشرق الأوسط لندن، تاريخ النشر: ٢٧ أبريل ٢٠١٦م / ١٩ رجب ١٤٣٧هـ.
ت	
٥.	تجربة محمد فريد أبو حديد في الرواية التاريخية، إعداد قسم الوثائق والبحوث بالمجلة، مجلة الفصيل - الرياض السعودية، ص: ٥٩ - ٦١، العدد ١٨٣، رمضان ١٤١٢هـ - مارس ١٩٩٢م.
٦.	التخييل التاريخي في صخرة طانيوس، المغامرة الفردية الذاكرة الجماعية والتخييل الاجتماعي، عثماني الميلود، ص: ٧٦-٩٣، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية لبنان، العدد ٤١، مايو ٢٠١٨م.
ج	
٧.	الحروب الصليبية من وجهة نظر العرب، د. رؤوف عباس، مجلة المستقبل العربي، ص: ١٦٧ - ١٧٣، المجلد: ٨، العدد: ٧٨، أغسطس ١٩٨٥م.
٨.	الحسن بن محمد الوزان رحالة عربي ومصنف فرنجي، جمال زكريا قاسم، مجلة العربي، ص: ٩٤-٩٩، العدد: ١٦٢، ١ يونيو ١٩٧٢م.

ز	
٩.	الرحالة الأندلسي الحسن بن الوزان، محمد بن عبد الله عنان، مجلة العربي، ص: ٧٣-٧٧، العدد: ٤٣، ١ يونيو ١٩٦٢م.
١٠.	الرواية الإسلامية وبنائها الموضوعي والفني، عبد الفتاح محمد عثمان، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، ص: ٦ - ٩، العدد/ ٣٨، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١١.	الرواية والتخييل التاريخي، هيثم حسين، صحيفة العرب لندن بريطانيا، تاريخ النشر: الجمعة ٢٣ سبتمبر ٢٠١٦م الموافق ٢١ ذو الحجة ١٤٣٧هـ، السنة: ٣٩، العدد: ١٠٤٠٣.
س	
١٢.	السرد الكثيف في الرواية العربية، أمين معلوف أنموذجاً، عبدالله إبراهيم، مجلة البحرين الثقافية، المنامة البحرين، ص: ١٣٥، العدد/ ٢٤، أبريل ٢٠٠٠م.
١٣.	سلام الشرق الرؤية والتشكيل دراسة في رواية أمين معلوف سلام الشرق، زهير محمود عبيدات، مجلة مؤتة - الأردن، ص: ٢٥٧ - ٢٧٦، المجلد: ١٥، العدد: ٨، ٢٠٠٠م.
ص	
١٤.	الصراع بين المذهبية الفكرية والفن في الرواية التاريخية رواية هاتف من الأندلس نموذجاً، د. طه وادي، مجلة الفيصل - الرياض السعودية، ص: ٢٦ - ٢٩، العدد ٢٢٩، رجب ١٤١٦هـ - نوفمبر ديسمبر ١٩٩٥م.
ف	
١٥.	الفكر التاريخي في صخرة طانيوس مراجعة كتاب، مسعود ضاهر، مجلة الآداب، العدد: ٥ - ٦، ٠١ مايو ١٩٩٦م
١٦.	في ذكرى ميلاده السابعة والستين أمين معلوف بين إشكاليات هوياته القاتلة ومتاهات اختلال عوالمه، محمد محمد الخطابي، صحيفة القدس العربي لندن، العدد: ٨٣٨٩، تاريخ النشر: الإثنين ٢٩ فبراير ٢٠١٦م.
ق	
١٧.	قراءة في رواية (التائهون) للروائي أمين معلوف، علم الدين عبد اللطيف، مجلة الموقف

الأدبي سوريا الصادرة من اتحاد الكتاب العرب، ص: ١١٤-١١٨، مجلد: ٤٣، العدد: ٥٢٥.	
م	
١٨. مقولات السرد الأدبي، تزفيتان تودوروف، ترجمة: الحسين سبوحان، وفؤاد صفا، ص: ٣٠-٥٤، مجلة آفاق الصادرة من اتحاد كتاب المغرب العربي، العدد: ٨، ٩، ١٩٨٨م.	
١٩. مناقشة رواية سمرقند، معهد الدراسات الدينية والفلسفية، مادة مسجلة، تاريخ الاطلاع: ٦ مايو ٢٠٢٤م، الساعة ٨ صباحاً، على موقع: https://maarefhekmiya.org/٣٢٧١/سمرقند-رواية	
٢٠. موانئ المشرق لأمين معلوف والصراع بين الهوية والانتماء، د. سامي مسلم، ملاحق صحيفة المدى العراقية، ٠١ يوليو ٢٠١١م.	
ن	
٢١. ندوة الثقافة والعلوم تسير أعماق "موانئ المشرق"، صحيفة نبض الإمارات، ١٤ فبراير ٢٠١٨م.	
٢٢. ندوة الرواية والتاريخ، عبد الواحد إبراهيم، تعليق: كمال رياحي، ص: ٢٩، مجلة عمان، عدد: ١٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥م، الصادرة عن أمانة عمان الكبرى.	
هـ	
٢٣. هل لدينا رواية تاريخية، عبد الفتاح الحجمري، مجلة فصول، العدد/ ١٤، يوليو ١٩٩٧م، ص: ٦٠-٦٧.	
٢٤. الهوية الثقافية المركبة المتناصة: كتاب وصف إفريقيا للحسن بن الوزان ورواية ليون الإفريقي لأمين معلوف نموذجاً، للباحثة: فتيحة عاشوري، ٢ / ٢٦٩-٢٨٨، أشغال المؤتمر الدولي السنوي لمؤسسة مقاربات: الذاكرة والبناء الثقافي، فاس المغرب، مارس ٢٠١٩م.	
و	
٢٥. الوعي المأساوي ومعضلة الاختيار في رواية "التائهون" لأمين معلوف، د. نواف	

المخلوف، مجلة الآداب العالمية، الصادرة من اتحاد الكتاب العرب - سوريا، سنة ٤٠، العدد / ١٦٥، ص: ١٠١ - ١١٢.	
---	--

فهرس المصادر والمراجع للغة الأردية

۱	
۰۱	اردو ادب کی مختصر تاریخ = التاريخ المختصر للأدب الأردی، ڈاکٹر انور سدید، ص: 298، عزیز بک ڈپو—لاہور، ط/1998ء۔
۰۲	اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ آغاز سے 1992 تک کا ادبی جائزہ، = التاريخ المختصر للأدب الأردی منذ البداية حتى ۱۹۹۲ م دراسة أدبية، ڈاکٹر سلیم اختر، سنگ میل پبلیکیشنز—لاہور پاکستان، ص: 301، ط/1993 م۔
۰۳	اردو میں ادبی نثر کی تاریخ 1857 تا 1914ء = تاريخ الأدب النثري في الأردية، ڈاکٹر طیبہ خاتون، دہلی انڈیا، ص: 166، ط/1989 م۔
۰۴	اردو ناول آغاز و ارتقاء (1857 تا 1914) = الرواية الأردية البداية والتطور ۱۸۵۷ إلى ۱۹۱۴ م، عظیم الشان صدیقی، ص: 355، ایجوکیشنل پبلیشنگ ہاؤس، نئی دہلی—2008 م۔
۰۵	اردو ناول کی ابتدائی دور کا فکری و فنی مطالعہ مشمول اردو ناول تفہیم و تنقید، ڈاکٹر محمد ہارون، مرتبہ: ڈاکٹر نعیم مظہر، ڈاکٹر فوزیہ اسلم، ص: 164، ادارہ فروغ اردو زبان اسلام آباد، 2012ء۔
۰۶	اردو ناول کی تنقیدی تاریخ = التاريخ النقدي للرواية الأردية، ڈاکٹر محمد احسن فاروقی، مقدمہ، ادارہ فروغ اردو، لکھنؤ انڈیا، ط/2، 1962ء۔
۰۷	اردو ناول میں مسلم ثقافت = الثقافة الإسلامية في الرواية الأردية، ڈاکٹر فاروق عثمان، لیکن بکس ملتان، ط/1، جولائی 2002 م۔
۰۸	اردو میں تاریخ ناول نگاری (الرواية التاريخية باللغة الأردية): ڈاکٹر رشید احمد کوریجہ، پنجاب یونیورسٹی—لاہور، 1986ء۔
۰۹	اکھیا میٹ کی سپنائیکیا، افسانوی مجموعہ، عنایت اللہ التمش، پیش لفظ، محرر: شاہد جمیل بن عنایت اللہ التمش۔

۱۰.	"امیر تیمور جس نے دنیا ہلا ڈالی" = الأمیر تیمور الذي هزّ العالم، هيرالد لیم، ترجمة: عنایت اللہ التمش، ناشر: بک کارنر شوروم، جہلم پاکستان.
۱۱.	اندلس کی ناگن تاریخ اندلس کے مردانِ حرکی ولولہ انگیز اور سنسنی خیز داستان = أفعی الأندلس الحکایة المثيرة الغامضة لأحرار الأندلس، عنایت اللہ التمش.
۱۲.	"اور ایک بت شکن پیدا ہوا سلطان محمود غزنوی کے جہاد اور جاسوسوں کی جذباتی اور واقعاتی داستان" = ولادة محطم التماثيل، الحکایة الحقيقية المثيرة لجهاد السلطان محمود الغزنوي، والجواسيس، عنایت اللہ التمش، علم و عرفان پبلشرز لاہور، 2008ء.
۱۳.	اور نیل بہتارہا، فتح مصر فرعونوں کی پر اسراریت، نیل کے توہمات" = وظل النيل يجري فتح مصر وغموض الفراعنة وأوهام النيل، عنایت اللہ التمش، ادبی دنیا، اردو بازار — ڈہلی انڈیا، 2000ء.
ب	
۱۴.	برصغیر میں اردو ناول = الرواية الأردنية في شبه القارة الهندية، ڈاکٹر خالد اشرف، اردو مجلس — نئی دہلی، 1994م.
ت	
۱۵.	تزک تیموری بانی سلطنت مغولیہ امیر تیمور گورگانی کی خود نوشت سوانح عمری = السيرة التيمورية السيرة الذاتية للأمير تیمور الكورکاني مؤسس السلطنة التيمورية، امیر تیمور گورگانی، مترجم: مولوی سید ہاشم ندوی، ص: 41، ناشر: سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، پاکستان، 1965ء.
۱۶.	ترقی پسند ادب = الأدب التقدمي، ڈاکٹر عزیز احمد، چمن بک ڈپو اردو بازار دہلی انڈیا، 1950ء.
ج	
۱۷.	جدید اردو ادب = الأدب الأردی الجديد، خاطر غزنوی، سنگ میل پبلی کیشنز — لاہور، ط 1/ 1985م.
ح	

۱۸.	حجاز کی آندھی مجاہدین اسلام کے ہاتھوں کسری فارس کی تباہی کی داستان " = عاصفة الحجاز حکایة هلاك كسرى فارس على أيدي مجاهدي الإسلام، عنايت الله التمش.
د	
۱۹.	داستان ایمان فروشوں کی صلاح الدین ایوبی کے دور کی حقیقی کہانیاں عورت اور ایمان کی معرکہ آرائیاں " = حکایة الخونة باعة الإيمان قصص واقعية من عصر صلاح الدين الأيوبي، الصراع بين المرأة والإيمان، عنايت الله التمش.
۲۰.	داستان سے افسانے تک = من القصة الطويلة إلى الرواية، ڈاکٹر وقار عظیم، طاہر بک ایجنسی، دہلی انڈیا، 1972ء.
۲۱.	دگداز مجلہ، عبدالحلیم شرر، عدد: مایو 1934ء.
۲۲.	دمشق کی قید خانی میں اندلس کی ساحل پر کشتیاں جلا دینے والوں کی داستان شجاعت " = في سجن دمشق قصة شجاعة الذين أحرقوا سفنهم على ساحل الأندلس، عنايت الله التمش، علم و عرفان پبلشرز لاہور، 2009ء.
ش	
۲۳.	شرر کی زندگی = حیاة شرر، د. مرتضیٰ جعفری، ص: ۵۰، مجلہ خیابان، جامعہ بشاور، ۱۹۷۲م.
۲۴.	شمشیر بی نیام تاریخی ناول خالد بن الولید کی داستان شجاعت " = السيف المسلول رواية تاريخية حکایة شجاعة خالد بن الوليد، عنايت الله التمش.
ظ	
۲۵.	ظفر نامہ، مولانا اشرف الدین علی یزدی، ص: 87، ناشر: بیپٹسٹ مشن پریس، کولکتا، انڈیا، 1857م.
ل	
۲۶.	لفظ زندہ رہتی ہیں کتابچہ عنايت الله مرحوم، از ملک کاشف اعوان، جھوک پبلیکیشنز ملتان، 2015ء.

م	
۰۲۷	ماہنامہ اردو ڈائجسٹ ستمبر ۱۹۶۶.
۰۲۸	منزل اور مسافر ایک ہنگامہ خیز اور سحر انگیز خود نوشت، عنایت اللہ التمش، ب.ت.

فہرست مواقع الإنترنت

S#	Links
۱.	http://www.aminmaalouf.net/en/about
۲.	http://www.walterscott.lib.ed.ac.uk/biography/chronology.html